

Ooredoo TN

43%

رتنوس بلقد جعلتني كاتبيا

23:03

mer. 16 août

Ritnouss 🥰🥰 my lovers 🥰🥰 my life 🥰🥰

أسامة

**رتنوس: لقد جعلتني
كاتبا.**

إهداء

إلى من وقفت أمامي ذات مساء على شاطئ البحر
وهمست لي وهي تبسم *احبك*☆☆☆.

إلى نفس الملاك التي اخبرتني يوما اني سر
ابتسامتها المميزة☆☆☆.

إلى الفتاة نفسها التي جعلتني أومن بالحب وانسى
الايمان بالقدر خيره وشره☆☆☆.

إلى تلك القصيرة التي علقنتي بها ثم استيقت صباحا
وخرجت دون عودة تاركتا رسالة وداعها الاخيرة"انسني
فأنا لم اعد اريدك بعد اليوم"☆☆☆.

إلى نفس الفتاة التي اقنعتني أني احن رجل
عرفته☆☆☆.

إلى ساعي البريد الذي اكد لي ان الناس مازالت
تبادل الرسائل في زمن صار فيه فيسبوك سيارة عائلية
حملت العالم بأسره ومشيت به نحو العدم☆☆☆.

إلى نادل مقهى*بريدج*الذي سخر مني وضحك علي
طويلا عندما قدمت له رواية عوضا عن المال لانني لم اكن
املك ثمن كوب القهوة الذي شربته في طاولة وحدي وقال

لي*اترك تفاهاتك عندك او ارمي بها في القمامة التي امام المرحاظ ولا عليك ثمن قهوتك مدفوع من عندي*لكني عدت في اليوم الموالي واعطيته ثمن كوب القهوة وطلبت منه بلطف ان يضع الباقي في جيبه هو يحتاجه☆☆☆.

إلى الساعة المعلقة في جدار غرفتي التي عدت معي ساعات كتابة هذه الرواية بطقطقتها التي ابت التوقف منذ اول حرف كتبه☆☆☆.

إلى الأستاذ الذي اخبرني ذات يوم اني لن انجح بتواكلي ذاك في صف الآداب ثم طردني من الفصل واستدعى والدي لكنه لم يأتي ولم يعره اهتماما☆☆☆

لم اكن لاكلف نفسي عناء التفكير والبحث في مخيلتي المتواضعة لأكتب هذه الاسطر لو لم ارى في عينيها شيئا من الشفقة والحزن إزاء الحالة التي وصلتها في عمري هذا؛ عمري الذي لم يبلغ العشرين حتى؛ إهداء لأمي التي لم تترك لي مجالا لدخول غرفة اليأس والفشل☆☆☆.

إلى حاسوبى الذى ظل يعمل ليلا نهارا دون اى تدمر
او شكوى☆☆☆.

إلى عجوز سمح لي ذات ليلة بان احظى بمجالسته
كان ينتظر القطار ولا اضمن انه استقله ليلتها ورغم اني لم
اسمع صوته الا اني تعلمت منه الكثير وقد سمح لي
باطفاء سيجارة كان يدخنها فوق معصمي الايسر☆☆☆.

إلى فتى سخر مني ذات مرة حين رأني اكتب في
المقهى وقال لي*امازلت تتبع تلك السخافات،الم تصلك
الحضارة بعد الناس صارت تكتب جملها على صفحات
الفيسبوك لا على برنامج الورد التافه ذاك خاصتك☆☆☆.

إلى شيخ تفهمني حين فسرت له سبب إلتجائي
للكتابة في المسجد بعد ان فرغ من المصلين ولم يبق
سواي وقد كان يقف خلفي ولم المحه الا حين جلس الى
جانبي وهمس*هذا لا يجوز يا فتى*☆☆☆.

إهداء خاص

لصديقي محمد الذي لن يدرك يوما ان اسمه قد ذكر
في احدى الروايات لان شغفه لا حظ له في الكتب واشكره
لانه نصحني ان اقلع عن التفكير فتجاهلته؛ اشكره على
النصيحة☆☆☆.

لأخي الصغير وسيم الذي قال لي عدة مرات انني
ساتعب في حياتي بسبب قلبي الطيب☆☆☆.

لصديقتي وأختي ورفيقة طفولتي ومربيتي رجاء
ابراهيم التي كانت تقول لي دوما*مالذي يجعلني اصبر
عليك انا*وقفت الى جانبي ولم تهملني مثلما فعلت منذ
مدة لكنني عدت لاهتمامي بها ولم تصدني بل ساندتني
في اصلاح ما علق بالرواية من اخطاء وكلفت نفسها عناء
فهمني وقد نجحت بتوفير الله ثم عقلها الانيق☆☆☆.

لصديقتي الاقرب الى قلبي من من خفقاته ندى التي
اعانتني على كتابة ما تقرئونه وجعلتني اؤمن ان الحياة
حقا جميلة ومسالمة اذا سايرناه☆☆☆.

لصديقتي التي علمتني ان البعد لم يكن يوما عائقا امام
الصداقة؛اختي التي لم ارها مطلقا؛ميساء☆☆☆.

يقول احدهم ان قلبه عشقها حتى استحي ان
يعشق غيرها لان لا احد غيرها جدير بالحب والعشق.

لكني اقول ان قلبي فقد في يوم ما حياءه وعشق
غيرها وذن ان كل القلوب سواء لكنه نال عقابه وزيادة؟

أحبك أمي

لم اكن أعتقد يوما اني ساشكر احدا على شئ لم
يفعله...

لكني استحضر غالبا ما رسخ في ذهني من قول ربي
وهو حسب رأيي ما يلخص معنى هذه الحياة؛ التي صارت
لا تطاق؛ في كلمتين؛

<< كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال

والاكرام >>.

واذكر أيضا قول الرسول صلى الله عليه
وسلم <>الناس نيام واذا ما ماتوا استيقظوا>>.

الشكر والحمد لله الذي رعاني واعانني وحفظني من
الجنون او الخروج عن وعيي وادراكي وجعلني بعونه

وتوفيقه ومشياته احافظ على توازن عقلي وهذا ما جعل
اليأس هو آخر زواري رغم شدة الالم والوجع الذي عشته
ولازلت اعيشه وهو سبب ما وصلت اليه حالة كآبتي
الحادة هذه☆☆.

شكرا لأمي واعلم ان الشكر والقبل التي اطبعها
على جبينها وكل اهتمامي بها لا يكفون لكي ارد لها
الجميل☆☆.

شكرا لصديقتي التي تركتني...شكرا على لا شيء☆☆.
شكرا لصديقي متفقد القطار الذي لا يطالبني في اغلب
الاحيان بثمان تذكرة الرحلة☆☆.

شكرا لكل من قرأت لهم وفسحو لي المجال لدخول
عالمهم الواسع☆☆.

شكرا للحياة التي اجبرتني على مبارزتها حتى
اتمكن من الاطلاع على اسرارها ونقاط ضعفها☆☆.

شكرا...

لطاما شعرت بخزي وحياء يكادان يسعان الدنيا كلما وضعت
السجادة ووقفت امام ربي لأداء صلاة قد فات وقتها ولم
اصلها حاضرة في جماعة ؛فهذه الدنيا لم تكتفي بابعاد
الفتاة التي احببت عني بل وصارت تسعى وتلهث حتى
تبعدني عن ربي بمشاغلها التي يزينها لنا الشيطان لعنه
الله ؛يخرجها في اجمل اثوابها لكي تلهينا وتشدنا عن ذكر
ربنا وقد نجحت في ذاك نسبيا!

اللهم يا مقلب القلوب ويا من علمتنا ان رحمتك وسعت
كل شئ؛ثبت قلوبنا الضعيفة والمنهكة على دينك واجعلنا
ممن رقت قلوبهم وابصرت بعد ان اذمبوا وعصوا فتابوا
طالبين المغفرة فتقبلت توبتهم وغفرت لهم فيا ربي ان
بلغت ذنوبنا عنان السماء ما ياسنا من رحمتك الواسعة...

توضيح غير ملزم بالقراءة

هذه الرواية لم تكتب من طرف كاتب بل من طرف فتى مهووس بالكتابة؛ هذا الفتى مريض ادعوا له بالشفاء العاجل؛ مريض بانلفونزا الكتابة وقد ظهرت اعراض هذا المرض معه ذات ليلة حين استيقظ من نومه عند الواحدة بعد منتصف الليل وتناول حاسوبه وصار يكتب اشياء دون حتى ان يراجع ما كان يكتبه؛ لم يفتن بمرضه هذا احد غيره فقد كان يشرع في الكتابة عند الواحدة حتى يغلبه النوم مجددا عند الرابعة صباحا ليستيقظ في كل صباح ويجد حاسوبه مفتوحه على حاله ذاك منذ الليل فوق فخذه؛ كان يحلم أحيانا بانه مريض ويعاني حرارة في اعلى فخذه لكنه لم يكن مريضا وانما سبب تلك الحرارة في الحلم كانت انعكاسا الهواء الساخن الذي تصفع به مروحة الحاسوب فخذي الفتى؛ لكن الامر لم يعد يثير حيرته بل صار يتساءل حول شئى كان هو السبب الرئيسي في مرضه ذاك؛ ظل يتساءل طيلة حياته وحتى موته نفس السؤال كل صباح لكنه مات ولم يستطع الاجابة عنه؛*من يكتب هذه الاشياء في حاسوبي؟*؛ بل وصار يسأل أمه وأخوه احيانا؛

هل لمس احدهم حاسوبي؛ لكنه يتذكر في كل مرة يقولون له فيها لا احد لمسه ان حاسوبه يحتوي علي كلمتي عبور ومن المحال ان يستطيع احد اختراقه والولج اليه مهما كان عبقريا في الاعلامية؛ يتذكر ايضا انه يعيش وحده في غرفة منعزلة وان لا احد يدخل بيته غير اخوه الذي يقطن معه وهو ليس بحاجة للمس الحاسوب لان لديه حاسوبه الخاص وهو ضجر منه لا يستعمله الا غالبا ويستحضر ايضا ان اخوه والكتابة عدوان لا يلتقيان حتى في الاحلام الخيالية واطاف الى مخيلته ان اخوه الصغير قد انقطع عن الدراسة منذ ثلاث سنوات ومن المحال ان يكتب اشياء كتلك التي كان الفتى يكررها كل فجر كماه يقرأها للمرة الأولى حتى انه لا يفهمها احيانا ويطلب من اخيه ان يشرح له بعضها في احيان اخرى؛ وهو الذي كتب كل حرف منها ليلا؛

.....حاله مؤسف حقا

لا تاخذوا كلامي هذا على محمل الجد فأنا معتوه وقد تجمعت في كل الصفات القبيحة ناهيك عن اني قد اطفئت توا سيجارتي وقد افرغت تبخها ووضعت مكانه مادة اخرى قبل ان اشعلها؛ على الاغلب مخدرات او بودرة القنب

الهندي؛ لا يهم جميعهم مضرون لكنهم مفيدون عن جدارة
فهم آلة ديناميكية تنتج الكلمات والجمل بلا توقف؛ صرت
اعاني فائضا في الناتج الداخلي الخام لمخيلتي وقد
تسبب لي هذا الامر في مشاكل اولها هذه الرواية التي
يمكنها ان تلوث دمك وتسبب لك في عام من السجن
وخطية مالية وانت حتى لم تضع سيجارة في فمك يوما؛ لا
تقل لم يحذرني؛

سؤال يشغلني؛ لماذا يدمن البعض على القهوة
ويجعلونها ندا لقراءة شئ ما ويستمتعون باحتسائها في
حين ان الكتب تحتوي على اجود انوارقاهن وارقاها لكنهم
يشربون القهوة بادمان ويقرأون كتابا بشغف او
بفضول؟؟ اقرائة الكتب كشرب القوة عندهم؟؟ لا يهم؛

كاتب هذه الرواية يمتلك من التواضع والبساطة
والطيبة بقدر ما ستجده اثر قراءتك من مبالعة في الوصف
والتعبير؛ لا اسعى وراء كسب المال من وراء ما اكتبه ولا
اريد الشهرة او ان اصبح معروفا في كل العالم العربي او
حتى خارجه والكل يريد مراسلتي والتحدث الي؛ ولم اتخيل
نفسي حتى اقف على الركح اما حشد من المهووسين
بالقراءة حتى اناقشهم واجيب عن اسئلتهم حول

الرواية؛ لم اتصور نفسي حتى احمل خطابا والقيه على
الحضور؛ ليس تكبرا او غرورا كما سيفسر البعض من تلقاء
نفسه لكن الكسب عندي هو ان تفيدكم الرواية اما
شهرتي العالمية هي ان تصل الرواية الى صاحبها المعنية
بكل حرف؛ المبالغة في المبالغة في التعبير قد تجلك تفقد
الثقة حتى في طريقة تفكيرك؛ تعلن الحادك؛ تكفر لانك
ستحاول بلوغ اقصى درجة في التعبير عما بداخلك لكنك
ستفشل مثل الكاتب؛ قد تهمل صلاتك؛ عمالك؛ مشاغل
حياتك؛ قد يصبح التفكير هو طعامك وشرابك؛ لكن لا تقلق
كلها مجرد فرضيات والدين الحق والايمان القوي لا يقهران
فقط اجعل ايمانك بالله تعالى قويا وواضبا على الصلاة
واعمال الخير☆☆☆

.....إستمعوا

إعتراف

أنا الذي كتبت كلمة ☆أحبك☆ باللون الاسود على
...الحائط الذي بجانب باب منزلك

أنا الذي قتلت نفسي تلك الليلة؛قتلتها خنقا بعد ان
أبت ان تقتنع بفكرة انك تركتنا ورميت بنا بعيدا عنك بكل ما
درستي من عبثية؛قتلتها ثم دفنتها في مقبرة الواقع تلك
حيث يرقد كل الوحوش والمسوخ ثم خرجت تاركا ايها
تتخبط وهم متحلقون حولها في ترحابهم القذر؛وددت لو
أني زججت بها في كيس ورميتها في البحر لكني لم ارد
ان تلوثه لاحزانها وهمومها؛لطالما كان صديقي الاقرب؛
اقفلت القضية قبل ان تمر الى محكمة الحياة الظالمة تلك
وصارت نفسي نسيا منسيا؛اما انا فمجرم طليق الان بدون
روح وقاتل نفس بغير ذنب وأنتم اعلم بخطورتي مني.....

الله بسم

ولا اضن ان شيئاً في كل اللغات والكتابات يظاه اسم
الله لنجعله مفتاحاً نبدأ بعده الحديث او الكتابة او حتى
القراءة لكنني لا اعرف من اين سابدأ الكتابة والحديث ولا
اعرف حتى على ماذا ساتحدث في هذا الكتاب المتواضع
والذي اتمنى ان ينال اعجابكم ورضاكم وسيكون فخرا الي
ان اتشرف بنقدكم ونقاشاتكم وحتى ان كان الكتاب مثاليا
غنيا على النقد والنقاش وانا لا اضن ذلك فلا بأس بنقد
الصورة التي على الغلاف فهي لم تعجبني ولم اضعها الا
لانها تحمل داخلها ذكرى غالية علي؛ ذكرى اضن انها
سترافقني ما بقي من حياتي من ايام تعيسة؛ لكن حقا
انا لا امزح يا سادة لا اعرف كيف سابدأ الحديث فانا لم
أكتب من قبل قط هذا اول كتاب لي احببت ان
اسميه؛ ☆ لقد تشرفت بأني أول من أحببت ☆؛ لكن الذي
قراتموه على الغلاف كان مجرد اسم حاله كحال الصورة
وضعته فقط لانه يعني لي الكثير ويحفظ داخله ذكريات
ستصين بالجنون يوما ما بلا شك؛ لكن لحظة انسو امر
الصورة والعنوان وانسو امر الحديث وكيف سابدأ؛ فلنتعارف
قبل ان نضع حزام الامان ونقلع الى السماء ثم الى الكون

وفضاءه؛اسمي لن ينفعكم بشيء لن يزيدكم ولن ينقص
منكم؛انا فقط رجل صغير تونس هي بلادي ولدي
عمران؛مظهري عمره 20 وبضعة اشهر وقلبي كاد يبلغ
التسعة والثمانين مازال على ادراكهم شهر او شهران؛انا
لست كاتباً بل انسان عادي من عامة الناس ولم انتمي
يوماً الى فئة المثقفين ولم احظى بحمل شرف ذاك
....اللقب بعد

كل ما في الامر اني جمعت في الأونة الاخيرة اطنانا
من الالوجاع والآلام داخل قلبي واحاطت بي اشياء من
عالم القذارة والمسوخ وقد سمحت لنفسى بالسخرية
منها فاسميتها مبادئ وقيم؛

الخيانة...الغدر...التخلي...الكذب...التلاعب...المماطلة..
النفاق...الاخلال بالوعود...الخدلان؛كل هذه كونت حولي
حلقة هذه الايام وجعلتني موضوع جلستهم؛كانت جلسة
قذرة وكان كل الحاضرين سكارى لكنهم ثملو من دون خمر
لا اعرف كيف لكن هذا ما حدث؛تحولت هذه "المبادئ"
التي كبلت مخيلتي وسلسلت افكاري الى مكبوتات وهي
في تزايد طول الوقت ولن تتعب من التكاثر وانا ادرى بامر
نفسى من اي احد اخر لكنى اقنعت نفسى بان علي ان

افرع قليلا من تلك المكبوتات في شىئ ما لاففف على
قلبي والا سانفجر؛ فاما انى ساصاب بالجنون وافقد كل ما
بقي لى من عقل واغفو على شاطئ البحر امشط الرمال
بمكلسة البىء او انى ساموت من شءة الضفط وفى
الحقفة لا ارىء لائ من هءا ان ىحصل لى ففء وءء امى
بان اكون الى جانبها فى كبرها حتى ارءع لها جمىلها
السابق ولا اءن انى سارءع كاملا حتى ان عشت
سنىن اهل الكهف والله شاهد على ما اقول.....

قرءت ان اكءب؛ لم اءءر موضوعا معىنا لاكءب علىه لان
الحىاة ماشالله لم ءءرك لنا مجالا لءءعب انفسنا ونءءار
فهى من ىفعل ذلك على الءوام لكن فى النهاىة ىءىل لنا
اننا من اءءرنا ولكننا حمقى ان صءقنا ما ءءىلنا؛

لم اءءرء الكءابة على ءىرها من الاشىاء الاخرى ءى
ىمكن ان افرع فىها شءنة المكبوتات هءه بفاعلىة
اكءر؟؟؟سؤال منءقى لكن صءقونى انا اكره الكءابة وامل
من القراءة واضءر من ءصفء كءاب ءءءاوز صفءاته العشرة
ءاصة ان لم ءكن به صور كءءونىة مءءكة؛ اءرس الاءب
ولىس لى فى الاءب شىئ فانا مءووس بالعلوم والرىاضىات
لكن الاقءار شاءء ان اءواءء فى صف الاءاب؛ انها الحىاة

لكن الذي دفعني لاختيار الكتابة على غيرها هو ان الاغاني اصبحت تسمع من قبل الساذجين والمتطفلين اكثر من انها تسمع من قبل الواعين بان جوهر الاغنية في كلماتها التي يجب ان تحلل ويتعمق فيها وليس في اللحن؛ الرقص لا يروقني وليس لي موهبة في الرسم او النحت والتمثيل يتطلب مالا وانا بالكاد املك ثمن قلم جاف وعلبة اوراق والباقي استطيع ان اشترى به سيارة واحدة رغم اني لا ادخن اذ احب تركها على طاولتي او اثبتها فوق اذني او بين شفتي بينما اكتب وهي من جهتها تنتظر لحظة ان امسك القداحة واشعلها؛ تأمل ذلك وهي على انتظارها ذاك منذ سنوات تخيلو ان هناك سيارة الان في هذا العالم عمرها ثلاث سنوات تزيد اشهر؛ لم اخجل بكوني فقيرا يوما على فكرة؛

لكن بعد بحث وتفكير ادركت ان الكتابة لا يعيرها اهتماما ولا يتابع اخبارها ولا يطلع عليها الا الراقون فكريا واصحاب الادب والاخلاق لذلك سيسعدني ان يكون القارئ الان ادبيا او كاتباً معروفاً او حتى شخصاً مولعاً بالقراءة والكتابة وسيكون لي فخراً اذا كان كتابي هذا متواجداً في بيت احدهم الان اي كان صفته؛ في غرفة الجلوس او فوق

طاولة بجانب فراش النوم او حتى في رف في الحمام
المهم عندي ان الكتاب وصل الى مكانه؛ ليس في
المكتبة؛ المكتبة تشتري وتبيع لتكسب المال لكن في بيت
احدكم؛ في بيتك انت...

ان كنت تقرأ الكتاب الان وانت واقف في المكتبة امام رف
الكتب الطويل ذاك وتسال نفيسك ان كنت ستشتريه ام
لا فانا لن انصحك بشي ولن اقول لك انه تحفة فنية او كتاب
مثالي يستحق ان تنفق من اجله ذاك الرقم المكتوب في
غلافه الخلفي لاني ادرى بما خرج من مخيلتي منك فقط
افعل ما تراه مناسباً اما ان تخرج المال وتطلب من تلك
السيدة الجميلة او ذاك الرجل الانيق ان يضع لك الكتاب
في كيس او ارجعه الى رفه حتما هناك من سيتعاطف مع
حالي او ربما يكون متأزماً مثلي وسيشتريه؛ افعل ما يحلو
لك لن انبس بحرف.....

اما ان كنت تتصفح الكتاب الان في غرفة جلوسك امام
المدفئة او التلفاز فانا لا اعرف كيف ساشكرك لثقتك في
رغم انك لم تقابلني قط ولا تعرفني حتما ورغم هذا لقد
ادخلتني الي منزلك لتوك وجعلتني ضيفك لليلة وبما انك

اشتريت الكتاب فانا اصبحت فردا من العائلة الان؛مرحبا بي
في بيتك وشكرا مرة اخرى.

لا اعرف من الذي يقرأ الان لكن.....

*ان كنت الاب فاعتبرني ابنك المطيع ساكون مسؤولا...

*ان كنت الاخ فانا من الان سندك والى جانبك.....

*ان كنت الاخت فانت حصلت على اخ حنون سيدلك...

*ان كنت الام؛قبلت على جبينك؛احبك امي.....

*اما ان كنت الفتاة المعنية بالامر كله فانت تقرئين ما

صنعت يداك الصغيرتان بي؛افتقدك يا بئسة.

بدات رحلتك معي ومع حكايتي منذ لحظة امساكك بكتابي

هذا؛لا تتعجل في الحكم علي فانت لا تعرفني حتى هذه

اللحظة؛لا تدع افكارك وتساءلاتك التي تسيطر على عقلك

البشري تشتتك او تشوش على تركيزك لاني اريدك

صافي الذهن وانت تقلب صفحاتي وتتجول بين

اسطري؛اجعل عقلك او دماغك او ما تسميه انت كما

تسميه؛اجعله نقيا خاليا من اي فكرة واي كلمة قد تجعلك

تسيئ فهم سطر او جملة او حتى كلمة من كتابي

هذا؛اريدك ان تقرأ ثم تفهم كما فهمت انا لا كما تريد ان

تفهم انت؛ليس كما يريد عقلك ان يفهم او فكرك لا اريدك

ان تنشأ رؤى خاصة او تنتج استنتاجات من تلقاء نفسك؛ لا امنعك من التفكير او البحث؛ بل فقط اوصيك وانبهك لانك تقرأ حكايتي؛ تصفح هذه الاوراق ولا تقلق؛ لا تخف لن تخرج من كوني هذا حزينا او مكتأبا ولن تصاب بحالة هستيرية او نوبة تفقد بعدها صوابك؛ لا داعي للخوف؛ فقط اجعل سبابتك تتزلج فوق اسطري مثل تزلج الناس على الجليد في شمال امريكا واجعل عينيك تتبعانها ولا تخف؛ لانه لن يصيبك اي مكروه لانك ضيفي وانا تربيت على اكرام الضيف؛ فقط انت ستنتهي مني بسرعة ثم ستغلق كتيبي هذا وتقول كلمة واحدة "لماذا؟" دعنا لا نتعجل لانك ستعرف لاحقا ما سبب ان تسأل نفسك هذا السؤال فقط تأكد من ان تتخلص من كل ما يشوشك وانت تنتقل من صفحة الى ما يليها لا اريدك ان تفكر في اللحظة او تبحث فقط اقرأ؛ دعني اجعل فهمك لي اسهل ببساطة اكثر اقرأ في خشوع؛ نعم اخشع لن يتطلب الامر عناء فقط لا تقرأ بصوت عال كأنك تقرأ لمجموعة طلاب بل اقرء بصوت خافت وهادئ؛ اقرء لنفسك.

كل مان نعرفه ان الامر بدأ بانفجار جميل وعظيم؛
أول انفجار؟

بل الانفجار الوحيد الذي لم يتسبب في اي خسائر
سواء بشرية او مادية؛ انفجار أدى إلى انشاء منظومة كونية
واسعة وشاسعة الى حد العجز في وصف مدى
إتساعها؛ مشهد جميل وغير عادي لم يشهد على حدوثه
احد الا هو نفسه لكنه حدث واستغرق ماستغرق من وقت
ولكن ماستغرقه ليس بالامر المهم امام ما وجد بعد تلك
الثواني او الدقائق او الساعات؛
لا يهم.....

ندرك على الاقل ان لنا نقطة بدانا منها الا وهي هذا
الانفجار العظيم الذي كان نقطة العبور لكي ندخل في تلك
المنظومة؛ التي وجدت من لاشي وهي ما نسميه
الكون؛ رقعة تكاد لا توصف لشدة جمالها وروعتها؛ ماذا يمكن
ان نسميه حسب ما تداوله العلماء منذ الازل؛
كون، فضاء، عالم، منظومة، كلها تسميات نريد من خلالها
وصف مدى جماله واتساعه لا اكثر؛ لكن لا يمكننا الغوص
اكثر في مسألة الكون هذه؛ تتساءل؟؟

لذلك نصحتك بعدم التفكير وانت تسبح في اسطري
حتى لا تضن اني ساتحدث عن شئ كوني او له علاقة
بعالم الغيبات واسرار الوجود؛ انا لا استدرجك حتى تقراً

هذه الصفحات؛ فقط اردت ان اصف النقطة التي بدأت منها
انا؛ لم اجد شيئا اجمل من كونونا لاصف به تلك اللية؛ لم
يكن الكون فقط من لديه نقطة بداية او انطلاقة مميزة
وفريدة؛ كل منا مر او سيمر بهذه النقطة وهي كمثل اثبات
علمي لا نقاش فيها نقطة لا تحمل في طياتها الا لحظات
من السعادة والسعادة والسعادة ولن اقول فرحا لان
السعادة اشمل واوسع من الفرح؛

لا اسعى وراء شئ علمي ولست بعالم او باحث...

لست بمفكر ولا كاتب ولا روائي...

لست مدرسا ولست استاذا ولا معلما حتا...

لست فيلسوفا ولا اديبا ولم اكن يوما شاعرا...

لست اي شئ... انا فقط إنسان

مجرد رجل عادي مل كبت مشاعره وآلامه ولم يعد
قلبه يتسع لذرة ألم اخرى فقرر البوح؛ او بالأحرى الافراج
عن ما بداخله من اورام وكدمات بسبب آخر حرب؛ اصبح
جسدي بمثابة رقعة واسعة؛ ساحة لا حدود ليمينها
وشمالها؛ تتحارب فيها افكاري المشوشة مع ذكريات وصور
واحاديث طبعت في مخيلتي ورسخت؛ أكدت بقاؤها
ومكوثها وخلودها عندي ولا اضن انها تنوي الرحيل عني او

مغادرتي وتركي في حالي؛ ليس قبل ان تتأكد من اني انتهيت واكتمل امري؛ من جهتي لم افهم امرا ولم ادرك سببه حتى الان؛ لم استطع تفسيره لنفسى التائهة واقناعها به حتى تنال نصيبا من الراحة فقد ارهقت؛ اصبح الامر بمثابة سوال تسألني اياه نفسى واحاول شرحه لي لكني لم استطع ادراك الجواب واسكات حيرتي...

لماذا؟؟؟

لماذا لا امحو هذه الاسطر والجمل والكلمات والنقاط والعلامات التي تزينها؟؟؟

لماذا لا امزق هذا الورق الى جزيات صغيرة واريح هذا الجسد الذي صار يهزل شيئا فشيئا؟؟؟

لماذا لا احرق الكتاب باكملة اصلا حتى لا تتسنى لي فرصة اعادة تلك الجزئيات الممزقة الى الحياة؟؟؟

لماذا لا امحو ذاكرة هاتفي بما فيها ثم اتنهد واخلد للنوم الذي لم يزر غرفتي منذ ان هجرتني؟؟؟ اظن انه تركني هو الاخر ورحل معها لكنه لم يترك رسالة وداعه الاخيرة مثلما فعلت ويا ليتها لم تفعل!!!!

لماذا؟؟؟

لماذا لا اقوم بشيئ يريحني ويرضييني؟؟؟

لماذا لا نختصر كل هذه التساولات الطويلة في كلمتين اثنتين لعلي اسهل على روعي المرهقة ايجاد الجواب..

لماذا لا احاول ان انساها؟؟؟؟؟

لماذا لا احاول اخراجها من ذاكتي؟؟

لماذا لا امحو اسمها وصورتها من رأسي؟؟؟

لماذا لا اطرد عني صوتها هذا الذي يحدث صخبا كبيرا وضجيجا اكبر في اذني؟؟؟ لطالما استمتعت بذاك الصوت!!!

اطلت في الاسئلة من جديد!!!

يمكننا ان نبدأ الرحلة بهذا الاسئلة؛بالاخرى هم الرحلة بام عينها فلو لم يبدؤو الحرب معي منذ مدة لما كنت تقلب صفحاتي الآن؛لما كنت دخلت الى ساحة معركتي هذه واصبحت ضيف الشرف الخاص بي؛لما كنت عرفتني اصلا.

لم تكن لي مشكلة مع هذه الحياة التي تزداد بأسا مع كل يوم يمر حتى بدأت؛بدايات ببطئ حتى اني شعرت ببطئها كمثمل تسرب نسيمات المسخن لتدفئة الغرفة ولم استطع ادراك الجواب؛هل الخلل في قلبي ام في هذه الحياة؟؛هل انا من يجب عليه تغيير وجهات نظره وفهمه

للحياة ام ان الحياة فعلا هي التي انقلبت رأسا على عقب
وصارت السماء مكان الارض وصارت الارض مكان السماء
واصبحت ارى اغلب البشر يمشون مقلوبين على
رؤوسهم؟؟...

من هنا بدأت معركتي...

معركتي مع الواقع...

معركتي مع نفسي التي اصبحت تحاول اقناعي
بالتغير ومسايرتهم حتى لا ارى نفسي غريبا عنهم
وبالفعل لم ارى نفسي يوما واحدا منهم بل لطالما نبذت
نفسي ونفيتها عنهم ولطالما شعرت اني قادم من كوكب
آخر؛لطالما شعرت بالغرابة وانا بينهم؛لطالما اردت معرفة
من انا بينهم ومن هم الي؛لطالما اردت ان ادرك من الغريب
فينا ومن ابن الوطن؛لطالما اردت ان افسر لنفسي من
الضيف فينا ومن صاحب البيت فوجدتني في كل مرة
اتحدث الى نفسي واسالها واطالبها باجوبة ونسيت انها
في ذات الوقت تبحث معي عنها....

دخلنا هذه الدوامة معا قد تكون حربا او معركة اكثر
منها دوامة لكن وجدتني مع نفسي ندور مثلما تدور الارض

حول نفسها؛ نحوم حول هذه الاسئلة وننظر اليها ولن ينفع
نظرنا في شئى فقد حفظناها...

كمثل كل ليلة من ليالي رحلتي الى الموت والفناء
يبدأ كل شئى بمجرد دخولي غرفتي المفضلة حيث
استمتع مع هذه الاشياء وامضي معظم الليل في
الدردشة معها؛ من المؤسف ان ادرك انه لم يعد لدي ما
يؤنسني في وحدتي هذه غير هذه اللعب الجامدة
والصامتة؛ كنت اذن في سابق الاوقات انها مجرد اغراض
جعلت لقتل الروتين واضفاء لمسة تجدد حماسنا وتنشط
عقولنا المعرضة للوقوع في امراض نفسية نتيجة ما نكرره
كل يوم؛ لكنها اصبحت الان اقرب اصدقائي واعزهم الي
قلبي الذي تجري فيه اشغال ترميم لا اعرف كم ستطول
مدتها؛ فحتى اصدقائي الذين كنت قد دونتهم منذ زمن في
قائمة بيضاء طويلة مثل تلك التي يقدمونها في المحلات
التجارية الكبرى احدثت فيها تغييرا بسيطا مما جعلها تعود
بيضاء فارغة الاسطر من وقد اعجبني شكلها الجديد دون
احرف او نقاط تلونها او تفسد بياضها الناصع الذي اصبح
يروقني ويذكرني بتلك الجبال المغطاة بالثلج في شمال
سويسرا؛ لم ازرها ولكن لطالما حلمنا بذلك؛ لو خطر ببالي

ان اعادة تلك الورقة بيضاء سيعود علي بالنفع الذي ادركته
الآن لكنت مزقتها اصلا منذ بداية اشهري الاولى مع
الوحدة؛ ادركت بعدها ان انطوائي على نفسي قد فتح لي
مجالا واسعا للانغزال بهذه الاشياء التي لطالما احتقرتها
وانا الآن اجدد تأسفي لها كل ليلة رغم انها تصر على
جمودها هذا؛ لقد شعرت بالرضا على ما فعلت رغم اني
لم اكن ارغب في افراغ عالمي من الوان حتى وان كنت
قد اصبحت اضجر منها وأمل لكنها في النهاية ليست سوى
الوان كانت تزين عالمي وتجعله يبدو حسن المظر
وتجعلني فيه ابدو سعيدا الا انها صارت الونا باردة ولم تعد
تعني لي الكثير فقد تحولت حياتي تلقائيا وتلونت بعد
خسارتها الي الابيض والاسود وافتقدت مصطلح السعادة
الذي تاه مني وضاع وسط هذه الاشياء التي تراكمت فوق
بعضها بعد ما اعبر عنه بحادثي المفاجئ؛ ادركت بعد ذلك
ان خسارت جزء منهم او حتى خسارتهم كلهم لا يكون
اشد او اضع من تخليها عني.....

يسرح ذهني قليلا ويتوه في ضجيج قوي وصاخب لا
تكف ذاكرتي عن احداثه كل حين وقد تفتنت الى عملها
في الآونة الاخيرة؛ لقد اصبحت انشط مني، اعود بعد ذلك

بمخلتي الى غرفتي التي تميزها العتمة والظلمة وسكون
احاول ان احافظ عليه طيلة جلوسي في هذه الزاوية...

جعلتني هذه الغرفة اتقرب كثيرا من نفسي التائهة
واجالسها واتحدث اليها طول الليل وقد تفاجئت بان هذا
الانطواء وهذه العزلة قد تعاونوا وبنيا من اجلي بيتا جميلا
من الخشب اسميته بيت الكتابة؛ اوحى لي هذا البيت
المتواضع بفكرة كانت امام ناظري طول هذا الوقت لكنني
لم اتفطن لها الا عندما اخترت الوحدة على مجالسة بعض
اصدقائي والتظاهر بالسعادة؛ لطالما كرهت النفاق وحاولت
تجنبه بكل الطرق حتى اني لم اكن اعتبره اسلوبا ناجحا
في الحياة؛ هذا ما اعتقده حسب رأيي؛ تذكرت ايضا قول
ربي (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) تذكرت
صلاتي التي تنهاني على النفاق؛ تسألت بعد
ذلك:التظاهر بالسعادة امام الجميع واقناعهم اني اسعد
انسان؟اليس هذا نفاق برأيي؟؟ اليس نفاقا ان اضحك
امامهم وفي نفس الوقت حرب تجري بداخلي؟؟؟

اليس هذا نفاقا؟؟؟

اليس نفاقا ان استيقظ كل صباحا وارتي قناعا
مبتسما أمضي به نهاري وانا اتجول معه هنا وهناك وكأن

شيئا لم يحدث منتظرا نهاية اليوم حتى اعود الى غرفتي
هذه واتخلص منه واريح وجهي قليلا؟؟؟

كل هذا اليس نفاقا؟؟

قررت بذلك تجنب كل هذه التساؤلات والانفراد
بنفسي لعلني اجد طريقة افهم بها ماذا حصل بالضبط
ولماذا حصل وكيف امكن لهذا ان يحصل اصلا ورغم اني لم
اكن السبب في اي شيء مما حدث الا اني لمت نفسي
وعاتبته على شيء لم تفكر فيه حتى.....

ايقنت بعد ايام من عزلي واجتماعي مع نفسي اني
اكتب اشياء في حاسوبي وقد تبين كما وكاني اخاطب
احدهم او اروي قصة ما، لم اكن اخطط مسبقا لطفاصيلها
ولم اضع لاحداثها ترتيبا حتى بل ادركت اني اكتب فحسب
ولا ادري ماذا اكتب اصلا!!!؛ على الاغلب هذا هو ما نسميه
هستيريا او اضطراب نفسي؛ ربما كانت اشياء صادرة عن
ذاكرتي او ان مخيلتي اتفقت مع حاسوبي على انتاج فيلم
ما؛ لم اكن اشعر بشي او ربما اتخذت تلك الاشياء المكبوتة
قرارها وعزمت على الخروج للالتحاق بهذا العالم الذي
يعتقد الاطفال انه لطيف وجميل للغاية وانه سيكون بمثابة

ذلك الكون الذي يشاهدونه ويتخمرون مع عوالمه في افلام
الصور المتحركة لكن هيهات...

حاولت صد افكاري ومنعها من الخروج واجتهدت الى
اقفال ذاكرتي واحكام سيطرتي عليها لم ارد خسارة ما
بقي لدي من اشياء تأسني بعد ان انتهى بي الامر في
غرفة شديدة الظلام لا تعرف من النور شيئاً سوى ضوء
ضعيف وخافت صارد عن شاشة حاسوبي هذا ولو كان
بيدي لاطفأته الى الأبد لكنني اعجز في كل مرة عن ذلك...
يسرح ذهني بين كل لحظة واخرى بين ذكريات وصور
كانت هي الاخرى ضمن هذه الاشياء التي تضي علي
وحدتي لمسة جمالية لكن في كل مرة توقظني دقائق تلك
الساعة المزعجة المعلقة في جدار غرفتي ولم افهم قط
لماذا لا انتزعها من مكانها ذاك او لماذا لا اقوم بنزع
بطارياتها واريح نفسي منها ومن صوتها الذي يثير توتري؛
لا تتوقف دقائق عقاربها عن الطقطقة والرنين وكانها تريد ان
تطلعني على شئ ما ربما تريد اخباري ان الوقت يمضي
يا هذا وان ليلتك شارفت على الانتهاء او ربما تقول ان
الظلام الذي انصرت داخل غطائه اصبحت دقائقه معدودة
وشارف الصباح على البزوغ لكنها علي الاغلب اشعرتنني

وكانى اتلقى نوعا من التعذيب فى احد السجون الالمانية على ذنب لم اقترفه؛سجين يرمون به داخ زنزانه انفرادية بالكاد فيها نور ويتركون بجانب حنفية تقطر وتصدر صوت يثير التوتر لكنها معطلة عن قصد ولا يستطيع اصلاحها ولا يدرك فى نفس الوقت ان التي يصب منها الماء ليشرب فى بعض الاحيان هي ادرات تعذيبه؛بعد ذلك لم اعد اعيرها اهتماما البتة بل وادركت انى فى حاجة الى باب عازل للصوت كى تحسم عزلتى عن العالم ويصبح الامر مكتملا معى وكم أصبحت تروق لى هذه العزلة مع نفسى تأكدت من خلالها انى اكتب فعلا؛لم يكن مجرد حلم او تخيلات ولكن على الاقل لن اضطر الى الغوص كل مرة فى افكار مشوشة ومبعثرة لانى بدأت انظمها واجعل كل صورة من هذه الصور تتخذ لنفسها ملاذا بين الحروف والكلمات حتى صارت اغلب الصور تأخذ امكنتها تلقائيا دون ان تكلفنى عناء ذلك؛صرت اكتفى بمتابعة الامور تحدث امامى فلا احرك ساكنا بل اكتفى بتحريك عينى كما لو انى اشاهد اثنين يتبادلان كرة الطاولة وبالطبعة لم اعر اهتماما بالغا لمن يلعب بل كنت لا اركز الا على الكرة تقفز فى الهواء بين اليمين واليسار وهذا ما كنت افعله وانا اتابع تلك الاسطر

وهي تبني حرف بجانب حرف وقد لاحظت علاقة الحب والعشق الكبيرة التي نشأت بين اصابع يدي وتلك اللوحة السوداء التي تنبعث من ازرارها نقاط صغيرة مضيئة؛وقد بدأت هذه العلاقة بينهما تنتج فلما اصبح المشرف والمسؤول على اخراجه هو عقلي...

نعم الوحدة مفيدة يا سادة.

☆☆☆☆☆

جولة اخرى من الكتابة يستأنف مقدمتها حلول الليل وتفشي العتمة في كل جزء من البيت بما في ذلك غرفتي لكنها في اغلب الاوقات اصبحت مظلمة وسواء ليلا كان او نهارا وبما انها تعودت على افتقارها لأبسط بصيص نور فقد التحقت هي الاخرى بالرحلة واصبحت تفضل البقاء مظلمة؛وحتى الاماكن صارت تفضل الوحدة على نورها الذي يضيئها ويزينها؛جمعت ذكرياتي وصوري وجملة افكاري في حقيبة ظهري التي اصبحت هي الاخرى جزء من افراد اسرتي الجديدة ودخلت مقر اختلائي بنفسني المرهقة ولطالما انتظرت حلول الليل كي انال قسطا من الراحة بعد نهار طويل وشاق وبعد صراع وجهد اتعبني ككل يوم حتى اخلق تلك الابتسامة المنافقة وازينها لكي تغدو

اكثر اقناعا لمن حولي؛ وحتى تلك الابتسامة المصطنعة
والزائفة التي احب ان ادعوها بالمنافقة حسدت وبغضت
من القريب والبعيد على امتلاكها مما جعلني اقول في
نفسي دائما "ليت الجميع يصبحون قادرين على مشاهدة
ما تخبئه النفوس"؛ حتى يكفو اثر ذلك على حسد بعض
من اجل امور هي بالنسبة لمالكها حمل ثقيل يتمنى لو
يزاح عنه ويرتاح؛

في صغري كنت اتمنى اشياء لا تزال متواترة في
اذهان الاطفال ولم تتغير حتى مع تغير الزمن والاجيال؛
كنت اضمن انها ستختفي وتلف مع مرور الوقت وتتغير تلك
الاماني وتحل مكانها امنيات اجمل وأجد لكنها بقيت كما
هي بل وقد عدل فيها اطفال اليوم وطورها بحيث صارت
مسايرة لعصرهم الذي لطالما ضجرت منه ورقضته حين
كبرت؛ كنت في سن هزيل وكان كل همي ان امتلك نفوذا
وسيطرة كنت اراها عند الكبار انجاز خارقا وقد تزايدت مع
هذه الامنية طلبات اخرى مثل ان يكون لي عالمي الخاص
الذي اشرف على اصدار قوانينه واحكامه بمفردي وانشأ
بذلك منظمتي واجعل من الفتاة التي ستأسر قلبي مديرة
لشؤونها ولطالما تمنيت ان تراقبني امي من بعيد وانا

احقق كل احلامي التي كانت في نفس الوقت احلامها
ولطالما ضننت ان الرياح ستجري بما اشتهي في هذا
العالم، الكون الذي لطالما ابهرني وشدني الي الاسراع
في بلوغ سن الرشد لاخوض كل تفاصيله التي كنت اراها
غاية في التشويق والروعة بل وكدت أصدق للحظة ان كل
ما شاهدته من برامج وصور وكل تلك العوالم الملونة
والمزينة التي تأسر الافئدة هي بالاساس تجسيد للعالم
الذي تشوقت لبلوغه والعيش فيه ولكن عندما كبرت وصرت
راشد او بالغاً كما يقال تلاشت كل تلك الامنيات والصور
والالون الخاطفة دفعة واحدة ولم اعد اتمنى إلا شيئاً
واحد؛ ان اعود طفلاً من جديد واتجمد في سن الخامسة
الى الابد؛ بالاحرى ما زلت متعلقاً بهذه الامنية واصبحت
حلمي الوحيد في هذه الحياة؛ حلمي الذي لن يتحقق
حتى لو امتلكت الدنيا بكنوزها ومالها.

احاول ايقاظ نفسي من هذا الجمود وهذا التخمر في
الغرفة لكن بلا جدوى فقد احكمت علي هذه الاسطر
قبضتها الباردة و التي لا اعرف حتى من يقرأها الان؛ ربما
لا احد؛ ربما سيكون مصير كل كتاباتي هو انها سترمى في
اللاشيئ بعثية لكن على الاقل ستكون موجود رغم

ذلك؛ احاول النهوض والوقوف على قامتي لكنني صرت عاجز
عن التفريق بين اصابع يدي ولوحة الحاسوب هذه وقد
ازدادت علاقة حبهما اكثر عن كل ليلة تمضي وكل ما ازداد
هذا الحب وتقدم في مراحلہ اشتد تعلق هذين الاثنين
ببعض؛ وكان لا بد لي من ان اترك لهما مجال اوسع لكي
يتعارفا اكثر ويقريا من بعض بحيث تقوى هذه العلاقة واكون
بذلك مساهما فيها وكنت قد احببت فكرة فعل الخير هذه
وكانت بدايتها ان جمعت بين هذين العاشقين وادركت في
لحظات من نظري الي التناغم والانجسام بين اصابع يدي
ولوحة الحاسوب ان عدوى الحسد قد انتقلت لي ايضا
وصرت اكن لهما شيئ من الحسد لكنه لم يصل الي
مرحلة البغض والحقد؛ لطالما سمعت نفسي وهي تنظر
الي هذين الاثنين تتمتم وتقول؛ ليت حكايتي صمدت
وليتها لم تتركني وترحل دون ولا حتى نظرة خاطفة الي
الوراء على الاقل لم تكن لتخسر شيئا لو ودعتني وقبلت
جبيني كما كنت أفعل طول الوقت؛ كنت اراقب تلك التمتمة
ولم اكن اضيع حرفا منها سكتت قليلا ثم عادت بنظرها
الي تلك الاصابع التي تراقص لوحة الحاسوب وبعد ذلك
الصمت القاتل تنهدت كما لو ان شيئا صدئا يسد حلقها

وختمت هذه التنهيدة بكلمة راقية لي؛ اشتقت لك؛ شعرت
اثر هاتين الكلمتين برأسي يتدرج نحو الاسفل حتى اوقفته
شاشة الحاسوب التي اندمج فيه ضوء خافت يخرج منها و
سخونة خفيفة لمست جيني؛ وبدأ عرض الشريط
السينمائي ككل ليلة في مخيلتي اجتمع فيه ثلث من
الابطال كانت تلك الصور التي لطالما طبعت ولتسقت
بذاكرتي اولهم ثم تليها بدا افراد الفيلم في الالتحاق بقاعة
التصوير والتي كان مقرها رأسي الذي لم يعد يتحمل
المزيد من الصداق؛ تدافعت الصور وتبعها حشد من الاصوات
كانت اساسا صوتا لشخص واحد لكن على اشكال مختلفة
وتداخلت الافكار والذكريات واحسست ان فلمي قد بدأ
وانتهى الامر ولم يبقى لي الا ان استسلمت في النهاية
واتخذت لنفسني كرسيًا جلست أراقب من بعيد بينما بدأ
التصوير...

لاحظت ان هذه الصور وباقي فريقها هم من اصحاب
الكفاءة والخبرة في انشاء افلام تذهب بعقل المتفرج
وترمي به خارج الغلاف الجوي للارض حيث ينقطع
الاكسجين وينعدم الهواء فيختنق حتى يغمى عليه وبما
ان كل هذه الاحداث تدور في منتصف رأسي فلم اكلف

نفسى عناء هذه السفرة الطويلة حتى ابلغ نهاية السماء
واعبر الغلاف؛ فقد اختنقت وانا في مكاني وسط عتمتي
وبحضور افراد اسرتي...

لقد تعود على هذه النوبات التي تأتيني وانا اشاهد
لحظات عشتها شعرت فيها انذاك اني حتى لو بقيت اصف
سعادتي كل الدهر ما كنت لانهي كلامي ولكان ادركني
الموت وانا ما زلت لم اتجاوز يداية القصة الى ان جاء الوقت
الذي لطالما كنت على يقين اني واصله واني عائشه ولا
مهرب منه؛ ووجدتني جالسا في غرفة تملأها اشياء جامدة
اعيد قراءة تفاصيل قصة عشتها وكانت السبب في فرحتي
التي كنت اضن انها ستكون ابدية لكن اين انا واين كل تلك
الضنون الآن وتذكرت عندها قول ربي؛ ان بعض الضن
اثم؛ ادركت بل واقنعت ان حياتي انتقلت من طور الوحدة
الى طورها هي التي لطالما اعتبرتها عالمي الذي تمنيته
في صغري وبالفعل تغيرت دنياي وعشت اسعد ايامي كما
لو اني من وجدت الكنز لا علي باب ولطالما كانت بالنسبة
لي اثن من اي كنز قد احضى به في حياتي الفانية...

لا يزال رأسي المثلث بالحكايات ملقا على شاشة
الحاسوب التي اصبح عليها بضع قطرات نزلت على الاغلب

من عيني الناعستان واصبحت لا استطيع رأيت الشاشة جيدا وفي هذه الحالة غالبا ما اقاوم تعلق يدي الشديد بلوحة الحاسوب وقد صار هذا التعلق يزداد قوة مع كل سطر وكل صفحة امر بها؛ لكنني الح في اصراري على المقاومة وانجح في افلاتهما واقف معلنا عن اتصاري في معركة المقاومة هذه لكنني لم اترك الحاسوب رغبة مني بل ارغاما لنفسي لكي لا تواصل احتقارها لباقي افراد الاسرة فلطالما عملت منذ بدايت وحدتي على اضاء توازن بين الجميع رغم اني غير مجبر على فعل ذلك ففي الاخير هي اشياء جامدة لا قلب لها يجرح ولا عقل يفكر ويسترجع آلامه كل ليلة تكتفي بملازمت مكانها طول الوقت الا اذا قمت بتحريكها...

كيس يميل الى الصلابة اسود لا يزيد لونه على العرفة الا القليل من الظلمة الاضافية معلق يتدلى من سقفها؛ قفازين مرميان طول الوقت على الارض ولطالما تجاهلت وجودها رغم ان احد لم يكن يمسح دموعي غيرهما ففي كل مرة تنزل تلك القطرات من عيني وانا احادث ذلك الكيس صاحب اللون الميت ترتفع هاتين القفازين لتزيلا مخلفات حرب لا تزال قائمة داخلي...

اصبحت أبحث عن أبسط خيط ولو كان لا يرى يخرجني من هذا البئر المظلم الذي تركتني فيه وذهبت عالمي يمتلاً بالاشخاص ومازال يواصل الامتلاء الا اني افرغته ومحوت كل من فيه وكان جيده قد ازيل قبل سيأه لكنك لطالما كنت وستبقين الميمزة بالنسبة عندي منذ البداية، الوحيدة التي لم أرفع عيني عنها رغم ملايين الحشود وما ياسفني أني لم أجد في شدتي هذه اي أحد في الحقيقة لم أرد أحدا غيرك بجانبني لكن ما يقتلني إنني لم أجد غير حاسوبي وهذين القفازين يمسحان دموعي كل ليلة لم اجد غير هذا الكيس الصغير المعلق في سقف غرفتي المظلمة ينصت إلى صراخي وأنين قلبي أروي له كل ليلة نفس الحكاية بنفس الطريقة وبنفس الأسلوب لكن ما زاد في ألمي انه في كل ليلة يستمع الى وكأنني أروي له القصة لأول مرة؛حتى انه لا يناقشني ولا يعير قصصي اي اهتمام لا يبدي رأيا ولا ينصحني، فقط ادركت انه يأخذ طاقتي لا اكثر حتى إنني لا اشعر بنفسي متى او كيف ألتجئ الى الفراش كأخر حل اتعلق به أملا ان ينهي المي او حتى يخفف عني القليل وهو بذلك اخر افراد اسرتي الصغيرة...

اصبحت كل الليالي متشابهة ولا تختلف عن بعضها البعض فليس هناك شىء يميز ليلة عن سابقتها غير ارقام واعداد تتغير اذ اصبح الوقت الذي امضيه في غرفتي وبين اصدقائي الجدد بمثابة جزء اهم واجمل من الجزء الآخر الممل الذي اسميه النهار وما يحمله من نفاق وكذب وأدعاءات مبنية على صور رخة لأيهام الجميع اني سعيد في هذا العالم...

لقد اصبح الجلوس مع وحدي بمنعزل عن الاخرين افضل بكثير من مجالسة اشخاص اصابو بامراض عقلية وتشوهات فكرية حولت نظرتهم للعالم؛ بعد ان اصبحت الحياة بالنسبة لهم انشاء علاقات لا نهائية مع ابسط الظلال التي تمر امامهم او حتى تلمحها أعينهم من بعيد تحت شروط وقواعد كانت اهمها جمال الاجساد والوجوه حيث لم يعد للروح والقلب اي اهمية بل صار التحدث عن القلب الطيب مدعاة للسخرية والضحك واصبحت بذلك الابدان والمظاهر الخارجية موضة هذا العصر الكريه مما افرز وحوشا بدائية العقول متغترسة للعلاقات الجنسية

كمصاصي الدماء عشقهم إفراغ شرايين البشر من محتواها...

لقد صار العيش في هذا الكوكب بالنسبة لي شبيها بمسايرة ابله اختبأ وراء قناع رجل مشهور احبه الناس وانطاعو له؛ على الاغلب قد يكون رئيسا لاحدى الدول الغربية المتقدمة ويمكن ان تنال امريكا شرف ترأس هذا المثال فلا اذن ان كل تلك الافكار التي تعود للعصر الحجري قد نتجت عن عقول ربتها الامة الاسلامية او انجبتها نساء سجدب لله وهي حاملت بها؛ جمعت فيه كل الصفات التي تضي على سامعها الحزن والكأبة؛ ابله اصيبت عيناه بالعمى وفجرت طبلتا أذنه ولفظ فمه حروفه الاخيرة منذ فترة؛ وبالرغم من كل هذه العيوب لا يزال الناس منساقين ورائه ومنحازيل له وقد ابدو له على تعليقهم الامل به بل واقنعو انفسهم انه منجيهم من الجهل والفقر والضعف المادي والعقلي؛ هذه صورة الحياة التي ميزت كوكبنا جاضر...

تسرح مخيلتي كثيرا في اغلب هذه الليالي المظلمة؛ لقد اصبحت الكتابة بالنسبة لي كمثل إشعال سيجارة والتحدث اليها لبضع دقائق هي في الاغلب لا

تتكلم ولا تناقش اذ لا يزيد حالها شيئا عن ذلك الكيس
المعلق لكنها تختلف عنه في انها على الاقل تريح عقلي
المثقل بالذكريات وبدوري ضننت ان النيكوتين سيجعل من
مخيلتي تتجمد قليلا وتهدأ ويكف نزيف افكاري ويضع حدا
لهذا التدفق الذي يتزايد شيئا فشيئا من ذكريات وصور
تشكل لي في النهاية ذلك الفلم المعتاد لكني كنت على
خطئ ككل مرة فقد هربت من شئ وتجنبته لاجده
يعرض امامي مباشرة في سحابة الدخان تلك وفهمت
وقتها ان جميع اوجاعي خرجت مع تلك السحابة عبر فمي
وصارت تتراقص امامي معلنة عن بداية وقت نزول تلك
القطرات من مقلتي...

كثرت ضنوني هذه الآونة؛ ضننت ان الوحدة قاتلة وتبين
انها في الحقيقة مميتة وهي من ذلك الصنف
ذو الدم البارد الذي ينتزع منك روحك وينتشلها
وابتسامة عريضة ترتسم على وجهه الذي سيقنعك في
النهاية ان الامر يروقه وانه غير مشفق عليك فتحس وكانك
اقتربت جرما؛ جرما شنيعا وعظيما بحق طفلة قاصر لم
تتجاوز الرابعة من عمرها بل ويعتريك شعور بالذنب
والاحتقار لنفسك حتى تكرها وتسعى وراء شئ اكثر

فاعلية من الوحدة وبالطبع لن تجده ابدا فتقودك نفسك
المحطمة داخليا الى البحث عن شئ لم يوجد اصلا وتبدأ
بذلك رحلتك نحو الجنون...

اصبحت اشعر بالضجر والملل كثيرا في هذه المدينة
ذات الضجيج الذي لا يتوقف حتى لوهلة قصيرة ولطالما
فظلت العيش في مكان ريفي او جبلي بالتحديد؛ هذا كان
حلمنا لتأسيس اسرة متواضعة نتجاوز بها مفهوم السعادة
ونتخطى به اقصى الحدود؛ اذ منذ تغير بعض المعطيات في
حياتي اصبحت كثير الشعور بالضجر وانسداد شاهيتي
تجاه كل شئ حتى محادثة الآخرين وكل هذا تسببت لي
الوحدة والرغبة الشديدة في الانعزال فيه فرام ازدحام
حياتي بالاشخاص والاقارب والاصدقاء الا اني اشعر اني
اعيش وحدي على هذا الكوكب او بالاحرى يتملكني
احساس بوجودي على سطح القمر حيث لا كائنات من
اي نوع ولا هواء ايضا...

اشعر اني لا استطيع التنفس البتة وحتى ان كنت
اتنفس فلا احس بالهواء ينتقل او حتى يصل الى رئتي
فيملئها ثم يعاود الخروج فقط يكتفي بخنقي في
حنجرتي ثم يعود ادراجه منسحبا ولكن ادرك الآن واجزم

اني اعيش حالة اكتئاب حادة ولا اعرف الى اين سينتهي بي هذا الشارع الضيق؛ كل ما اراه هو اني امشي في ممر ضيق الى درجة اني بالكاد استطيع التحرك الى الامام فحتى رأسي ليس لي مجال كاف حتى اديره بارتياح يمينا او شمالا ويديا ممدودتا كما لو اني مستلق على الرمال وقد بدأت احس بتعب في مفاصلي جراء مدهما اذ ليس عندي خيار غير ذلك اضافة الى كل هذا لا استطيع ان اغض النظر عن هذه الرائحة التي تسد الانفاس الصادرة من مكان ما من هذا الممر وقد زادت هذه الرائحة على اختناقي قليلا من الطعام وهو شئ شبيه بالمرارة تتسرب عبر حلقي وتسبب لي بجروح داخلها وصولا الي بطني وقد احسست بألم يوحى بانني لم أكل شيئا منذ اشهر وقد بلغ هذا الألم آخره حتى وصل الى اعلى راسي مسببا صداعا حادا ممزوجا بشيئ من الغثيان؛ نعم هذه هي الوحدة بأعلى درجاتها؛ لا اعرف ما هو مصيري والى اين سينتهي بي المطاف واي جزيرة سأجدني ملقى عليها في المستقبل فقد استسلمت لهذه الامواج المتلقبة فهي تستقرة لحظة وتضطرب اخرى وفي كلتي الحالتين أمل ان اجد نفسي قد رميت في احد الاماكن

حيث لا اكون مضطرا للكذب او النفاق او ادعاء السعادة والفرح؛ حيث لا وجود للخيانة او للظلم والفساد مكان؛ حيث اجد نفسي ملاكا طاهرا منقى من كل الذنوب والخطايا والتقي بمن هم مثلي لاني اعلم تمام العلم ان هناك كثير منهم في هذا العالم ولا شك انهم يعيشون نفس حالتي هذه؛ بل لا داعي للشك اجزم ذلك فهذا هو مصير اغلب من اختاروا العيش تحت ظل سحابة القلب الطيب...

رغم ما وصلت اليه من إلحاح ورغبة شديدة في الانفراد بنفسي واتخاذ الوحدة حبيبة لي ورغم كل نوبات البكاء والصراخ التي تملكني احيانا ورغم كل ما مر وما سيمر علي من تعذيب نفسي وروحي للجسد الذي أسكنه الا اني تمنعت عن زيارة طبيب نفسي ولا اي مستشفى للامراض العقلية او حتى الاستعانة باحد احكي له كل ما جرى معي حتى وصلت الى هذه المحطة الفارغة من الركاب؛ محطة مهجورة لم يزرها احد منذ مدة طويلة ولم تبع اي تذكرة منذ زمن بعيد اجلس على كرسي بلاستيكي اشعر ببرودته القاسية ولم تأتي اي وسيلة نقل منذ جلوسي هنا وحيدا منذ اشهر لا ارى سوى اضاء المحطة تضاء وتنطفئ كما لو أنهم يقومون بتصوير فيلم

رعب ولو كان كذلك بالفعل لاسميته وحدة
واكتئاب؛ بالنسبة لي اصبحت اعتبر ان غرفتي؛ المعزولة
والبعيدة عن كل ما في هذا الكون من اشياء متطفلة
ومعرفة تعكر المزاج؛ هي المستشفى الذي اقوم في
بتلقي العلاج الخاص بي وكل من حولي من افراد أسرتي
الصغيرة هذه هم المشرفون على علاجي وتحسين
وضعي النفسي رغم جهلي بمدة العلاج اذ يضطلع
حاسوبي باهم دور في مركزي الطبي فهو ينظم افكاري
ويصفيها من كل الاخطاء التي من شأنها تعكير صفو
ميزاجي ويبعد عني كل الصور التي تجعل من النوم اخر
من يزورني ويدق باب غرفتي، اما ذلك الكيس الصغير فهو
المسؤول عن تهدأت اعصابي التي تتشنج في بعض
الاحيان وتتوتر فكلما تذكرت شيئا يجعلني اغضب وأسأل
نفس السؤال الذي يحرقني طيلة هذه الاشهر»
لماذا؟؟؟ لماذا فعلت ذلك معي؟؟» يزورني هذا السؤال بعد
ان سبقتة عديد الذكريات والصور والاصوات فيجتمع هؤلاء
الثلاثة ويفتحون جرحا احاول تعقيمه منذ فترة لكن لا
جدوى من ذلك فقد عزم على مرافقتي طيلة حياتي
ولذلك تتعب اعصابي وتنشأ بيني وبين صديقي المتأرجح

من السقف محادثة طويلة يكتفي فيها هو بالصمت والانصات وكثيرا من اللامبات كعادته بينما اتولى انا الحديث حتى تنتهي المحاورة بسقوطي ارضا جاثيا امامه على ركبتي وقد وصلت تلك القطرات المألحة معلنة عن نهاية الحوار الطويل وتطلعني على ان طاقتي التي لم يعد فيها سوى قليل من انفاس متبقية في صدري ويغمى علي فتأدي قفازاتي المنتفخة دور المواسية والمشفقة والمهتمة بحالي المثير للحيرة وتبادر بمسح دموعي واصرخ بنفس السؤال من جديد لكن اسفا لا احد يسكت المي وحيرتي ولا احد يرأف بي ويقول لقد حدث ذلك لان كذا كذا...

اتمنى في هذه اللحظات شيئا اعرف انه من المثير للشفقة ان افكر فيه لكني اسرح بمخيلتي عساني اريح نفسي قليلا من عناء التفكير المتواصل واتمنى ان اجلس بجانبها ولو لدقيقتين اثنتين فقط ثم ان شاءت لترحل وهذا ما ستفعله بالتأكيد؛ فالدقيقة الاولى استمتع فيها برائحتها التي طالما أشعرتني بان كل فرنسا بتفاصيلها ومدنها وشوارعها وبرجها المشهور قد عصرت في ثيابها واغرقت كامل جسدها؛ استمتع بالنظر الى عينيها الصغيرتين ورغم

صغرهما الا اني كنت ارى من خلالهما الكون بمجراته
وكواكبه ومنظومته الشمسية وسماواته السبع وقد ميزه
بريق خاص وكأن شهابا يمر كل لحظة من خلالهما
فيضئان؛ واما الدقيقة الثانية فاكثفي بالالتكاء على كتفها
الهزيل وابكي مضيئا ذلك السؤال الذي خلق لي اشهرا
من الوحدة والعزلة وانا لا أبكي استعطافا لها او اثاره
للشفقة بل اخرج ما تبقى في عيني من هذه القطرات
حتى انسى بعد تلك الجلسة ان العيون تنتج دموعا
ولطالما تساءلت لماذا الدموع مالحة المذاق؛ فلا اضن ان
هناك شيئا يستحق ان اخسر هذا السائل لاجله بعد
خسارتي لها؛ والذي يعد عند البعض ثمينا؛ ولكن ما زلت لا
اعلم لماذا جعلت الدموع مالحة تحديدا وانا على يقين ان
معظم من يبكون يلتقطون قطرات دموعهم بالسنتهم ورغم
ملوحتها فهم لا يكفون عن تعريض السنتهم وعرفت بعد
ذلك ان كل قطرة تنزل تحمل في داخلها صور وحكايات تعد
ذكرى غالية على اصحابها رغم انها تبكيهم وتتسبب لهم
بالالم والوجع حد البكاء فهم لا يستطيعون تركها تذهب
في الهواء فيقومون باعادتها الى الواهم وبذلك تكون قد

عادت ولازمت جسدهم وعلى الاغلب ستعاود الصعود الى
مكانها الذي غادرته؛ هكذا حللت وهكذا فهمت...

اصبح ضجيج هذه المدينة يزعجني ويشير توتري فرغم
اني انقطعت عن الواقع كليا وانعزلت عن باقي العالم الا
ان الصخب الذي تنتجه هذه الانهج والشوارع يسببان لي
صداعا حادا في رأسي الذي صار مثقلا فانا بالكاد ابقيه
صامدا امام شاشة الحاسوب وبالرغم من ان نوافذ الغرف
والابواب مقفلة بأحكام فليس من الصعب على بعض
الجنجيج ان يتسلل مع ابسط الفتوحات التي توجد في
امكنة لا تلحظها عيني والا كنت سددها اذ تتراص وتدخل
ببطئ مثل نسيمات الهواء لتكون في غرفتي مشهدا
شاملا عما يجري في العالم الخارجي الذي قاطعته منذ
فترة؛

...عالم الخطيئة والفساد

...عالم الرذائل والذنوب

...عالم الجريمة دون عقاب

...عالم المال والنقود

عالم الشيطان العاهر...

عالم اصبح فيه الانسان يستعبد ابليس ويعلمه
الحكم....

حيث اصبحت الاخطاء اشياء تتكر ومع كل مرة تتكرر
فيها تتطور الى ما هو اقبح بينما من المفروض ان تصلح
...وتصحح

حيث اصبحت محاولة تجنب المعاصي والذنوب جرما
يعاقب فاعله بالنبذ والفى من الحياة والمجتمع.....

حيث صار الفساد نظاما يتعامل به الناس في كل
مجالات حياتهم او بالاحرى مع كل شهيق وزفير يطبق نوع
جديد ويظهر مفهوم جديد للفساد ولكن المؤسف ان هذا
المرض الحبيث قد ضرب عقول الناس ولوث تفكيرهم
ونظرتهم للحياة والعقل كمثل الحشرة اذا ..لمستها سواء
بدافع السلم الحرب طارت

حيث امست السيئات والذنوب هي حصيلة ما تجنيه
هذه المخلوقات وما تكسبه بعد يوم طويل وشاق من
العمل المتعب والجري هنا وهناك دون دراية بما يفعلون او
بما يقومون فقد تخمروا وعاد زمن العمل مثل الآلات في
حلة جديدة مزينة بصور اجملها "نحن نسعى وراء لقمة

عيشنا وعيش اطفالنا"وتحت هذا العنوان ...صفحات من
الاعمال الفاسدة

حيث صار المجرم يحبك مسرحيته القذرة ويزين
ادوارها ويدرس كل تفاصيل اجزائها ولا يكفيه ذلك بل
ويتأسس دور البطولة حيث يظهر لنا وجهه المبتسم في كل
الحلقات وحين يجهز الفيلم ولم يبقى سوى التمثيل يخرج
لنا في لباسه الانيق ويقترب جرمة الذي سهر على
التخطيط له ليال وتبدأ المسرحية فيسرق وينهب ويفتك
ويخطف ويغتصب ويقتل ويدفن كأن احدا لم يرى ولم يسمع
شيئا ويكون بذلك قد ادى دوره ونال جائزة احسن ممثل
ودور رئيسي ولكن بدلا من ان يعدم او يزج به في السجن
لمدى حياته على جرمه فهو يقوم بزيارت خفيفة كما لو
كان رئيسا او متفقدًا ثم يخرج لكفالة مالية أو بدونها في
اغلب الاحيان ويغفر له وتقفل القضية وينسى امر الضحية
الذي نسي هو الآخر ماذا حصل له بعد ان عرف ان مغتصبه
طليق يحتسي القهوة ويلعب الورق في احد المقاهي
المطلّة على شاطئ البحر لماذا؟؟لانه ابن او قريب او
صديق احد الرجال المعروفين ...في ما يسمونه بالدولة أم
الحقوق والحريات

وحيث اصبحت وصارت واستولت النقود على كرسي العرش المصنوع اساسا من الالماس وأصبح الناس لها ساجدين وخالعين لا يملكون الجرأة لرفع رؤوسهم امام إلههم العظيم هذا، فهم يستيقظون فجرا من نومهم لان هناك شيئا يسمونه نقود ويخرجون من بيوتهم ويجرون ورائها ليكسبوها بكل الطرق سواء اتحت ام لم تتح وحتى ان كانت طرقا محظورة وممنوعة ومحرمة وحتى لو اجتمعت كل مفاهيم المنع وكدست في قاموس بحجم رؤوسهم المثقلة بالأفكار الشيطانية فهم لا ولن يتراجعوا ميليمترا واحد الى الوراء مادم المال... امامهم

اذ ان المال اصبح بالنسبة للكبير والصغير إلهها يعبد ويذكر ويستنجد به فالناس وما تميزو به من تفاوت في عقولهم صارو يخترعون طرقا جديدة مع مرور كل دقيقة تكسبهم مالا فوق الذي يملكونه بحوزتهم وحتى ان كسبو مال الدنيا وكنوز الآخرة فعقولهم التي تعودت على مفهوم الكسب والزيادة المتواصلة لا تتوقف عن البحث والتفكير فيما يزيد الى خزينتهم الكثير من العملات وحتى ان امتلأت الخزينة فهم يتوجهون الى كل ركن من البيت او اي اثار فيه يمكنه حمل البعض منها هكذا تبقى الحلقة في دوران

دائم وبلا توقف وان تغابيت وأردت الوقوف اما قطارهم هذا الذي صنع دون مكابح او اي دواسة فرامل فانك ستقضي ليلتك في اقرب مقبرة من موقعك ذاك وبالطبع مادامت النقود صاحب السلطة والنفوذ فامرك سوف ينسى بمجرد ان تحزم روحك اخر امتعها وترحل الى ربها واذا حالفك الحظ وكنت ممن امطرته امه بدعاء الخير فأنت سوف تدفن في مقبرة مثل باقي المسلمين وسيكون لك قبر يحمل اسمك واسم من ولدك ولكن ان كنت تعيش الحظ مثلي وتشابهت ايامك مع ليالي الشتاء المعتمة او عشت اخر فترة من حياتك في غرفة مظلمة مثل غرفتي هذه فان امرك سيتهي بميتة شنيعة لتجد نفسك كأولئك الذين دفنوا تحت حطام البنايات في الغوطة الشرقية بعد قصفهم وضربهم بالقنابل التي لطالما تساءلت لماذا تكره البشر كل ذاك الكره رغم انهم من صنعوها وجاءو بها الي الحياة ؟؟؟

اذا كنت قد سمعت يوما عن تغير مفهوم الحياة التي نصارعها كل يوم اثر ان نفتح باب منازلنا ونخرج فهذا هو المقصود بالتغير فقد وجدو ان حال الحياة في السابق لا متعة فيه ولا اثاره ولم يقصدو شيئا من هذا التغير غير

أنهم ارادو ان يجربو طعم ونكهة المرح والاثارة فخلقو بذلك هذا الجو وجعلو له شيئاً من التشويق وقد راقهم بعد ذلك الوضع فواصلو فيه واتخذوه حياتهم الجديدة، الممتعة، الشيقة والمثيرة وجل ما في الامر ان هذا التطوير اساسا يخدم مصلحة شهواتهم ونزواتهم المتجددة والمتغيرة من السيئ الى الاسوء وهكذا بدأ المسلسل بنسخته الجديدة بعد جلسات طويلة جعلت... للتغيير والتحسين كما يدعون؛ انها حياتنا وواقعنا

ادركت بذلك ان قصة عشقا لا تفنى قد نشأت بين الناس والمال وهي قصة حب وغرام تزداد مع مرور الساعات والدقائق مخلقة السعادة والحلم المتحقق لمن ملكها والحزن والكثابة لمن حرم منها ولكن في نهاية الامر القنوع يدرك ان كل ذلك ليس سوى ارزاق من عند الله تعالى يقسمها كيفما يشاء فياخذ هذا الكثير وينال ذاك القليل ويسعد هذا ويهناً ويحزن ذاك ويشقى ولكل اجره عند ربه وكلما تماالكني شعور بالحزن على حالة بعض المحرومين مما يتمتع به البعض الاخر من الناس اتذكر قول ربي تعالى <<المال والبنون زينة الحياة الدنيا>> وادرك حينها ان وجود الناس في وسط الكفة واتخاذهم توازنا بين

الغنى والفقر هو امر قد يسهل علينا تجنب قدر كاف مما يمكن ان نقع فيه من ذنوب وخطايا فالانسان الذي كان معصوما قد سبقنا للقاء ربه تعالى وبذلك فان ما ينقصنا ليس المال او الجاه او القدرة على السيطرة والامتلاك انما تنقصنا القناعة...والاكتفاء بما كتب الله لنا فقرا كان ام غنى

ولكن لحظة عودتنا لواقنا الذي اصبحت قادرا على شم رائحته الكريهة من على بعد اميال تأكدت ان الناس اصبحو يعملون لساعات تحت انظمة يرفضونها ومع اشخاص يتعاملون معهم ويبتسمون لهم فقط لتسيير امورهم وفي اغلب الاحيان يكونون غير راضين عن عملهم ومدته ولكن رغم ذلك ففي اغلب الاحيان فانك لا تسمع له ضجيجا فهم يقومون بما يجب عليهم القيام به فقط من اجل كسب تلك الورقات النقدية؛مجرد ورقات يستحقون الصراع لاجلهم بل صار القتل في سبيلهم جائزا فقط اعرضهم في كفك وستجد عملك قد تم دون ...تذمر

ولكن ببساطة ان كنت تملك مالا فستملك ما تريد فحتى القلوب التي كانت طاهرتا ومقدسة مثل الطلابة قد زج بها هي الأخرى في هذه الدوامة وصارت تباع وتشتري

في بتات ومزادات والرابح هو من لديه اكثر عدد من تلك الورقات وربما اكون مجنون او غير طبيعي ابدا بالنسبة لك ولكني بقدر ما احببت امي فقد صرت اكره النقود فهي ببساطة في قائمة اولى الاسماء التي جعلتها تتركني وتذهب دون اي التفات الى الوراء حتى لتوديعي وقد حاولت مليا ادراك وفهم النظام الذي تسير حسه هذه الوريقات الهشة في ظاهرها وتوصلت اخيرا الى معادلة بسيطة فسرت لي بمعنى اشمل ما تسير عليه كل الدنيا اليوم وحتى الرضيع اذا ما قصت عليه هذه المعدلة فسيبدي لك إبتسامة واسعة مظهرها فمه الخالي من الاسنان ومعلنا على شدة فهمه لها لبساطتها اذ تقول انه اذا كان عندك مال حتى لو كان رصيذا متواضعا فانت تملك بفضله الكثير من الشياء وهي عبارة عن الفائدة التي تسند لقاء المال الذي بحوزتك وهذه الفائدة هي جملة مختلفة من الاشياء التي ستجعل لحياتك معنى كالقالبوب اولا ويأتي بعدها عروض الصداقة التي ستمطر عليك دون توقف وحب الناس لك واحترامهم الظاهر على وجوههم واهتمامهم بكل تفاصيل حياتك وهذه جملة الفوائد التي تتزايد كلما بقي معك ذاك المال؛ واما ان كنت لا تملك مالا

فانت اصلا غير موجود حتى وان ضننت ان لديك عقلا يزن
اطنانا من تلك الاوراق فكثير من ضنو ان عقولهم لديها امل
في التغلب على المال في احد المعارك لكنهم نسوا ان
المال اصبح يسيطر على اجساد البشر استعانتا بعقولهم
التي هي ايضا مسيطر عليها من قبل هذه الورقات وهنا
نجزم وان كنت تخالفني الراي ان كل من نجحوا قي التغلب
عن المال هم قلائل الى درجت انهم لا يعدون وقد نسيوا
لقلتهم اذ لم ينجحوا الا بسبب حضمهم الذي بلغ درجاته
القصوى او بمعينة من الله لهم ونعود الى القول اذن انه
اذا كنت تفتقر الى المال فانت غير موجود ولست شخصية
من شخصيات هذا المسلسل الجديد وان ضننت ان جمال
وجهك هو المفتاح فانت مخطئ ايضا اذهب والقي بذاك
المفتاح في اقرب فتحة للمجاري المائية وحتى ما تسميه
بشخصيتك صاحبة المبادئ والقيم والاخلاقيات وروحك
النقية ورجولتك بتعبير شامل فاجمعهم كلهم في كيس
اسود حتى لا يكونوا ضاهرين للناس وخبئهم في ركن آمن
من اركان بيتك ولا تتخلص منهم لعل وقتهم يعود فيكون
في وسعك ارجاعهم الى الساحة واستعمالهم اما الآن
فكل ما جمعته في ذلك الكيس يبعث به المال وراء

الشمس ببضع ورقات ملونة ومزخرفة ولا بد من تقبل حقيقة انا لا استطيع قبولها ولا انت مجبر على ذلك ايضا وهي ان المال اصبح اهم من الهواء الذي يبقينا احياء واجزم ولا اشك انه اذا وضع الناس او ما اسميهم شخصا بعبدة المال في خيار بين تحريم الهواء او المال لاختارو الهواء قبل ان يكتمل طرح الخيار

لقد انشأو عشا متشابكا ومحبوكا باتقان جعلو المال اساسه وقوانين المال شريعته واحكام المال دينه وسلطة المال حاكمه وجعلو المال نفسه رئيسه وسيده واحيط هذا العش بكل قذارات واوساخ المال او النقود وكل بيضة توضع فيه تلقن دروسا شاملة حول تفاصيل وموضوع مسلسل المال هذا حتى يحين يوم تفقيصها فتخرج منه كائنات متعطشة للقتل وإحداث المجازر فيسبيل المال

هكذا هي الحياة اليوم بأدق تفاصيلها وخفاياها اذ ان كل شئ اصبح يمارس علنا وامام انظار الجميع شاؤو ام ابو فإذا راق لك الوضع واحببته واعلنت قبلك وتعاونك فانت زائر مرحب بك وستصبح في هذه الحالة محبوبا وذا شأن

وقيمة واما اذا اعلنت التمرد والعصيان وحاولت تغير الواقع بما تراه مناسباً ومعقول فسينتهي بك الامر في اقرب حاوية فضلات بين القطط والكلاب السائبة لان تلك الصفاة من قبيل التخلق والاخلاق والقيم النبيلة والرجولة والصداقة لم تعد سوى أسماء وكلمات يغطي بها هؤلاء الناس وجوههم وافعالهم الشنيعة فاذا ما حدثهم عن اخطائهم واخبرتهم ان ما يفعلونه شئى وما درسناه عن ديننا واسلامنا شئى مختلف تماماً سخرو منك وانفجرو ضاحكين على طريقة تفكيرك التي تعد بالنسبة لهم قديمة وغير راقية وانك متخلف باشواط عديدة عن العالم الحديث وان عليك تغيير افكارك كي لا تكون مدعاة للضحك والسخرية مرة....اخرى

تتسل هذه الافكار الي مخيلتي شيئاً فشيئاً لتوحي لي بهذه الاستنتاجات المبعثرة فاحاول لملمتها وترتيبها فهي بالنسبة لي ولا اشك انك تخالفني الرأي تعتبر نضريات لا فرضيات فهذا هو واقعنا وهذه هي حياتنا شاء عقلنا ان يتقبل ام رفض فان الدنيا بما فيها صارت متوازنة في وقفها بفضل شئى اسمه نقود والذي بدوره ينشط في الحياة اكثر من نشاط كوكب الشمس في المجرة

الكونية ففي كل دقيقة ينتج نوع جديدا ويضيفه الى عائلة الفساد التي تكبر بمرور الوقت وتتزايد دون توقف لذلك يختلف هذا الأخير ويتخذ درجات لنجد فيروس الفساد المالي وانفلونزا الفساد الفكري وحمى الفساد السياسي ولكن افتكها واطورها فقد تجاوز الطاعون وتميز بفاعليته في القتل في غضون اغلاقه عين وهو الفساد الاخلاقي

يمكننا هنا اذا ان نغض البصر على كل من في قائمة الفساد بانوعه لاننا اليوم اكثر ما نحن بحاجة للتحدث عليه هو اننا نواجه وباء اخطر من ان يكون طاعونا؛ نحن لا نواجه مشكلة او كارثة او معضلة بل نحن نعاني فسادا اخلاقيا مطلقا مما اسهم في انجاب مولود كل ما كبر وازداد طولا كلما كثرت مشاكله ومصائبه لكن ما يميزه جماله الخارجي الخلاب والخاطف للانظار اما ان تعمقت في باطنه وخفاياه فلن تجد غير قطران شديد السواد مصحوبا برائحة اشبه برائحة المجاري؛ هذا هو صغيرنا الذي ليس له تسمية اخرى غير المجتمع؛
...المجتمع الفاسد

ضحيج لا يكف واصوات لا تتوقف كانما الليل والسما
المظلمة والقمر والنجوم ينحبون لما يتراء لهم من معضلات
تحدث امام اعينهم التي لا تغفل عن شئ ليلا كان ام
نهارا؛ تتكاثر امامي مشاهد تسلفت مع اصوات مجهولة
المصدر من تلك الفتحات في نافذت غرفتي لتتكون لي
فكرة بسيطة عن ماهية الحركة التي تميز الشوارع والانهج
ليلا وكم صرت اعشق الليل وافضله على النهار الصاخب
والمزدحم؛

فهذا رجل كادح لم يرى طول حياته من الراحة غير اسمها
يعود الى بيته في ساعة متأخرة من الليل وصدرة مثقل لا
يقوى حتى على التنفس ثقلت قدماه النحيلتين وصارت
يداه ومفاصله ترتعشان من برد الليل او بسبب تقدمه في
السن وفي اغلب الاحيان بسبب يوم طويل من العمل
الشاق والمتعب فتراه يشق الشوارع والانهج يدعو ربه ان
تقلص المسافة ويصل الى

منزله لكي ينال قصتا من الراحة ويملاً شوقه وحنينه
الى ابنته الصغير التي تنتظره حتى تنام فوق صدره وبين
احضانه كما لو كانت تنتظر عيد مولدها القادم بعد عدة
اشهر لتنال هديتها فيمضي الليل كما لو كان ثوان وتلقي

الصغيرة بجثتها وروحها وكل ما امتلكت على والدها وتنام غير عابئة بما يحدث حولها فقد حصلت على الامان وحصل هو على الراحة ونسي ما عاناه طيلة اليوم واخذ يقبل وجنتيها وانفها الصغير ويمشط شعرها باصابع يديه وهي تسبح في بحر ابوها وبطلها الخارق غير مكترثة بشيء؛ وقليلًا ما نجد هذه الفئة من الرجال الكادحين لا تعنيهم سلطة ولا تكبر على نعم الله اذ ان قانونهم الكبرياء والكرامة وسلطتهم التواضع والقناعة واما مبادئهم فهي الاخلاق ووالخلق...

اما الآخر فقد باشر حفلته الشيقة لتوه وهو من محبي الحياة الليلة اذ تراه يترنح ويرقص في الشارع الفارغ نسبيا لا تكاد تميز ان كانت تفوح منه رائحة عطر فرنسي ام رائحة الخمر والكحول الذي جعلها رفيقته طيلة السهرة فلا يعرف ان كان يريد العودة الى بيته ليغط في نوم يستفيق منه الليلة القادمة ام ان الاجواء راقته له واختار الجلوس في ركن مظلم ليكمل ما تبقى بحوزته من زجاجات وفي هذه الحالة فان من الضروري ان يستحضر ما طبع في ذاكرته من صور وذكريات مع حبيته التي هجرته دون رجعة لاسباب كانت بالنسبة له السبب الرئيس في كرهه للحياة

واتخاذها الخمر حبيبة جديدة وهو الان جازم بانها لن تتركه
وحيدا مثلما فعلت صديقتة الاولى فيقضي بذلك كل الليلة
وحيدا برفقة قارورته يحكي لها عن حبه الاول وعن كل
لحضة وثانية عاشها معها وعن تلك الكلمات التي تبادلوها
وميزتهم عن باقي الناس وعن تلك الاماكن التي زاروها
وسهرو فيها ويبكي شوقا لها رغم انها لم تلتفت له عندما
رحلت ولم تودعه حتى فيصرخ ليملاً الشارع ضجيجا
****لماذا..لماذا..لماذا قتلتني؟؟****

وهذا من تلك الفئة التي انقضت ولم يعد منها الكثير
وهم من عزموا على صيانة اعراض من احبوهم وقدموا الحب
والاهتمام والعناية التي تجاوزت الحدود والعشق المفرط
كهدايا بدلا من العطورات والمجوهرات وظنوا ان الرجولة
ستحافظ لهم على من ارادوهم الى جانبهم فسلكو طريق
ان لا يعيشوا باحبتهم وان يصارعو نزواتهم وشهواتهم وان
ويكونو معهم بقلوب نقية×طاهرة×صافية تكاد تضيئ×هم
من عشقوا بصدق وبنية صافية وجعلوا الرجولة تقود
علاقتهم؛هم من آمنوا بمقولة>> ان كانت يداك ملوثتان فلا
تعرف على اوتار انثى انتظرت منك الكثير>>ليجدوا
انفسهم قد تركوا في منتصف الطريق يتخبطون في دماء

قلوبهم ويبحثون عن اقرب الطرق للملئة جروحهم العميقة
وآلامهم فلا الطبيب قادر على تعقيمها ولا الجراح بادواته
المتطورة قادر على اغلاقها ويال قليل الحظ الذي لا يقوى
جسده ودماغه على احتمال مشقات البعد والفرق
والشعور بالوحدة والرغبة في الانعزال ليجد نفسه قد
استسلم لواقعه واتخذ من الحكول والمخدر مسكنات
لالمه الحاد ولكن هيهات فآلام هذه الجروح حتى الافيون
يقف عاجزا امامها وتزيده الحياة جرعة اخرى من الحقد
عندما ينعت بالفساد...والضياع والانحراف

يقرر قلة المساكين الذين قهرتهم الحياة وقسمت
ظهورهم العودة الي اعشاشهم مهزومين حزينين تقودهم
الوحدة والكئابة بينما يبقى بعض الخفافيش لممارسة
العاب الخطيئة وهي تعد من الجواري المقربات
للقود؛ فترى اخرقا يخرج من بيته وعلامات النصر والقوة
مطبوعة على وجهه يسارع بخطى ثابتة للالتحق باحد
الملاهي الليلة او الحانات التي اصبحت تتواجد اكثر من
المساجد؛ لباس انيق مرفوق بساعة لامعة ورائحة عطر
فتية على جسد ممتلى ليتكون لنا شيطان من شياطين
الظلام وتبدأ الحفلة الصاخبة بمجرد خروجه من البيت حتى

يعود اليه في فجر اليوم القادم وبين هذا الوقت وذاك
حكايات تروى ولا تنتهي فقد عزم هذا المخلوق ذو النزوات
اللاواعية وصاحب الشهوة التي لا تقاوم على الاطاحة
باكبر عدد ممكن من الفتية اللواتي زجت بهن الحياة امامه
لسبب من الاسباب وتكون اجملهن هي ضيفة شرفه
على سرير الصداقة التي يعرضها عليها بوجهه البشوش
والضاحك ومع القليل من الكلمات والجمل التي تشبه
اناقة بذلته تمضي هذه المسكينة ليلتها معلقة تتارجح
في بيت هذا العنكبون فلجمال المكان لن تقوى على
الصراخ او الهرب بل ليس لها الا ان تستسلم هي الاخرى
وتتبع هذه اليد التي تسحبها الى الاعماق وفي النهاية
فهو لم يرغمها على شئ؛ وقد ملأت هذه الفئة المجتمع
وصارت تعج به واصبحت كميات انتاج هذا الصنف هائلة مع
الايام وهو نوع احب ان اسميه مصاصي الدماء؛ ولكن
المؤسف والمحزن ان الجميع صار يميل الى هذا الصنف
باعتباره الاغلبية فاذا قررت الاختلاف فانت معرض للنبد
والطرد من الحياة الاجتماعية ولهذا السبب اخترت الوحدة
على ان اكون مصاصا لدماء اناس خذلتهم الحياة وخذلهم
من كان من المفترض ان يحميهم من نسيمات الهواء الا

انه زج بهم وسط عاصفة اخذتهم الى خارج الغلاف الجوي
واطلقتهم في الفضاء بعيدا عن اهلهم فادركو ان لا حول
لهم ولا قوة فاستسلموا وانطاعوا فدمروا

هكذا صرت ارى حياة الظلام من وراء ستائر نافذتي بل
وصرت اتابعها عن كثب من بعيد والمخ هذه المخلوقات
التي صارت غريبة عني فلا اضن اني اشبهها ولا هي
مثلي تسير وسط زحمة كبيرة وصاخبة منقادة وراء غريزتها
واهوائها حيث تفعل ما تشاء كيفما تشاء ومتى تشاء تحت
مسمى "هكذا هي الحياة" فاذا اردت فعل شئ خاطئ
فافعله دون تردد؛ اسرق؛ انهب؛ اضرب؛ اغتصب؛ اقتل
وتعاطى المخدرات؛ ثم ببساطة قل هكذا تسير الحياة اليوم
وستكون بريئا من اي جرم قد يحاول ادانتك وتوريطك وحتى
ضميرك لن يعاتبك ولن يستمر في الهمس لك انك مخطئ
فما دمت تعاشرهم آكلا شاربا من وعائهم وتجتمع معهم
في مجالسهم فتأكد ان ...ضميرك قد حنط منذ زمن

لم يعد الامر يقتصر على مجموعة اخطاء ارتكب كل
يوم ولا احد يعيرها اهتماما او يكلف نفسه عناء اصلاحها او
تصحيحها بل تعدى الامر الى ان البعض اصبحو يغطون هذه
المعضلات ويبررونا بمسمى الرقي والتحضر وبما ان

الاجلبية يتسنى لهم ان يفهموا ويحللوا ويضعوا نظريات كما يشاؤون وكما يحلو لهم فالرقعة اصبحت واسعة ومفتوحة لهم بل وصارت المعركة تحت سيطرتهم وقيادتهم وبذلك هم من أصبحوا المصدرين والمشرعين والحاكمين والمنفذين لكل ما يروونه متماشيا مع اهواءهم وافكارهم الشيطانية واذا ما نظرنا الى ما اصبحت عليه واقعا اليوم والذي تبكي لاجله العقول الراشدة والمؤمنة بان للناس اجل قريب، لرأينا انه يتخبط في بركة وحل سوداء كالقطران لا يكاد يظهر منه شئ سوى اجزاء من رأسه او يده المكبلة التي يصارع حتى يبقيها ظاهرة عسى ان يراه احد الراشدين فكريا وعقليا وينتشله من هذه الهاوية التي رمي فيها؛ اذ تلاحظ ملامحه الشاحبة وجسده الهزيل وعيناه الذابلتان وشعره الذي لم يبقى فيه سوى شعيرات لا تكاد ترى ورغم كل هذا فان تلك النظرة المليئة بالامل في عينيه لا تخفى عليك اذا ما ركزت بعقلك في حالته الضنكة فقد دمر داخليا واتلفت كل الصور التي كانت تضيء عليه مظهرها وهبة واصبح مثل عجوز تجاوز المائة واتخذ لنفسه ركنا من بيته الذي صار مظلما ومعتما كغرفتي هذه ينتظر الموت زائر الاخير كي يعيد روحه المرهقة والمنهكة

الى ربها لتشكو له ما فعل بها من فهموا الرقي وفسروه على طريقة الغرب ولا يأخذ منك الوقت الا بضعة دقائق وانت تنظر الى حاله باسف وتحسر مبديا له العطف والشفقة حتى تغوص معه في حاله ذاك الذي وصل اليه وعما يخفي في داخله لتدرك ان المجتمع انقلب رأسا على عقب وتتأكد من ان تخيلك للناس يمشون على رؤوسهم انتقل من الخيال الى الحقيقة الفعلية اذ ان الخطأ صار رقيا وتحضرا واصبح الناس يبحثون على الرقي في كل زاوية تصلها اقدامهم واذا ما لم يجدو شيئا ابتكرو رقيهم الخاص والمصطنع والذي استوحو تفاصيله من مشاهد اغرتهم في مسلسل الغرب او الدول التي سبقتنا بالاف الكيلومترات ولم نعد يتسنى لنا ادراكها وبلوغها فهم يركبون صاروخ التقدم والفكر المنطقي رغم تعارضه مع ديننا ونحن نمتطي عربة التبعية اذ وصل بنا الحال ان صار الخطأ والحرام رقيا وتحول الصواب والمعقول الى تخلف يجلب لذاكره الاحراج ولسخرية؛والكل بات يعبد الرقي الى جانب المال؛

الربا اصبح رقيا...

الزنا اصبح رقيا...

القتل اصبح رقيا...
الخيانة اصبحت رقيا...
ممارسة الجنس اصبح رقيا...
التحدث بما قبح من الكلام هو ايضا رقي...
شرب الخمر اصبح رقيا...
والتدخين هو رقي...
وتعاطي المخدرات شئ يزد في هيبث الشخص
وهو كذلك رقي...
التزين والتبرج واطهار جمال الاجساد وارتداء ملابس
قصيرة تكاد تكون معدومة او تكاد تلغى اصلا وهو كذلك
رقي...
انشاء علاقات خارج القانون ومخالفة لما تقوم عليه
الشريعة هو رقي...
السعادة والرفاهة على حساب تعاسة وحزن الاخرين
رقي...
اسكات الحق، اخراسه وجعل الباطل يترأس الاجتماع
هو رقي...
الفساد هو في الاساس رقي...
رقي....

رقي....

هذه هي الحياة...

الكل يتحدث عن الرقي والكل يبتكر ما يحلو له من معضلات
تحت اسم الرقي...

الجميع صارو يرتكبون الاخطاء علنا وعلى وعي بما يفعلون
ثم يتخفون وراء الرقي...

الجميع يدركون انهم يمشون في الاتجاه المعاكس للسير
ورغم انهم نجحوا فيه وخرجوا للجمهور ببذلات سوداء انيقة
الا انه في النهاية يبقى طريقا معاكسا وعلى الاغلب
نهايته مسدودة ولكن ما باليد حيلة انها شروط الرقي
واحكامه فهو الحزن الدافئ وبريق الامل ووسيلة الناس
نحو التقدم ونحو غد افضل....

واذا ما كنت محايدا او مخالفا لهذه الافعال وتعلن عن رفضك
لها وتبدي قطيعتك تجاهها فانت بذلك لست بانسان راق
ولست بمتحضر وليس لك تشبيه اخر غير انك متخلف
وفكرك محدود هذا اذا لم يقولوا انك عديم الفكر وستصبح
بذلك انسانا غريبا مختلفا وستتعرض للنبذ والادانة
وسينظر لك الراقون على انك كائن القى به الفضاء عبثا
فكان مصيره ان نزل في كوكب الارض وبئس المصير؛ فاما

ان تنصاع الى احكامهم وشرائعهم وقوانينهم التي هي في الاصل منتقات بعناية من رحم الرقي وتكون عنصرا فاعلا في منظومتهم الراقية والمتحضرة فتلهوا معهم وتلعب على طريقتهم وتتلقى الترقيات والزيادة في الراتب وتكون لك هيبة تسع السماء وتكسب الاحترام وتثبت بذلك وجودك وتحقق انسانيتك وتحضى في الاخير بالتسمية العظمى؛الانسان الراقى...

او ان تختار الرفض والعصيان وتكون الراض المعادي المنتفض والثائر على هذه الافكار وليدة النزوات والشهوات التي تصدر عن النفس البشرية والتي من الصعب السيطرة عليها او ردعها لتفتح بذلك على نفسك ،التي تأبى رأيت الخطأ والسكوت عنه،باب النبذ والرقص والطرده من الحياة الاجتماعية وتأتيك الانتقادات رشقا كمن ينهال على خصمه بالرصاص المتواصل وتكون محور الحديث وموضوع اللقاءات لتضفي بك الطريق في النهاية الي مجرد مهرج ادى عرضا سروريا في ساحة واسعة احاط المتفرجون بكل جوانبها وملأت المقاعد على آخرها فضحك الناس في الاخير على ادائك وسخروا من ذلك الانف الاحمر الملتصق في وسط وجهك ثم تخرج في النهاية وانت مدرك

انك كنت لتوك مدعاة للسخرية بل صرت اضحوة جعلت
الناس يضيفون الى حياتهم الروتينية لمسة اثاره لا اكثر ولا
اقل من ذلك أما الرسالة التي اردت ايصالها من خلال
العرض فقد اضحكتم وتسلوا بها لا اكثر وان ضنت انك
اوصلت شيئاً فلا الومك لانك مهرج بالأساس وهذه الصفة
تنطبق عليك لكن لا تحزن ولا تدع الفشل يعانقك فالذنب
ليس ذنبكم بل ذنب

عقولهم التي ترفض الاقرار بان رقيهم خاطئ عن جدارة...
هكذا فهم البعض الرقي وجعلوا له مفاهيم مختلفة
تتماشى مع اهوائهم ورغباتهم النرجسية ولكن المحزن
والؤسف ان هذا الفهم السطحي والذي هدف الى تزين
الشكل والمظهر الخارجي للحياة كان السبب الوحيد وراء
مقولة "ان الحياة قد بلغت مع المرض اخر مراحلها وبدات
تحتضر ومن الممكن ان يدركها الموت عند اول الفجر"
طبيعي ولما الاستغراب؟ فقد اصبحت الدنيا لا تبرح مكانها
ولا تتحرك خطوة واحدة الى الامام ان لم يكن هناك ربا
يسير شؤون الناس ويقضي حوائجهم ومصالحم الحياتية
؛ وصار الزنا ميزة وصفة تكسب فاعلها كمالية وشأنا فكيف
لا تزني وانت انسان تقودك نزواتك وشهواتك ولا تقل لي

انك ممن يفكرون بعقلانية وان الزنا حرام ويعد جريمة لان اصحاب العقول لم يعد لهم مكانة ووجود في هذا المجال اترك عقلك جانبا واستعمله في ما يناسبه واطع شهوتك وكفالك تحاذقا؛ لا تحرم نفسك، لن تعيش فوق عمرك البائس عمرا اخر؛ هل ستعيش مرتين يا احمق؟؟

هكذا يفكرون ويجيبون عندما تحاول اقناعهم ان ما يفعلونه قد تجاوز الخطأ درجات وتندرج الاخطاء في صعود نحو التطور والتكاثر ولا احد يقول "هل"؟؟

فالقتل بات مباحا وجائزا فكل من يقف عائقا امام نجاح اعمالك ومشاريعك وتشعر انه صار يهدد مستقبلك الذي تسعى الى اثاره وضمانه لكي تنعم بحياة سعيدة ومريحة وتعيش الرفاهية على اساسها فالقتل صار وسيلة فعالة للتخلص منه وازاحته من امامك الى الابد لكن اذا كان الضحية صاحب حظ فأقل ما ينتظره اذا نجى من الموت هو حياة بائسة في احد السجون حتى يخرج منه محملا على الاكتاف نحو بيته الاخير...

والخيانة ايضا غدت من جملة الاساليب القذرة التي صار الانسان الراقى حسب ضنه يلجئ اليها ليكون مصدر

اهتمام ومحبة ويظهر في ابهى صورته امام العالم او امام وطنه انه سيجد فيه ما لم يجده وما حرم منه في وطنه الذي خانته فيسعى ها هنا الى اخفاء خيانتة وخطيئته وراء صور يزينها ويخرجها في ابهى حللها تكون حجابا امام وجهه المشوه بالخيانة والممسوخ الذي تفوح منه رائحة الغدر والانحطاط...

حتى اعراض الناس اصبحت تنتهك علنا وامام أعينهم فممارسة الجنس ايضا اخذت مكان الكوارث والازمات والامراض المتفشية والابوئة لانها في الاساس تشملهم اذا ما جمعناهم وصارت موضوع يتداوله العاقلون ويتحسرون على ما آلت اليه الاوضاع في أمة اشرف الخلق واكرمهم فصار البعض يتبادلون الامر فيما بينهم فأما ينتهي بهم الامر الي التخفي وراء ستار الرقي ام يجعلون الحب اليد التي تحميهم وتدافع عنهم فالكبير اصبح يضاجع الصغير والصغير يضاجع نده او من ينكبه سنا وما زاد الامر اشمازاز وحسرتا ان الذكر بات يمارس الجنس مع شبيهه الذكر وصارت الانثى تضاجع الانثى فورا ماذا سيختبى هذا الصنف الجديد؟؟ اوراء الرقي؟؟ او ربما الحب؟ حتى الاصابع تقف مبكمة عاجزة حتى على مجرد الكتابة ازاء ما يزور

مخيلاتنا من افكار صارت مثل طاعون ضرب فئة من الناس
فاذا لم تمارس مثل هذه الافعال الحقيرة فانت بالتأكيد
لست بانسان عادي بل انت عديم الجدوى ومشكوك في
امرك بل انت تقف في ضفة حيث لا احد غيرك واقف فيها
والكل في الجهة الاخرى يرحمونك بانظارهم المصوبة
بملامح الانكار والسخرية حتى يأتيك ذلك الشعور
بالاختلاف وانك وحدك في مواجهة العالم باسره...

واذا ما كنت مهذبا وانيقا في طريقة كلامك ومخاطبتك
للبعض فانت ايضا غير مرحبا بك في القطيع وكيف لا وانت
ترفض زج بعض الكلمات القبيحة ضمن خطابك ذاك فقد
صارت الجمل والمفردات الشاتمة موضة العصر فهذا ما
اصبح يدرسه الاطفال في شوارع المجتمع فيربون عليه
ويطورونه حتى يكبر وينمو معهم وتتوارث الاجيال مع
تعاقبها وتتاليها ولكن بغض السمع احيانا على بعض هذه
الامور ضنا ان هناك ما هو بحاجة للتبجيل عليها فلا نكاد
نتجاوز الامر حتى ندرك ان تلك الكلمات قد ادركت افواه
الفتيات والبناة ونطقن بها فيصبح غض السمع امرا
مستبعدا لا نقاش فيه؛ماذا ان تمادوا في هذا الامر
اسيربى عليه جيل اخر بعد التزاوج والانجاب ام ان عقولهم

ستستيقظ قبل ذلك؟الله يهدي من يشاء ويظل من يشاء.....

يتضاعف اسفنا ونجد ان لا شئ يثير الحزن الا شئنا اكثر من رؤية المساجد فارغة لا تكاد ترى فيها احدا غير عجوزين اشتعل رأسيهما شيئا وظهرت على وجهيهما تجاعيد تعلن عن ان رحلتها شارفت على الانتهاء و قسمت الحياة ظهرهما وانهكتهما تعباً وقست عليهما بما يكفي حتى قررا اعتزال العمل الذي افترس كل عمرهما ورجعا الى ربهما يلتمسان الرحمة والمغفرة على ما قدمت ايديهما سلفاً،فحتى لو كان الانسان صالحاً فهو ليس معصوماً من الخطأ،فترى المساجد كمثلاً عش هجرته عسافيره بعد موسم من التزاوج والحضن الى حين فقص البيض الذي فيه فرحل الصغار وتبعهم الكبار وبقي العش خاوياً لا تلمح فيه شيئاً غير القش؛

نكتب باصابع وايدي مرتعشة ومنتفضة اساً وياساً ان الصلاة اصبحت امراً يخجل به البعض ويراه مصدر حياء تخفيه فئة وترفضه وتصده عنها فئة اخرى فتتوارى الى ذهنك اسألت معظمها تملك جوابه لكن رغم ذلك فان الحيرة في داخلك تأبى الصمت؛لماذا فرغت المساجد

ونقص روادها؟؟وبما ان فئة الشباب كادت تقضي على فئة الشيوخ وعلى وشك ان تدفعها نحو الانقراض لماذا لا نرى في المساجد الا من شاخ وهرم وتجاوز عمره الخمسين او السبعين بينما يلهو الشباب ويجرون سعيا الى ترسيخ مفهوم الرقي الذي ابتكروه بأنفسهم بعد ان اصبح التلاهي على شرب الخمر وتعاطي المخدرات امرا يكسب صاحبه ثقة في النفس وهبة وقيمة فالخمر ليس امر يخجل به الناس ويشير حيائهم على خلاف الصلاة والتردد على المساجد لانه في الاصل بتجذر من مفهوم الرقي فالراقون يلجؤون الى احتسائه عند الاحتفال بشيء من النصر او الغلبة او الربح في احدى مجالات الحياة او عند قلقهم وضجرهم او حين تواجههم مشكلات وازمات يصعب حلها فالخمر اذن يصبح رفيق الدرب ومونس الوحدة وحل كل المشاكل والمعضلات وبذلك هم يهربون من واقعهم المليئ بالاظطرابات والنزاعات باتخاذ الخمر اقرب طريق واسهلها ومع قليل من الصبر والوقت تغير الحال وتغيرت الاوضاع حتى صار شرب الخمر عادة تعلن ان هناك مناسبة ما واذا ما رأيت راقيا يشرب الخمر فادرك انه احتفال بنجاح في عمله او دراسته او انه حصل على

وظيفة، وواصل الدهر في التقدم وتواصل معه تغير المعطيات حتى صار الخمر اعز واقرب اصدقاء الناس ليلة العيد او ليلة راس السنة الميلادية واذا ما سألت احد الراقين على يوم مولد الرسول ويوم وفاته ما اجابك؟؟ واذا ما سألته لماذا تشرب الخمر يوم **السبت** ولا تشربه يوم الجمعة؟ قال هذا لا يجوز فيوم الجمعة يوم مبارك وفضيل وهو بذلك حرام واذا ما ادركت انه يفهم الحرام وسألته اوليس شرب الخمر اصلا حرام؟ سخر منك بكل ثقة في النفس ومضى يبحث عن مفهوم جديد يضيفه الى موسوعته التي تعرف الرقي وفق نظره لذلك فان المساجد لا تلبي حاجيات ورغبات البعض؛ ورغم ان الايادي تثقل في بعض الاحيان عن الكتابة هربا من الفهم الخاطئ كفهم البعض لمسمى الرقي والتحضر فلا ضرر من دفعها عسى ان ترق القلوب وتذكر ان للروح ساعة لا يعلمها الا خالقها؛ فلو كان بالمساجد خمارات وحانات لوجدتها تعج بالناس كمثّل النحل في اجتماعه حول خليته ولكن ما يثقل كاهل المفكر والناظر والمتعمق في حال امته ان يدرك ان هذا الابتلاء صار يزور احشاء من كادت تفضل على الرجال، ناهيك عن الذي جعل الخمر زوجته التي يراها كل

يوم ويبت حذوها كل ليلة؛ حدث ولا حرج، في هذه الحالة
اما انه يصنف ضمن نوع من انواع المرض ام ان الصمت
افضل.....

غير بعيدين عن نفس الطريق فقد فرض الناس نظريتهم ان
التدخين وتعاطي المخدرات هو ايضا رقيا فغض البصر عن
ادمان الرجال بهذا السم الذي يقتلك ببطى شديد حتى
انك تستمتع وهو يغمس خنجره في منتصف قلبك لشدة
بطئ جرمه ولكن كما اجزمتنا سلفا وتاكنا لاحقا اذ وصل
بالامر ان صارت علب هذا الوباء تجد راحتها بين مساحيق
التجميل التي تملأ حقائب النساء والمراهقات واتخذوا من
هذا الفيروس مسكنا لألام رؤوسهم وطاردا لقلقهم فلا
يمكن لليوم ان يمر دونه بل وصار صديقا يجلب الفخر ويزيد
في هبة الشخص ليحظى بالتقدير ومحفا لعلامات الكبر
والرشد والبلوغ...

وفي سفينة اخرى اصبح رمز العفة والحياء مصدرا تتلاهم
عليه الذئاب الجائعة جنسيا والتي لا تملك حيلة في
السيطرة على شهواتها اذ بعد ان صارت اجسام بعض
النساء شبه عارية لا تكاد تدرك ان كان ما على جثتها قد
خيط من اجلها او من اجل حيوان اليف، فحتى الحيوان اليفا

كان ام وحشيا له فرو يستره ولم ارى يوما حيوانا يغير في شكله او ينقص من فروه وشعره ليظهر جسمه؛ الارنب مثلا تضحى في فترة ما على جزء من

فروها من اجل تدفئة صغارها حديثي الولادة من الهلاك بردا ويصبح اثر ذلك جزء من جسمها ظاهرا لكن مالذي يجعل البعض يتخلون عن جزء من ملابسهم حتى تصير اجسامهم شبه عارية؟؟ اجل الرقي كدت انسى!!
اصبح التعدي على اعراض البعض والاعتصاب كمثل التجارة تباع المرأة وتشتري على مرأى من اعين الجميع واذا ما اجتحت ادمغتهم ودفعت فضولك الى فهم ما يدور داخل جماجمهم لسمعت اصواتا تعلوا في الفضاء وتصرخ؛

"هذا اللباس الذي يغطي كامل جسمك سيجعل منك غير مرئية وغير ملاحظة وان لم يتجاهلك الجميع فلا شك ان اغلبهم سيحولون نظرهم عنك ولن تحظى بمتعة اظهار جمالك الذي هو الشئ الوحيد الذي يميزك ويجعلك فريدة من نوعك؛

دعي عنك ذلك الغطاء الذي يكبل محاسنك على الخروج دعي عنك ذلك الذي يضيء على راسك نوعا من الظلمة

دعي عنك ذلك الشئ الذي يجعلك كمثل شبح مخيف
تخلصي من هذا الحجاب الذي يقصيك من عيش حياة
الرقى.

كوني فتاة مطيعة وعقلانية وفكري فيما ينتظرك من مرح
اذا ما اظهرت جمالك للناس وكنت على مقربة اكثر منهم
فهذا الشئ الذي فوق شعرك يضع فجوة عميقة بينك
وبين العالم الذي صار لا يلاحق الا "الجمال"....

هكذا نزع ما كان في الحقيقة يزيد في المرأة حسنا فوق
حسنها وجمالا فوق جمالها واستبدل ما كان يحمي
رأسها وجسدها بتفاهات لا تزيدها الا شحوبا وفتورا وتكون
بذلك حمقاء ومتخلفة من تأبى مجارات التغييرات "كيف
تستطيعين تحمل هذا الشئ فوقك وهو الذي اصبح
موضة قديمة تم التخلي عنها منذ زمن وهل تضنين ان
البقية سيتقبلونك وانت مغطاة الراس والجسد وحتى ان
قبلوك بينهم فلن تكف شتائمهم عن زيارة اذنيك، أدركي انك
اجمل بكثير اذا انسلخت عن هذا الشئ فوقك" فبعد ان
كان غطائها يعطي لوجهها اشراقا ويجعل من ملاحما
مشعة تكاد تعمي الشارد فيها لا تفارقها البسمة حتى
في ادنك حالاتها فقد صارت هذه النعم مدفونة ومقصية

وراء غطاء مصطنع يثير الاشمئزاز واذا ما اردت المحاولة في
اعادة زمام الامور الى طبيعتها وارجاع النعمة التي كانت
تكمل المرأة تجد لافتات رفعت في وجهك "وكانما كنت
قائدا لسلطة استبدادية تدحض الحقوق وتنفي
الحريات" كتب عليها مفهوم الرقي خاصتهم وأول لافتة
بالطبع فيها شعار الحرية الشخصية...

اصبحت الاعمال والتجارات التي تجلب الربح نحو السعادة
والرفاهة تقام على حساب من قلت حيلتهم وهزلت
وجهلوا بما انقاد اليه العالم فلا ترقبهم يدركون غير ان اليوم
هو كذا من شهر كذا لسنة كذا وقد انعقد على حساب
سعادتهم وهنائهم ندوة واجتماعات اضفت بحياة مثمرة
على من تخفوا وراء الرقي وبايعوه واعتبروا ان لا وجود اصلا
لفئة الضعفاء اولائك الذين خانتهم الحياة واحنت ظهروهم
وسلبت حياتهم وقهرتهم حتى صاروا مثيرين للشفقة
يسخر من جهلهم الراقون وينبذونهم ويضنون انهم ليسوا
سوى قطعان غنم مآلهم الاخير في بطون الذئبة والاسود
ولذلك ليس لحياتهم اي معنى فليمت من مات وليحيا من
مصيره الموت القريب....

وإذا ما حملنا في هذه السلسلة المتشابكة والتي من الصعب حلها لأنها تكبل مجتمعا بأكمله لأيقنا ان الفساد في حد ذاته بات رقيا يتسابق الراقون الى ترسيخه حتى تدركه الاجيال القادمة وتنسج على نفس الايقاع الذي سبق.....

هكذا هي حياتنا وهكذا اصبحت ونحن من جعلناها ما هي عليه الآن بتفكير بعضنا المحدود وبفهمهم الخاطئ طول الوقت وبتفسيرهم السطحي للأمور وبسعيهم وراء ارضاء نزواتهم وشهواتهم التي لا تشبع ولا حل لضمأها فهي بقدر ما تشرب من الخطايا والذنوب بقدر ما يزيد ضمأها ويتضاعف جوعها واصبحت مشكلة الشهوات هذه غير مسيطر عليها فالناس اذا ما اقترفوا خطيئة او ذنبا وادركوا ان الاعين والالسن انحازت نحوهم ارتموا في احضان الرقي لكن الرقي والتحضر بريئات من ان يكونا بهذا الشكل او بهذه الطريقة ولم يحملا لا ظاهرا ولا باطنا اي معنى يشير الى ما يفعله الناس اليوم وهم من يسمون انفسهم متحضرين وراقين؛

لم يكن الرقي يوما تدخينا او تعاطيا للسموم ولم يكن يوما شربا للخمر ولا ممارسات جنسية ولا حتى اضهارا للعورات

وازالة لما كرم الله به النساء وحاشى ان يكون انشاء
لعلاقات ليس لها في ما ميزنا به الاسلام عن باقي الخلق
من شي...هكذا نشر الرقي والتحضر في المجتمع
واصبحت ثقافة تتعاقب عليها الاجيال وكل جيل يطوره
ويغيره اعتمادا على فكره وفهمه السطحي والبسيط ولكل
جيل مفهومه الخاص وتعريفه الشخصي للراقي لكن الرقي
لم يكن في يوم من الايام هكذا فالراقي هو رقي الفكر
ورقي ذات وشخصية؛ رقي اخلاق وخلق ومبادئ؛ رقي قيم
انسانية لكن البعض لم يكتفوا بفهمهم الخاطئ للراقي بل
زاد الامر سوءا لما طبقوا هذا الفهم الخاطئ افعالا ولكن
مجدر التفكير في الامر من وجهة نظر ما وصلت اليه حالة
من كرمهم الله بنعمة الاسلام يجعلني اقول طمأنة
لنفسي انه يكن لدينا الخيار منذ البداية؛

...لم نختَر التواجد في عالم بائس ربته الخطيئة

...لم نختَر أن نعيش الحزن والأوجاع ليلا ونهارا

...لم نختَر الابتعاد عن من أحببنا

...لم نختَر الغزلة والوحدة

لم نختَر العيش للحضة واحدة بعيدا عن من صار قلبنا

...ينبض لاجل سماع صوته والاطمأنان عليه

...لم يكن لدينا الخيار في أي شيء نعيشه
الكل يعتقد انه يعيش الحياة كما يريد ويحب هو!! يعتقد أنه
يغير في تفاصيل عالمه بأشياء يقوم بها لكن أغمض عينيك
لدقيقة وتذكر أننا نعيش ما كتب في أقدارنا قبل
وجودنا وكل الأخطاء التي غرقنا فيها اليوم هي ليست الا
نتاج عن عقول البعض منا بعد ان حدثت فيها طفرات
وإلتهابات أدت الى تشويبهها واتلاف الصالح منها او بمثال
اصح واقرب *لن ترضى عنكم اليهود والنصارى حتى تتبع
*....ملتهم

"لو كان لدينا خيار واحد فقط لمللنا من السعادة."

لم اعد حتى احتمل النظر من نافذتي فقد اقشعر كل
جسمي وتملكتي رعشة هزت بدني ودفعته للابتعاد بعد
ان غصت عميقا بمخيلتي في ما اصبحت عليه الحياة الان
حتى انهكت نفسي المتعبة اساسا فرغم اني احاول
الهروب من الواقع اجدني اسبح فيه طول نهار كامل واجد
ان كل ما مررت به خلال الليل هو محظ هروب واختباء

ينتهي في كل مرة ببزوغ شمس تعلن عن انه يجب علي ترك هذه الغرفة والخروج الى ما ينتظرنى فلكل يوم خفاياه والواقع يتغير ويتطور الى ما هو اسوء وقد وددت لو ان الوقت توقف قبل الان وصار كل واحد فينا يعيش نفس اللحظة التي يريد حتى يوم فناءه لكن القدر يأبى ذلك فاصارع افكاري التي اصبح تدفقها غير مسيطر عليه واعدود حيث ينتظرنى حاسوبي كمن ينتظر زائرا طال غيابه لتنجذب اصابعي الى تلك الازرار المثبتة على اللوحة كأن الجاذبية تسحبها بكل ما اوتيت من قوة....

تعود مخيلتي بعد رحلتها الطويلة في الشوارع والانهج المظلمة التي تعج بالاخلالات لكنني تعودت على رفض الواقع ونبذه فاستحضر قول رسول لله صلى لله عليه وسلم: <<الناس_نيام_واذا_ما_ماتو_استيقضو_>> فاجد نفسي قد التحقت بمجلسي مع نفسي وتركت امر مراقبة ما يحدث وراء ستار الليل لخالقه اما الواقع فلن يتغير يوما اعرف وامثالي التعساء سيقون في صراعهم مع رفضهم هذا حتى يستقيم ذاك الخط في الة الكشف عن القلب؛ حينها اما ان التفكير في تلك المصائب سيصبح فلما كرتونيا يسلي الاطفال مكان الصور المتحركة ام ان الواقع

سيغدوا اكثر قرفا وبشاعة؛ وفي كلتا الحالتين لن يتغير
شيئ غير ان الواقع ظل كما هو....

كنت كلما اردت تفسير حالتي لنفسي استحضر قول
نيتشه "الألم الكبير يجعلنا ارسقراطيين نعتزل الناس" وهنا
قررت ان اصبح طرفا محايدا فلا اشارك الناس فيم يفعلون
ولا اكون شاهدا على اخطائهم ولكن كل ما سبب وحدتي
هو اني عندما انعزل مع نفسي اراها في كل مكان وكل
زاوية من غرفتي؛ اسمع حسيها وادرك صوتها المتناثر
في كل ارجاء الغرفة واهيانا تقف امامي فالتمس خيالها
ورغم انه لا يختلف عن الحقيقي الا في القليل فان غيابها
عني قتلني شنقا حتى اختلفت ومت ببطئ شديد مما
زاد في ...المي لكني حقا اشتقت لها ولكل ما يخصها
ويشملها

لقد تحول شغفي بالقراءة وحبتي للابحار بين
صفحات الروايات الى ادمان؛ لقد ادمنت الكتابة وصارت
القراءة هي تلك الدفعة البسيطة لذلك؛

...لست مدمن سجائر

...ولا مدمن خمر وكحول

...ولا مدمن مخدرات

لست من النوع الذي يتخذ المهدئات سبيلا للنسيان
ولا تروقني هذه الطريقة فانا لا اريد ان انساها فهي
في روعي ساكنة وفي عقلي مستوطنة وفي قلبي
...قابعة رغما عني

لست ممن يدركون الخطأ والحرام ثم يمارسونه....
لست ممن يدعون الرقي وليس لهم في الرقي الا
اسمه ومظهره الخارجي...

لست ممن يعتبرون الرقي افعلا دون فكر....
لست ممن ينافقون لجلب الانظار ولفت الانتباهات...
لست ملاكا ولا نبيا ولا رسولا عصم من الخطأ.....
انا فقط انسان مثلك يا من تقرأ روايتي....
انا رجل لا اختلف عنك في شئى ربما تميزنا الافكار
والتوجهات ووجهات النظر المختلفة وتفردنا عن بعض
لكني لست سوى انسان مثلك اخطا واصلح...
الكل مليئ بالخطاء والذنوب لكن الراقى هو الذي
يصلحها ويتجنبها رغما عن شهواته ونزواته التي تكبله من
كل النواحي...

اصبحت لا استطيع ايقاف علاقة الحب تلك التي
نشأت بين اصابع يدي ولوحة الحاسوب والتي تحولت الي
حكاية عشق وغرام مميزة وصارا منسجمين ومتلاصقين
وقد اعانني هذا في التقرب الى نفسي اكثر ومجالستها
لارسم خريطة العبور الى عالمي الخاص حيث تجلس
ملاكي على الشاطئ تبوح للبحر بما يدور بين قلبها
وعقلها من صراع وتضارب كانا سببا في خلق هذه الفجوة
العميقة بيننا وباعدان لاسباب آلمني اني اجهلها لكني لا
الومها على شئى ولن الومها حتى ففي النهاية لست
الصادق الوحيد الذي وقع ضحية قسوة هذه الحياة وقهرها
فلا شئى يجعلك محطما تعيش وتتنفس رغما عنك اكثر
من ان تحرم من شخص سكن فيك والتصق بروحك رغم
عن أنوف البعد والفراق

لذلك فانا لست اي شئى الا أنا.....

انا اعيش وحدة قاتلة رغم اني محاط بما يكفيني من
اشخاص لانشاء دولة تحمل اسمي....

انا اعاني من حالة اكتئاب حادة عجز افراد اسرتي،بمن
فيهم حاسوبي وهو الأكثر تطورا،على تفسيرها او ايجاد
علاج لها....

انا افتقر الى ابسط حق لي، افتقر الى السعادة، افتقر الى الضحك بصدق، افتقر الى الراحة، افتقر لها.

انا فقط مجرد رجل صغير احب بصدق حتى وصل به الحب الى زاوية مظلمة وارفة منعزلة على العالم لان الضجيج والاصوات اصبحت توتره...

انا صغير لم يتجاوز عمره العشرين حتى وبدل ان يعيش احلى ايام مرافقته وشبابه اصبح يكدح ليلا نهارا لكني يتجنب الالم حتى نسي ان هناك نقيض له يدعى السعادة وصار يبحث في المعاجم والقواميس والكتب عساه يجد تعريفا لهذا المصطلح الذي صار غريبا عنه لكن بحثه ينتهي كل ليلة باليأس والفشل حتى ادرك ان سعادته تركته منذ اشهر فالسعادة بالنسبة لبعضنا كمثل الموت لا تأتي الا مرة واحدة...

انا؟! انا ممن صارعوا حتى سيطروا على شهواتهم وسلكو طريق الصدق والوفاء مع احبتهم فاهلكتهم الوحدة والنسيان العبثي في نهاية الطريق....

انا باختصار ضحية لقسوة هذه الحياة التي انقلبت فيها الموازين و فهم فيها الرقي والتحضر بالمقلوب!!!!

ادركني التعب وخارت كل قواي بعد جولة مع ذلك الكيس الذي لا يكف عن التآرجح يمينا ويسارا حتا وان لم امسسه آملا ان تتوقف الامي واوجاعي ولو لثانية واحدة اريح فيها رأسي المثقل بالذكريات والصور ثم ان شاءت تعود لملازمتي الى ان تمل وتكل لكني حقا بحاجة الى التجمد لبرهة تتوقف فيها كل اعصابي وخاصة عقلي وقلبي فهما

على توافق تام وهما من سببا لي هذاالارق وهذا
الانهك الحاد

ككل مرة اتحدث فيها اليه تنتهي المحادثة بسقوطني
منتهي القوى وهو الذي لم يتغير في طبعه شيئ؛ كمثل
من تعود على الغدر والخيانة ووجد فيهما اسلوبا انيقا
للعيش وفي كل مرة يقسم انه قد تغير وصار صالحا ووفيا
تجده قد ازداد سوءا؛ يتلقى الضربات واللكمات في صمت
وجمود غير مهتم بأني احاول ان انقل اليه كل المي وارتاح
واريح نفسي واتركه يأخذ عني هذا الحمل الذي يثقل
على روعي شيئا فشيئا ويخنقها لكنه يحافظ على جموده
ولامبالاته طول الوقت غير مكلف نفسه حتى عناء اشعاري
انه يستمع الي ويفهمني وانا اقص عليه سبب حزني
وكآبتي وسبب انعزالي وكرهي للحياة لكن بلا فائدة فانا
اخاطب جمادا حقا ويا ليتني كنت مكانه معلق في حلقة
حديدية مربوطة بالسقف لا ارى ولا اسمع شيئا فقد
عشت في هذه الحياة وتلقيت ما يكفي من الصغعات
حتى انتهى بي الحال الى عشق الظلام والعممة فلا اذن
ان اللكمات التي ساتلقاها من شخص يضربني وانا معلق

مكان الكيس ستكون اشدّ الما مهما كانت قوتها من ان
تحرمني الحياة من احببت.....

احمل نفسي بعد سقوطي الالف دون جدوى وارتمي فوق
سرير، خائر القوى ضعيفا لا أقوى حتى على تحريك يدي
لتسوية رأسي فوق وسادتي التي شهدت كل ليلة على
معاناتي قبل ان ياخذني النوم في رحلة طويلة ينهيها
الصباح وطلوع الشمس فحتى هي كانت تتلقى دموعي
وتمسحها عن خدي وعيني حين تغيب يداي اللتان
اصابهما الشلل بعد نصف ساعة دون توقف من ضرب
الكيس اللعين بقوة حتى انقطعت انفاسي والقيت جثتي
طريحة على الفراش لا حيلة لها ولا قوة....

يبقى جسدي مثبتا على السرير لا يتحرك فيه شئ غير
قلبي الذي بالكاد يخفق وهذا ما جعلني ادرك اني للأسف
ما زلت حيا ارزق وكذلك انفاسي التي صارت تتباطئ في
شهيق وزفير مع مرور كل دقيقة بعد ان كنت الهث
بشدة من فرط الحركة المتواصلة لكني لم افقد كل وعيي
بل رسيت معلقا بين الاغمام والصحو فالبكاد اتنفس
وعينايا نصف مفتوحتين التصقت اليسرى بالوسادة وصار
الاثنان واحدا اما اليمني فتحملق في العدم حيث لا ارى

الى ذلك النور الخافت لمصباح كبير ينير الشارع فتسلل حبات ضوء منه لا تكاد ترى الى غرفتي عبر فتحات النافذة الخشبية التي نسيت ان اغلق ستائرهما السوداء والا لما كانت ادركت الغرفة...

كنت غير قادر على الحراك حتى اقف واغلق الستائر فقد وصل بي هذا الاكتئاب الى ان نبذت الضوء بانواعه وطردته من عملي الذي ميزته الظلمة لكنها ليس تلك الظلمة التي عرفناها منذ الصغر وتربينا على انها رمز للشر والنوايا السيئة فظلمتي حلت مذ تركتني من اسميتها زوجتي واتخذتها صديقتي وجعلتها اختي وناديتها ملاكي، ورحلت...

ظلمتي هي ظلمة الوحدة والعزلة، ظلمة الحرمان والانفراد عن العالم الخارجي لان لا شئ فيه جدير بمواصلة العيش في مدينته فهي تعج بالاطفاء يكفيني اني اتحملة طول النهار فجعلت بذلك الليل لي وحدي لا اشارك فيه احد ولا يشاركني فيه احد الا افكاري وصورتي وذكرياتتي التي جمعتني بها هي وحدها من يسمح لها ان تدخل عالمي دون استئذان مسبق او اعلام بالقدوم وفي اغلب الاحيان

فانا اعود مساء لاجدها في انتظاري فاكون بذلك الذي تأخر
عن الوعد لا هي.....

استمر في ملازمتي الصمت والجمود على فراشي ولا
اظن اني ساحرك ساكنا حتى الصباح فانا متعب للغاية
ثقل رأسي كأنما وضعت فوقه كل جبال الدنيا وشعرت
بضيق داخل صدري واحسست بخنقة في رءتاي وشيئ
شبيه بالمرارة يتزلج انطلاقا من فمي حتى اسفل حلقي
وتملكني صداد كان كافيا بان يجعل عيناى حمراوان حتى
اختفى بياضهما وراء غلاف الدموع يكادان يبرزان من
مكانهما ويتبعثران على الارض؛ يقل تنفسي اكل فاكثر
وزاد تسمري في مكاني وقد ادركني شلل كلي طال كل
جسمي ولم يترك الا الهواء يمر عبره دخولا وخروجا في
حين توقفت بقية اجزاء جسدي عن العمل وما عدت اشعر
بشيئ سوى رءتاي حين يمتلآن ثم يفرغان وهكذا ايقنت
ان التعب ادرك غايته وقتلني حتى الصباح.....

طال الليل على غير عادته وصار الوقت يمر ببطئ الحلزون
وقد ادخل هذا في نفسي المنهكة شيئا من الرضا لان
رحلتي هذه ستطول هذه المرة قبل ان ابلغ الصباح والنهار
اللذان صارا من اشد من يثبراني ضجري ويزيداني في

كرهني للحياة لكنني اصارع وادفع نفسي للتفكير في شئ يجلب لي بعض الراحة النفسية كي اعين اسرتي هذه التي بدأ اليأس والعجز يضربان اشترعت سفينتهم حول امر شفائي لكن صوت خافت وعذب يتسلل مع ضوء ذلك المصباح الكبير ويعبر الجدار مسرعا يترنح كي يشد رحاله داخل اذني ولطالما كانت الموسيقى والاغاني الهادئة رفيقتي ومؤنستي طول النهار فهي التي تعوض عرفتي باكملها وبما فيها.....

يصل الصوت ويرمي مرساته حتى تمتلئ به اذناي وقد احسست بارتطام تلك النغمات فوق طبلة اذني كمثل سقوط قنبلة وانفجارها اثر ملامسة الارض ورغم ان الصوت زاد في حدة صداعي حتى فقدت وعيي وادركت انه صار علي ايقات هذا الصراع الذي احاول فيه صد ذكرياتي على التدفق والخروج لتملاً كل غرفتي فاستسلمت اخيرا وشعرت بيدي تسقد لتلامس الارض الباردة معلنا عن رفعي لذلك العلم الابيض الصغير واني فسحت المجال لكل ما في داخلي من صور واصوات وذكريات تحرقني طول الوقت للتبعثر؛ شعرت بكل ما في داخلي يغادر جسدي دفعة واحدة في تزاخم واكتضاض وتراص كان احد فتح الباب

امام ملايين الثيران المتوحشة مسببة ضجيجا وزفيرا مدويا
هز جسمي وجعلني كمن تملكته الحمى وصار يتصبب
عرقا ثم اعيتته الحرارة التي تملكنت جسمه فغط في سبات
عميق.....

استسلمت كليا وسايرت ذلك الضجيج الذي صار يملأ
الغرفة حتى كون امامي عيني شبه المفتحتين فلما
تواصل طيلة الليل وقد اشعرني بارتياح وانا اتابع تفاصيله
بدقة لانه السبب الوحيد وراء وحدتي وكأبتي ووراء كتابتي
اللاارادية لهذه الاسطر التي لم اعرف حتى اين كانت
مدفونة ولا اضن انها صدرت وخرجت من مخيلني!!!

تخمرت مع قصتي ورحت اقلب نظري في كل ما امامي
من صور ولحظات طبعت في ذاكرتي وابت مغادرتها وتركبي
وشأني وادركت حينها ان تلك الساعة لم تكن تقصد
ازعاجي او اثاره توترتي وغضبي بطقطقتها وصوت عقاربها
بل انما ارادت ان تذكرني بكل اللحظات والدقائق التي
مررت بها وعشتها مع صديقتي وحببتي، التي هي في
الاساس جزء من الوقت الذي تطلعنا عليه الساعة هكذا
ايقنت ان الوقت نفسه والذي يمثل ما تبقى من عمري
يذكرني بها وينطق اسمها في كل جزء من الثانية فلا

مهرب من انها ستبقى معي وسترافقني حتى اخر
شهيق آخذه ولو حاولت يوما نسيانها لادركت الجواب حول
سؤال هل استطيع ذلك ام لا لكنني في الاصل لم احاول
يوما؛مازال ذلك الصوت يدندن ويطن في رأسي بكلمات
تتردد في اذني مصحوبة بالحن هادئة تجلب النوم الذي
بدأ يبسط غطاءه فوق اغمائي فاحاول تركيز سمعي عليه
لادركه اخيرا؛ كانت اغنية لمغن عربي اسمعها طول النهار
واتذكرها ليلا كاني اسمعها لأول مرة ؛

بروحي فتاة بالعفاف تجملت***

وفي خدها حب من المسك قد نبت***

وقد ظاع عقلي***

وقد ظاع رشدي مذاقبلت***

ولما طلبت الوصل منها تمنعت***

بلغوها اذا اتيتم حماها***

انني مت في الغرام فداها***

واذكرني لها بكل جميل فعساها تحن عساها***

واصحبوها إلى تربتي فعظامي؛تشتهي ان تدوسها
قدمها***

إن روعي تناجيها***

وعيني تسير اثر خطاها***

لم يشفني سوى املي***

انني يوما اراها***

هكذا انغمست وتجمدت في مكاني لا اشعر بشيء الا
بقايا دموع تخرج من عيني التي شارفت على فقدان ضوء
بصرها، كانها قطرات ندى باردة تشقق طريقها نحو شفتاي
المفتوحتان للهواء مرورا بخدي الذي يكاد يشتعل من
الحرارة ولا شيء يشغل تركيزي غير طيفها الذي اكتمل
تكونه وصار يجلس بجانبني وبرشقني بنظرات تحمل في
اعماقها شيئا من الشفقة والعطف والحزن واذا بي لا ارادية
اصارع اتعابي واصرخ لشدة الوجع الذي تملك جسدي
ولكنني ارفع يد اخيرا بعد عناء وكانني ارفع الدنيا بجبالها
وانهارها في راحتني؛كنت آمل ان المس وجنتها او اداعب
شعرها او امسك كتفها واجعلها تقترب مني وتعانقني
عناق الف سنة ضوئية من الغياب لكن ما انا بحاصل على

ما اريد فلم ادرك شيئا غير السراب والهواء اذ صرت كمن
اصابه الجنون وصار يرى اشخاص يحومون حوله ويطوفون
وهو يحاول امساكهم لكن دون جدوى فهو في الاخير ليس
الا مجنون يلاحق اطيافا.....

شعرت بيدي تعود سقوطا على الارض خائبة يائسة بعد
ان كانت على قاب قوس من ملامسة جسم ملاك تعودت
على التشبث بيديه كمن يتشبث بحبل رفيع ورقيق أملا
للخروج من جرف سقط فيه غدرا....

تملكتني الخيبة وخيم الصمت على غرفتي بعد ان بدأ ذلك
الضحيج والصخب الذي كان يطوف حولي ينتظم ويستقر
مكونا الصورة التي فقدتها منذ اشهر؛فهويت مدمرا
وسلمت ما تبقى في من روعي الى ربي فهو وحده من
يعلم امرها؛صورتنا مجتمعين يكاد الجنون يضرب رؤوسنا
من فرط الفرح والسعادة بل وادركنا السعادة في مفهومها
المطلق وتجاوزناها درجات؛كانت فرحتنا في اجتماعنا لا
تكاد تسعها السماء حتى تقسمها مع الارض ويتبادلها
الاثنين وياخذ كل منهما النصف؛فرحتنا ببعض؛حتى اذا ما
كتبناها بماء البحر لنغذ وجف ونحن لانزال في العنوان؛لكن
أين انتي الآن!اين تهتي عني؟؟لم يكن زحاما شديدا

حتى يصل بك الامر ان ضعتي وسطه واختفيتي عن
ناظري؟؟ كان التراص منطقيا لكنك كنت تلتصقين بكتفي
ولا انسى روحك التي كانت تداعب روحي في مجلسهما
على شاكئ البحر حتى خرست افواهنا واستحيت من
الكلام في حضرة روحينا؛لكني لا اجد لك شيئا الان غير
طيفك وصوتك؛هل اتوهم في شرود كالعادة ام انك حقا
تركنتي وذهبتني؟؟

أين انت هل تسمعين؟؟

☆☆☆☆

كانت ليلة دافئة وهادئة من ليالي الصيف وككل الليالي
الماضية تميزت بصخب كبير وضجيج هز كامل المدينة التي
لم تتوقف فيها الحركة والنشاط منذ اشهر؛انه موسم

السياحة الشاطئية؛ كان الليل اكثر ضجيجا واظطرابا مما كان عليه النهار اذ يجتمع الناس للسهر والاحتفال في المقاهي وعلى شواطئ البحر بعد يوم طويل من العمل الشاق والتسابق الى اظهار من هو الارقى بينهم بما يقوم به من اعمال تجعله معروفا وبارز في محيطه وسواء كانت هذه الاعمال جيدة ام سيئة وفي اغلب الاحيان تميل الكفة دائما الى السيئة فان هدفها الاساسي هو الربح والذي بدوره يجلب الرقي الخاص بهم ويرسخه في المجتمع الذي كنت مظطرا الى مواجهته كل يوم بسيئه الذي كاد يقضي على ما تبقى فيه من جيد.

لا اذكر ما الذي دفعني للخروج من البيت ولا حتى من الذي اقنعني بالانضمام الى جولة ليلية كنت مشاركا فيها مع اخي وصديق لنا وكانت عالاغلب من المرات القلائق التي تتجاوز فيها رفقتي الاثنين فقد كنت افضل الانفراد بأخي اذا ما جاءت فرصة للخروج ليلا لاني كنت قد حرمت من رفقته عاما او اكثر من ذلك وزارتنى الوحدة قبل الان رغم محاولات امي طول الوقت في طرد فكرة اني بقيت وحيدا بعد ان قرر اخي الذي يصغرنى بعامين ترك الدراسة لانه كرهها مثل كرهني الحالي للحياة وما يخصها وانزويت

على نفسي لفترة كافية لخلق فجوة في داخلي الا ان هاتفي وسماعة الاذني خاصتي كانا يؤنسانني؛ لكن يبقى ايناس الاخ ذو طعم خاص دائما...

لم انتبه الى المسافة التي قطعناها من البيت وصولا الى الشاطئ فقد كنت اسبح بخيالي مع جملة الاغاني التي تحدث صخبا داخل راسي اذ لم تكن السماعات تبرح اذني الا في اوقات الصلاة وهي مشكلة كان علي ايجاد حل لها ولكن الحل لم يكن بعيدا؛ ادركنا مقصدنا اين تتعالى صرخات المراهقين والسادجين وهم يقفزون ويرددون كلمات كان يقولها احد المغنين وهو يرقص على خشبة المسرح التي نصبت امام مقهى ذو اطلالة على البحر؛

رغم كل ذلك الازدحام والضجيج الا اني لم اكن اسمع شيئا مما يحدث امامي بسبب سماعاتي التي منعت تلك الاصوات من التسلل الى اذني وقد كنت مدركا سلفا انها لن تروق لي ولن تعجبني لذلك امتنعت التجربة واخذت مكانا ارقب منه اخي وصديقه وهما يرشقان الفتيات الجميلات؛ اللواتي لم يقصرن في جعل اجسادهن تكاد تكن شبه عارية؛ بعينيهما في محاولة منهما للفت انظار احدهن اذ لم يتسنى لهما الاختيار فجميعن كن غاية في

الجمال بالنسبة لهما؛كنت انظر لهما ورأسي يكاد ينفجر من شدة الصخب الذي ملأه بنظرات تحمل معها شيئاً من السخرية وانا الذي كنت غير مبال ولا مهتم بما يحدث حولي من جلبة واناس تقفز وترقص لافراغ كل الشحنات التي كبتوها طيلة اسبوع كامل من اعادة نفس اليوم وهم يعملون منتظرين نهاية الاسبوع لاخذ قسط من الراحة اذ كان انتظارهم لسته ايام كمثل حرب الاعصاب التي تسيطر على الغقول وتشنجها....

لم اكن اعير اهتمام لاحد ممن كانوا يطوفون حولي فقط من صغار تجري وراء العابها وازواج يتحدثون في اشتياق لمثل تلك الجلسات ومراهقين يعبرون لبعضهم البعض عن حبهم واهتمامهم ذاكرين ما ستكون عليه حياتهم المستقبلية بعد ان يجمعهم الزواج في بيت واحد وكان اهم ما ميز المدن ان المراهقة تبدأ ما ان يعبر احد الطرفين عن اهتمامه واعجابه بالطرف الاخر لتجد في طريقك عاشقين لم يتجاوزا الحادية عشرة من العمر وربما اقل من ذلك وترى مجموعة من الراقين الذين فهموا كلمة*حب*كمثل فهمهم للرقى يجدون في هذه الزحمة والضجيج الذي شنت عنهم الانظار فرصة ليسكتوا نزواتهم

وشهواتهم الظمئى والجائعة ويكون الظلام نصيرهم
وسندهم ليفعلوا ما تراه تلك الكرات المعلقة بين اكتافهم
رقيا وما تضنه تصوراتهم حبا.....

كنت احرص على ان الزم مكاني وتمرير انظاري بين
الحشد كي لا افقد اخي وصديقه اللذان لم يكفى عن
معاكسة الفتية وكانا يبعثان لي بسخریات على لامبالاتي
وقلة اهتمامي بما حولي من أجساد مزينة؛ كنت قد غيرت
افكاري منذ مدة ولم تعد الاجساد ولا الابدان ولا الجمال
يعنيان لي شيئا لاني ادركت ان بحثي عن فتاة جميلة
الجسد والمظهر قد يكسبني اجمل الفتيات لكنه لن
يكسبني بالضرورة امرأة ذو عقل وفكر فهمت الرقي والحب
كما يجب ان يفهما لذلك تركت امر البحث جانبا وانهمكت
في العمل والاعتناء بامي من بعيد وقد اصبت ما فعلت فقد
فهمت لاحقا ان في هذه الحياة المعقدة اذا اردت شيئا
فضعه جانبا ولا تبحث عنه بل تمنه وطلبه من الله ثم اتركه
وكانك نسيتيه ولكن في الحقيقة انت لم تنسه بل تجاهلته
لتجده قد جاءك لوحدك...

لم اقصد تجاهل امر البحث عن امرأة يجتمع فيها الفكر
والعقل والجمال والفهم الصحيح للاشياء بل اني سلمت

هذا الامر لربي فهو اعلم مني به وجعلت امي مصدر اهتمامي طول اليوم اذ كنت اتصل لاطمأن عن حالها كل ساعتين او ثلاث لانني لم ارد ان تشعر بالمسافة التي تفصل بيننا بعد ان باعدتنا الحياة وكان لي ان تركت البيت لاشتغل حتى استطيع توفير ما يلزمها؛ كانت تشتهي كثيرا من الاشياء لكنها لم تكن تطلب اي منها علنا او جهرا رأفتا بي وباخوي الاثنين الا اني كنت ارى هذه الاشياء في عينيها اللتين كادا يجفان وينفذان من الدموع لكثرة بكائها؛ كثيرا ما كنت اسمع نحيبها وانبيها اذا ما اصاب احد منا شبه مكره او اقطرف احدنا خطأ تجد نفسها عاجزة مكبلة عن اصلاحه وقد زادها البعد عنا حزنا والما فهي التي حرمت من رأيتنا نكبر امامها ونزداد طولاً ولم تشهد حتى على تعير نبرة صوتنا او تغير مظهرنا عند بلوغنا وكبرنا؛ كانت ولا تزال شديدة التعلق باولادها الثلاث والتي ما كانت تدرك انها ستنجبهم في يوم من الايام لتجد نفسها قد حرمت من مجلسهم ومداعتهم بسبب مطالب هذه الحياة التي جعلت من العمل السبيل الوحيد لكسب المال التي هي اساس كل شئ وبذلك فان هذين الاثنين لا ينتجان، الا تفرقة الاهل والبعد والحرمان ممن نحب

لامثالنا، لتجد نفسها قد عادت الى نقطة البداية امرأة كبرت في السن وانهكتها قساوة الحياة وقسمت ظهرها وقل جهدها ولم تجد الى زوجها رفيقا لوحدتها في بيت كان يعج باصوات الاطفال وضجيجهم يتناثر في كل ركن منه فلا يترك فيه جزء الا جعل منه ساحة معركة تتبعثر فيها الاشياء وقد ادى هذا التغيير المفاجئ الى ان عم الصمت في البيت وقلة الحركة وساد الهدوء مما جعل امي تغرق في حزنها الذي كانت تخزنه داخلها طول الوقت مانعة الجميع من ادراكه وقد زاد ذلك حاله سوءا؛ كنت التمس في ضحكها عندما اهاتفها نبرة حزن مخفية وراء ضحكات تحاول اقناعي انها بخير وان لا شئ ينقصها في البيت غير حضورنا وزيارتنا لكني سرعان ما كنت ادرك الحزن والشوق الذي يختبئ وسط سرب ضحكات العذب وهذا ما زاد في اتساع تلك الفجوة التي نشأت بداخلي وانضم الحزن الذي كنت التمس في صوت امي الى الوحدة التي بالكاد خرجت من دوامتها لاجد نفسي قد صرت اشتاق لها اكثر من السابق واتخذت الوحدة التي بداخلي خزن امي على فراقنا رفيقا لها مما جعلني كثير الشرود والعبوس وقد كانت مشكلتي اني لا ابوح بشئ مما يوجد بداخلي

لاحد رغم الحاحهم بالسؤال اني غير طبيعي وبحثهم عن اسباب هذا الشرود المبالغ فيه لينتهوا في الاخير ان يظنوا اني افضل العبوس كنمط حياة يروق لي ويرضيني؛لن يفهموا لذلك لم افسر...

شارفت الجولة على الانتهاء وضحك اخي وصديقه ما شاءا على ما تبديه المراهقات من مبالغة في اخراج ما بداخلن من شحنات مكبوتة ومازلت في مكاني اغوص في عالمي الموسيقي الخاص غير مهتم بما يجري من حولي غير عابئ لاي حركة تلتقطها عيناي على غير رادت منها حتى حان وقت العودة الى البيت؛ليست الحفلة هي التي انتهت فالمدن لا تنام ولا تعرف النوم ليلا بل ان الاثنين قد اكتفيا واسكتا جوعهما من النظر الى الاجساد الجميلة التي تترنح امامهما وقررا ايقاف صخبهما والعودة الى الفراش فالغد يحمل الكثير من الاعمال الشاقة وبداية اسبوع جديد؛تبعتهما لكن صخبي لا ينتهي فهو برفقني طول الوقت ويؤنسني ويخفف من قلقي والمني بسبب ما تعانيه امي فرغم ان الحياة بعثرتنا فقد كانت طول الوقت امام عيني حين اوشك على ارتكاب خطأ ما او عندما امر بيوم جميل رغم ان كل الايام عابسة بدونها وما *جميل*الا

مصطلح اوهم به نفسي لتهدء وتنسى همومها فالنفس اذا انفجرت هما وغما جنت وانا لا اريد الموت لا الجنون....
بدأنا نبتعد ببطئ عن مكان الضجيج وبدات ارتاح لانهما اخرجاني من ذلك المستنقع المضجر وكنت كلما خطوة خطوة اخرى الى الامام ارتاح بالي اكثر لكني في لحظة شعرت ان صمتا مطلقا بسط غطاءه على كل ركن من حولي وحتى المكان الذي كان ينتفض ويهتز ضجيجا هديء؛كنت لا ازال اتمسك بسمعاتي وكنت الوحيد الذي توقفت وشعرت بهذا الهدوء المفاجئ؛كان هدوءا غريب الاطوار وكأنما يحمل بين احضانه شيئا خاص لي او ربما ذاك هو ما يسمونه هدوء ما قبل الكارثة؟لا اعلم لكنه كان يدعوني لاكتشافه بنفسي؛لم استطع التحرك خطوة اخرى نحو البيت اذ اكتفيت بالتسمر في مكاني وتجمدت كاني صخرة صماء ثقلت فوق الارض حتى صار ثقلها يجذبها الى باطن الارض وكان هناك صوت رقيق وعذب يشبه صوت امي لكنه لم يكن صوتها الذي يهمس في اذني ويطوف حول رئسي ويردد؛لا تذهب..عد إلي...لا تتركني فانا بحاجتك...عد انا في انتظارك...عد وانتشلي من هنا...عد الى حيث كنت...توجه الى حيث كان ذلك

الصخب...عد الي فانا كنت بانتضارك منذ سنين...عد
ارجوكلا تتركني!!!!.....

لازمني هذا الصوت لثوان اثناء ملازمتي مكاني دون حراك
وقد بدا الاثنين يطرحان اسئلة لم اسمع اغلبها لشدة
تركيزي على الصوت العذب الذي يذكرني بصوت امي
والذي يدعوني للعودة حيث كنت اجلس؛وقد كان هناك
شيئ يجذبني الى الوراء بشدة لم ادرك ما هو ربما كان
طيفها الذي كان يراقبني دون ان يراني طيلة السهرة او
ربما كانت روحها المنهكة التي اعيتها الوحدة وارهقها
الحزن هي من تفعل؛صارت رغبتني الجامحة في العودة
الى المكان الذي كدت افقد صوابي حتى تحين لحظة
خروجي منه اكثر واكبر من رغبتني في العودة الى البيت
والابتعاد عن الضجيج....

غلبتني رغبتني الثانية وتعللت اني ارغب في العودة
ادراجي تزعما اني اريد جولة اخرى ولكن هذه المرة اخترت
العودة باذنين طليقتين لا تسيطر عليهما اية سماعات ولا
تشغلها عن صخب الناس اية اغاني فقد كان ذلك الصوت
الذي يهمس في اذني يخترق السماعات ويعبرها فادركت

ان علي التخلص منها كي لا اضل طريقي وانا اسير وفق الخريطة التي بدا انه يرسمها لي عبر همسه....

رميت بهتفي مصحوبا بسماعاته في جبي وهممت عائدا الى حيث كنت اول مرة وبقي بيني وبين الاثنين مسافة كافية ان غبت عن ناظريهما بين الحشود وواصلت المشي تابعا ذلك الصوت الذي يناديني نحوه ويشدني اليه بشدة كمن يشد حبل القوس ليطلق سهما؛ كنت امشي كما لو اني اعرف وجهتي واعرف منتهاها ومصيرها؛ كنت امشي كما لو اني اعرف مكان كنز ما وهممت عائدا اليه التقطه؛ كنت امشي كمن يناديه ملاك من السماء فيصارع الجاذبية لكي يبلغ ملمس ذاك الملاك وياخذ بيده الطاهرة؛ كنت امشي الى حيث وجدت ما هو اغلى واثمن وارقي من اي كنز يمكن للمرء الحصول عليه حتى ان جاب الدنيا وحفر الارض ومشط السماء بحثا؛ كنت امشي واسارع الخطى نحو حياة جديدة لا تعرف معنا للحزن والوحدة والعبوس حملت لي بين يديها السعادة والفرح والرضا بكوني طلبت الله ثم صبرت فاعطاني اجمل مما طلب؛ كنت امشي وقد اشرفت على بلوغ ينبوع صاف ونقي كان اشبه بصخرات من الذهب زينت بالماسات

تشتعل بريقا تخرج من بينهم رائحة جمعت كل عطور الجنة
في رائحة واحدة وصاحب لك الرائحة قطرات من شهد
ميزت حلاوتها بانها لا توصف؛
كنت امشي نحوها...

☆☆☆

كنا قد تعرفنا مسبقا عن طريق موقع التواصل الاجتماعي
الشهير فايسبوك وقد كان اخي الذي يصغرنى وسيط هذا
التعارف فقد عرفها قبلي وهي التي كانت تقربنا قرابة
بعيدة وكان تعارفنا عبر الرسائل سطحيا؛ كنت لازلت قد
دخلت في طور اللامبالي والغير مهتم بالفتيات
واخرجتهم من قائمة تفكيري بسبب ما كنت احمله من
هم لاجل امي وما تعانيه وقد اقتصر تعارفنا على ان عرف
انها تقربيني من امي وانها تقطن غير بعيدة عني وانها قد
انتهت دراستها الجامعية وتخرجت وكان فن الهندسة
غرامها منذ الصغر لتجد نفسها قد تعلقت به وانقادت وراء
طرقه المتشابكة حتى صارت مهندسة ولم يبقى الا ان
تجد عملا يناسب شهادة تخرجها وانتهى التعارف بهذا
القدر من المعلومات وانقطعنا عن التراسل فترة كافيا بان

انسى اني تعرفت عليها اصلا اذ لم اعر للامر اهتمام بل وتجاهلته ولم افكر فيه حتى تلك الليلة؛كنت قد لمحت صورها ولاحظت مراسلتها المتواصلة مع اخي وتكونت في مخيلتي صورة لها فقد كنت كثير الاطلاع على حساب اخي بدافع الفضول لمعرفة رفاقه الجدد لا اكثر؛ كانت ملامحها قد مرت على ذاكرتي واصبح من السهل تمييزها عن غيرها من البناة حتى ادركتني تلك الليلة التي انتهت بلقائنا صدفة ومن غير تخطيط مسبق او موعد محدد....

كنت قد واصلت ما بدأت به راجعا على اعقابي تقودني رغبتي الشديدة ويشدني ذلك الصوت الخافت اليه ويترجاني لاعود اليه؛كنت امشي واضعا يدي في جيبتي ولكنني شعرت هذه المرة اني ابحت عن شئ؛الشئ الذي دفعني وشدني وارغممني على العودة بعد ان اعلنت ضجري وهممت بمغادرة المكان الذي شعرت فيه اني مختلف وغريب عن كل من حظرو حولي...

لم اعلم انها كانت هي الا عندما ادركتني وحاذت جانبي وقد كانت تندفع نحوي وكانما شدتها الي نفس الصوت الذي ارغممني على العودة؛وكانما جاءت ايضا وبلغت تلك النقطة لاجلي ودفعت بنفسها نحوي كي ادركها؛لقد كان

ذلك المكان ولا زال بالنسبة لي هو نقطة لقاء روحية اجتمعت فيه روحينا وتقابلتا لتنشأ من تلك النقطة علاقة الصداقة التي قربتنا وتحول التعرف السطحي الذي باشرناه منذ فترة طويلة الى صداقة قربتنا وجعلت المكالمات والرسائل بيننا، والتي كانت قليلة حتى انعدمت، لا تكاد ان تنقطعان يوما واحدا؛

كانت مندفعة نحوي ولم تلمحني لكنها لم تكد تمر بجانبني حتى امسكت يدها لا اراديا ودون ان اشعر بيدي وهي ترتفع متجهة نحو يدها البيضاء الصغيرة وكانت اول مرة يقابل وجهي وجهها والمحها عن قرب فلم تكن تجمعمني بها الا الصور التي كانت تعترض طريقني بضع مرات وانا اتصفح حسابي او حساب اخي لاجد نفسي ممسكا يدها واحملق في ملامحها في شرود مطلق، في تفاصيل وجهها الذي شدني وجعل عينايا لا يريان غيرها حتى اني لم المح قرييني التي ترافقها؛سرعان ما سيطرت على شرودي وبادرت بابتسامة وقلت وانا لا ازال متشبثا بيدها التي لم استطع تركها؛

xxحتما لم تعرفيني وهذا قد يغضبني!!

قلتها وعلى وجهي مازالت تلك الابتسامة التي دعمتها
بينظراتي المازحة وقد كانت من ذلك الصنف سريع البديهة
صاحب الفطنة والذي غالبا ما تثير الاشياء تفاجئه او
فزعه، هكذا اصبحت ارى خرجي الهندسة، فبادلتني
إبتسامة مماثلة اشاحت بها عن اسنانها التي لمعت بياضا
واجابت دون حتى ثانية تفكير واحدة كمن علم السؤال
مسبقا وزج بالجواب لتاكده من صحته؛

«اين اخوك؟؟»

وهي التي تعودت على مراسلته والتحدث اليه وقد تابعا
اخبار بعضهما البعض عن كثب لكنه كان مثلي قد راها في
نفس الليلة التي رايتها فيها؛ اجابت وعلى اثر ذلك تركت
يدها وقد بدى على وجهها شئ من التعجب فهي تعرف
اخي جيدا لكني من اقف امامها وقد لاحظت الشبه الواضح
بيني وبينه؛

ادركت منذ ابتسامتها وبشاشتها انها من اصحاب المرح
والجلسات الظريفة وممن يستمتعون برفقة أصدقائهم غير
ابهين لما في حياتهم من مشاكل وقد وأكد حدسي مذ
اضافت مبتسمة وساخرة بعد ان لكمت بطني ثم تراجعت؛

«تبدو اطول واظرف مما انت عليه في الصور ولم تقل لي
اين اخوك بعد

كانت قريبتى تسألني عن حالي امي في نفس الوقت
فكتفيت باجابتها انها بخير وعلى احسن حال ولم تفارق
تلك الابتسامة وجهي لم انهي كلامي عن حال امي حتى
ظهر لها اخي من ورائي واخذ عني الحديث فاكتفيت النظر
اليها ولتذمت الصمت والمشاهدة؛ كانت تمازح اخي وتحدثه
ولا يكاد احد من الجاسين يتكلم او يأخذ الكلمة حتى
تسكته وتواصل عنه الكلام؛ اخذو مكانا جلسو فيه واكملوا
مرحهم وحديثهم وقد كانت هي من تسيطر على الاجواء
في حين عدت الى لامبالاتي بعد شرودي في تفحص
ملامحها التي اوضحت لي تلك الصورة الضبابية وجعلتها
تغدو نفية وواضحة وقد كان ذلك الصوت الذي شدني
وجذني للعودة في همس متواصل قد انتهى وذهب عني
ولم اعد اسمع من ضجيج الهادئ شيئا فاندمجت معها
ومع احى وهما يتبادلان النكت والقصص ويضحكان؛ اعدت
لي مكانا بجانبها وتنحت قليلا ثم دعنتي للجلوس حذاها
فلم اصد عرضها وبادرت بالجلوس وواصلت متابعتهم في
صمت غير مهتم من جديد...

كنت قد غيرت الكثير من افكاري منذ فترة اذ تخلصت من كل توجهاتي ورغباتي الصبانية والتي كانت اساسا تتعلق بمراقبة الفيات والانجذاب لهن فلا اترك بنتا الا وتراني اغازلها او اناديها واطلب صداقتها عساها تصبح رفيقتي وحببتي وكان كل ما يهمني جمال الوجه والابدان اذ لم اعر اهتماما لما يخفيه ذلك الجمال وما يخبئه من طفيليات واخطاء في عقول الفتيات اذ كان من الصعب ان تجد فتاة جميلة الخلق والاخلاق،راقية الفكر والعقل في آن واحد؛حتى وجدت نفسي بعد تعمق واسع وادراك لما تخفيه لنا الحياة من تقلبات واططربات وبعد ان ايقنت ان هذه الحياة لا تفتقر الا للراقي والتحضر الفكري والعقلي اذ كل ما كنت اراه واتبعه ليس سوى اخطاء ومفاهيم خلقها الناس وفبركوها حسب اهوائهم حتى يخلقوا عالمهم الخاص والمميز والذي هو في الاساس مستوحا ومنتقى بعناية من الغرب الاوروبي والذي ضننا اننا تحررنا من سلاسله التي كبلتنا لسنوات وانه غادرنا وتركنا بحالنا؛ضننا اننا اخيرا سنتفرغ لحالة الامة الاسلامية حتى نكرس الرقي كما يجب عليه ان يكون حتى نتقدم لكننا اخطأنا الضن،وأسفا فاوروبا لم تغادرنا يوما بل ظلت قابضة بيننا

وحققت ثقافتها في منتصف شراييننا ونحن منقادون خلفها في صمت نردد اننا صرنا نتقدم الى الافضل لكن على عكس ذلك كنا نعود الى الوراء وقد عاد هذا بالنفع على كل دولة عربية عرفتنا فبينما كنا نعود ادراجنا كانت هي تتقدم اميالا الى الامام الى ان وصل بنا الأمر ان صرنا نلبس ما ملت منه هذه الدول ورمته واتخذت احسن منه؛هكذا اصبحت غير مبال بتتبع الفتيات وجمالهن الخارجي بل وصرت غير مهتم بما يخصهن من حكايات وقصص وتركت امرهن للصدفة فأما ان تزج الصدفة امامي بفتاة صاحبة اخلاق وخلق يكون عقلها هو الذي يضيء عليها جمالا ونورا وتكون قد فمّته الرقي والتحضر كما يجب ان يفهما ام اني سامضي قدما في لامبالاتي وتجاهلي لأمرهن وقد كنت قد عزمت على التركيز على علاقتي بأمي التي تركت وحيدة هناك وشعرت بالعجز؛هكذا اصبحت لا مبال، غير مهتم، غير عابئ، تاركا الجمال لمن جهلو معناه ومتجاهلا الجميل والقبيح واذا بهذه الحالة لم تعرف الاستقرار حتى حلت صدفتي التي طالما انتظرتها....

لم تدم المقابلة الا ربع ساعة تحديدا قررت اثر ذلك انهاءها بأن دعوت اخي وصديقه للرحيل بعد ان كنت من اعادهما

الى نفس المكان الذي ضجرت وانا انتظر الخروج منه؛بادلتها الوداع حتى اللقاء القادم الذي لم اكن مهتما متى سيحل او بأي طريقة ثم رحلنا تاركينهم قد باسروا جولة بين الحشود اذ لم تكن من محبي الجلوس لفترة طويلة في مكان واحد؛كانت ولازالت كثيرة الحركة كمثله العصفور لا يلزم عشه مطلقا...

غادرنا عائدين ولكن هذه المرة دون عودت الى الورااء ورحت امشي مرجعا سماعتي شاردا وقد تملكني شعور وكأنني معلق اتارجح بين صورتها وصوتها اللذان خلقا نقطة لا تكاد ترى في مخيلتي وبين لا مبالاتي بتلك الامور،فقد شعرت شئ خافت وهزيل يجذبني نحوها لكني حينها لم افكر قط في علاقة من اي نوع ولم يدرك بالي اي همس غير انها كانت تقربني؛واصلت مشيبي عائدا الى البيت وقد كف عني ذلك الصوت مذ تبادلنا اول الكلمات وانتهت هذه الصدفة بان عرفت قريبا جديدا واضفت صديقة مميزة ومرحة الى لائحتي الفارغة؛التي كنت قد فسخت كل اسمائها منذ فترة وحصلت هي على المرتبة الثانية بعد صديقة اخي التي تعرفت عليها منذ اكثر من عامين واعتبرتها اختي الصغيرة التي حرمت من اكتسابها؛وكان

لها نفس الشيء اذ حصلت على قريبين جديدين وازافت صديقين الى حياتها التي سعت لتجعلها تبدو جميلة ومستقرة رغما عن انف مشاكل الحياة.....

كانت اول رسالة تصلني منها تلك الليلة منذ وقت طويل لم نتحدث فيه تراسلا؛ لم ألبث ان ادركت المنزل حتى وصلت رساتها الاولى تتسائل؛

«هل وصلتكم البيت؟؟»

«اجل وصلنا لتونا...»

«جيد...»

«طيب نتحدث لاحقا سانام فغدا بداية الاسبوع طابت ليلتك.»

كانت هذه الاربعة رسائل كافية لفتح الباب لكل تلك المحادثات التي تلتها وقد بدأت تلك النقطة الصغيرة بداخلي تنمو ببطئ حتى اني لم احس بتطورها البتة وقد بادلتني نفس الشيء اذ كانت قد خلفت بداخلها وجهة نظر مميزة نحوي ورغم كل ذلك فلم يخطر ببالي ولو مرة بعد لقائنا الاول انشاء علاقة ثم تطويرها ومتابعتها بل كان مجرد انجذاب لا اكثر فقد جمعتنا نفس الافكار ووجهات

النظر ونفس الصفاة والميزات وكانت سببا لانشدادنا لبعض
لكن لم نكن اكثر من قريبين ومجرد صديقين اصبحت
تقربهم الافكار شيئا فشيئا لتشابهها وتطابقها؛ اذ كنت
كأني وجدت توأمي الضائع وقد وجدته فعلا وكان لها نفس
الرأي...

اصبحت ادرك رويدا حينها ان انتظاري في ايجاد صديق اكون
معه في تطابق وتمائل في الافكار والتصورات والفهم
المعمق للمصطلحات الحياتية قد انتهى بعد ان طال
وجعلني اضجر واتخذ الاغاني رفيقة مؤقتة؛ لاجد نفسي
قد حضيت وكسبت اظرف صديقة يمكن للانسان ان ينعم
الله عليه بها حتى صرنا بعد ذلك على تواصل دائم لا تكاد
اخبارنا تنقطع بتاتا....

مر اسبوع على ليلة لقائنا الاولى وكنا قد تابعنا اخبارنا
واحوالنا بانتظام لكنني لازلت في لامبالاتي التي كانت
تكبلني وتشدني لاعماق اعماقها؛ لم تزر بالي اية فكرة
بان تكون لي معها علاقة حب او ما شابه بل لم اتصورها
حتى في احلامي التي كنت في اغلب الاحيان انساها
بين الليل وبلوغ الصباح فكيف يمكن ان تخطر ببالي فكرة
ان انشأ علاقة مع فتاة عرفتھا لربع ساعة بعد ان جمعتنا

صدفة غريبة الاطوار وانا الذي اكدت عزمي منذ فترة على ان اترك امر اللحاق بالفتيات جانبا فحتى قلة اهتمامي بهذه الامور كانت لتمنع هذه الفكرة من مجرد الطوفان او الاقتراب حذوي؛ كان من المستحيل ان تأتي لبالي مثل هذه الفكرة.....

كنا نتحدث كثيرا عبر رسائل الفايسبوك وقد زاد امر استبعاد فكرة اني وهي قد تجمعنا علاقة يوما ما هي ان حدثتها عن صديق اخي الذي كان معنا في تلك الليلة وهو الذي كان من محبي الجمال الخارجي ومتابعي قصص البناء عن كذب وقد اعجب صديقنا بها وصار يذكرها طول الوقت كلما اجتمعت معه واخي؛ لم يتعدى اعجابه الى الحب لكن اعجب بها واستعان بي بكوني كثير التواصل معها وبكونها صارت صديقتي المقربة وقريبتني سلفا، اذ طلب مني محادثتها في امر اعجابه بها عساه توافق على تنشأ بينهما علاقة تنتهي حسب قوله بالزواج ورغم ميله الكبير الى ملاحقة الفتيات الا انه كان يفكر بالارتباط لانهاء هذه العادة السيئة حسب قوله؛ لكنني لم اعره اهتماما في البداية وضمنته يسعى وراء المرح واللهو واخبرته انها ليست من ذاك النوع الذي ينشأ العلاقات الغرامية سعيا

وراء قتل الروتين واسكات الشهوة بل اجتمعت معي في فكرة ان علاقات الحب لا تبني الا على اسس صلبة وواعية لكي ترسخ وتدوم؛ كان كلما رأني ذكرها لي وترجاني ان اطلعها على الامر حتى تبدي رأيها فيه وقد كانت علاقتنا قد تطورت واصبحنا نتواصل كثيرا وكان هذا ما جعله يطلب عوني في امره هذا وبعد تردد مني قررت معرفة رأيها في الامر رغم تأكدي و يقيني المسبقين انها سترفضه وتسخر من رغبته في انشاء علاقة لا قوام لها فالعلاقات حسب ما توافقنا عليه اما ان تبني على ارضية صلبة تحمل ثقلها بعد مرور وقت واما ان تتجنب لان الخطأ قد يكون كارثيا.....

توطدت علاقتنا وصار الانسجام بين أفكارنا ظاهرا حتى صرنا نتواصل اكثر فاكثر طول اليوم وكنت قد ميزت اسمها في قائمة رسائلي بان وضعت بدل الاسم تسمية وكان اقربها الى وصف علاقتنا ان جعلته ****أختي****؛ كنت كثير السؤال عليها وعلى حالها ومستجداتها وما زاد ونقص في حياتها وكانت تجيب دائما ان حياتنا مازالت كما هي ولم تتغير منذ اربعة سنوات؛ لطالما التمسست في رسائلي شيئا غريبا شدني الى متابعة يومياتها عن كثب اكثر كنت اشعر ان شيئا ما ينقص عليها سعادتها التي كانت تصطنعها من

ابسط الاشياء من حولها لكن فرحتها الكبرى وابتسامتها الصادقة كانت اختها الصغيرة التي ملأت عليها الدنيا بهجة ومرحا بسبب ما حملته لها الدنيا من قسوة وعبوس ووجدتني انحاز اليها اكثر واهتم بها اكثر فاكثر حتى بدأت اشعر بان تلك النقطة التي خلقة في تلك الليلة صارت اكبر مما كانت عليه وصرت اشعر بثقلها داخلي لكن رغم ذلك فان تلك الافكار لم تزرني قط وواصلت اهتمامي ومتابعتي لها بكونها قريبتني وصديقتني التي صارت مقربة مني واختي التي تكبرني بثلاث سنوات وتواصلت لامبلائي في احاطة سلاسلها الحادة حولي حتى اني نسيت امر ذلك الصوت الذي شدني اليها اول مرة وهو الذي من المفترض ان يكون محفزا لعلاقة ما لكن حسب رأي فان الصدق احيانا لا تخلق صداقة تنتهي باهتمام ثم حب ثم زواج بل انها غالبا ما تخلق اصدقاء اوفياء طال عليهم الدهر او قصر فان علاقتك بهم لا يفسدها الا الموت الفاني وقد تعلمنا مسبقا ان الحب هو شرط من شروط الصداقة لتكون الصداقة بذلك اشمل من الحب...هذا ما ضننته لوهلة!!!!

ادركت بذلك ان إلحاح صديقي صار يزعجني وانه علي اطلاعها على الامر حتى يريحني من تدمره كل الوقت فقط

كنت ولا ازال اتوتر من شخص لا يمكنه مصارحة الآخرين
بمشاعره اذ لم اشك بل اجزمت ان الصراحة وخاصة في
المشاعر لا يمكن ان تكبت لانها حسبي شئ مقدس
فمشاعر الانسان هي شخصيته وهي التي تتولد منها
افكاره وتتدفق عبر مخيلته لتتحول الى ما يدلي به الانسان
من اقوال وافعال تخص كل مجالات حياته فحين يفرح او
يسعد بشئ ما فهو يغني ويصرخ ويقول احسن الاكلام
اما حين يحزن ويضجر فهو يبكي وينحب ويقول الفاظ توحى
على الشئم والعبوس!! أوليست كل هذه المشاعر تتولد
عن الانسان؟؟

أوليس الحب شعور بالانجذاب والتعلق بشخص ما؟؟

اوليست الاخوة شعور؟؟

اوبيست الصداقة شعور؟؟

كلها مشاعر لكن لماذا اختلفت وتفرقت ولم تجتمع كلها
في الحب ولكل منها خاصيته فالصداقة فيها حب لكنها لا
تضفي الى ما يضفي اليه الحب والاخوة فيها ما يكفي لحد
خلود العلاقة لكن طريقها لا يوصل الى ما يوصل اليه الحب
ونغوص في دوامة من الاسئلة لكن الجواب بسيط فالحب

لا يعرف الخلود والرساخ؛ فالصداقة شرطها الحب لكن الحب شرطه الفراق والعذاب والالم والموت النصفي.

قبل لقائنا الثاني والذي كان صدفة كمثل سابقه عزمت على اخبارها بامر المعجب والمحب؛ كانت رفقة جمع من اقارئها حين التقينا للمرة الثانية وهم في ذات الوقت يقربونني وكل قرابة جمععتني بها كانت امي منبعها وقد اقتصر هذا اللقاء على بضع دقائق حتى اني لم ازد عن كلامي شيئا في محادثتها غير اني سألتها عن حالها بعد ان صار يهمني اولسنا صديقين مقربين وانتهى اللقاء ان ذهب كل منا في حال سبيله الا اني شعرت بنفسني تدفعني الى الاتصال بها لعلها تتيح لي بعض الوقت لمجالستها فودعت امر الاتصال لآخي الذي اراد ان يعرف مكانها لنقصدها الا انها تعلت بعودتها للمنزل بعد سباحة ليلية وانها لن تخرج ثانية وتوقف الاتصال بان تمنى لها آخي ليلة سعيدة ولكن هذه المرة كانت مختلفة فقد تتالت الاسباع حتى تقابلنا مجددا وقد تعودت انا وآخي وفي بعض الاحيان يكون نفس الصديق معنا على زيارت ذلك المكان الذي جمعنا لكن هذه المرة اختلفت معي الاشياء اذ كنت كثيرا ما المحها تمر على مقربة مني لكنها لا تراني

ولا تدرك ان تلمحني لكثرة الحشود ولم اكن بدوري اناذيها
او اشد انتباهها كما انتابني شعور اللامبالاة مجددا وصارت
تمر امامي غير مهتم انها مرت وكنت في كل مرة اوصي
اخي بعدم مناداتها او احضارها الي وخيرته ان يذهب اليها
لوحده ويمتنع عن اخبارها اني اتيت رفقته؛كبلني ذلك
الاحساس مجددا ولم اعرفها انتباهي البتة ولم تكن بدوها
تحس بغيابي او تشعر انها لم ترني منذ مدة فقط بدا الامر
في اوله كما واننا عابري سبيل مرة احدنا على الاخر ومر
الثاني بدورها على الاخر وتواصلت الحلقة؛كانت تعيش
حياتها كما كانت شئى لم يتغير فيها وشئى لم يزد وكان
الامر لي بالمثل؛كنت قد اجبت صديقي مسبقا بما كانت
ستقول لكنه اراد رأيها ولم يدرك ان رأينا سواء؛كانت
تحدثني بعد لقائنا الثاني عن إن كنا سنلتقي في نهاية
الاسبوع فاخبرتها اني لا اجزم ذلك فتفهمت وعم صمت
على رسائنا دام ساعات حتى المساء احييته انا مبادرا
بالسلام ثم ادلفت قائلا بنبرة الذي يحمل بين كلماته
موضوعا لصديقتة المقربة؛

✕اسمعي!!

✕نعم ماذا؟؟

«صديقنا الذي كان معنا تلك الليلة يريدك!!»

قرأت رسالتي وكانت اول مرة تجيب فيها عن السؤال متأخرة وهي التي عرفتھا بسرعتها في الاجابة وشدة فطنتھا وخفة بديھتها؛ كانت تكتب كمن يحزر نسا ويخمن ماذا يكتب فيه ثم ادركتني متسائلة؛

«ماذا تقصد بيريدني؟؟»

«اي انه معجب بك ويريدك في علاقة رسمية وجدية لا اضنها خمنت في جوابا ولا اضنها كلفت نفسها عناء التفكير وبدوري لم اكن انتظر جوابھا فانا اعرفه سلفا واعرف تفاصيله الساخرة لانھا كانت تصد عنها تلك العلاقات لسبب كنت لا ازال اجھله لكني تركت معرفته للايام؛ لا اضنها حتى ادركت ماذا كتبت لي وقتھا فقد نزلت عشوائيا وكونت رسالتهھا التي لطالما عرفتھا؛

«اخبره اني لا اريد...»

قراتهھا احتراما لكون تلك الرسالة كانت ردا على رسالتي لا جوابا عن سؤالي لكني تذكرت الحاح صديقي عليها واعجابه الملحوظ بها فقد كان يتلھف لمعرفة جوابھا املا ان يكون ما سيسمعه هو نفس تصوراتھ لكني اردت حسم

الامر كي اقطع الشك في خاطره فاضفت ملحا عليها
ومقنعا رغم اني كنت جازما اني لن اكسب من الحاحي
غير السراب؛

«فكري في الامر صديقتي فهو شاب ذو طموح كدح في
عمله حتى ادرك انشاء بيته بعرق جبينه ولم يتبقى له الا
جميلة مثلك تعمر منزله وانا ما كنت لاعرض طلبه عليك لو
علمت انه لا يصلح بمقامك الذي اراه عاليا والمهم في
الامر انه يريدك بنية صافية حلاله وزوجته.

قلت هذه الكلمات وبقيت انتظر الجواب كي اريه لصديقي
الذي ينتظر قبولها للطلب في لهفة لكنها اجابت وقد غطى
جوابها بساط من الضحك والسخرية والمزاح جعلني اقرء
الرسالة ليس لشيئ اكثر من ظرافتها اما عن الجواب
فكالعادة عرفته مسبقا؛

«قلت اخبره اني لا اريد واضف له اني والنية الصافية لم
يسبق لنا ان تقابلنا ابدا وكف عن إلحاحك في هذا الامر
واجعل لنا موضوعا اخر نناقشه ولا تجعلني آتيك واشبعك
ركلا فالتبقى صديقي...»

كان هذا جوابا كافيا جعلني اقنع به تعيس الحظ ذاك حتى ينسى امر الفتاة ويريحني من تدمره المتواصل وقد جاء رفضها له قبل لقائنا الثالث بأيام قلائل وهو اللقاء الذي جعل من علاقتنا تصبح اشد صلابة من قبل بعد ان كنت اتمنع رؤيتها والوقوف عليها وجعل صداقتنا تتوطد اكثر حتى دخلت صداقتنا طور الخلود وأدركت أذهاننا اننا سنكون اجمل صديقين كانا قد تعارفا في اطار صدفة عشوائية 'في نظرنا' لكنني ايقنت في وقت لاحق انها صدفة من نسج الاقدار فقد كتب لنا اللقاء فكانت الصدفة الوسيلة الارقى في نظري حينها....

ادركتنا نهاية الاسبوع الثاني والتي جمعتنا في لقائنا الثالث لكنه لم يكن صدفة كسابقه وقد انفردت هذه المرة باخي الذي كان من دبر اللقاء معها وكنت على علم سابق بذلك؛بلغت بنا اقدامنا الى مكان اجتماعي الاول بها الذي عج حينها بالحاضرين من كل الفئاة وعم الضجيج وسيطر صخب الغناء وصوت مكبرات الصوت على المكان باكملة لكنها لم تكن هناك ولم المحها عند وصولنا؛اخذني شعور اني ابحت عنها بعيني بين الحشد وراقب من له حركة جالبة للانتباه وهي التي تميزها عندي عن البقية؛واصلت

مشيبي وبحثي وكان اخي كعادته يرشق الفتيات بنظره غير مدرك من فيهن اجمل من الاخرى وواصل في العابه هذه وكنت اعجب لامره كيف لا ينهكه الملل من هذه السخافات ولكني لم اجد ضالتي التي ايقنت في وقت بان شعور اني ابحت عنها لم يكن مجرد شعور بل كان في الاساس حقيقة فقد كنت انتظر ان تبصرها عينا في احد الاماكن الا ان كل محاولاتي ناولتني الخيبة والياس بل وتوقفت عن البحث اصلا على من ابحت انا؟ولماذا ابحت عنها في الاساس ماذا اريد منها فالاصدقاء امثالنا غالبا ما يلتقون رغم ما تربطهم من محبة ووفاء؛عادت اللامبلات تسيطر على تفكيري حتى انهيت بحثي الذي تواصل منذ وصولنا لاني لم استطع الاجابة عن تسائلي وعن سبب بحثي عنها وهي التي كانت بالنسبة لي حينها مجرد صديقة عابرة لكل منا حياته التي تلهيه عن الاخر ولا تجمعنا الا الصدق رغم القرب الذي كنا فيه ورغم تواصلنا الدائم معها لم اكن اهتم ان تقابلنا ام لم نفعل وكنت مازلت احافظ على فكرة تشبثت بها قبل حتى ان اعرفها وضللت اخلاها في حياتي ورغم صعوبتها في ذلك الوقت الا انها اعجبتني وهي ان امتنع عن اقامة اي علاقة او ان

ارتبط بفتاة تحت مسمى الحب وهو الذي شوّهه بعض الساذجين وجعلوا منه رداء يغطي افعالهم القذرة منذ زمن لكن لم يكن هذا هو السبب الذي جعلني ارفض العلاقات وكان لقلة اهتمامي ونفوري من التحدث الى الفتيات دورهما الواضح في تطبيق هذه الفكرة اذ ان لامبالاتي بما يحدث حولي في ساحة ملأت بالمراهقات اللواتي كان جمالهم يجلب اية انظار قد اكدت لي ذلك؛ في الحقيقة لم اكن ابحت عن الجمال الخارجي والظاهر بقدر ما كنت اسعى وراء جمال العقل والروح.....

كنت قد بدأت اشرد في ما يحدث حولي من حركة وكففت عن البحث عنها الا اني تذكرت ان اخي قد دبر اللقاء معها منذ بداية الاسبوع وقد حدثني ايضا عن الموضوع واستحضرت كذلك انها قالت اننا سنجدها في المكان المعتاد فقمتم بمحادثتها على امل ان اعرف مكانها واقصدها؛ كنت قد اخذت رقم هاتفها قبل ذلك بيوم وقد غابت صدف لقائنا مذ ادرج اسمها في قائمة هاتفي وصرنا ندبر اللقاءات قبل حدوثها؛ رن هاتفها وادركت في برهة من خلال الضجيج الذي سمعته انها على مقبرة مني واننا لسنا ببعدين عن بعض وقد تأخرت عن الموعد بسبب من

كانو معها وطمأنتنا انها ستأتي في حينها فالتزمنا الانتظار
وعدت الى بحثي علني اراها قادمة...

كانت مع اختها التي تكبرها سنا وبعض من اقرباها حين
بلغتنا اخيرا وانتهى بذلك بحثي وانتظاري وباشرنا الحديث
وقد كان هذا اللقاء هو الذي خلصني من جزء صغير من
لامبالاتي وصارت اللقاءات بعده تكاد تكون مقدسة بين
صديقين بدء تقربهما من بعض ملحوظا بعد ان كنت المحرثا
في بعض الاحيان ولكني امتنع عن مناداتها لسبب لم
افهمه اذ لم نتقابل بما يكفي ليحدث بيننا خصامات وكان
بذلك امر خصامنا مستحيلا ومستبعدا؛وقفنا على مقربة
من الحشد نتابع الحفل ونغني مع الحاضرين في انسجام
مع المنشطين؛كانت تلك اول مرة اندمج فيها وشارك في
الغناء والرقص مع احد بعد ان كنت اکتفي بمتابعة ما يجري
حولي بناظري في حين ان اغنياتي هم من كانوا
يأخذونني بخيالي بعيدا عن المكان الذي اوجد فيه؛شعرت
وكانما مغناطيس شديد القوة يجلبني الى الضحك
والاستمتاع معها لكني كعادتي لم اعر الامر اهتماما فنحن
اصدقاء وهذا طبيعي ولم نشعر حتى باننا تركنا الحفل
وجضيضجه ودخلنا في دائرة من الاحاديث والتفيسيرات

وقد صرت متأكدا الان انها من محبي المتعة والاجواء
المرحة وممن يصنعون سعادتهم من لا شئ رغم ما في
قلوبهم من هموم وحزن لكنني أحسست في نفس الوقت
ان وراء تلك السعادة التي كنت اراها في ملامحها ووجهها
سرب من الاحزان والالوجاع وقد رأيت ذلك في جزء صغير
من عينيها والذي لم تنجح في اخفائه عني لكنني لم ابالي
بما احسست وواصلت محادثتها.....

كان الضجيج يحيط بنا ويملاً كل زاوية وقد كانت كل الليالي
مميزة بهذه الحفلات لاجل ايام الصيف؛كنت اقف الى
جانبها بنينا اهتم اخي بحديثه مع اختها الكبرى والذي
اخذ شكل المزاح لكنني لم اكن اهتم بأي شئ ممن
حولي ولم اعطي بال لما يفعله اخي او لمشاغبته مع
الاخرين ولم اكن اعرف حتى نوع الموسيقى التي يغنونها
او حتى نوع الصوت الذي يكاد يمزق اذني فقد انعزلت
عنهم واخذت احادثها واسئلهما عن حياتها وما جد فيها
فكانت تكتفي باجابات مازحة ومضحكة كعادتها وهو الامر
الذي جذبني اكثر الى توطيد علاقة صداقتنا التي لا تزال
في عمر رضية في طور النمو؛

كانت هذه اللقاءات الأولى شبيهة بنقطة عبور الى اهتمامنا بمستجدات بعض وقد ادت صدفة لقائنا الاول دور الجسر الجميل الذي عبرنا خلاله الى ضفة الصداقة المتينة والقرابة التي كانت تزداد مع ازدياد اللقاءات وتتاليها بعد ان كان تعارفنا مجرد رسائل قصيرة انقطعت لفترة وانتهت بتعارف سطحي وغير مبال وتواصل اهتمامنا وتواصلنا الكثيف بعد اول المقابلات وحتى ذلك الوقت ما زلت قد تشبثت بقلة اهتمامي بالعلاقات والارتباطات بكل انواعها الا اني اكتفيت بهذه الصداقة الجديدة والتي اكسبتني فتاة ظريفة الطبع وغريبة التصرفات والتي كانت تفاجئني بافكارها وطلائعها التي كنت اراها تميل الى اجواء المراهقين الذين هم اصغر منها سنا؛ شد اهتمامي مزاحها الخفيف وحركتها التي لا تعرف توقفا ووجوهات نظرها التي لم تختلف عني في شئ فكلانا نسخر من علاقات الحب وكلانا نميل الى خلق جوه الخاص من اشياء بسيطة من حوله وقد راققت لي تصرفاتها التي تخلق جو من الفرح وكنت كثيرا ما اقول لها مازحا وضاحكا انها لن تتزوج ابدا بسبب جنونها هذا فتكتفي من جهتها بالضحك كعادتها وتقول انها لا تهتم فالامر لن يقلقها؛

شارف اللقاء على الانتهاء ومازلنا منغمسين في تبادل الاحاديث وكانت الاصوت والالغاني تتغير ولم نكن نفهم منها شيئا ولا حتى مهتمين بها وقد اخذ منا الوقت في الضحك ولم ادرك قط علام كنا نضحك لاني ما كنت افعل شيئا الا مسايرتها؛ كنا لا ننهي م موضوع حتى نمر للذي يليه وكانت تلك الابتسامات لا تفارق وجوهنا كما لو انها عزمت على جعل كل ثانية من حياتنا ضحكا وفي عمق هذه الاجواء اخذني فضول لاستكشاف ما يدور في عالم حياتها الشخصية وارتدت التجول لبرهة في كونها الخاص؛ ربما كان فضول صديق اصبح قريبا منها جدا او ربما فضول المعرفة والاطلاع الذي تميز به عقل كل انسان او ان اهتمامي الذي كان يتزايد شيئا فشيئا هو السبب وراء ما اردت معرفته لكنني لم ادرك وقتها لماذا سألتها في شكل مزاح ومداعبة؛

«هل يشغل بالك احد ما؟؟»

فضحكت حتى ظهرت تلك الاسنان اللامعة في اصطفاها الانيق من جديد شعرت من خلال تلك الابتسامة اني قد قصت لها احد النكاة لكنها لم تمتنع عن اجابتي وقد اثارت لي تلك الاجابة اسبوعا كاملا من الحيرة وكانما اراد احدهم

ان يقنعني ان ماء البحر حلو المذاق وحتى اجابتها لم تكن كافية لاسكات سؤالي؛ لم تلبث طويلا كعادتها حتى اجابة بثقة من يريد لجوابه ان يكون قاطعا؛

«لا احد يشغل بالي ولم يشغل بالي احد قط حتى يومي هذا.

كانت هذه الكلمات كافية لتفتح نفقا عميقا اما صديقها الذي لم يكذبها القول بل انه لم يستطع التصديق ولم يقدر حتى على محاولة اقناع نفسه بتلك الاجابة التي كانت تفتقر بلا شك الى المنطق وقد عرف عن الهندسة انها تركز على المنطق كركن من جملة اركانها الاساسية فكيف لها ان تقول لي انه لم يسبق لها ان ارتبطت او احبت شخصا وجعلته يشغل بالها ولكني تركت لاحقا فكرة غياب المنطق في جوابها وذهبت بفكري الى سؤال زاد في حيرتي هذه اذ كيف يعقل لفتاة في مثل سنها الذي لم يبلغ الثلاث والعشرين حتى وفي مثل اناقته وجمالها وخاصة ثقافتها الواسعة والتي شملت كل متغيرات الحياة انها لم ترتبط باحد ولو لمرة في حياتها هذه او انها لم تحب قط؟؟ وقد جعلني هذا الامر اتوه في امرها واشعر اني اواجه معادلة مستحيل حلها؛ ادركت من جهتها اني لم

اقتنع بما قالته وضنت ان تبسيط الامر لي سيحل المشكل وسيجعلني استجيب لتبريراتها لكن الامر لم يكن يتطلب تبريرا او محاولة اقناع منها لان جوابها كان محظ شيئ من المستحيل ان يصدق فلا منطوق حياتنا ووقتنا حينها يؤيده ولا انا حاولت اقناع نفسي به لان الامر كان محسوما وقد ادركت بدورها ذلك لكنها بررت رغم ذلك بانها امضت كل طفولتها التي شملت المدرسة وفترة الاعدادية ثم الثانوية وما تخللتهم من مرافقة في اللهو واللعب والمرح مع الاطفال والاولاد الصغار وابناء حيها ولم تعطي بالا ولم يكن لها الوقت لانشاء علاقة حب او غيرها كما ان امر انشاء مثل هذه العلاقات او عدمها لم يقلقها قط اذ لم تكن تنحاز اليه وقد كان رفضها لتلك الارتباطات متجذرا منذ صغرها...

هكذا دعمت جوابها وبررته بنبرة ثقة مبالغ فيها وقد كانت ابتسامة التظليل مرافقة لكلامها لكنها لم تكن الا تبريرات ايدتها وظهرت تفهمي لها ظاهرا لكن هاجس رفض الاقتناع بالامر واستحالة ان يكون صحيحا ظل يدغدغ باطني وقد فتح امامي اصرارها على اقناعي ثغرة واسعة من الحيرة لكنني كنت ممن يختارون الامر ما فيمعنون البحث على عكس من يحكمون على الاشياء من ظواهرها

لكن الاجابة القاطعة لا تأتيني الا بعد تفحص عميق ونظر واسع وقد كانت الفرضيات والاحتمالات اسلوبي الذي ساعدني في تجنب ظلم من هم حولي لكنني احسست بشدة ان جانبها الباطني المتعلق بحياتها الشخصية او بالاساس اعماقها التي طالما شعرت انها تخفي شيئا كانت تشدني اليها وتدفعني الى استكشافها وايقنت ان علي السيطرة على نفسي وتمالك رغباتي الفضولية حتى لا اغرق في تفاصيلها الغريبة اكثر؛ انتهت مقابلتنا تلك بان عزم من معها على شرب القهوة والجلوس لآخذ قصت من الراحة بعد كل ذلك الصخب الذي احدثوه تابعين الغناء؛ اصررو عليها لتذهب معهم وقد حسم اصرارهم لقائنا هذا واخذو بها يعيدا عني وسرعان ما ضجرت بعد مغادرتها وهممت واخي بالرحيل بعد ان عرفنا ان اقربائها قد سرقوها منا واخذوها الى حيث لن تعود مجددا ليلتها...

جعل هذا اللقاء علاقتنا تتطور قليلا بعد وكنا كلما التقينا اكثر كلما صارت صداقتنا ترتفع اكثر الى السماء وقد اشرفت بلوغ السحاب حيث توجد نقطة الاهتمام المبالغ فيه والعناية المفرطة التي كانت في بداية نموها مما دفع بالثقة حتى تملأ مكانها في صداقتنا بعد ان كان مجلسها

خاويا لا تشغله الا اللامبلات وتواصلت محادثاتنا واستفساراتنا عن بعض وكان تلك الحيرة لا تزال تلازمني وتأبى الرحيل عني او مغادرة تفكيري فزاد اهتمامي المفرط بها وبتفاصيل حياتها وقد بادلتني المعاملة ذاتها وكم كان جميلا ذلك الشعور بانني حظيت بصديقة مقربة مني الى ذلك الحد لا يكتمل يومي اذا لم احدثها فيه وكنت اشعر بضجر اذا ما فتحت حسابي في نهاية اليوم ولم اجدها متصلة لكنني كنت لا انتظر كثيرا حتى تفتح هي الاخرى حسابها ونباشر المراسلات حتى وقت متأخر من الليل واحيانا حتى الفجر واذا ما انتظرتها ولم تأتي كنت لا اتردد في الاتصال بها حتى اطمأن عليها؛ وقد بادلتني بمثل اسلوبي ولم تكن تمتنع عن السهر طويلا معي اذ لا يكتمل يومها الا اذا ما راسلتني وطمأنتها اني بخير وانني افتقد الجلوس معها وافتقد مزحها وحنونها اللافتين حتى انها لم تكن تمل من التحدث إلي عبر الرسائل فكنا نروي قصصا ونفتح مواضيعا لا تنتهي، لساعات لم نكن نحصي عددها.....

كنت قد بدأت اعود على سرعة الوقت في المدينة وكان امر مضيه الذي كان يتقلص مع مرور كل يوم يثير انتباهي

لكني سرعان ما اندمجت وحاولت التأقلم وحولت جزءا من لامبالاتي وخصصتها لتجاهل الوقت وقد نجحت في ذلك واصبحت اعيش كل الايام بنفس الاسلوب اجعل كل يومي ملياً بالاشغال والاعمال حتى لا اشعر بمروره ولم اكن اترك غير المساء شاغرا؛ كان المساء كله مخصصا لها ولمحادثتها والاطمأنان عليها ولم اكن اضيع اي دقيقة من المساء فمن اول لقاء بها واول رسالة ابعتها لم اكن اتركها بحالها الا في منتصف الليل او بعد ذلك بكثير وفي اغلب الاحيان كنا نسهر حتى الفجر ثم نتمنى لبعض يوما جميلا وتغط هي في سبات عميق يدوم حتى يشرف النهار على الانتصاف؛ كانت قد اتخذت النوم صديقا الى جانب صداقتنا؛ كان الوقت يصر على الاسراع مع مرور كل يوم لكنني لا اشعر بمروره الا عندما احادثها وكنت قد بدأت انزعج منه واضجر وحتى جزء اللامبالا الذي خصصته له لم يعد يفي بالغرض حتى اني ادركت حينها نظريتي الخاصة والتي تأكد ان المدن تنهش عمر الانسان وتحوله الى فتات دون ان يشعر به يتجزء حتى يصير تربا وقد لخصتها بعد ذلك الى ان عيشك في مدينة نشيطة وصاخبة يجعل عمرك يمر كالبرق من امامك الى درجة

تعجز فيها عن رأيتها او ادراك لونه او شكله رغم انه مر امامك توا وقد لاحظت ذلك...

وتم تاكيد مقولتي عندما كنت اراقب الطريق الذي يطل عليها منزل اخي الذي يكبرني وهي الطريق التي توصلني الى منزلها حيث تسكن؛ كان الطريق لا يفرغ من السيارات على مدار اليوم باكملة لكن السير به يتقلص خلال الليل؛ ورغم ان الليل كان اقصر من النهار الا ان الوقت يمر اسرع في النهار؛ ادركت انهما نظريتان متضاربتان لكنهما يحصلان فعلا؛ كانت الدقيقة بالنسبة لي تمثل سبارة مرت من امامي تتبعها سيارة اخرى ثم تليها اخرى في سرب طويل لا يقلصه الا حلول الليل لكن الناظر دونن تعمق يدرك ان بين كل سيارة واخرى مدة زومن لا تتجاوز الثانية او الثانيةين او ربما عشر ثوان لكن تبين او توقيت المدن مختلف تمام لانها نشيطة ومزدحمة ولا تنقطع فيها الحركة اذ ان بين كل سيارة والتي تليها دقائق تعد لذلك فاني اجزم ان عمر الانسان المتمدن ينشطر نصفين اذ انه يدرك نصف واحد اما النصف الاخر فيتبخر كمثل حبات الماء التي تتحول الى ندى ويدعس تحت اقدام الوقت العملاقة وفهمت حينها سببا من اسباب تفضيل البعض للحياة

الريفية والتي تختلف عن حياة المدن كاختلاف الليل والنهار....

تواصلت رسائلنا وتواصل حديثنا المطول وقد كنت اسألها كل يوم عن قصة حبها ووارتباطها التي لم تحدث قط واصررت على اني لم اقتنع ولا اظن اني سافعل يوما وكنت اطلب منها على الدوام اقناعي بالامر رغم تاكدي انه مهما بررت وقالت واولت فان الامر كان مستحيلا وقد حسمت المسألة مع نفسي مسبقا ولكني لم احسمه معها وهذا ما اوحد في داخلي مزيدا من الحيرة حتى بدأت عنايتنا ببعض تصير ظاهرة ومثيرة للانتباه لكلينا وادركنا في نفس الوقت ان كلينا يهتم الامر الاخر ويسعى وراء معرفة اخباره لكن ابدا لم تراودني الى حينها ولا هيا فكرة تحويل تلك الصداقة الى علاقة اخرى مثل الحب وقد كان كل ذلك القرب هكذا بلا سبب يبرره وقد صادف ذلك مع فقدانني للامبالاتي التي طالما لازمتني وكبلتني بسلاسلها الحادة والعملاقة مما جعل الحيرة والهوس يزورانني ليلا عندما ابشر مراسلتها وتباشر اخباري بما حدث معها وما تخطط له في اليوم التالي؛

لم كل هذا الاهتمام ببعض؟؟

لماذا استمتع بمراسلتها والتحدث إليها حتى اني لا امل
منها؟ لماذا صرت اتابع اخبارها عن كذب وباهتمام وامست
تبادلني نفس المعاملة؟

اهذا ما تعنيه الصداقة فانا لم اجرّبها من قبل قط ولم تكن
لي صديقة مثلها مثلما الامر بالنسبة للحب؟؟

هل كل هذا الاهتمام هو الصداقة؟؟ اسئلة صارت هاجسا
يزورني كل يوم كيف لصدفة ان تحمل في طياتها كل هذا
الاهتمام... لو كان اهتماما لما شردت هكذا لكنه كان
اهتماما مبالغاً فيه، لماذا اذن؟؟ كنت قد اتخذت التعمق في
فهم الاشياء مبدأ وجعلت لكل حدث احتمالاته وهكذا
ادركت انها الطريقة الامثل لاتجنب الظلم في كل
المجالات؛ كانت تذكرني على الدوام بان لا اتنسى موعد
نهاية الاسبوع او تحذرنى حتى لا امتنع عن المجيئ، بعد
ان كنت اقول اني لا اعدّها وان ذهابي في دائرة المجهول
وتجيب من جهتها انها لا تهتم لكنها لم تكن تخبرني
بشيئ بل كنت التمس ذلك في اقوالها الغير مبالية ان
جئت او بقيت "كما تريد" كانت هذه العبارة كافية لتاكيد عدم
اهتمامها وكان عدم حرصى على الذهاب الى تلك
الحفلات مماثلاً.....

تطورت صداقتنا من الحسن الى الاحسن في وقت ليس بطويل الا اني لا احادثها الا مساء وقد كانت تمضي طول النهار في مراسلة اخي اذ لا شئ تقوم به او تفعله غير التنزه او التردد على البحر مع اقاربها او تلك الحفلات في اخر الاسبوع فقد كان صيفا وهو بذلك وقت عطلة اذ لا دراسة حينها؛قارب الاسبوع على الانتهاء واوشك موعد لقائنا القادم والجديد وقد لازمني شعور اني انتظر ذاك اللقاء بصبر كان ظاهرا على ملامحي او على تصرفاتي وانا في انتظار اليوم حتى تغيب شمسها وينتهي ليله الذي كان في الاساس نصف ليل؛كانت تلك المصاييح الضخمة التي تملأ الشوارع وتزينها تسرق صفة الليل منه إلا اني لم اكف يوما عن تعمقي في الاشياء فقد كنت اسمي فترة الليل في المدن بالنهار المصطنع اذ ان تلك الانارة تنقص من هيبة الليل الذي كان يكدح للسيطرة وبسط غطاءه المعتم ونشر ظلمته في كل ركن الا ان التقدم والانسان يحولان دون ذلك فحتى الليل صار مهددا بالانقراض امام حياة انجبت مولودا جديدا أسمته التقدم؛لا احاول نقد التقدم او الدعوة الى الجهل؛التقدم شئ جيد ورائع يجعل من المجتمع والدول يرتقيان الى الافضل لكن

الحق يقال واحيانا ينقد به فالليل قد فقد صفته وهو في طريقه الي الانقراض والانعدام بكبسة زر احمر صغير.....

نهاية الاسبوع اخيرا ويوم الاحد تحديدا والليل كان توقيتنا المعتاد فقد حكمت لنا الحياة ان نشتغل صباح الاحد حتى المساء ونسعى في نهايته الى التملص من اصفاد عملنا لننال قصتا من الراحة نريح فيه بالنا ونغير اجواء اسبوع كامل تنوعت فيه الحكايات وتفرعت الى اتعاب ومشاكل في العمل واططرابات في المنزل كما يحدث في كل بيت ولكن حكاية الحب هي التي تطفى في النهاية وتنسينا كل تلك المشاكل الاخرى فتسرح بخيالك في تفاصيلها باحثا عن سبب يجعلك تواصلها وعن سبب اخر يجعلك تكف عنها وبين هذا البحث وذاك تنشأ حرب أهلية بين عقل لا يريد وقلب يريد وفي الحقيقة فالعقل والقلب بريآن من هذا الجرم الا ان السذاجة والتطفل هما السبب الرئيس للقصة؛ هذا كان حال اخي الذي يصغري لا حالي فانا لم اجرب الحب بعد....

حل المساء وحل معه الهدوء وانتهاء العمل وقد كسبنا طول المساء وما بقي من الليل حتى الفجر لنرتاح ونسترجع عافيتنا التي كاد يقتلها الوقت المبرق والعمل الذي لم

تكن الراحة او حتى مجرد اسمها من مفاهيمه لكن رغم ما حملته لنا الحياة بين يديها من قسوة ابقينا مبدا رسخ في اذهاننا عبر السنين والايام وهو ما كانت تردده امي طول الوقت على مسامعنا حتى حفظناه؛ كانت تقول ان لا احد ينعم بالراحة مطلقا وحتى من يحظى بها فهي تقتصر على ساعات نومه ليلا وتنتهي عند بزوغ الفجر فالغني ينشغل باله طول الوقت في ماله كيف سيحافظ عليه ويزيده ويكثره والفقير يفيض باله حيرتا وقلقا وهوسا عن ماله كيف سيتدبره ومن اين سيكسبه ورغم ان حال الفقير اتعس واشقى من حال الغني الا ان الثاني يعرف طعم الراحة احيانا ويستمتع بها على عكس نظيره الذي اثقلته ديونه وتزايدت مع تزايد نقوده اما الثاني فمهما بلغت ديونه وحاجاته فهي بسيطة كحلْم طفل صغير شراء دراجة هواء.....

كنا قد بلغنا مقصدنا وزججنا انفسنا وسط الضجيج والاصوات التي تكاد تبلغ عنان السماء اذ مازالت احتفالات ليالي الصيفية في اوج بدايتها وهو الشيء الذي كان يريحني اذ لم اكن مظطرا لإنشاء حفل اجعل فيه صديقتي الظريفة تكون في اجوائها ومرحها فقد كان موجودا سلفا

ولم يبقى لي الا ان ادركها لاجعلها تمضي الليلة معي ومع اخي؛ كانت الاصوات تسيطر على كل المدينة وبالطبع هيمنة الاضواء على المكان حتى اني ضننته لوهلة منتصف النهار لكن اخيرا انتبهت ان هناك من حافظ على ظلمته ليلا واطهر احتراما لما تحمله صفة الليل من عتمة وظلمة ورغم قوة مناراته واضوائها المبهرة فان الضوء لم يفلح في سلب ظلمة البحر وشاطئه الذي يمتد على طول المدينة؛ البحر الذي طالما مللت منه في وقت سابق الا انه صار صديقا لي رغما عن انفي....

كانت قد وصلت قبلنا رفقة اقربائها كما تعودت والذين كانوا في نفس الوقت يقربونني وقد اعانتنا هذه النقطة في انماء صداقتنا لاننا اقرباء قبل ان نكون اصدقاء لكن لم يكن هناك شئ في صداقتنا اهم من اننا اهتمنا ببعض وانجذبنا لكلينا بسبب تشابه افكارنا ونظرتنا للحياة وسخريتنا من العلاقات السخيفة التي كانت قد تفشت وذاع صيتها في وقتنا هذا وهي علاقة الحب والغرام التي تتخفى وراء معظمها شياطين القذارة والاعمال التي لا يغفل حتى الابله عن ادراك انها تعارض شرعنا...

اقتحمنا الحشد اخيرا لكني ممرت مباشرة الى الاتصال بها
ريثما وصلنا ولم اكلف نفسي الانتظار حتى القاها او
تلقاني ولم اجهد نفسي التي تملكها الحيرة والتساءل
مذ اطلعتني بقصة انها لم يسبق لها ان احبت او ارتبطت
باحد من قبل وقد ظل هذا الهاجس يشغلني طول
الاسبوع الذي مضى؛اصبحت هذه الفتاة تشكل مصدر
تساؤل وحيرة بالنسبة لي وقد دفعني اهتمامنا الواضح
بامور بعض الى محاول اكتشاف ما تخفيه تلك القصة
التي روتها لي بشأن قضاء كل طفولتها مع الاطفال تلهوا
وتلعب وتثير المشاكل ولم تجد الوقت لانشاء اية علاقة بل
وان رفضها للعلاقات كان قد تجذر منذ بداية طفولتها؛ لم
تكن هذه الصورة التي قدمتها لي الا مجرد تبريرات اعتبرتھا
تظليلا اختبأ وراءه بحجم كون وضعفه من الحكايات الا اني
لم أظهر ادراكي لتظليلها بل اكتفيت بتفهمني لتفسيراتها
وقد ادركت من جهتها اني لم اقتنع الا اني سايرتها وتركت
حيرتي لي وحدي وجعلت الهواجس تسكنني ولماذا لا
تسكنني الهواجس في امرها فهي في نهاية المطاف
صديقتي التي صارت الافضل والاعز في قائمتي التي لم
تكن تحمل الا إسمها واسم صديقة اخي المقربة...

يرن هاتفها وكانما كانت تنتظر وقد سيطر على مكان
تواجدها ضجة وصخب فتعمدت الابتعاد عنها لتسمع
الهاتف لكن الصوت كان يصر على ملازمتها؛

«طاب مسائك كيف حالك!!»

كنت قد سمعت صوتها رغم الاصوات المتعالية والتي تملأ
الاجواء فأجبت مازحا وقد سمعت صوتها لأول مرة بعد
اسبوع كامل اذ لم نكن نهتم بالمكالمات وقد اكتفينا
بالرسائل طول الليل؛

«ومسائك ايضا ساكمل التحية واجيبك عن امر حالي
حين ارك فاين انت لقد وصلت؟؟؟»

كانت قد اقيمت عدة حفلات ليلتها وتفرق الناس بين هذه
وتلك وقد كانت الاولى تعترض طريقنا على شاطئ البحر
امام برج المدينة اما الثانية فكانت قبالتها في ساحة
واسعة نوعا ما تضيقها الحدائق والكراسي الحجرية ونافورة
ماء وقد سميت ساحة الشهداء الا ان شهيدا لم يمت فيها
عبر التاريخ ولم تكن سوى تاويلات فقط لان المقبرة تحاذيها
مباشرة اما الثالثة فترأستها فرقة موسيقية معروفة نصبوا
عدتهم في مسرح المدينة الذي لم يكن واسعا كفاية لكنه

امتلاً على آخرة؛ انقادت هي وراء رغبة اقربائها وتبعتهم الى احد هاته الحفلات وقد اختار من معها مسرحة المدينة واتخذوا لانفسهم مكانا فيه وتابعوا الحفل حتى منتصفه؛ اجابت محددة مكانها بعد ان خرجت من المسرح لاستقبالي واخي؛

«اكمل طريقك الي مسرح المدينة ستجدني بانتظارك».

لم استغرق كثيرا حتى بلغت مكانها وانا الذي الهفت لرأيها طول الاسبوع لأطمأن عليها واعرف اخبارها؛ اخبار فتاة صارت صديقتي المفضلة والاعز والاقرب الى قلبي؛ سرنا قليلا فقد كانت مسافة ما بين برج المدينة ومسرحها كافية لنستغرق دقيقتين او اكثر لكنني اسرعت وبلغت مقصدي في دقيقة واحدة وكانت بدورها قد وقفت امام باب المسرح لإستقبالي واخي وقد مضى على لقائنا الاخير اسبوع كامل اکتفينا فيه بالرسائل والسهر طويلا وكنت قد صبرت بما فيه الكفاية حتى ادركت صديقتي وقابلتها اخيرا.....

انه لقائنا الرابع؛ كانت قد لازمت الباب حتى ادركناها وتبادلنا السلام والتحية وباشرنا الحديث بعيدا عن ضجيج المسرح وقد رافقتها قريبتها التي كانت تصغرها الى باب

المسرح؛ لم نلبث دقائق على حالنا حتى عرضت علينا الدخول لمتابعة الحفل عن قرب والانضمام الى اقارننا فوأمات مؤيدا الا انا اخي الذي واصل تشبثه بمتابعة الفتية وقصصهن قد انجذب مسبقا الى قريبتها الصغيرة واختار الانفراد معها في جولة بين الحفلات الاخرى فلم تمتنع عن طلبه وغابا عنا بين ازقة المدينة وبقيت عند الباب معها وقد سخرنا من امر اخي الذي كان بالنسبة لنا مرضا سخيفا عليه ان يشفى منه؛ دخلنا المسرح حيث تسيطر مكبرات الصوت على المكان ويتعالى معها صراخات المراهقين الذي كان يزيد الاصوات ضجة واتخذنا لانفسنا مكانا بين الحاضرين واخذنا نتابع الاجواء دون ان ننبس؛ لم نكن من محبي الضجيج والزحمة ولم نتحدث كثيرا اذ كنت احاول اطلاعها عن حالي واسألها عن صحتها فكانت تجيب وتثري لكن بالكاد كنا نسمع بعضنا؛ لم ترق لي الاجواء فقد كان الغناء موجهها لمن ادركهم العمر وتجاوزوا سن المراهقة وكان لها ان ابدت نفس الملامح تجاهه لكن اغلب ضجري كان سببه ذلك الضجيج الذي منعني من محادثتها فتحججت بانه من الضروري ان الحق بذلك الساجذ الذي اختار الذهاب في جولة مع قريبتها وقد خفت في وقت

لاحق ان يواجه بعض المشاكل من الاولاد المغلين والذي كانوا قد ملئوا المدينة حتى صارت لا تكاد تسعهم؛ اكدت على طلبي واختارت بدورها الذهاب معي وقد صادف خروجنا عزم اقربائنا كذلك على انهاء سهرتهم هناك واكمالها في الحفل الاول ووجدتني آخذ الجميع معي واخرج من ذلك الحفل السخيف؛ قصدنا الحفل الاول والذي كان امام برج المدينة وكان افضل بكثير من سابقه اذ توفرت فيه مسابقات واغاني حديثة إنشد لها اغلب الناس وكان الحضور كبيرا وملحوظ فالجميع بدأو يتسربون واحدا تلو الاخر ويقصدون الشاطئ اين اقيم الحفل؛ انجذب معظم الناس من اجل المسابقات التي تدر الهداية والموسيقى الصاخبة والحديثة لا من اجل المنشط والمشرفين فقط كانوا غير قادرين على اثاره الحماس وكانت الموسيقى تطغى على اصواتهم لكن على خلاف الجميع فان المكان والزمان والمحيطين لم يعنيا لي شيئا فقد كنت شاردا ولا يزال حديثها في بالي ابحت له عن حل منطقي وقد ابدت السكوت وفي داخلي كان صوت يتردد دون انقطاع ولا حتى تعب"فتاة عاقلة واسعة الفكر فطنة وذكية مرحة ومن محبي الاجواء التي تغلب عليها الفرحة؛ تصرفات جنونية

جالبة للانتباه ولا سيم انها جميلة الخلق والخلق بلغت
الثلاث والعشرين من عمرها ولم ترتبط ولم تحب في
حياتها ابدا..كيف ذلك هذا محال..محال عن جدارة؟" لقد
ابى السكوت والصمت وجعل يتردد في اذني ويصرخ حتى
صار يثير توتري وانفاعالي؛ ادركنا مقصدنا اخيرا حيث وجدنا
اخي وقربيتها واكمل الجمع بوجود اختها التي كانت تتابع
الحفل منذ بدايته لكن شيئا لم يتغير الا المكان والاجواء
واني وجدت اخي اما عن امر محادثتها فقط بدى صعبا
وسط ذلك الضجيج ولم ادرك ماذا افعل فسلمت كل الأمر
للوقت الذي عرفته بسرعته ففي النهاية لن يدوم الحفل
كل الليل، ليس عرسا بل مجرد حفلة تنشيطية لجلب
السياح وانعاش السياحة الشاطئية لا اكثر وكان علي
بمزيد من الصبر والانتظار بعد لعل الحفل يبلغ نهايته
وينتهي وكنت انظر الي المشرفين عليه في بعض الاحيان
نظرة من يريد لذاك ان يتوقف؛ انسجمنا مع الحفل اخيرا
واخذت مكاني حذاها واخذنا نغني ونرقص وندمج مع
الاجواء لقتل الوقت عل الحفل ينتهي ويتسنى لي
محادثتها ومعرفة اخبارها؛ انغمسنا واعلنا استسلامنا
لاحكام مكبرات الصوت تلك؛ كانت تسعى لجعل كل ثانية

من ليلتها تبدو اجمل من التي سبقتها وكان الضحك والمزاح لا يتراكانها وكانت وسط كل تلك الضجة تناديني وتصرخ وتنعتني بالصغير فقد كانت تكبرني لكني جاريت مزاحها الذي كنت قد تعودته عليه مهما كان نوعه ودعوتها الى تحد بين صديقين يشتري الخاسر فيه مأكولات للجميع؛ اخذتها من يدها ووقفت معها امام اول فتاتين اعترضنا طريقنا فقد كان المكان حاشدا للغاية بسبب الحفل وقد كان مبدأ التحدي ان نسأل اشخاص لا نعرفهم عن اعمارنا وكان اول من اعترض سبيلنا فتاة كانت تقف وحدها؛ لم نكن نعرفها او حتى رأيناها مسبقا اذ اكتفينا بالوقوف امامها وطرحت انا السؤال مبتسما وقد كانت تنظر الي ما افعل من جنون وتبتسم هي الاخرى: *هل تسمحين بسؤال؛ هلا خمنت لكلينا اعمارنا من فضلك وارجو ان تعذري ازعاجنا لك* اكتفيت بهذه الجملة؛ حملنا في الفتاة منتظرين الإجابة لكنها لم تجب الا بعد ان رشقتنا بناظريها وقلبت جسمينا مرورا من الاعلى الى الاسفل ثم ابدت لنا ابتسامة تلاطفنا وقالت مشيرة الى كل واحد منا وحده لكن بدايتها كانت مني: *انت في العشرين من عمرك وهي في التاسع عشرة حسب

رأيي* من جهتي لم افعل شيئا سوى اني انفجرت ضحكا وانا اوجه عيناى اليها وقد احمر وجهها خجلا لكنى لم اکتفى بهذا الحد وواصلنا تقدمنا فى التحدى وقد سألنا هذه المرة شابىن فى سن الكهولة ووجهت هى السؤال ذاته وانتظرت بثقة ان ینطق الشابىن بجواب یدیننى لكنها لم تنل ما ارادت وكان جوابهما مطابقا لجواب الفتاة التى سبقتهما؛زادت حمرة وجنتيها وقررنا ان نحسم الامر بآخر محاول عساها تنال ما ارادت وهو هزيمتى وقد عاد بنا السؤال الى صديقتىن كانتا على مقربة من الجدار الفاصل بين ساحة البرج والشاطئ؛ادركناهما واكتفت بالصمت بينما اعدت نفس السؤال لكن بعد نظر وتقليب منهما حافظت انا على عمر العشرين وانتقلت هى من التسعة عشرة لتبلغنى الى العشرين لكن هذا لم يجعلها تكون الفائزة فى التحدى فقد خسرت منذ المحاولة الثانية لكنى لم اجعلها تشتري شيئا وعدنا بعد هذا الجنون للاندماج فى الحفل.

تالت الاغانى وتسابق الجميع ونالوا ما لم يتوقعوه من جوائز اغرقتنى وهى فى ضحك شديد فقد كان الناس يتلاهفون وراء جوائز ظنوها هواته واشياء ثمينة الا انها كان

محظ حقائب جميلة في مظهرها لكن محتواها كان خاويا
وتأكدت فكرتي انها كانت مجرد حفلات لتنشيط السياحة
الشاطئية لا اكثر؛ لكنها انتهت اخيرا وكانت فرحتي
وسعادتي حينها وحضيت بجلسة ممتعة مع افضل
صديقاتي وامرحهن فقد كان جنونها لا يوصف في جلبه
للانتباه واثارته للشغب والمرح وقد كان البحر مضيفنا في
هذه الجلسة التي راقت لي وافرحتني لأنني تاكدت من
اكتسابي لرفقة جديدة وكانت اول صديقاتي حسب ذاك
القرب والاهتمام وقد كان الجميع قد تعبوا وانهكوا وحضي
اخي بجولة اخرى مع قريبتها بينما اتحدنا مكانا لنا على
الشاطئ...

جلسنا وتبادلنا الحديث والمواضيع الا انها اعادت علي
نفس سؤالي الذي كنت قد طالبتها بان تقنعني باجابة
منطقية لكنها الان من يطرح السؤال وظلت تردده طول
الجلسة رغم اني اجبتها على قدر ما كان سؤالاها الا انها
ارادت التأكد حتى لا يزورها شك من كلامي وظللت تردد
بلا توقف؛

«هل لديك حبيبة او ما شابه ؟؟»

لكني مازلت متشبثا بجوابي وعازما على ما قررتة منذ فترة بشأن العلاقات والارتباطات وقد كنت اقطب حاجبي واقول بنبرة من التمس تكذيب الطرف الاخر له رغم اني احسست انها لم تصدق حقا؛

«صدقيني ليس في حياتي احد ولا حبيبة لي ولا يسكن قلبي احد غير امي الان لانني ارى ان العلاقات الغرامية اما ان تبنى على اسس صلبة وصحيحة او فلتنعدم فان ما يفعله الكثيرون اليوم تحت اسم الحب هو قذارة وسذاجة في نظري لا اريد ان ادخل في مثل تلك العلاقات التافهة واصبح تافها...»

لكنها صدقت اخيرا وانا اكرر لها جوابي بنبرة واثقة وقد التمست فيها شيئا من الخجل وهي تسألني ذات سؤالي لكنها حاولت ان لا تظهره بضحكات مازحة وتضليلات كانت بادية على ملامح وجهها لكنها اخفت للمرة الثانية في خداعي مثل محاولتها لاختفاء حقيقة عدم ارتباطها ابدا لكن تعمقي ورأيتي المتواضعة وفهمي للامور بعد تريث وبحث عميق هو الذي اعانني في معرفة السبل التي تؤدي الي ذلك الكون المخفي والذي تهت وشردت وانا لم استكشفه ولم اعبر من بوابته بعد؛ اذ ان مجرد طرحي لفكرة محاولة

فهم كحالتها على نفسي شكل لي هاجس وحيرة وقد
وجدتني معلقا أتأرجح بين ضفتين، فالأولى هي انها
صديقي الاعز والاقرب والثانية ان الصداقة لم تكن تتطلب
مني الغوص في عالمها وبقيت هناك اسأل نفسي لماذا
اسعى وراء تفاصيلها هذه رغم اني استطيت الاكتفاء
بالاطمأنان عليها كل مرة وكفى؟؟ ماذا يحصل والى اين
نذهب انا وهي؟؟ اية طريق نسلك وماذا ينتظرنا في الايام
القادمة؟؟ في لحظة تذكرت مشاكلتي وصراعي الذي بدأ
منذ زمن مع هذه الحياة وكيف ان عقلي كان يرفض بشدة
ما صارت عليه الحياة اليوم من فساد اخلاقي خلق الكثير
من الاخلالات و خلف ورائه خرابا اجتماعيا بحثا وفي هذه
النقطة راودتني حيرة اعمق من سابقتها وطرحت على
نفسي سؤالا لم ادرك جوابه الا بعد فوات الاوان؛ هل هذه
لعبة من الألعاب الحياة كي تكسر خاطري وتحرمني من
صديقة سعدت للحظي بها كأنما كسبت الدنيا وما فيها؟؟
هل بدأت الحياة تسلبني اياها بأسلوب جميل وأنيق
يجعلني اساهم فيه بطريقة غير مباشرة وانا راض حتى
يلازمني الوجع طيلة حياتي؟؟
ماذا يجري؟؟....

لقد كاد ينفجر رأسي ونحن جالسان على الشاطئ وكان الصمت قد عم المكان ولم انبس بكلمة لدقائق بسبب شرودي في حكاية هذا الاهتمام المفرط لأمور بعض؛ كعادتها لم يمض على جلوسنا دقائق حتى قررت تغيير المكان بعد ان ازعجتها ام قريبتها التي اصرت ان تعود ابنتها باكرا الى المنزل فكان لنا ان بحثنا عنها في ظلام ذلك الشاطئ واحضرناها واخي الى مكان اقامة الحفل وصارت بذلك على مقربة منها؛ كان الحفل قد انتهى منذ دقائق تعد واخذ المشرفون يجمعون اغراضهم المنشورة فوق المنصة مثيرين ضجيجا وصخبا على الغلب كانوا ينشطون الحفل وهم سكارى فالسكر وشرب الخمر كما نعرف هو رقي وشيئ يزيد الانسان هيبة في وقتنا هذا لكنهم اکتفوا بالصراخ على بعضهم البعض ولم يكن الامر يهمنا لكن ضجيجهم ازعجنا، لكنه سرعان ما انطفئ وارا حنا وكنا قد اخذنا مكانا بجانب تلك المنصة التي كانت منتصبة على الرمال ليس بعيدا عن الشاطئ قد اخترنا الجلوس فوق سفينة صغيرة صفراء كانت قد وضعت من قبل البحارة لتزيين الشاطئ وقد أضفت عليه منظرا جالبا هي وبقية السفن التي كانت موجودة حولنا؛ كانت اختها وبقية

اقربائها قد انهكوا وتعبوا من الرقص فوق الرمال وقد كان ذلك بمثابة المشي وسط الطين المبلل وقد اختاروا الجلوس على سفينة اخرى غير بعيدين عنا وقد انضم اخي الى مجلسهم هذا وياشر مغازلتهم ساخرا ومازحا لكني انفردت معها على سفينتنا الصفراء الصغيرة هذه وكان قد حان الوقت الذي قدره الله وشاءه لتعزيز صداقتنا وتطويرها الى ما هو افضل من ذلك كما تعودنا في كل لقاء بشيئ يقويها اكثر ويجعلها متينة تدخل بذلك طور الخلود والابدية كليا وقد كنا عفويين وبسيطين الى حد كبير في محادثاتنا مما جعلنا نفهم ما يدور في انفس بعضنا البعض وقد اعانتنا وجهات نظرنا المتشابهة وتفكيرنا المتطابق* لرفضنا علاقات الارتباط وعزمنا على ان الجمال لم يكن يوما جمالا ظاهريا او جمال وجوه واجسام فالجمال الذي يدفعك لحب شخص هو جمال روحه وقلبه وخاصة عقله وشخصيته وقد تقلصت هذه الصفاة في وقتنا هذا ونقصت اذ لا ترى اي احد يسعى لكسب القلب الطيب والوفي والذي يعتبر الرقي؛ هو رقي الفكر والاخلاق* في الانجذاب لبعض اذ كانت هذه الافكار بمثابة الوسيط

الروحي الذي دمج روحينا ألقهما الى بعض لتتكون بذلك
هذه الصداقة والتي تجاوزت الحب في جمالها.....

صداقتنا!!!

لقد حظيت باظرف واروع فتاة في حياتي وكونت معها عالما
جميلا دخلنا اليه معا بمفتاح صداقتنا الوطيدة هذه وقد كان
لي من الحظ الشئ الكثير الذي جعلني اعيش معها
اجمل ايامي واغوص بفضلها في ارقى محادثاتي
معها؛ كانت صداقة اجمل من اي قصة اخرى عاصرتنا لكن
جلسنتا على السفينة قد جعلت من قصة الياقوت هذه
تباشر انحيازها لطريق اخر لكن رغم شعورنا بالامر الا اننا
حافضنا على قدرنا الكافي من اللامبلات لتجاهل الامر
وجعلها تبدو محظ اشارات وفرضيات باطلة قد اقنع كل
واحد منا بها نفسه وجعلناها تبدو وكأنها مجرد مواضيع من
جملة الحكايات التي نرويها في هذه الدقائق المتبقية من
لقائنا هذا؛ كنا نمزح مزاحنا الخفيف كالعادة ونلقي النكات
ونضحك عليها مرات ومرات ونسخر من كيفية معاملة
الاحباء لبعضهم البعض وعن ما يدور بينهم من افعال
ساذجة وصفوها بانها من صور الحب التي تضي عليه
جمالته الخاصة والمميزة وقد كانت اختها تصرخ من الجهة

الأخرى وتقول لي مازحة وضاحكة*ماذا تقول لها ايها المغرور اترك اختي الصغيرة وشأنها*ادركت مباشرة انها ضننتني اغازل اختها واعرض عليها علاقة ما لكنني اكتفيت بالنظر اليه والضحك بينما كانت هي تحدثني وتكمل سخريتها من ممارسات المراهقين التي تفشت اليوم؛انتظرتها حتى تنهي ما شرعت في قوله ثم ادلفت بنبرة ليس لها من المزاح والداعبة شيئا وقد حرصت على ان تكون ملامح وجهي مقنعة بما فيه الكفاية حتى تدرك اني اعني ما اقول وأنها مطالبة بإجابة منطقية كمثلي منطق الهندسة المعمارية في حساباتها؛ اكتفيت بالنظر في وجهها الذي طالما التمسست فيه اضطرابات مختلفة بين الفرحة المصطنع والابتسامة المزيفة وحزن كانت تخفيه مرة اخرى لكنني ادركته ولم اظهر ذلك قط وواصلت في استهلاك ما تبقى من لامبالاتي التي ادركت النفاذ؛قلت؛

«صديقك يريد معرفة ما يخفيه هذا الوجه الذي يدعي الفرحة والسعادة طول الوقت فقد ادركت في تعمقي لاشياء بسيطة في هذه الحياة ان لا احد ينال الراحة والسعادة ويهنأ بامتلاكهما طول الوقت؛هذه الحياة سيئة؛سيئة جدا يا صديقتي ولا بد ان تتخلي عن تبريرات انك امضيت

طفولتك في اللعب واللهو مع الاطفال فمن زاوية وجهة نظر الهندسة وهي الاقرب اليك فهما فان هذا الامر محال؟؟.....

قلت كلماتي ولم ادرك حتى من اين اتيت بها او كيف نطقت بها حتى اني تهت عندما راجعت نفسي وتذكرت كل كلمة قلتها، من اين جاءت كل تلك الكلمات؟؟لم يكن هذا ما يهمني حينها فقد زججت بجملتي وتسمرت في مكاني وركزت عليها مقلتاي ورحت انتظر الجواب الذي دفع بعلاقتنا نحو السماء وكانت تسرع في ارتفاعها عاليا؛ كنت قد التفت لها وقد جلسنا بجانب بعض على تلك السفينة الصغيرة التي لطالما ظلت من بين الذكريات التي طبعت في ذاكرتي ورسخت الى الابد وقد نزعنا ما انتعلناه في ارجلنا بسبب الرمل؛ كانت تتعل صندلا يميل لونه الى البني وقد بدأت جزئها الطويل من الحديد بان اطلعني وهي تشير باصبعها إلى مكان ورم كان قد اصابها في اعلى قدما قبل لقائنا هذا وقد اسرعت في تعقيمه واخفاء مكانه بمسحوق اخفاء الجروح وقد انفجرت ضحكا حينما كنت اتابع اصبعها وهي تشير الى مكان الورم وقد اختفى لكنني تعمدت البحث كي اتأكد ان الورم قد شفي ولكني

لم ائل من بحثي غير الفشل فقد اختفى الورم ولم يبقى حتى اثره....

انتهت من طمأنتي عن حال قدمها والتي كانت قد عانت بسببها طول الاسبوع اذ ان المشي كان يثير الورم ويجعله يحرقها ويحركها لكنها اراحت بالي الشارد واخبرتي ان ساقها على احسن حال ثم سكتت فجأة وكان لها ان وصلت الى الطريق الحساس وهو جوابها الذي كانت مطالبة بجعله منطقياً فالتبريرات لم تعد تفي بالغرض لكنني حاولت جاهدا ان لا اجبرها على شئ لا يستهواها واضفت انها ليست مجبرة بان تطلعني على حياتها وتفاصيل كحياتها المخفية وراء التبريرات فصادقتنا لا تفرض عليها ذلك لكنها تعمدت الصمت لدقائق ثم اتخذت قرارها النهائي وقد حسمت امره مع نفسها في دقائق صمتها تلك؛ كانت مترددة ومرتبكة لكن فرحتها وابتسامتها التي تعودت على ادخالها في كل المحادثات مهما كان نوعها لم تغب وقتها واعلنت حضورها بمجرد ان امعنت النظر فيها مرة اخرى.....

ان من الصعب ان تطلع احدا على اسرارك؛ اسرار حياتك الشخصية؛ ماضيك وحكاياته المؤلمة؛ قصصك التي طالما

سببت لك الحزن والاحراج وهي في اغلب الاحيان اشياء سيئة لهذا سميت اسرار فلا اظن ان الناس ستخفي عن بعضها قصصا تثير الفرحه وتسبب الاحتفال لكن ما يخفى ويجعل الانسان يعيش الحزن والعزلة والوحدة القاتلة ويتخفي وراء قناع السعادة في حين ان حاله الداخليه كمثله فلسطين المحتلة هي تلك الروايات التي حافظت على اخفائها وراء ضحكات وبسمات مصطنعة وهو ليس بالامر السهل والهين بالنسبة للانسان بكونه ضعيف الحيلة ولا حول له امام مشاكل الحياة؛ لكنها ادركت في نفسها اخيرا ان وقت الهروب قد ولى وصار من الجيد ان تصارح احدا بما يكدر عيلاها ويظطرها الى الضحك رغما عنها لعلها تريح روحها الممختنقة والمنهكة من النفاق أمام الآخرين والكذب على نفسها وإدعاء الفرح طول الوقت اذ ان كل تلك التبريرات وتلك الضحكات التي جعلتها تبدو الاسعد فينا هي مجرد قناع يجعلها تبدو على احسن حال رغم كل شئ؛ قناع حاولت التخفي ورائه لكنني ادركته بعون من الله ولم يكن الامر سهلا بالنسبة لي.....

عم الهدوء للحظة على كل المكان وكأن الجميع قد توقفوا عن الحراك وتجمدوا مكانهم فحتى امواج الشاطئ هدأت

واصبحت ترتطم بالرمال في صمت لكني كنت قد بدأت
احاول الانسجام مع هذا الهدوء منتظرا جوابها الذي حاولت
توقعه ورسم فرضيات له لكنني عجزت عن ذلك فقد كانت
قد مارست التظليل واخفاء اوجاعها حتى تجاوزت مرحلة
المبتدئ في الشئ وصارت محترفة في جعلك تتأكد ان
سعادتها وفرحتها لا تكادان تسعان الكون بسماوته وأرضه
وهذا ما جعلني اكسب الفشل في محاولاتي للإنشاء
فكرة عما ستقوله لي بعد لحظات من ذاك الصمت
المحير.....

نظرت الي اخبرا ثم تنهدت من اعمقها،لقد ذكرتني في
برهة بامي وتنهيدتها الخافتة حين تحزن ويكدر عليها امر
ما؛مالامر؟؟لقد فتحت لي للتو رتاج كونها المخفي وراء تلك
الضحكات والتبريرات التي رسبت في اقناعي واومات لي
بالدخول الي عالمها الباطني الذي لم يحظى احد قبلي
بزيارته او استكشاف خباياه،لقد فتحت لتوها بوابة كونها
الواسع واذنت لي برغبة منها بالولوج الي جوفه وقد ادركت
انها اتخذت قرارها في ان تشارك احدا آلامها واوجاعها
التي لطلما انهكتها وقسمت قلبها نصفين وقد اعتبرها اول
هدية قدمتها لي صديقتي الاظرف،ادخالي الي عالمها

الذي عملت على اخفائه عن جميع الذين احاطوا بها والسماح لي بمشاركتها هذه الاسرار هو اجمل هدية كانت قد قدمتها لي وكانت اروع هدية حصلت عليها في حياتي؛هدية الثقة.

باشرت الحديث والابتسامة لا تفارق وجهها ولم تكف عن الضحك حتى بعد ان انهدت جوابها الذي طال ولم امل وانا استمع اليه حتى كاد اللقاء ان ينتهى وقد بادرتها اهتمامي وكنت استمع لها كمثل رجل يصلي في خشوع وقد بدأت بطفولتها وهي تقول؛

«حقا لقد كان هناك ما يثير الفرح والسرور في حياتي فقد انعم علي الله بالنجاح في دراستي التي لطالما اهتمت بها رغم كل شئى وقد كانت دراستي بمثابة التحدي؛تحدي المشاكل التي احاطت بي من القريب والبعيد لكني واصلت دراستي وجعلتها اولى اهتماماتي وكان تحسني فيها يمضي الي الاحسن؛كنت ولازلت الافضل في دراستي بين كل من درست معهم وقد كانت نتائجي وبحوثي الجامعية تتصدر على الدوام المرتبة الاولى رغم ما واجهته من احتقار وتجاهل وذل كان سببه خماري الذي يستر رأسي ويغطيه؛كانت جامعتي مملآ

بالملحدين والنايدين لتدين المرأة مهما كان موقعها او صفتها وقد واجهت معظم الطالبات المتدينات مثل معاملتي الظالمة؛ كنت أتجاهل من طرف معظم الاساتذة وأحتقر من اغلبهم اذ كانوا ينظرون الي نظرت احتقار وسخرية واستهزاء وكان البعض منهم يقلبونني من الاعلى الى الاسف باعينهم وكأنهم يقلبون حيوانا واصر البعض الاخر على اشعاري بالاختلاف عن الاخرى اللواتي اخترن اظهار شعرهن وجعله ينزل ويتناثر على اكتافهن لكني كنت اواجههم بمثل اسلوبهم ولا اكن اي اهتمام لاحتقارهم وسخريتهم مني بكوني مغطاة الرأس؛ كانت الفتيات اللواتي لا يضعن خمارا هن اللواتي يبجلن علي ويقضون حوائجهن المختلفة قبلي سواء كان ترسيما او استخراج اوراق او ما شابه كان هذا ما يفعله المشرفون على تلك الجامعة التي لطالما مللت منها بسبب فكرهم الرديئ تجاه الدين الاسلامي وقد كان تفوقي يثير ضجرهم واسفهم؛ واجهت الأمرين بسبب تديني في تلك السنوات بالجامعة ورغم كل ما حل بي من سخرية وشتائم الا اني حافظت على هدوء اعصابي طيلة هذه الفترة؛ لم يكن بالامر السهل ان اشتهم واحتقر امام زميلاتي رغم اني

متفوقة عليهن؛ لم يكن بالامر الهين لكني حافظت على نفس التماسك طيلة تلك السنوات؛ اذكر يوما كان لي بحث علي القائه على جمع من الاساتذة الجامعيين الذين كان اغلبهم من الملحدين المتشددين والاشداء في تحكيمهم وقد ملأت القاعة بهم وجمع من زميلاتي وكنت قد تعبت طول فترة تحضيرتي لهذا البحث الذي شغل الكثير من وقت راحتي وحل يوم عرضه امام الجميع، كان بحثا مهما بالنسبة لمسيرتي الدراسية وقد حرصت على ان انجح فيه؛ بلغت القاعة وهممت بالدخول وكنت متفائلة وعلامات الثقة تملأ وجهي وكنت مؤمنة بقدرتي على الارتقاء في هذا الامتحان؛ دخلت وما ان ظهر كل جسدي ولمحه الجميع حتى رشقوني بانظارهم وكأن دخيلا او ارهابيا قد عبر الباب وقد كانت هذه نظرت اغلب الاساتذة الحاضرين في القاعة الا ان واحدا منهم وقف بقامته الطويلة وناداني اليه فوق امامه؛ رمانني بنظرة سخرية واحتقار كالعادة وقال لي مدعيا البلاهة: *هذا الشئ القذر الذي فوق رأسك اهو تدينا ام مجرد موضى*؟؟ كانت احد صديقاتي قد اوصتني مسبقا بان اتجنب النبذ والتجاهل من قبل هؤلاء وذلك بقول ان خماري هو مجرد موضى؛ لقد كان بحثا

مهما تعبت عليه واخذ من وقتي الشيء الكثير لم اكن
اهتم لامر التعب والانهك بقدر ما سعيت وراء النجاح في
هذا الامتحان؛ لم يكن لدي خيار اخر غير الاجابة بما اوصتني
ايه صديقتي والا كانت اتعابي ذهبت سدا وكان النجاح قد
ضاع مني؛ اجبته مبتسمة وكانني اعني ما اقول مما جعله
يتراجع وينسى الامر ويأمرني بالشروع في القاء بحثي: *لا
ليس تدينا انه مجرد موضى بإمكانني نزعها ان اردت*؛ لم
يكن امامي غير هذا الخيار امام سؤال ذاك المغرور الملحد
والا كان ضاع عني كل شيء اجبته وتمتمت طالبة المغفرة
من ربي رغم علمي ويقيني ان الله سيغفر لي ما لم يكن
لي فيه دخل وما لم تكن لي به حيلة او قوة وقد هممت
بالقاء بحثي وقد انعم الله علي بان نجحت فيه وكنت
الاولى على مستوى الجامعة وهذا ما جعلني اشكر الله
واستغفره في آن واحد؛ هكذا واصلت دراستي وما بقي
فيها وانا اتصنع الحجج لاجل انقاذ نتائجي وكنت آخذ
نصيبي من الاحتقار والتجاهل من قبل جملة الحمقى
هؤلاء؛ هكذا بدأت مشاكلتي وصراعاتي مع الحياة التي
أضافت لي الى جانب ما كنت اواجهه في الجامعة ابتلائات
اخرى كان اقساها على قلبي غدر الاصدقاء الذين امتلأت

بهم حياتي من كل صنف ونوع؛ كنت انشأ الصداقات وازيدها ولم اترك لتفسي المجال للانجذاب الى الوحدة والعزلة فكسبت عدة صداقات كان اغلبها مع الاولاد الذي درسوا معي وعرفتهم منذ طفولتي وقد جمعنا صداقة متواضعة وبسيطة وكانت اغلبها سطحية اذ نكتفي بالخروج لشرب القهوة والتنزه في المدينة او اقامة الرحلات في المناطق الجبلية والارياف التي تتمتع بمناظر طبيعية انستني في ازحام المدن واكتضاضاها؛ لكن معظمهم من غدروا بي وخذلوني وخانوا صداقتي وكسرو بخاطري ☆*☆ واجهت كل ما تخفيه الحياة من قسوة وقد بدأت محاربتها لي بأن زجت بي وسط تفهاء يرفضون التدين ويدينون الاسلام...

كانت تواصل حديثها، قصصها، رواياتها، حكايتها؛ ايا كان ما كانت تقوله فقد كنت انصت اليه في خشوع تام وقد حرصت على جعل نفسي تدخل معها في كل احساس سيئ شعرت به سابقا لكنني ادركت حينها انها صارعت متاعب الدنيا وهمومها وتجاهلت كثيرا وخزنت بداخلها ما كان كافيا ليدخل قلبها في سبات عميق الى الحد الذي جعلها تضن انها تعيش بلا قلب؛ كانت تضن نفسها قد ماتت منذ مدة لكنها تتنفس فتدرك انها مجرد ضنون تحاول

تلقيتها الى مخيلتها حتى تخفف قسطا من اوجاعها التي
اثقلتها لسنين لكن لامبالاتها التي كانت تشبهني فيها قد
ضاعفت انجذابي لها اكثر وحرصت على ان اكون الكأس
الذي ستفرغ فيه جزءا مما يزعجها ويكدر عليها ويخنقها
وقد فعلت لتوها وقد اعدت نفسي الى طور الخشوع ما
ان نظرت اليها؛ لم اكف عن النظر اليها وهي تفرغ على
مسامعي ما بداخلها ولم تكف بدورها عن الضحك وقد
رافقت كل كلمة قالتها بسمة لامبالية واكملت جزئها
الاخير والذي كان في الحقيقة التي ادركتها لاحقا منقوصا؛
«كنت اظن ان الحياة ستكتفي بذاك الحد من اذلالني اذ
انها لم تترك لي خيارا اخر غير الانقياد والانصياع لاذلالاتها
فقد ظربت الوتر الحساس في حياتي وهو دراستي والتي
كنت مجبرة من اجلها الى تحمل كل ما وضعتة الحياة
امامي من مشاكل وهموم واحتقار من الساذجين عقليا
وتجاهل لكنني كنت قد صمدت بما فيه الكفاية لان صار
قلبي لا يبالي بشيء؛ لا ابال ان احبت ام لا؛ لا ابالي ان
اساء البعض ضمني ام فهموا؛ لا ابالي الا في جعل حياتي
تبدو افضل مما هي عليه؟ حقا اريد ان اتمتع قليلا بما
فالحياة من جمال دون ان يخنقني احد او دون ان يكبلني

احد،حقا اريد ان اتحرر من هذه الحياة واعيش دون ان اقلق
او اخاف من احد،اريد التحرر....

ليس من السهل ان يحكي لك المرء اسراره التي طالما
خنقته وآلمته حتى اختفى احساسه وغاب قلبه عن
الوعي كليا وجعل من عقله المتحكم في كل شئ حتى
لو كان صديقك الاعز؛لكن الاصعب من كل هذا ان يحكيها
لك وهو يبتسم كما لو انه كسب الدنيا وما فيها؛ طبعا لقد
كسب الدنيا وفاز عليها وهزمها باللامبالات التي جعلته
يبهرك بمهارته في السخرية من الحياة التي طالما سخرت
منه واذلته من اجل دينه او شئ ما جاء خارقا لقوانين
وضعها الراقون الذين ليس لهم من الرقي الا الاسم؛لقد
عاشت غدر الحياة واضيف الى ذلك غدر الاصدقاء الذين
اتخذتهم اهلا للثقة والمحبة لكنهم جعلوها تفقد الثقة
جزئيا في الحياة بما اجتمع فيها من اصدقاء واحباء واهل
حتى صارت لا تبالي الا بجعل نفسها تضحك وتبتسم
للمارة لكن داخلها كان لا يختلف عن حال أم فقدت ابنها
الذي هاجر وتركها وحيدة بين الحيرة ووجع الفراق....

لقد أكملت للتو تقديم هديتها لي وانتهت من الحديث
ولاحظت شرودي فيها فقد غصت مع حكاياتها بكل ما اتيت

من قوة بعد ان اعلنت عن اني صرت الاقرب اليها؛لم تقل ذلك لكن هذه الكلمات كانت مخفية بين الجمل التي قالتها وانتقتها بعناية حتى تصلني اوضح وابسط من ان اتعمق فيها بعد ذلك؛لكن اهم ما شغل بالي هو هاته المسؤولية التي حملتها ورادركت اني صرت امام مسؤولية صعبة وليست بالهينة؛مسؤولية حفظ هذه الاسرار التي إئتمنتني عليها دون ان تخاف ان كنت سافشي سرها يوما او اني ساخذل ثقتها في المستقبل لكنني دفنت هذه الاسرار اسفل تلك الرمال واخذت على نفسي عهدا بعدم اخراجها من مكانها اذ اني لن أحتاجها في الايام القادمة فقد ادت مهمتها للتو؛لقد قربتني منها واعلنت اني مختلف عندها عن البقية؛هذا ما قالته لي مخيلتي المتواضعة.....

لقد كانت هذه الجلسة على تلك السفينة الصغيرة بمثابة اندماج نووي كان طرفاه روحينا الذين سيطرت عليهما العتمة والظلمة منذ مدة وقد خلف هذا الاندماج انفجارا رمى بكلينا خارج الغلاف الجوي للارض اين تكمن

الثقة المطلقة واین اخذت مكانها وملأته ولم تترك فيه جزءا خاويا الا ان حكاية الصداقة هذه بدأت تنمو ببطئ نمو الفراشة في يرقتها حتى تأخذ مجراها الجديد الذي لطالما

نبذته لامبلاتنا وتجاهلته على انه محال والذي شعرت
بدفئه يلامس قلبي النائم مذ ان استسلمت وفتحت له
المجال للغوص اعمق ما يمكنه الغوص في تفاصيلها التي
جعلت الضعف يكبلني منذ تلك الجلسة؛ لقد ركبت قاربي
المتواضع والهش وابتحرت في محيطاتها الواسعة وكنت قد
حافضت على مبدأي الذي بدأت في تكريسه منذ مدة
طويلة فجمالها الداخلي إستطاع التغلب على اناقته
الخارجية في شدي وجذبي اليها ببطئ شديد كان كافيا
بان لا اشعر بشيء؛ كان الامر كمثل تناول حقنة مخدر
فقدت بعدها وعيي شيئا فشيئا وسقطت وحدي في
كونها الفسيح وقد تهت فيه وانا اتأمله وأصفه لشدة اناقته
وجماله رغم ما خيم عليه من عتمة وظلمة؛ رغم الصراخ
الذي سمعته وانا هناك؛ رغم النحيب والبكاء؛ رغم الاوجاع
والآلام؛ رغم الحزن الذي كبل منظومتها الكونية وشل
حركتها الا انها ظلت متماسكة من الخارج؛ انها الدقائق
الاخيرة من لقائنا الرابع الذي اصدر حكمه النهائي بشأن
كل اللقاءات القادمة والتي سبقت وقد جعل من نفسه
قنطرة العبور والتحول الى عالم مختلف تماما عما عشناه
سابقا الا اني امتلكت ما لا تظاهيه الدنيا بثمن ولا وزن؛ لم

امتلك كنزا ولا مالا لكني امتلكت ما هو ارقى من ذلك؛ لقد
امتلك صداقتها ثم حظيت بثقتها وهذان اعظم ما امكنني
ان افخر بهما امام نفسي؛ لقد استسلمت لمغناطيسها...
لقد فقد توازني لاراديا ودون ان اشعر بشيء...

لقد هويت الى كونها كمثل سقوط شهاب من السماء الى
وسط البحر العميق؛ وقد شعرت بارتطامي في الغلاف
الجوي لكونها لكنه كان ارتطاما خفيفا لم يسبب اي
اضرار؛ بالكاد احسست به لكني استسلمت أخيرا؛

كانت تكبرني بثلاث سنوات؛ كانت في الثالث والعشرين
بينما بلغت العشرين منذ وقت قبل ان اعرفها لكن العمر
لم يمثل لنا شيئا منذ البداية فقد نسينا اصلا فارق العمر
بيننا الا ان افكارنا ومبادئنا كانت قد ولدت معا في نفس
اليوم ولم يكن بينها دقيقة واحدة؛ كانت قد انهدت سنواتها
الثلاث في جامعة الفنون الجميلة ولم يتبقى سوى عامين
اضافيين حتى تكمل دراستها على اخرها؛ كانت مرحلة
وخفيفة الروح ومحبة لاجواء البهجة والاحتفالات؛ كانت
تبتسم لكل من ينظر اليها ولا تبدي احتقار لكبير او
صغير؛ كانت لا تزال في اوج مراهقتها لذلك فقد عملت على
عدم اضاءة اي ثانية في غير المرح او الابتسام لمن

حولها؛ كانت محبوبة من الجميع؛ كانت اعز اصدقائي
واقربهم الى قلبي... كانت صديقتي.

روحها يا صديقي: روحها كانت منهكة كبلتها الأوجاع
والهموم واحاطت بها سلاسلها الحادة والخانقة إلا أنها
كانت متماسك؛ كانت تصارع بقوة؛ كانت صلبة وفيها شيء
من البرودة كمثل برودة جسم الميت؛ كانت نقية وطاهرة
كملاك؛ كانت عفيفة وبيضاء؛ كانت كما لو انها حورية انزلت
وسقطت من السماء ولم تجد موطنها اجمل من جسدها
تستقر فيه؛ كانت تشرق وتشتع وكنت ارى بريقها واشعتها
في الافق؛ كانت تنبض رغم الحرب التي فيها؛ كانت تتنفس
رغم الحبل الذي يخنقها؛ كانت منتعشة ويافعة؛ كانت تنبض
بالحياة رغم دمائها؛ كانت تخفق؛ كانت العتمة تحكمها
والظلام يهيمن على اغلب مدننا لكن ينبوع الامل وحب
الحياة لا تزال تتدفق من جبالها وتنعش ارضها؛ روحها كانت
تنبض طيبة....

اما عقلها: عقلها كان من ينير لي طريقي نحو استكشاف
عالمها؛ لقد كان بمثابة المصباح الذي ينير عرفتك في
ليالي الشتاء المعتمة؛ كان بمثابة الفانوس الذي يعين
محبتي استكشاف الكهوف في الوصول الى غايتهم؛ كان

بمثابة الشمس التي تحول ليلنا الى نهار؛ كان بمثابة نجم يزين السماء ليلا ويكمل الليل صفته؛ كان مثل سرب من الشهب تكونت في سماء عالمها المظلم كلمات دلت على مفهوم الرقي الذي طالما بحثت عنه في كل شخص عرفته قبلها لكن لم اجده الا فيها فاضاءت سماءها امامي وبرزت؛ لقد كان عقلها يضيئ حتى ان نوره كاد يفقدني عينايا حين امعنت النظر فيه؛ كان كما لو ان معاجم الدنيا وقواميسها قد اجتمعت فيه وزينته؛ كان كما لو ان كل كتب الفقه والعلوم والادب قد انشأت لها مقرا فيه وشيدته عاليا حتى تجاوز السحب وادرك الفضاء؛ كانت تحب القراءة والمطالعة وتعشق القصص البوليسية ورياضات الفانتازيا السياسية رغم انها قد مظت في مجال العلوم والحسابات والهندسة الا ان مخيلتها شملت كل المجالات بتوعها؛ ببساطة لقد كان في حد ذاته رقيا.....

وقد بحثت عن الرقي لفترة وما وجدته الا يسكنها ويسطوتنها؛ كانت تفهم الرقي مثل فهمي وتدركه؛ كانت بمثابة عين ماء حلو المذاق تنتج رقيا فكريا كنت اراه من خلال نظرتها لبعض المسائل في الحياة؛ لقد اكتشفت حضارتي.....

قلبيها؛ قلبها كان منطفئا لا تكاد تدركه حتى تعرف وتأسف أنك عرفت انه كان مزيج لما خلفته الحربين العالميتين من أسى وحزن هز مدنا عرفت بعظمة اسطولها الحربي لكن هذه المرة لم اكن اما درس تاريخ لأي دولة بل كنت واقفا اما مدخل لمستعمرة قلبها الذي كان مركز كونها ذاك؛ كان محتلا لكن على عكس فلسطين فقد كانت حاله لا تزيد ولا تنقص عن ذلك الا في نوع الاحتلال وقوته؛ حزن.. اوجاع.. الام.. كتابة.. وحدة.. غدر.. يأس؛ جمعت هذه الاشياء وكونت دولة وهمية احتلت قلبها الذي انطفئ وصمت وام يقوى حتى على الصراخ.

اما اسمها فقد كان المطر وكان الخير والعطى؛ كان الكرم وكان الجود والكلاء؛ كان الطل وكان العطر والسخاء؛ كان الغاية وكان البياض والماء؛ اجتمعت كلها وخلقت عنوانا لجسد انهكتة الحياة...

راسها يا أمي: راسها غطاه خمارها؛ ستره وزينه؛ مثلما زينت الكعبة بغطائها الاسود زين راسها؛ مثلما زينت الوردة باوراقها الحمراء زين راسها؛ مثلما زينت القدس بالمجسد الاقصى زين راسها؛ مثلما زين السماء بالسحب نهارا وبالنجوم ليلا زين راسها؛ مثلما زينت الزيتون بزيتونها زين

رأسها؛ مثلما زينت مكة بالكعبة زين رأسها؛ مثلما زينت
فرنسا ببرجها زين رأسها؛ مثلما زين البيت بأمي زين
رأسها؛ زين رأسها بخمارها وقد كان ذلك افضل تكريم من
الله لها وابرز دليل على حبه وحفضه لها.....

عينها يا أمي: عينها كانتا نجمتان تلمعان في وجهي
وتبهراننا بنورهما؛ كانتا كما لو ان الشمس اتخذت عينها
اليسرى بيتا واستوطت ميرا في عينها اليمنى واتخذتها
فضاء تسبح فيه؛ كانتا كما لو ان نجوم الكون قد شكلت
فيهما دائرة سبحوا حول مقلتيها اللتان شكلتا نواتا وسط
كل تلك النجوم؛ كانتا تبرقان وتصدران نورا كما لو ان الشهب
تمر بهما كل لحظة؛ كانتا تنيران كالقمر اذا اكتمل؛ كانتا
تلمعان كشمعة في جوف بئر عميق؛ كانتا تجذبانني اليهما
كما لو انني احول الطيران فتعيدني الارض بجاذبيتها؛ كانتا
شمسا احاط بها غشاء من الدموع لكني رأيت تلك الدموع
رغم ضوء الشمس الذي كاد يهلك عيني؛ شلالات صافية
وعذبة من الدموع التي طالما صمدت في مكان ليس ببعيد
عن الخروج؛ استعمرت كل تلك الدموع ما بين مقلتيها
وهديبها؛ كانت تصارع حتى تبقىهم في جمودهم ذاك وقد
نجحت ليلتها؛ كانتا كوكبين غابت فيهما اليابسة وهيمنت

الدموع على كل جزء منهما وغشيهم نور ساطع غمرني
وجعلني اطوف حولهما؛ كانتا عسلتان تميلان الي اللون
البنبي؛ عيناها حملتا شيئا من القداسة، كانتا كمثل الحجر
الاسود وددت لو اقبلهما لكني استحيت؛ عيناها ايها
القارئ؛ عيناها خمر من الجنة يتلذذ به الشاربون.....

وجنتيها؛ كانتا قطعتي حرير جليديتين؛ تحمران اذا خجلت
وتبيضان اذا فرحت ويجتمع فيهما اللوان اذا ما ضحكت في
خجل؛ كانتا صغيرتين ناعمتين شديدا البياض لم توضع
عليهما ولا قطرة من اي مسقوق تجميل؛ كانتا دقيقتين
سمحتين وكانت بهما غمازة لا تكاد ترى؛ وجنتاها كانتا لبنا
من الفردوس.....

شفتاها يا امي لم يكن فيهما اي من احمر الشفاه؛ كانتا
غنيتان عن ان اصفهما بكلمات؛ حبة فرولة تزين قطعة
أيسكريم بيضاء؛ كما لو ان دماء ازهار الجوري قد عصرت
فوقهما؛ كانتا بلون السجاد الاحمر الشهير وماذا عن ما
اصطف خلفهما؛ أسنانها كانت لا تختلف عن اللؤلؤ في
بياضها ولمعانها وقد تراصت في اناقة كمثل اصطفاف
المصلين عند اقامة الصلاة؛ شفتاها كانتا عسلا من الخلد
والنعيم....

اما انفها: فكانما ثقلت عينها بالدموع فدفعت به الى الامام قليلا؛ كان صغيرا ورقيقا؛ كان دقيقا.

اما ملامحها يا أمي: لقد جمعت كل اوصاف الحسن والخلق والبهاء والطيبة فيها وكونوا ملامحها؛ كما لو ان الياقوت والالماس والزمرد واللؤلؤ والمرجان والزفير واليشب والعقيق قد اتفقوا على ان يكون وجهها هو ملاذهم ودارهم؛ كان وجهها قمرا ينير الليل؛ كان شمساً تبعث الدفئ في الارض نهارا؛ كان وردا يزين الحقول؛ كان اسطرا زينت صفحات الكتاب البيضاء؛ كان مثل رجال يزينون المساجد؛ جمع وجهها الكون بنجومه وشهبه ومجراته وكواكبه؛ كان تجسيدا لزهرة النرجس؛ كان صورة لزهرة الاوركيد؛ كانت كمثل لوحة زيتية رسمت عليها زهرة الزنبق؛ كانت مثل رسم تشكيلي لزهرةالجوري؛ كان وجهها نور ملائكة

يداها: كان شديدا البياض على عكس يداي اللذان يميلان قليلا الي السمرة؛ كادتا تبلغان الثلج في بياضهما؛ كانتا صغيرتين مقارنة بيدي؛ صغيرتين كمثل يد فتاة صغيرة لم تتجاوز الحادية عشر وقد انهكهما العمل واشغال البيت والدراسة...

كانت قصيرة القامة لكن قصرها كان يختفي ما ان ترتدي كعبها العالي فتبلغني وتدرك طولتي؛ بالكادي كانت تصل الى صدري؛ كانت نحيفة مقارمة بالكثيرين لكن قصرها كان يضي على شكلها اناقة خاصة؛ كانت اناقة فريدة من نوعها.

وان تحدث عن صوتها فماذا عساي اقول؟: صوتها كان مزيج من أنعام هادئة؛ كان بمثابة موسيقى كلاسيكية تذهب التوتر تريح الذهن؛ كان لحنا من كمنجا ولحنا من العود ولحنا من بيانو ومزيج بين كمنجة واورق وقليل من الناي؛ كان عذبا خفيفا؛ كان مهذبا رقيقا؛ كان صورة ذبذة للكون....

ماذا اذا ذكرت رائحتها؛ هل كانت كل فرنسا لتفي بغرض وصفها؟؛ عطرها كان كما لو ان فرنسا بمدنها وجبالها وأنهارها وبحورها وبرجها الشهير قد عصروا على جسدها؛ رائحتها كانت مزيجا من بخور ومسك؛ كانت ريحا وريحان؛ كانت اجتماعا للعنبر الاشهب القوي والازرق والاصفر والاسود؛ كانت شيئا من ازهار الياسمين؛ كانت اندماجا للبنفسج والاقحوان؛ كانت مزيجا من قرنفل وشيئا من شقائق النعمان؛ كانت كما لو انها باقة ورد حضر فيها

السوسن والبلسم والياسمين؛ لقد كانت نتبع عطرا نفاذا
وجميلا؛ كانت كنسمة الربيع....

اما هي يا إلهي فأضن وانت الاعلم مني بكل خلقك انها
لم تكن بشرا؛ اعذرني يا ربي قد يكون وصفي من الجهل
او الخطيئة لكن الخطيئة لاجل وصفها تهون وانت غفور
رحيم وان كنت قد اخطأت واذنبت بوصفي فاغفر لي يا
إلهي لكنها محال ان تكون بشرا او انسا ولا حتى جانا؛
خيالي بسيط ومتواضع لكنها بلا شك ثمرة من الجنة؛ هي
شجرة طوبى بساقين من الذهب غرست في تلك
المدينة؛ هي سدرة المنتهى باوراقها الزمردية الخضراء
وجواهرها التي تعمي العيون لبريقها؛ غرسها احد من
اصحاب القلوب الطاهرة النقية اتمنى لو أتشرف برؤيته
حتى من بعيد؛ هي!! ماذا اقول يا ربي فقد عجز لساني
حينها وشلت اصابعي الان؟؟

هي نخلة تمر؛ تمر من الذهب الخالص ترى قلبه الداخلي
من خلال قشرته الخارجية لنقائه.....

هي شجرة تين اختلط فيها النوعان الاخضر والاسود
لامست عراجينها الارض التي كان ترايبها مسكا وعنبرا....

هي؟؟هي حبة من ثمار الجنة نزلت مع آدم عليه السلام
اثر نزوله وحواء الى الارض واستوطنت على شاطئ البحر
وعاشت لملايين السنين...

لقد تخمرت؛تجمدت مكاني وانا انظر اليها وهي تحدثني
قصصها وتفرغ ما ثقل عنها من احزان في جوف روعي وقد
اخذت عنها ما استطعت اخذه حتى اريحها ويحف عنها جزء
من اوجاعها؛لكني استيقضت من هذه الرحلة التي
اشعرتني وكأنني كنت اتجول في شئ من الجنة؛كما لو
اني كنت اسبح في حقل ملأت ارضه بكل انواع الورود
بعطرها الفاتن الذي يريح الاعصاب وينشط الذاكرة؛
تملكني شعور اني خرجت لتوي من عمق المحيط بعد ان
مشط ارجائه وطفت بين اسراب الاسماك بكل ما خلق
منها؛استيقضت على صوتها تقول بابتسامتها المعتادة؛

«اين شردت ايها الصغير؟»

«لا ما انا بشارد انا منصت...انا معك!!»

نعم لقد شرد؛لقد شردت فيك يا صديقتي؛لقد تهت في
عالمك الذي لم تخلق له نهاية؛لقد غصت في كونك
الجذاب؛لقد طفت في العدم اللامتناهي؛لقد سبحت في

الفراغ لكنه كان فراغا ملونا ومزينا باشياء لم ارها في حياتي؛ نعم لقد شدت وانا انظر لتفاصيل كونتك يا فتاة؛ كانت الجلسة في آخرها ولم يتبقى منها سوى دقائق؛ كانت الاجواء هادئة؛ البحر صامت في سكون؛ الشاطئ كان بالكاد يدرك لقلعة النور فيه لكن سفينتنا كان يصلها الضوء المنبعث من ساحة البرج؛ الجميع ملتهمون في ضحكهم ولعبهم وكنا ننهي ما بقي لنا من جنون قبل الفراق حتى الاسبوع القادم؛ ادركت ان علي مواساتها رغم انها لم تكن بحاجة لمواسات فقد تحدثت فقط

لتشاركني اسرارها وتجعلني فريدا عن غيري ممن تعرفهم؛ هذا ما فهمته؛ قلت وانا ابتسم حتى اشعرها بشيء من الامل؛

«اسمعي صحيح اني لم اعش بما فيه الكفاية حتى ادرك ما يمكن ان تفعله الحياة للانسان وما يمكن ان تخبأه له من هموم وأزمات تحمله الى اليأس والتحطم واحيانا الى كره كل شيء ومن بينه البقاء على قيد الحياة لكنني ادرك جيد ان الامر لا يتعلق بالحياة وحدها فحياتنا نحن من جعلناها هكذا؛ الناس جعلوها تغدو سيئة وغادرة؛ الامر كذلك يتعلق باقدارنا؛ فما نعيشه هو نفس ما كتب لنا منذ

الازل لكنك تظلمين نفسك وتخنقينيها هكذا لانها ليست
مسؤولة من قريب او من بعيد عما يحصل لك او عما
تواجهينه من هموم؛روحك ونفسك الداخلية ليستا
مسؤولتين عن شئ مما يحدث لك او سيحدث في
المستقبل يمكن لقلبك ان يحب احدا ثم يغدر بك فيكون
مسؤولا عن خطاه ويمكن لعقلك ان يخطئ الضن فيكون
مسؤولا عن ضنه الخاطئ لكن روحك كانت ضحية لحياة
هي منذ زمن سيئة؛هي هكذا منذ زمن فلماذا تخنقين
نفسك وتظلمينها ووتجعلينها في عزلة دائمة

ووحيدة؛انت تسجين نفسك وهي بالاساس بريئة؛لكن
فقط حاولي ان تخرجيها من هذا السجن واطلقيها في هذا
الكون حتما ستجد فيه ركنا او زاوية تشع نورا وفرحة حتما
ستجد ما حرمت منه....

كانت تستمع والبسمة تأبى مغادرة ملامحها كما لو انها
تقول لي اين كنت يا صديقي؛اين كنت كل هذا الوقت؛لم
ادعي العلمانية والفكر وانا احدثها كنت ابسط من ان اكون
كذلك واجزم ان من بين اصدقائها كان هناك من هم اجدر
مني لصداقتها وحتما كان هناك من سيحدثها بنفس
الطريق ويأخذ عنها كل ذاك الألم لكني كنت من تشرف

بتلك الصداقة؛ كنت صاحب الحظ؛ لم أكن محظوظا في ايجاد كنوز او جواهر لكني كنت محظوظا في صداقتها؛ حقا لقد تشرفت بتلك الصداقة من كل قلبي وقد اضافت الى ذلك هديتها بمشاركتي في اسرارها شرفا فوق كل ما شعرت به من فخر....

كانت لا تزال تنظر الي حتى اكملت حديثي وقد ظهرت تلك الابتسامة المتفهمة من جديد؛ هي اساسا لم تغادر وجهها منذ البداية وكانها قد اتخذتها صديقة الى جانب صداقتي؛ قالت لي بنبرة متفائلة تنبع بالامل؛

«لطالما احببت الضحك والابتسام رغم حياتي المضطربة ورغم الغدر والخيانة ورغم اوجاعي التي احاطت اصفادها بيدي الصغيرتان؛ لطالما احببت السفر والتجول من مكان لمكان خاصة الجبال لقد عشقت التخييم في الجبال والسفر الى المدن الاجنبية لان جبالها فاتنة وخلابة؛ لطالما احببت الاطفال الصغار وخاصة البنات؛ لطالما احببت ان تكون لي بنتا صغيرة ارعاها وأربيها؛ لطالما تمنيت اشياء لكني لم احصل على اي شئ منها حتى الآن ورغم ذلك فالبسمة تأبى الرحيل عني؛ انها اقصى درجات اللامبلات عندي....

كنت قد غصت فيها مرة اخرى وهي تتكلم وتبتسم؛ صوتها الخافت والرقيق كان يسحبني نحوه كمن يسحب سمكة من قاع البحر بعد ان علقت في طعمه الجميل الجاذب؛ كانت روحها تمد لي يدها ناصعة البياض وتسحبني اليها ببطئ شديد؛ لم امتنع للحضة ولم افكر في شئ ولم اراجع انشا الى الوراء ولم اتردد في مد يد اليها؛ لم تكن تثير شفقتي ولم تقصد اغوائي او اثارت عطفي؛ لقد كانت فقط تحتاج صديقا لا اكثر؛ كانت تريد سببا يجعلها تتوقف عن نفاقها الذي كان في الضحك والابتسام من اجل التظليل واخفاء حرب خلفت نارا كانت قد اندلعت في منصف جسمها؛ تحديدا في قلبها؛ قلبها لم يكن ينبض؛ لقد كان قلبها في سباب منذ زمن طويل؛ لقد كان متجمدا مثل قطرات الندى الباردة عند الفجر؛ لقد كان قلبها ميتا منذ مدة؛ الابتسام في اوج الهموم والالوجاع امر ليس بالهين لكنها اتقنته واجادت استعماله؛ حاولت قدر ما استطاعت ان تبلغ اقصى درجات التماسك والتحكم في النفس وقد كان ذلك كافيا الى سجن نفسها وخنق روحها بسلاسل الوحدة والانعزال؛ شعرت بروحها تنحب واحسست بنفسها تصارع حزنها وتحاول الخلاص منه لكن

كلاهما احتاجا الى دفعة بسيطة وحفيفة نحو النور؛ كانا في حاجة الى من يجذبهما وينتشلهما من الظلمة والعممة؛ كانا قد قضا قدرا كافيا في الظلام ليفقدا بصر عينيهما لكنها كانت متماسكة؛ كانت صلبة وقوية؛ لقد كانت تحمل هموما اكبر من عمرها؛ ذاك الذي كان من المفترض ان لا تسع فرحته الدنيا وسماواتها لكن قلبها مركز الحياة فيها كان ينحب ويئن.....

نظرت لها لبرهة دون ان انبس لكنني ادركت ان علي جعلها تبتسم لمرة واحدة من داخلها رغم ان الامر كان محالا بالنسبة لها ورغم انها ادركت اني كشفت للتو سر ضحكتها وما تخفيه تلك الابتسامة في احضانها لكنها ظلت تبتسم تظليلا؛ لقد تعودت التظليل حتى صار أسلوب حياتها لكنه لم يكن بالفعل السيئ او الشنيع فالحياة ارغمتها على ذلك او ما اقوله ان الحياة جعلتها هكذا الا ان تشبيه كون دون كواكب ونجوم كان ينطبق عليها لما كانت تعيشه من احباط وخيبة امل؛ احباط بسبب الحياة وخيبة امل من بعض الاصدقاء المقربين؛ لقد اصبحت جسما بلا روح.....

قلت وانا امازحها وابتسم ابتسامة ثقة؛

«لا عليك يا صغيرة لك ما تريدين فانت تستحيق اكثر من
امنياتك تلك سنتزوج يوما ما وستكون لنا بنت ظريفة مثلك
تأتي جامعة لما تشابهنا فيه من اخلاق وخلق رغم
تواضعها وبساطتها ستحمل احرف اسمينا وتجمعهم في
اسمها وسيكون جماله بمثل جمالها وسنجوب معا العالم
باسره وسنكون اول اسرة كانت قد ادركت مصطلح
السعادة في مفهومه المطلق حتى إننا من الممكن أن
نمل منها؛خمني معي ماذا سيكون اسم طفلتنا؟؟

*كانت هذه هي المزحة التي نقلتنا من القمر الى
الشمس لكنها لم تفعل ذلك توا فقد اتخذت التمهّل اسلوبا
وقد كان فعالا؛كانت هذه هي الدعابة التي جعلت من كل
اللقاءات السابقة تبدو كأنها مجرد مقدمة او تمهيد؛كانت
هذه هي المزحة التي كونت تفاعلات نووية بين الاهتمام
المفرط والثقة التي بنيت في هذه الجلسة وأدت تلك
التفاعلات الى انفجار كبير خلقت بفضلها قصة
جديدة؛نتجت عنه رحلة اخرى ابتعدت كل البعد عن محطة
صداقتنا؛كانت مجرد مزحة قصدت بها اصدقاء جو من الضحك
والدعابة؛لم اكن اقصد ما اقول فقط كنت امازحها لتضحك
قليلا؛لقد كانت مجرد مزحة*

ابتسمت؛ بل انفجرت ضحكا وكانت دموعها تتساقط جراء ذلك الضحك؛ ثم نظرت الي وقد رفعت يديها ومسحت على رأسي وكأنها تمشط شعري بيديها وادلفت والبسمة لم تغب كالعادة؛ كانت تحب اجواء المرح والدعابة لأنها تنسيها شيئا من آلامها وقد سايرت دعابتي ولم تمتنع عن الرد عن ما سألت؛

«يمكن ان نسيها رتاج فهو اسم يعجبتي ويروقني كثيرا؛ سنسميها رتاج اذن.

اجبت وقد صار المزاج تمثيلا يثير الضحك وقد ابدت عدم رضاي بالاسم الذي اختارته؛

«لكن اين اختفت احرف اسمين أيتها الذكية رتاج لا يحمل اي حرف من اسمي؟»

كان الامر شبيها بشجار زوجين حقيقيين حول تسمية مولودهما الجديد وقد كنا مدعاة للسخرية بالنسبة لآخي وقريبتني وواختها وقريبتها وكانوا قد ضحكوا على ما كنا نفعله الضحك الشديد؛ لكننا تجاهلنا سخريتهم وواصلنا اجوائنا الخاصة وحنونا المثير للضحك؛ لم نكن نهتم لهم فقد انفردنا ببعض فوق سفينة لوحدنا وقد رمت بنا صداقتنا

الجديدة وسط دائرة عازلة للصوت اذ لم نكن نسمع
حسيسهم اصلا؛اجبتها محتجا وانا ما زلت غير راض؛

xx لكن الامر سيكون اجمل وارقى ان سمينها باسم
يحمل حرف من اسمينا؛لا افضل ان اسمي ابنتي على
اسمينا؛ابحثي معي عن اسم بدلا من تواكلك وتعطيلك
للامر اكثر؟؟؛مغرورة.

لكنها كانت قد حسمت قرارها مع ذاك الاسم بعد ان
اعجبها وقد انهت النقاش وقالت مقنعة بنبرة صارت واثقة؛
xx صدقني كل الاسامي سواء وجميلة تختلف معانيها
صحيح لكني افضل اسم رتاج على غيرها يكفي انها
ستكون ابنتنا كلينا؛سنسميها رتاج.

اومات اليها برأسي مأيدا وموافقا على ما قالته وقد انهالت
علينا ضحكات ممن قابلونا في مجلسنا وقابلتهم من
جهتها ببسمات مشابهة وقد لاحظت اني شردت معها
ومع قصصها منذ وقت فأضافت قائلة وهي لا تكاد تمسك
نفسها عن الابتسام؛داعبت رأسي من جديد وقالت؛

xx كفاك بهذا القدر لقد تعبت من الضحك لا تبالغ فالمزاح
في اغلب الاحيان يتحول الى حقيقة انا انبهك من الان

تمالك نفسك وسيطر عليها قبل ان يمر بك الامر الى ان تحبني فكثرون هم من بدأو الامر بمزحة كهذه وانتقل بهم الامر الى حب حقيقي لقد سمعت الكثير عن هذه القصص.

كانت المزحة قد انتهت واخذت زاوية في تلك السفينة الصغيرة واستوطنه الى الابد.

كان الوقت قد بلغ منتصف الليل وقد شارفنا على بلوغ يوم جديد، يوم الاثنين، انه بداية اسبوع جديد سأنتظر اكتماله بصبر لا اتمنى ان ينفذ قبل لقائنا القادم بل كنت بحاجة الى ما يكفي من الصبر حتى الاحد القادم؛ انتهت جلستنا هذه؛ كانت كافية بان اغوص في عالم خلته للحضة من الخيال لكنه كان حقيقة ملموسة ومدركة بجميع الحواس؛ تجمعنا وراء منصة الحفل التي كانت قد فرغت ولم يبقى منها الا خشبتها اين جلس اخي والبقية لاكمال ما بقي من دقائق اللقاء الاخيرة؛ لفت انتباهنا في هذه الدقائق فتاة في الجوار كانت تجلس على الشاطئ وتصرخ بكاء وتصيح وكان رجل يقف عند رأسها يحاول ارضائها وجعلها تذهب معه الى مكان ما؛ لم ندرك من كان ذلك الرجل؛ لم ندرك ان كان زوجها او خطيبها او انه مجرد صديق

عادي؛ كان باديا من بكائها انه كان سببه؛ ربما كان قد خانها او خذلها؛ او ربما غدر بها ولم يصن ثقتها به؛ ربما صارحها باحدى الكلمات لكننا لم ندرك شيئا غير انه كان يحاول جعلها تنهض وتغادر المكان معه لكنها ابت ان تبرح مكانها ورفضت محاولات ارضائها كما لو انه غرس سكيننا في قلبها؛ كان باديا من تصرفاتها انها اكتفت منه وقررت ان تهجره الى الابد؛ ربما آذاها بما فيه الكفاية ليموت قلبها هي الخرى؛ لم تكتفي بالبكاء حتى نهضت وصارت تضربه بما أوتيت من قوة؛ لم تكن ضرباتها قوية حتى انه لم يشعر بها؛ كانت ضربات انثى جرح قلبها وكسر؛ كانت ضربات انثى هزل جسمها وضعفت حيلتها؛ كانت تصرخ في وجهه وتضربه حتى يبتعد عنها وهي تقول* اتركني بحالي لن اذهب معك الى اي مكان.. لن اذهب معك اتركني بحالي.. لماذا فعلت هذا.. انت لا تملك من الرجولة شيئا غير اسمها ولا ريب ان مجرد اسمها لن يناسبك حتى.. انت وضع و متوحش .. انت مغرور وسخيف الى اقصى درجة.. اتركني بحالي ولا تقترب مني لا اريدك* كان باديا على حالتها انه غرس سكيننا في منتصف قلبها وهو يضحك؛ ادركنا حينها ونحن ننظر الى جثتها التي بالكاد

تبقيا متوازنة على قدميها انه خذلها وغدر بها لكن كيف ولماذا هذا ما جهلناه ولم يكن يهمننا؛ كان صراخها يعلو رغم انها كرها وتعبها لكنها صرخت بكل ما أوتيت من قوة؛ لم يكن يظربها او يبتزها لكنها واصلت صراخها لعله يبعد جسمه الذي كانت تراه مسخا ونجسا عنها؛ كان الناس قد اقتربوا منها شيئا فشيئا وباشروا مواساتها وبقدومهم انسحب ذاك المسخ الخائن من الساحة وتركها غارقة في دموعها وواجعها التي كانت بادية للجميع؛ كنت قد ركزت نظري نحو تلك الفتاة التي تصرخ وتطلب من يواسيها بطريقة غامضة وكنت اسمع جميع من تتحلقوا حولها يقولون ماذا يجري لكني لمحت خيالا قصيرا يتجه نحو الفتاة ويقف امامها مواسيا ومنجدا؛ لقد كانت هي التي ذهبت لمواسات الفتاة ونزع شئ من الخوف عنها؛ لم تخف من مواجهة مشكل ما بسبب تلك الفتاة؛ لم تخف من كونها غريبة عنها؛ لم تخف ان تهاجمها فقد كبلها خوفها وفزعها جراء ما سببه لها ذاك الحيوان؛ نعتته بالحيوان رغم اني لم ادرك ماذا فعل لها ولماذا أصولها لرفضها الشديد له؛ لكنه حيوان في كل الحالات مادام قد ابكى قلبا وثق به وأمنه على نفسه وبالاساس انه قلب امرأة؛ لا سيم ان قلب

المرأة كمثل كأس بلوري صنع من غلاف رفيع ورقيق من البلور يكون اول ممسكيه الاب فاذا ما كان الاب صالحا وتقيا ويخاف الله فان ذاك الكأس يبقى آمنا حتى ينتقل الى يد الرجل الذي ستحبه وتراه ابوها الثاني لكن هذه المرة لن يكون الكأس في أمان ابدا فهو مهدد بالسقوط من يد الاب الثاني في اية برهة واذ ما سقط فان ارجاعه وتركيب اجزائه محال لكن اذا كان الاب الاول فاسدا مسخه الله وجعله سمته على وجهه فالكأس سيصل الى الرجل الثاني مكسورا ولن يكون حبا له سهلا او سريعا لكنه سيدفع ثمن ما اخطأ فيه ابوها ويعمل على اصلاح هذا الكاس رغم ان الامر صعب ومحال وبين دفع الثمن ومحاولة الاصلاح ألم وتجاهل ووجع كبيرين فمنهم من ينجح ومنهم من يفشل؛ تلك هي الحياة فاذا قررت ان تحب امرأة فإن كنت محظوظا فهنئا اما ان كنت تعيسا فلا تجرب الا اذا كنت صبورا.....

انتهت مساعدتها لتلك المرأة وعادت تبتسم كالعادة وقد كنت قد سلط نظري عليها طول الوقت ولم ازحها ولو لبرهة لم نسألها حتى ماذا بالمرأة من خطب لكن في كل الحالات وقت الرحيل قد حل وللأسف صار من الضروري

ان اعود الي البيت لأخذ قصت من الراحة مما تبقى في الليل من سويغات؛ اصرت ان نبقي قليلا بعد ورفضت رحيلنا وقالت انها تريد مجالستنا دقائق اخرى اضافية وكان رفضها لرحيلنا باديا على وجهها الذي صار يميل الى الغضب وشيئ من الخزن لكني كنت مصرا على الذهاب فقد كان ينتظرني يوما شاق من العمل في اليوم التالي فتفهمت؛ كانت تودعني وقد اخبرتني انها حكت لي معظم قصصها ولم اطلعها على شيئ مما يخبئه داخلي لكني طمأنتها اني سأحكي لها كل ما تريد معرفته عني في اللقاء القادم فتفهمت وتمنت لنا ليلة سعيدة وبادلتها السلام واخذنا طريقنا الى البيت الا اني احسست حينها بشيئ يفارقني؛ حتى فراق الاصدقاء كان صعبا؛ لقد وددت البقاء معها ومجالستها لساعات اخريات إلا ان الوقت كان قد تأخرا كثيرا لكنه لم يكن يهمني في شيئ إلا اني انهكت وتملكني صداع حينها وكان علي بالراحة حتى يكون يوم غد جيدا لكنه كان ليكون جيدا في كل الاحوال لانني امضيت ما بقي منه في مراسلتها حتى غلبني النوم وانا اكتب لها احدى الرسائل.....

تجاوزنا منتصف الليل؛ اخذنا طريقنا الى البيت وقد كان يبعد
ثلاث دقائق او اقل ان كانت الحركة معدومة؛ كانت المدينة
شبه فارغة وكانت السيارات تكاد توجد في الطريق الا ان
الحركة كانت موجودة رغم ذلك؛ هذه المدن لا تعرف النوم
أبدا فالكل في حركة دائمة؛ اتجهنا نحو المحطة وكان علينا
اخذ سيارة اجرة حتى توصلنا الى البيت تأخرنا قليلا
وانتهت رحلتنا لهذه الليلة بان وجدنا انفسنا في غرفتنا
نستعد للنوم لكنني فتحت حسابي فوجدتها كما لو كانت
في انتظاري وكانت بداية تراسنا لهذا الاسبوع الجديد
والذي بدأت به بأن سألتها؛

«اين انتم؟؟ هل عدتم إلى البيت ام مازالت سهرتكم
متواصلة؟؟»

«لقد عدنا بعد رحيلكم بربع ساعة او اكثر قليلا نحن
بالبيت الآن وانت؟؟»
«على وشك النوم تقريبا.»

لقد كانت هذه اللقاءات الاربعة بمثابة تواريخ خلدت صداقتنا
التي سرعان ما صارت ظريفة ومتينة وقد حفظتها كلها
وطبعت في ذاكرتي مثل اسمي ولم اكن لاحفظ تفاصيلها

لو لم يكن لصداقتها مكان في قلبي اللامبالي؛حقا لقد سعد بصداقتها وتشرفت؛شدنتي اليها روحها الظريفة والطيبة واضاف عقلها الواسع الذي اجتمعت فيه الافكار والمعارف من كل معشر كافية لانجذابي لكن قلبها ورغم انه كان باردا وغير مهتم بأي شئ الا انه كان اجمل الذين سحبوني نحوهم ولفتوا انتباهي لا سيم وان علاقات الحب والارتباط كانت آخر الافكار التي تزوره وقد كان جمالها الخارجي اخر ما نظرت اليه فوالله ما تعمقت في ملامح وجهها وعيناها مثلما غصت في اعماق روحها وعقلها النقيين رغم ما كان يسلسلها من حزن وألم؛لم يكن جمال المظهر يعنيني مثلما كان جمال الروح والعقل بالنسبة لي؛هذا ما ادركته معها؛لم انسى أية ثانية من هذه الصداقة لأنها عنت لي الكثير بالنسبة لمن يجرب الصداقة الصادقة لأول مرة؛ كانت صداقة حقيقية بكل معانيها....

امضينا ما بقي من الليل في التراسل وقد واصلنا حديثنا الذي بدأناه فوق السفينة وتعمقنا فيه وكانت قد ابدت اهتماما لما قلته لها بشأن ظلمها لنفسها وسلسلتها بشئ من العزلة والوحدة وان عليها إخراج روحها التي

صارت هزيلة من الظلمة التي تحيط بها واطلاقها في الكون
بخيره وشره ورغم ان الشر قد هيمن على كل الزوايا فلا
شك ان الله سينير لروحها الطيبة ركنا فيها؛ لا شك ان
نقاوة روحها ستكون النور الذي يريها الطريق نحو الحرية
والابتسام الصادقة؛ هكذا يمكنها ان تتخلى عن ذلك القناع
الذي يخنقها ويخفي وجهها المنهك ولن يكون لشحوب
ملاحها اية وجود وقتها؛ هكذا ستنفصل الى الأبد عن
تظليلها بكل تلك الابتسامات ولن تكون مضطرة لتلك
التبريرات التي ينفخها المنطق وينبذها لانها ستنسأها
وتتخلص من خنقها لها ما ان تتحرر روحها وتنطلق في
الفضاء الواسع ولا شك انها ستجد لنفسها زاوية تشع نورا
يبعث الامل والتفاؤل فالانسان مهما حاول ونازع لن
يستطيع العيش وحده حتى وان واجه الحزن باقصى
درجاته؛ لقد ابدت اهتماما للامر لكن لامبالاتها لا تزال
تسيطر على عقلها وتدفعها للسخرية من نفسها اذ كان
عليها ان تصارع قليلا؛ كان عليها ان تصارع ذاتها وتتمرد
على فكرة الانعزال والوحدة تلك والتي كان منبعها الغدر
والخيانة وخذلان الحياة لها؛ كلاهما كسروا خاطرها
وصفدوها....

لقد غلبنا النوم ونحن نروي لبعضنا قصصا وحكايات مختلفة ولم نشعر الا بنسمات الصباح تلامس اجسامنا المغروسة تحت غطاء خفيف ولاحظت من استيقاضي الباكر رغم اني نمت متأخرا اني صرت اتغير شيئا فشيئا كيف لا وقد رزقني الله صداقتها وصدقها معي؛ صداقتنا كانت مثالية فقد فتحت لي بابا من الصعب ان يفتح امام احد؛ من الصعب ان يفتح اساسا لكنها خرقت مبادئ كانت قد تعلقت بها منذ فترة وسمحت لي بالولوج الى باطن روحها؛ لقد تجاهلت عزمها على الكتمان والسرية وفسحت لي المجال كي اغوص عميقا في جوف روحها وقد كان لي الحرية في نزهتي هذه رغم اني لزممت حدودا معينة ولم اجعلها تحس انها مجبرة على اطلاعي على كل شئ؛ لقد كانت مخيرة.

مرت الايام الاولى من الاسبوع ومن غيابنا عن بعض وقد بدأت اشعر ان اليوم صار طويلا وبدا لي الوقت ابطئ من عادته التي طالما ازعجني بها وأثار ضجري لكني الآن انتظر انتهائه بفارغ الصبر حتى ابلغ يوم الاحد والقي صديقتي الظريفة غريبة الاطوار واجالسها طويلا؛ كانت الثقة التي ظهرت في علاقتنا مؤخرا بمجرد اطلاعي على

بعض قصصها الغريبة قد خلقت قدرا إضافيا الى ما كنا نكنه لبعض من اهتمام اذ انها زادت في اهتمامنا ببعض وقوته حتى صرنا لا ننام الا اذا بلغنا الفجر سهرا وتراسلا ولا نكاد نفرغ من كلامنا وحكاياتنا لبعض ابدا فقد كانت تطلعني على تفاصيل يومها منذ استيقاظها حتى تغرب شمس يومها وتجمعنا المراسلات مساء؛كنت اصيها ان تتصل بي في اي وقت ما ان تفرغ وتجد نفسها شاغرة البال وكانت لا تمتنع عن ذلك أبدا؛كانت تنهي ما كان يشغلها من اعمال ثم تتصل بي وقد كان اتصالا قصيرا يعني ان علي فتح حسابي لنتراسل ونطمأن عن بعض؛كان لها المجال لتراسلني وتتصل بي في كل لحظة متى شاءت ولم اكن ابدي لها اي تهرب او امتناع عن التحدث بل كنت اغوص معها في قصصها التي لم تكن تعرف لها نهاية؛زادني هذا اهتماما وحرصا على محادثتها وقد بادلتني نفس المعاملة عينها ولم تكن تمل وهي تراسلني لساعات طول اليوم؛كنا في منتصف استمتاعنا بصدافتنا التي انستنا في جزء مهم مما فعلته لنا الحياة وتسببت لنا فيه من أوجاع وهموم....

مضت ايام قلائل على آخر لقاء وقد كانت هذه الايام تمر ببطئ شديد اشعرتني بالضجر وصرت اشغل وقتي كله بالعمل حتى ادرك نهاية اليوم والذي يليه لكي ينتهي الاسبوع وارها من جديد رغم ان اخر جزء من المساء والليل باكملة كان مخصصا لها وحدها اذ لم يكن لي احد او صديق غيرها احادته باستثناء صديقة اخي والتي كنت قد عرفتها منذ عامين وصرنا اصدقاء الا ان الله لم يشأ ان يجمعنا في لقاء ولو لمرة واحدة فقد كانت تسكن مدينة اخرى بعيدة عني اذ كنا تكتفي بالتراسل فقط حتى انها لم تجتمع مع اخي قط رغم انها كانت الفتاة التي احبها واحبته لكن القدر لم يجمعها وظلا يتراسلان ويتحدثان عبر الهاتف ما يقارب عاما كاملا....

لقد حصلت على صديقة ظريفة صارت مقربة مني كثيرا وقد نشأت هذه الصداقة على الثقة والاحترام رغم مزاحنا الذي لم يكن ينتهي ورغم شتائمنا المضحكة لبعض الا ان ثقتنا في بعض واحترامنا المتبادل لم يغيبا ابدا وكنت قد خصت كل دقيقة ارتاح فيها لمحدثها اضافة الى تخصيص المساء والليل بطوله حتى بلوغ الفجر اذ انها كانت في عطلة ولم يكن امامها شئ غير شؤون البيت التي طالما

تكلفت بها لوحدها وتحملت اتعابها لانها تلازم البيت طول اليوم؛كنت كثير الانشغال في النهار ولذلك فقد كانت من ينتظر اتصالي حتى نتراسل لكني كنت احاول التملص قليل في النهار واتجاهل بعض الاعمل حتى احادثها واطمان عليها ولم يكن عندي شىء افعله منذ ولادة تلك الصداقة غير العمل نهارا ومحادثتها مساء وليلا؛كانت رسائلنا لا تتوقف ولا تعرف الملل او الضجر ولم تكن ملازمتنا للحديث والتراسل ملفتة او مثيرة للحيرة الا لكلينا فقد كنا لا نفرغ من المواضيع ابدا وكانت تستاء وتضجر اذا ما قلت لها ان الوقت تأخر وعلينا النوم حتى نريح اعصابنا وحتى لا يتسبب لها الامر في ألم بعينيها او ظهور تجاعيد حولهما لكنها لم تكن تنصت وتتحجج انها لا ترغب في النوم لانها امضت نصف نهارها في سبات بينما كنت اعمل ولا تصمت الا اذا اقنعتني بان نواصل السهر اكثر لتجدنا قد بلعنا الثالثة صباحا....

لقد كان امرنا محيرا لكلينا في منتصف الاسبوع وقد صار اهتمامي بها قد تجاوز المعقول وصار ملفتا ومثيرا للتساؤل وقد طافت اغلب التساؤلات في ذهني وانتقل بعضها الى ذهنها وتملكتني الحيرة دون ان نعرض الامر على

بعض؛ كنت قد غصت في كل قصة ترويها لي ثم اسألها عن حالها وان كان بها سوء او يألمها شئى او تعاني من مرض ما وقد زاد الامر تعقيدا وواجهة صعوبة في الاجابة عن جملة التساؤلات التي زارتنى لما صرنا ننتظر اتصال واحد منا حتى نباشر الحديث لساعات؛ كنا نقطع عن العالم ونحن نتراسل ونجوب بين القصص والمواضيع وكنت شديد الحرص على معرفة اخبارها ومستجدات يومها اكثر ممن يقطنون معها في البيت؛ كنا نتحدث عن حياتها قبل ان نتعرف وعن اصدقائها الذي ملئوا حياتها وعن صديق كانت قد ساندته ووقفت الى جانبه في شدته لكنها لم تجده حاضرا في وقت شدتها وعن حبها للتنزه في الجبال والتخييم وعن غرامها بالقراءة والموسيقى وعن عالم الهندسة الشاسع خاصتها وقد تعمدت في بعض الاحيان تجاهل أعمال البيت وتأجيلها اذا ما فرغت من العمل باكرا؛ لقد هويينا عميقا في تفاصيل عالمنا دون ان نشعر او نحس بأنفسنا الى أين نتجه واي محطة ستكون القادمة لكنني حقا شعرت ان صداقتنا هي المحطة التي ارتكز عليها كل ذلك الاهتمام والعناية...

كنا مدركين وعلى دراية بامر الاهتمام المبالغ فيه هذا لكن من جهتي واصلت اهتمامي بها كما تعودت واكثر ولم اطلعها على ما دار في داخلي من حيرة تجاه ذلك لكنها انهدت حيرتي بمجرد رسالتها التي قالت فيها وقد ملأت ضحكا؛ كانت تبتسم حتى في رسائلها ولم تغب تلك البسمة بمجرد اننا نتراسل فقد كانت تبدا كل رسالة لها بحرف دل على الضحك الشديد؛ قالت؛

«ارى انك جعلتني مصدر اهتمامك يا صديقي وانا سعيدة بذلك لكن احذر ان يمر بك الامر الى ان تحبني.»

لقد حركت حينها كل الهواجس التي طالما اردت تجاهلها داخلي وصرت اسال نفسي ماذا يجري لنا؟؟

مالذي يحصل لي بالذات؟؟

ما كل هذا الاهتمام وما سبب كل هذه العناية؟؟

لماذا اصر على معرفة اخبارها كل ربع ساعة؟؟

من هي؟؟

لماذا اقدم لها كل هذا الاهتمام؟؟

ماذا تعني لي وماذا اريد منها؟؟؟

هل هكذا تكون الصداقة الحقيقية؟؟ هل هي اهتمام الى هذا الحد من المبالغة؟؟ ما هي الصداقة وعلام ترتكز؟؟

الى اين نحن ذاهبان ولماذا كل هذا الهوس بها؟؟

هل كانت محقة حين نبهتني من ان لا احبها؟؟

اذا كانت لا تعني لي شيئا غير أنها صديقتي المقربة فلماذا كل هذه الحيرة اذن؟؟

هل حقا دخلت في مرحلة الحب بسبب اهتمامي المفرط بها؟؟

كانت هذه جملة الاسئلة التي راودتني ولازمتني طيلة ايام متواصلة وقد ابت تركي وشأني او مغادرة رأسي؛ لقد كانت هذه الهواجس موجودة منذ ايام في مخيلتي وكنت احاول تجاهلها وطردها عني لكنها اعادت ايقضتها برسالتها تلك والآن وقد صارت الحيرة تجاه هذه الصداقة تتسع فقد صرت لا استطيع النوم الا اذا كان التعب قد أخذ كفايته مني وانهكني وقد تواصلت مراسلاتنا تلك بنفس الطريقة ونفس الاسلوب وينفس القدر من الاهتمام حتى انه كان في ازدياد متواصل وقد أصرت على تكرار رسالتها تلك عديد المرات حتى اني شعرت انها تخاف شيئا او

تخشى من حدوث أمر ما كانت قد احست به مسبقا
وتجاهلته لكن خوفها قد كبلها من جديد وكانت كثيرا ما
تردد نفس الرسالة ولم تكن البسمة تغيب عنها؛

«احذر ان تبتلي بي او ان يقودك كل هذا الاهتمام المفرط
الذي تقدمه لي الى ان تحبي وتجعلني بلائك».

لكني كنت قد غرقت اكثر في التساؤلات التي احاطت بي
من كل جهة ودخلت علي من كل باب كان من حولي
لكني كنت اسأله لعلها تعينني في حيرتي هذه لاني لا
اعلم ان كانت تواجه نفس الحيرة ام لا وان كانت الاسئلة
التي تسيطر على عقلي قد زارت عقلها ايضا أم لا كنت
اكتفي بالاجابة لعلها تضيئ لي طريقا صارت مصابيح
تنطفئ لشدة الاسئلة التي تكونه وقد كان جوابي في
شكل سؤال؛

«وماذا ان احببتك او إبتليت بك، هل سيزعجك الامر؟؟
لقد اجابت بعد تريث دام دقائق وتفكير طويل وأملت ان
يعينني جوابها في التخلص من جزء كبير من التساؤلات
التي كانت تطرد عني النوم ولا تترك لي مجالا للتفكير
لازديادها المتواصل وكثرتها في مخيلتي؛ كانت تكتب وكنت

اضن ان رسالتها القادمة ستطرد عني كل سؤال شغل
بالي لكنها قالت؛

«لا مطلقا لماذا قد يزعجني الامر لكنني فقط انبهك حتى
لا تغرق في عالمي لأن تنبيهي لك سيعفيني من
مسؤولية ما قد يحدث لك لاحقا بسبي...»

لقد غرقت في حيرتي اكثر قبل ان اغرق في عالمها ذاك
الذي كنت قد عرفت عنه القليل وازدادت تساؤلاتي وكونت
سربا مصطفا وراء بعض وصارت في تزايد حتى اني لم
اعرف السيطرة عليها مطلقا وتملكتني الهواجس والقلق
تجاه هذا الموضوع اذ ان جوابها لم يساعدي في شئ
ولم ينقص من حيرتي تلك بل زاد فيها اضعافا؛

لم لم اجبها مباشرة اني لا اكن لها اي من تلك المشاعر
واني اعدّها صديقتي الظريفة والمقربة لا اكثر؟

لماذا لم تقل لي ان الامر سيزعجها كي تتجنب سوء
فهمي لها؟

لماذا لم تدعي ان في حياتها شخصا ما رغم ان وجوده
كان محال؟

لماذا واصلت في حيرتي رغم ان الحل كان بسيطا امامي مجرد رسالة اقول فيها ان صداقتنا من الافضل ان لا تتجاوز ذلك الى الحب؟ لماذا لا احسم امر ذاك التنبيه

برسالة تتضمن كلمتين اثنتين؟؟ هل اصابت حين حذرتني؟؟ لقد تهت وحدي في هذه التساؤلات ولم اجد سبيلا واضحا يجعلني اريح نفسي منها بل وصرت ابحث عن اجابات وكانني اجري بحثا علميا ما لكني لم أنل مرادي ولم اجب عن اي سؤال من اسئلتني تلك فحاولت تجاهلها وتجاهل ذاك الصوت الذي عاد الى همسه من جديد ولم ادرك ماذا يريد مني فقد اعادني مرة لاجد نفسي امامها والان عاد الي من جديد ولم ادرك وراء ماذا يسعى هذه المرة فقد اكتفى بالهمس في أذني طول الوقت وكان همسه يزداد ويصير صراخا وانا ارسلها واتحدث اليها؛ لم يكن يتوقف عن الهمس ابدا؛

#هل كل ذاك الاهتمام صداقة؟ هل هكذا تكون الصداقة؟ لماذا تصر على محادثك رغم انها تستطيع تجاهلك والقول انها مشغولة؟ مالذي دفعها لإطلاعك على كل اسرارها وخفايا عالمها؟ لماذا تنتظر اتصالك طول اليوم حتى تراسلك؟ أهكذا تكون الصداقة؟ ماذا تعرف انت عن الصداقة

أصلا فانت لم تجربها مطلقا في حياتك؟ انت لم تصادق إلا الأولاد وهي أول أنثى تصادقها؟ ماذا لديك من معلومات حول صداقة الرجل والمرأة؟ لماذا لم تقل لها ببساطة ان تخمينها خاطئ وان تحذيرها لك لم يكن له اي لزوم؟ مالذي جعلك تتردد عن قول هاته الكلمات اذن؟ #...#

لم يكن يتوقف عن إعادة هذه الجمل داخل رأسي ولم يكن يمل او يتعب من ترديدها ابدا لكنني حاولت قدر المستطاع تجاهله وقد زادت محاولتي هذه في سوء الامر اكثر فقررت ترك الامر للقدر فقد حسم أمر هذه الاسئلة اصلا منذ الازل لكن الامر كان يتطلب بعض الصبر مني فعدت الى رشدي بعد ان تهت في أمرها مجددا ولكن هذه المرة كان الامر مختلفا فقد شردت في أمر كان القدر قد انتهى من حسمه وتطلب الامر بضع ايام اخرى حتى اجيب عن كل سؤال.....

تواصل تراسلنا كما عهدناه وتواصل اهتمامي الذي كان سببا بسيطا في جعلها تجد شيئا من الفرح الذي فقدته منذ زمن رغم مشاكلها المتراكمة لكنها لم تكن تبتسم من قلبها وقد زادني ذلك اهتماما اكثر بحكايتها لكنني لم افهم سبب بقاء بقعة ملفتة منها في ظلمة واضحة وقد شعرت بذلك من خلال رسائلها؛ لم يكن بيدي أية حيلة فأنا

لم اكمل استكشاف ما بقي من عالمها في اللقاء السابق
وكنت قد اطلعت فقط عن بدايات اوجاعها وكان علي بمزيد
من الوقت كي اغوص فيها اكثر؛كنت استمتع لمحدثها
وقد اخذت لنفسني زاوية منفردة في البيت وابتعدت عن
مجالسة اخوتي وانقطعت عنهم اذ ان صداقتنا هذه
اصبحت عالمي الجديد وحياتي الجديدة بعد كل تلك
اللامبالاة التي كانت تأسرني لكنها لم تغفل يوما عن
تنبيهي وتحذيري واهيانا تعيد علي نفس السؤال؛

«احذر ان تبثلي بي او يمر بك الأمر الي ان تحبني.

«اظن انك بدأت تحبني؛هل صدقت التخمين.

لكنني كنت أرد في كل مرة بنفس الجواب والذي كان سؤالاً
كنت في كل مرة اضمن انها ستجيبني بما يعينني في
حيرتي وقد غيرت في شكل إجابتي قليلا في بعض
المرات؛

«ان احببتك!!هل سيزعجك الامر؟؟.

لم تبدي اي تعاون؛لقد اغرقتني في هواجسي وحيرتي
لكنها لم تقصد إثارة الحيرة في بالي بل أجابت بطريقتها
التي تعودت التحدث بها معي؛

«لن يزعجني لكني فقط انبهك من ان تجعلني بلاءك.
كان هذا ما تقوله يوما بعد يوم وكان ذاك ما كنت اجيبه به
حينها ولم ادرك أبدا لماذا لم احسم الامر في كل مرة
بنفي ظنونها وتصوراتها؟؟ ولم اعرف لماذا لم تقل من
جهتها ان امر تحول صداقتنا الى حب هو من الغباء
والسخافة ولا جدوى من ذلك؟؟ كاد راسي ينفجر ولم
اتوصل الى اي جواب....

إنتهى الاسبوع الاول ولم تشأ الاقدار ان نلتقي وانتصف
الاسبوع الثاني وتواصل تراسلنا كعادته الا ان الاهتمام قد
فاق تصورنا وبلغ مراحل القصوى بل صرنا نفتح حساباتنا
معا ونغلقها معا ولا يفتح حسابي ان لم تتصل بي ولا تزور
حسابها الا اذا وصلها مني اتصال ولكن المساء لم يعد
موعدنا الوحيد بل صار اليوم كله متاحا لها ولرسائله وادركنا
ان صداقتنا هذه اصبح مشكوكا في امرها اذ لم يكن الشك
في ان تكون زائفة او كاذبة بل صار هاجسنا ان نجيب على
تلك الاسئلة التي سببها تحذيرها لي من ان احبها.

كنا نتراسل ذات مساء وكان المزاح والشتائم قد أخذنا منا حتى غروب الشمس وقد باشرت تحديثي حول ما كانت تفعله في البيت من اشغال؛ كانت تغسل الاطباق وتنظم الملابس وتعد شيئا للأكل؛ لم تمل قط وهي تروي لي ما فعلته قبل مجيئي لكني ودون قصد مني اعدت إحياء تلك المزحة التي تركناها نائمة فوق السفينة وسايرت موضوعها وقلت ان ابنتنا ستعينها كثيرا في اشغال البيت والتنظيف والطهي فاجابت ورسائلها لا تكاد تنتهي من الحروف المضحكة؛

«كفاك مزاحا أيها الظريف أخشى أنك احببتني كما توقعت.. لا تستهن بالامر قد يمر بك الامر الى ان تبثلي بي وهذا سيتعبك».

كانت اجابتي نفسها لم أغير فيها شيئا؛

«وماذا ان احببتك..قلتي ان الامر لن يزعجك أليس هذا ما قلتيه».

«نعم لماذا قد يزعجني لكن تحمل عواقب ذلك في المستقبل».

«ماذا ألن تقبلي بي عريسا؟؟»

«لا اعرف ان كنت سأقبل ام لا هذا سيكون حسب رغبتى وانا لا افهم رغبتى هذه الايام.

«اذن ساظل واقفا اما ببيتكم حتى تفهمى رغبتى وتقبلى.

«ابقى ما شئت فأنا لن أخرج أبدا وستظطر للمغادرة ضجرا.

«ومن قال انى ساضجر ليس لديك اية فكرة عن صبرى أيتها المغرورة.

«الامر لن يزعجنى صدقنى لكن أقولها من أجلك لا من اجلى احذر ان تحببى وتجعلنى بلاءك.

«مادام لن يزعجك فلماذا تحذرينى اذن دعينى أبتلى بك هذا سيكون شرفا لى صدقينى؛ساتشرف بحبك.

كانت هذه المراسلات كلها تحت اسم المزاح والمداعبة بالنسبة لكلينا ولم يغب الضحك عن اى رسالة من رسائلنا تلك وقد كان تراسلنا لساعات الليل الطويل خير دليل على استمتاعنا ومرحنا لمحادثة بعض لكن كل الموازين انقلبت رأسا على عقب فى ليلة ذاك المساء وحكم على صداقتنا

بالدخول في سبات عميق الى اجل كان بالنسبة لي مجهولا.

انصرف المساء وغربت الشمس معلنة عن ليلة اضاءتها تلك المصابيح التي تملأ الشوارع وتتوزع في كل ركن كالعادة وقد كان الطقس دافئا للغاية وكنت قد اجتمعت بأخي فوق سطح البيت؛ خيم الهدوء على الشارع ولم نكن نستع الا لصوات الدراجات الكبيرة في الطريق السيارة التي ليست ببعيدة عن البيت وصوت القطار وهو يمر كل نصف ساعة وقد ركزنا انظارنا على الاضواء التي تكون المدينة واشارات المنارات التي تشق السماء متجاوزة السحب؛ افتقدت صديقتي واشتقت لمحادثتها لكن كما لو انها سمعتني اقول في نفسي "ترى أين هي وماذا تفعل الان" لم تلبث إلا دقائق ووصلتني رسالتها تبادلني السلام وشرعنا في حديثنا لكن هذه المرة لم يكن مجرد مزاح وشتائم ومداعبات؛ لم يكن حول ما فعلته خلال غيابها عني في الدقائق الاخيرة ورغم ان الابتسامات التي عودتنيي عليها في رسائلها لم تغب قط إلا انها كانت جادة فيما تقول وكانت قد حسمت أمرا كنا قد ناقشناها اثر جلستنا على تلك السفينة الصغيرة لكني لم ادرك ماذا خمنت

وماذا ناقشت مع نفسها ولم اعرف ماذا حدث لها حتى خلق فيه هذا التحول المفاجئ وهذا التغيير الذي كان سببا في الاجابة عن كل هاجس تملكني وأذهب عني كل تلك التساؤلات التي تملكتني من أيام لكنها لم تتصنع اي مقدمات فقط اکتفت برسالة لم اكن بحاجة للتعمق فيها؛

«لقد اکتفیت ومللت من خنق نفسي وتكبيلاها؛ لقد اکتفیت من لامبالاتي الدائمة من إقامة علاقات تجعلني اشعر بالحياة؛ لقد اکتفیت من ظلم نفسي وسجن روحي...»

كانت وكأنها تقول هذه الكلمات على مسامعي؛ كانت وكأنها تجلس إلى جانبي وتروي لي حكاية من حكاياتها لكنني كنت أحاول فهم كل حرف من رسالتها وحده شرعت في تفسير كل كلمة على حدا لانني لم اشأ ان اجيبها بشيء يجعلها تشعر أنني لا أفهمها لكنها أكملت؛

«لقد أصبت في كل كلمة قلتها يا صديقي؛ انت محق لقد ظلمت نفسي كل تلك المدة؛ لم يكن لي دخل في ما حدث لي ولم يكن لروحي ايضا سبب في ما فعلته بها الحياة؛ الحق معك كفاني ما فعلته بنفسني حتى الآن قررت

تحريرها وتركها تسبح في أرجاء الدنيا لعلها تجد نورا
يحتضنها...

كنت اقرأ كل كلمة من رسالتها وافسرها الف مرة حتى
يكون جوابي مناسباً ليعينها لا ليشتمها ويظللها عن
الطريق التي لطالما اردتها ان تسلكه منذ مدة الا انها قررت
اخيراً التخلي عن تلك السلاسل الحادة التي كانت قد
وضعتها حول عنق روحها مروراً على قلبها لكن عقلها لم
يغب عن وعيه يوماً فهو الذي كان يبقينا محافظة على كل
ذاك التماسك؛ كنت اجيبها بالتأييد مسائراً ما كانت قد
قررت وواصلت القراءة؛

«لقد احببتني هذا ما اضنه ولا أشك ان ضني سيخطئ.
لقد صدقت؛ لقد اصابت؛ لقد اخترقت ما تبقى عندي من
لامبات وقرأت كل الحروف الطائفة في قلبي والتي لم
أدركها بدوري ولم أعرف أنها كانت موجودة لكنها ادركتها؛
كانت موجودة منذ البداية لكن اللامبات التي تعودت على
معاشرتها كانت قد غطتها حتى عميت على ابصارها لكنها
ادركتها؛ تباطأت في الرد حتى ظنت اني نمت لكنني كنت
انتقي كلماتي؛ لم أكن اتصنعها؛ كنت فقط انسج ما يليق
بعقلها الذي لطالما ابهرني؛

❖❖ ليس بمخطئ يا صديقتي فقط ما بقي في حوزتي من
عدم اهتمام بتلك الامور قد جعلني اغرق في اهتمامي
بك دون ادراكي ماذا أريد رغم ان كل الاجابات كانت مدفونة
وراء جدار اللامبيلات ذاك لكن كل هذا لا يهم الآن دعك من
لامبالاتي فقد تبخرت كلها للتو وإلى الأبد لكني لا أريد ان
أكون مثل بقية أصدقائك الذين عرفتهم قبلي، قد تكون
صداقتنا هذه مختلفة وقد برهنتي لي ذلك لكني عاجز الآن
اما رغابتي؛ قد يصل بنا الطريق يوما الى ان ننسى صداقتنا
وربما ان كان هناك حب قد ننساه ونتغير؛ الامر متعلق بك
لا اريد ان اكون مثل من خسروا صداقتك؛ لا اريد ان اخسرک
فالحب صعب يا صديقتي...

قرأت الرسالة وقد كان دورها في تأخير الرد وكان لي ان
انتظرت ردها؛ كل كلمة كانت تحمل معنى في طياتها وكل
حرف كان يروي حكايات وقصصا وقد كانت تنتقيها بعناية
وبساطة؛ لكنها كانت قد أنهت الرد وكانت مترددة في
الإرسال ولم تعرف ان كانت رسالتها قد تفي بالغرض رغم
بساطتها إلا انها تردد في ارسالها؛ شعرت بشيء من
الخبيل واراقت أخذ رأي اخي فيما كتبت فتوجهت رسالتي
وغيرت طريقها إلى اخي ثم اضافت ان كانت رسالتها

جميلة وبسيطة فاجابها بالتأييد وقد طمأنها ان الرسالة في غاية الأناقة وان خجلها لا ضرورة له فاسرعت بارسالها لكن الرسالة هذه المرة لم تكن تحمل تلك الضحكات في أولها بل أنها جاءت اكثر جدية من ان تحمل ضحكات وقد أضفى عليها ذلك تميزا واناقة خاصة؛ قرأت واعدت القراءة مرارا؛

«لست مثلهم ولم تكن يوما مثلهم فلكل شخص طبعه الخاص لكن طبعك مختلف عنهم تماما وهذا ما تاكدت منه مؤخرا؛ لن تكون مثل اي احد منهم....»

قرأتها مرارا وكررتها مرات متتالية امعنت فيها وخنمت وتعمقت وبحثت وتساءلت لكن لم يكن هناك داع لأي شيء من هذا فقد حسمت راسلتها كل شيء؛ لقد اخرجتني لتوها من عالم الحيرة الذي كنت قد دخلت فيه منذ فترة لكن أين كانت تلك الرسالة وكيف كتبتها؟؟ لماذا تأخرت الى هذا الحد؟؟ كل هذا لم يعد يعني لي شيئا فقد جاءت كاسرة ذاك الجدار الى الأبد؛ محته وأزالته بعد ان كان يقف بيننا منذ البداية ولكني ادركت ان العوائق في العلاقات رغم تنوعها واختلافها فان عائق اللامبلات وبرود القلب وتجاهله لأمر الحياة هو اسوئها؛ هذا ما توصلت اليه

بعد رسالتها تلك لكنني تأكدت ليلتها ان كل ما مررنا به سابقا كان مجرد تمهيد لا اكثر لكن صداقتنا لم تكن زائفة ولا كاذبة قط؛ لقط كانت صداقتنا أظهر من ذلك....

اخذها النوم في احضانه الدافئة في ساعة متأخرة من الليل لكن الصباح كان مختلفا تماما فقد كنت حاضرا على ذاك اللون البرتقالي في السماء عند الفجر كنت قد اكتشف اني افوت كل يوم منظرا خاطفا وحابسا للانفاس فقد كانت الشمس تكاد تكون بازغة في جوف السماء التي لا تزال داكنة اللون وفيها شئ من الظلمة لكن المشهد كان جاذبا ورغم ما امتلأ به رأسي من حيرة الا ان اللوحة الفنية التي تكونت في الافق اراحت ذهني وهدات اعصابي نوعا ما؛ كنت قد بقيت يقضا بعد نومها أراقب النجوم المعلقة في السماء لعلها تطلعي على ما يجري لنا؛ لم استطع النوم ما بقي من سويغات في تلك الليلة اذ أمضيت بقية دقائقها الاخيرة في قراءة تلك الرسالة مرات ومرات حتى الصباح؛ لم استطع اغلاق جفن وقد تملكني صراع منذ بداية الشروق واحسست ان يومي لن يكون جيدا فقد بدأت تساؤلات جديدة تركز سفنها

على شاطئتي وبدأ أمرها يظهر معي منذ الفجر وتواصل
حتى ساعة متأخرة من الليل.....

ماذا حصل البارحة؟؟ هل كنت أحلم ام يخيل لي ما كنت
اقرأه؟؟ ماذا يجري لكلينا هل هذا اسلوب جديد من أساليب
الحياة الكريهة؟؟ لقد تهت مجددا يا صديقتي!! لقد تهت....

امضيت اليوم باكملة وعينايا لا تكادان تفتحان اذ ان النعاس
كان يجذبني اليه وقد انهكني العمل واتعبني وخنقتني
تساؤلات جديدة وحيرة اوسع من سابقتها سلسلت
عنقي وانصبت على روعي الهواجس كما لو انها ماء ينهمر
على رأسي دون توقف؛ لقد اغرقتني الهواجس وسحبتني
الى القاع؛ استسلمت لاعيائي وتعبني وامضيت اليوم حتى
المساء شارد الذهن وقد طاف عقلي وسبح حول إسمها
ولم اكن اسمع في مخيلتي غير دندنة وهمسا ينطقان
باحرفها ويقولان؛*انها في حاجة اليك؛ انها في حاجة الي
صديق وقد كنت الصديق الذي لم تتصور ان تناله يوما وقد
بينت انك جدير ب صداقتها وتأكدت انك مميز عن البقية؛ هي
اخبرتك ذلك بنفسها لا انا؛ انا مجرد انعكاس لمخيلتك لا
اكثر؛ احاول ايقاضك وارشادك؛ انا صوتك الداخلي ويجب ان
تثق فيما اقول فانا هو انت ولا فارق بيننا ان كنت

تشك؛ تذكر لقد قالت لك بنفسها ولم يجبرها احد وفي الحقيقة لا اذن انها بكل ذلك الصمود وذلك التماسك ان هناك احد يستطيع اجبارها على شئ؛ فقط تذكر انها قالت انك مختلف؛ انك مميز؛ ان طبعك غير طبعهم كلهم؛ تذكر انت فريد عندها*...

لقد ظل هذا الصوت يهمس في اذني طيلة يوم كامل حتى المساء وما اطوله من يوم مررت به وحدي بين حيرتي وهواجسي وتيهاني وتساؤلاتي التي بغلت المساء بكميات لا تتوقف عن الازدياد؛ لقد تهت فيها حقا لكن اليوم انتهى اخيرا بعد ان جعلني اشعر انه دهر باكملة لكنه انتهى أخيرا وقد كنت منهكا وتعبا واخذ مني التعب حده الاقصى وكنت انتظر العودة الى البيت بكل الصبر الذي بقي عندي؛ كنت آمل العودة الى البيت وأرمي بجثتي على الفراش حتى تتبعثر مني كل تلك الهواجس التي بدأت تسلسلني منذ الليلة الماضية وقد مر على اخر مراسلة لنا ما يقارب ١٩ ساعة؛ لم نتعود على كل هذه المدة من الغياب ولم أعرف أين هي وكيف امضت يومها او ما ان كانت على ما يرام؛ لم اعرف عنها شيئا منذ ان نامت ليلتها لكنني لم اعد الى البيت كما انتظرت منذ الصباح ولن

احضى بقسط من الراحة كما تمنيت طول النهار اذ كنت بحاجة الى الانفراد بنفسى قليلا؛كنت بحاجة الى تصفية ذهني وفهم ما أريده بالضبط؛كنت بحاجة الى ان اسمع روحي واعرف رأيها فالامر لم يكن بتلك السهولة ابدا؛كنت بحاجة الى قسط من العزلة والانقطاع عن العالم باكملة لا الراحة....

كان قد رسخ بذهني مكان هادئ لا اسمع فيه ضجيجا الا صوت الهواء او النجوم من فوقى وقد قصدته منذ المساء بسيارة اخي؛كان جبلا ورغم بعده عن البيت الا اني قصدته لأن رغبتى في الانعزال كانت شديدة ولم اقصد من هذه الوجهة شيئا غير اني اردت تصفية ذهني ووضع نفسى في اطار الحكاية اذ اني اردت تجنب كل الشكوك التي قد تزورني لاحقا؛كل تلك الضنون والافكار والافتراضات التي تستطيع تشويش ذهني اردت تركها هناك وقررت دفنها كلها في قمة الجبل لكن الامر لم يكن بالهين فقد تطلب مني ليلة اخرى لم يغلق لي فيها جفن وقد قارب الصداع يقسم رأسي وضغطت على مخيلتي كل تلك الهواجس بأنواعها حتى صرخت ولكن ما من احد ليسمعني حينها غير ربي فأنا منفرد بالنجوم؛ صرخت من كل قلبي دافعا

كل ما بداخلي الى الخروج واخذ سبيله مع الهواء؛ صرخت ناطقا باسم الله ثم باسمها لكن لا احد يعيرني اهتماما غير ربي الذي لطالما أحاط بي من كل زاوية.....

كنت وحدي؛ كنت اقرب الى ربي بمجرد ان انعزلت عن الوجود وما فيه؛ أحسست وكأنني اسبح في الفضاء الصامت وقد سمحت لكل ما كان يرهقني طول اليوم بالخروج لكن صورتها وطيفها أيا الخروج فاستسلمت لتعبي وألقيت بكامل جسمي فوق صخرة واسعة وصلبة؛ لقد كانت باردة لكن جسمي لا يكاد يستطيع الحراك؛ فالقيت بيدي تحت جمجمتي واخذت انظر الى السماء وقد تكونت فيها اسراب من النجوم كانت تخبرني شيئا؛ كانت تكون لي صورا واحرف ورسومات بدت لي مألوفة؛ لم أومن يوما بعالم التنجيم واتخاذ النجوم منجدا ودليلا لحل المسائل لكن ذلك لم يكن تنجيما بالنسبة لي؛ كان

مجرد خيال ناتج عما فعلته تلك القصيرة من تغيير في عقلي؛ لكن ايا كان ما رأيته او ما حدث لي فقد أعجبني واراخني من تعبي ذاك؛ لقد كانت صورتها واسمها بلا شك وحتى ذاك الصوت الذي يهمس في أذني لم يتعب من الهمس ولم يتوقف مطلقا فشردت بمخيلتي في ذاك

الفضاء المعتم وتلك السماء وقد أضاءت بطيفها ولم يبقى فيها إنش الا ويرسم لي صورة لها بخمارها الابيض القاتم وقميصها الاحمر ذو المكعبات السوداء؛ لقد أفضت صورتها على السماء لمسة جمال وزينتها وقد ادركت حينها انها لم تخطئ الضن؛ لم تخطئ حين حذرتني بان اكف عن مزاحي ذاك؛ لم تخطئ حين قالت ان المزاح قد يأخذ مجرى غير متوقع نحو الحقيقة المحسوسة؛ لم تخطئ حين قالت اني اعيرها اهتماما مبالغا فيه؛ لم تخطئ حين قالت لا تجعلني بلائك واحذر ان تحبني؛ لم تخطئ في كل تصوراتها وضمونها وتوقعاتها لم تخطى في شئ مما قالته؛ انه قلب المرأة؛ ذاك القلب الذي مهما كبته همومه واوجاعه واحاطت به الآلام من كل جهة فان نقطة الاحساس تلك التي تضيئ في منتصفه ولا تكاد ترى لا تختفي رغم ما تراكم فوقها من اضطرابات فإنها تظل تضيئ بخفوت؛ ذاك القلب الهزيل والضعيف الذي يدعي القوة والقسوة رغم انكساراته وجروحه العميقة فان ذاك الثقب الدقيق في منتصفه والذي ينبعث منه نور الامل والاحساس لا يسد مطلقا؛ دقيق لا يكاد يدرك بالعين حتى ان عبورة قطرة الماء منه هو من المحال؛ ذاك القلب الذي عاشر

الغدر وسبح في مياه الخيانة العكرة وضمن ان من
استوطنوه طاهرون اوفياء لكنه عوقب في النهاية على
ضنه الخاطئ ونال الكثير؛ لكن رغم ذلك فان الظلمة داخله
لم ولن تصل حدها الاقصى؛ ذاك القلب الذي خذل من
الأهل والاقارب والاصدقاء وعاصر ما تخفيه وجوههم البريئة
خلفها من وحوش لكنه بقي منارا رغم ذلك كالقمر فمن
دون شمس هو مظلم لا يرى؛
ذاك قلب المرأة.

اجل؛ لقد أحببت صديقتي الظريفة.....

ادركت الآن كل شئ واجبت عن كل هاجس شغل بالي
وكان سببا في حيرتي التي وصل بها الحال ان اخافتني
لكنني فهمت الآن انه كان علي بقليل من الصبر لا اكثر؛
كل ما حصل، كل ذاك الاهتمام الذي سعد كالزئبق من
الاسفل إلى ان بلغ اخر نقطة في الاعلى وتجاوزها، كل
تلك العناية والحرص على معرفة تفاصيلها وحكاياتها، كل
ذاك الانسجام في مواقفنا، افكارنا المتطابقة، مبادئنا
المتماثلة، جنوننا، كل تلك المداعبات وتلك المزحة الظريفة
؛ كل ما حصل كان مجرد تمهيد وجسر ذهبي اسمه
الصداقة بني في طريقنا لنعبر خلاله الى جزيرة الحب؛

كانت جزيرة جميلة وفاتنة في وسط المحيط تحوم حولها كل انواع الطيور والعصافير بمختلف انواعها واسمائها وقد شقتها انهار العسل والعطر من كل جهة؛ كان ترابها مسكا وعنبرا اما هوائها فقد مزج فيه الياسمين والريحان وسمائها كانت حمراء لكنها صافية تمطر وردة الجوري واجتمع لون سحبها الفزدقي بلون الجوري الاحمر ليكونوا طقسها؛ قوانين العيش فيها كانت بسيطة ومتواضعة اذ ان كل من يزورها يتقيد بها ويعيش حسبها وقد كان أولها الاهتمام وثانيها الاحترام وثالثها الغيرة ورابعها التواضع وخامسها القناعة وسادسها الخوف وسابعها الاكتفاء لكن آخرها كان أهمها وأساس صمودها فوق المحيط وهو الوفاء؛ كانت مستوحات عن الجنة؛ رقعة واسعة تطفو فوق المحيط الازرق وكانت الاسماك بألوانها الحمراء والبيضاء تغوص تحتها وترقص مع الامواج الهادئة لكن الجزيرة قد حرمت على من فهمو الحب كمثل فهمهم للرقمي؛ لقد منعت على من عبدو المال وانتجو منه رقيا يتخذ الشيطان الاها ويعتبر الفساد رسولا لكنه لم تكن بحاجة لان تحرم عليهم فهي في الاصل لا تظهر الا لم أحبوا بقلوب نقية طاهرة وقد أحبوا هم بعقولهم التي تنتج نزوات وشهواته

حسب ما يشبع رغبتها فوضع القدر حجابا بينهم وبينها فلم يدركوها.....

كان الصديقان الظريفان يجلسان فوق تلك السفينة على مقربة من المياه التي ترتطم بالشاطئ ثم تعود ادراجها وقد بدأت ملامح الجزيرة تظهر في الافق مع تلك المزحة؛ مزحة رتاج؛ البنت التي ستعين أمها القصيرة في شؤون البيت والتنظيف؛ كلاهما لمحا انعكاس الجزيرة على سطح الماء في تلك الليلة لكنهما تجاهلاه ولم يعيراه اي اهتمام قط وواصلتا حديثهما ومزاحهما حتى إنتهى اللقاء وافترقا؛ كانت تناديهما وتجذبهما اليها كمغناطيس بل ان جمالها كان يسحبهما حتى يحاولا عبور البحر وصولا اليها؛ لقد ظهرت لهما مما يعني انهما من أصحاب القلوب الطاهرة والصالفة وقد عاشا وواجهتا من الحياة ما كان كافيا من الاوجاع لينهك قلوبهما لكن الآن كلاهما يرى في الآخر سندا ومعينا وكلاهما وجد الصديق الذي يستطيع ان يفرغ فيه جزءا من اوجاعه دون تدمير او تمنع؛ لطالما عرفا ان قلوبهما طاهران والا لما كان عرفا اي اوجاع او انكسارت قط فاولئك الذين يعيشون من اجل شهواتهم ويحبون بعقولهم لا تهمهم الاوجاع في شئ فقد احترفوا الخيانة

والغدر فكلما خسروا صديقا بحثو عن آخر ونسو الاول اذ لم يكن الصديق هو من تركهم بل هم من عبثوا معه ورموه بعيدا عنهم وتركوه يتخبط في مستنقع الغدر والخيانة الذي اعدوه له وزجوا به فيه؛ هذا مفهوم الحب والصدقة عندهم لذلك هم لا يبصرون ولا يدركون جزيرة الحب وهي أمام اعينهم طول الوقت لكن الحياة تجعل بعضهم يغير اسلوبه وفهمه وتترك البعض في ظلمته فقط الامر يتطلب قليلا من الوقت لا اكثر.....

لقد انتصف الليل وتجاوزه؛ انها الوحدة بعد منتصف الليل ولازلت لم ابرح مكاني ولم اتحرك قط اذ شعرت وكأنني تجمدت في مرقدى ذاك وقد شردت بمخيلتي في صورها المعلقة فوقي بين النجوم ولم اشعر حتى بمرور الوقت الا ان ساعتى اليدوية كانت تضيئ وتصدر صوتا مع مضي كل ساعة فاحرك يدي ببطئ حتى اعرف اين صرت واي محطة زمن قد بلغت لكن الوقت لم يكن يعني لي شيئا حينها فرغبتى في الانعزال عن الوجود كانت لاتزال قائمة تخنقني؛ كان الجو دافئا يبعث في الجسم الهدوء والاسترخاء ورغم اني لم انم لليلتين متتاليتين الا ان تلك النسيمات الدافئة التي ترتطم بجسمي كانت تخفف عني

الكثير من تعبتي؛ لم يكن هناك اي حسييس فقد انقطعت
الاصوات وكأنني اصبت بالطرش لكن الصمت سيطر على
ذاك الجبل وهيمن على كل ارجائه؛ شدني المنظر من
فوقي وابهرني اذ شعرت اني في قاعة افلام اشاهدا فلما
للكون ومكوناتها تعرضه شاشة عملاقة باحداثيات متطورة
وفائقة التقدم؛ كان منظرا مميزا وفريدا لكن رغم كل ذلك
الشروود والتفكير في كل اسئلتني الا انها لم تغب عن بالي
لحضة واحدة؛ تمنيت لو انها كانت بجانبني حينها.....

كانت تتصل بي منذ ان غربت الشمس وغابت وأعلنت عن
حلول الليل المظلم وقد جرت العادة ان أعود مباشرة الى
البيت واتصل بها حتى نبدأ تراسلنا لكنني لم اعد قط وكنت
قد اعلمت اخي باني لن أعود ليلتها وقد عرف بمكاني
لاني كنت ازوره كلما ضاق صدري وتملكني القلق والالم
بسبب الوحدة التي كنت أعيشها وقد اوصاني منذ المساء
بالحذر في ذلك الليل اذ ساكون بمفردي لكنني لم اكن
اكثرث لشيئ حينها غير ان اتخلص من هواجسي واريح
نفسي المنهكة؛ كنت قد القيت بهاتفني في حقيبة ظهري
منذ بداية المساء ولم ادرك انه كان في وضعه الصامت
حتى ان الحقيبة كانت مرمية حذو رأسي لكنني لم آبه لها

فلم يكن فيها ماء او اكل لاخرجه اذ انها احتوت على هاتفني ومحفظتي وسماعات الاذن خاصتي.....

لم يخطر ببالي ان غيابي عن مراسلتها تلك الليلة سيثير قلقها وحيرتها علي وقد كان ذلك سبب انفرادي بنفسي وذهابي الى ذاك الجبل ولم ادرك اني كنت مهما ومميذا عندها حتى تقلق وتضجر ان لم ارسلها او ان تخلفت عن موعدنا الذي تعودنا عليه كل ليلة لكنني لم اقصد قط اثاره قلقها ولم اتعمد وضع هاتفني صامتا ولم اكن اختبرها لارى ما كانت لتفعله ان غبت عنها وتخلفت عن موعدنا المعتاد؛ لم اتعمد شيئا مما فعلته تلك الليلة وقد كان كل ما قمت به عفويا الى درجة ان قلقها علي وحيرتها تجاه غيابي شيئا لم يزورا ذهني مطلقا؛

لماذا قد تقلق وتضجر لغيابي؟من انا بالنسبة لها حتى تحترق وتخاف علي عندما لم اجب عن اتصالاتها؟ماذا اعني لها واي مكان اتخذته لي في قلبها؟اما زلت صديقها المقرب الذي امنته على اسرارها ام اني صرت الحب الذي طالما انتظرته منذ زمن؟؟من انا لها؟؟

لقد تهت مجددا وزاد إلتصاق جسمي بتلك الصخرة الصماء التي بدأت تبرد اكثر مع اقتراب الفجر وقد بدأت احس ببرد

آخر الليل يلامس اطرافني وساقني مخترقا حذائي ومتسللا بين خيوط قميصي؛ شعرت بقطرات من الماء تسقط على كامل جسمي ببطئ حتى اني كنت بالكادي اشعر بارتطامها علي؛ انها قطرات ندى ولم اعرف كيف ينزل الندى في الصيف فهو يستوطن فصل الشتاء فماالذي أتى به الآن اذن أهو مناخ الجبال؛ وما شأنني انا بذلك لا يهم؛ وقد عدت الى شرودي مع السماء بينما كان الهاتف يرن في صمت داخل حقيبتني لكنني لم اشعر به قط؛ كنا قد ابدينا لبعضنا اهتماما مفرطا لكن امر الاحساس والتخاطر مازال لم يخلق بيننا بعد والا كنت احسست انها تتصل بي ولكنك تناولت محفظتي لاي سبب كان وادرك صدفة انها تتصل لكن الصدفة التي جمعتنا تلك الليلة قد غابت عني وقتها وظل الهاتف في رنينه الصامت طول الليل.....

لقد احببت صديقي يا الاهي هل تسمعني؛ كنت اعلم انه يسمعني واملت ان تأتيني اشارة ترتسم امامي في السماء او يحملها احد الشهب التي تمر فوقي كل حين حتى تطلعني عما يجب ان أفعله حيا ل هذا الامر؛ ماذا عساني افعل يا ربي!!! على الأغلب من جهتها قد تعلقت بي وتعودت على مراسلتي والتحدث الي لاطلاعي بكل

تفاصيل حياتها ومن الممكن انها احببتي هي الاخرى لكن
ماذا عن صداقتنا؟ استذهب هكذا بهذه البساطة ضحية
الحب؟ احقا احببتها وهل احببتي ولكن لماذا؟ مالذي دفعنا
الى ذلك فصداقتنا ظريفة هكذا لماذا ترغب في التحول
هكذا؛ احس ان كل القصة هي عبارة على حياة فراشة
كانت في سالف الايام محظ دودة صغيرة تنتقل بين
الاعشاب المبللة بقطرات الندى ببطئ شديد وكانت تحلم
طول الوقت بالطيران حتى قررت يوما انشاء بيت يحسن
من حالها ويحقق حلمها البسيط في الطيران فكان لها ان
صارت داخل يرقة مكثت فيها اسابيع تحولت خلالهم الى
فراشة بنفسجية تزينها نقاط سوداء ومنقارا استشعار
ابيض اللون؛ لقد تحقق حلمها وصارت تجوب السماء
وتستوطن الورود والازهار؛ لقد عاشت الحياة بجمالها
الخلاب.....

أهذه هي صداقتنا؟؟ هل صارت تريد الطيران والتحليق في
السماء حتى تجوبها وتتعمق في تفاصيل سحبها نهارا
ونجومها ليلا؛ لا اتهرب من اقامة علاقة تقربني منها اكثر
ولا اتهرب من حبها؛ اين سأجد مثلها اصلا؛ لكن ماذا سيحل
بصداقتنا التي طالما احببتها واعجببتي طبيعتها؟ ماذا

سيكون مصيرها ان هويانا في مناجات الحب وغصنا عميقا فيه أين ستكون صداقتنا حينها أنتخلى عنها وهي التي صارت خالدة؟ماذا ان لم ننجح في الحب؟ماذا ان فشلنا هل سنعود الى صداقتنا هذه؟هل ساخسر صداقتها من اجل الحب؟الحب اجمل من الصداقة لكن الصداقة أوفى وأصدق من الحب!!الصداقة خالدة لكن الحب عظامه هشّة وينكسر بسرعة مهمى كان صدق الطرفين؟ستدخل صداقتنا في سبات ان اخترنا الحب لكن ان فشلنا في الحب هل سنستطيع احياؤها من جديد؟؟؟

اه رأسي يا رب....

كنت احدث نفسي طول الليل بكل هذه الاسئلة؛لقد ضننت اني أجبت على بعضها لكن كلما وجدت جوابا يخلق مكانه عشرة آخرون لقد تعبت يالله ولم أعد استطيع إلا البحلقة إلى السماء في صمت لكن الصمت أبى ان يزورني فقد كان ذاك الهمس في اذني لا يعرف التعب وتواصلت صورها في الارتسام امام مخيلتي وكان صوتها في كل مكان؛مالذي فعلته بي هذه الفتاة؟؟انظر الى نفسك كيف اصبحت وانت لم تقل لها انك احببتها بعد فماذا لو فعلت....

لم اكن قد اكرثت لاي شىء في تلك اللحظات الاخيرة
من جلستي بنفسى غير انى ادركت انى احببتها حقا
وتملكنى شعور قوي انها تبادلنى نفس المشاعر لكنها
اعز اصدقائى واقربهم بل هى الوحيدة التى كانت تملأ
على الحياة وتشغل مكان وحدتى؛اكتفيت بها من كل
العالم واقطعت عن الوجود لاجلها وهى لاتزال صديقتى؛
فماذا لو انى غصت معها فى الحب حقا؟؛لن اخمن؛لم أعد
أهتم لأمر نفسى وراحتها قط مثلما شغلنى أمرها
وحيرنى؛لقد خفت عليها منى؛خشيت ان اعلقها بي ثم
تظطرنى الحياة لتركها وحدها والذهاب؛لقد خفت ان
اجعلها تحبني بقلبها الذى عانى من الغدر والخذلان سابقا
ثم اتركها تغرق فى الغدر مرة اخرى؛ستموت لا محالة بل
ولن يعيش قلبها يوما اخر وسيموت الى الابد؛ لقد خشيت
ان اصبح مثلهم....

لقد خشيت ان تجلس يوما مع احدهم فوق تلك السفينة
نفسها وتروي له كيف أنها أحببني ووثقت بي لكنى
غدرتها وخذلت ثقتها حتما سيكون محقا اذا اخبرها انى
لست برجل وانى لن اكون كذلك يوما...

لقد حفت ان اكسر قلبها واجرحه بعد ان يتعلق بي؛ كانت هذه كل مخاوفي فلا تهمني نفسي في شئ مثلما تهمني سعادتها وراحتها اذ اني اعرف اغلب اساليب الحياة القذرة حتما ستغرس في طريقنا اشواكا تدفع احدنا للتوقف والعودة ادراجه وفي طريق الحب ذاك لا يحق للثنين العودة اذ ان احدا منا سيكمل الطريق وحده حتى النهاية وبالطبع سينتهي المطاف في القبر سواء اكملنا معا او اكمل احدا وحيدا الا اني لم اشأ ان اكون من عاد ادراجه وترك الاخر يكمل الطريق الذي بدأناها معا وحيدا يسقط ولا يكاد يقف على طوله من الالم؛ لا اريد ان اكون غادرا يوما ما بالنسبة لها؛ لا اريد ان اكون خائنا وخالفا بالوعد فقد عانت من هذه الاشياء كثيرا وقد عرف على الانسان انه متقلب ومتجدد الرغبات اخشى ان تدفعني رغباتي إلى ان اخذلها رغم انها لم تعد تهمني في شئ منذ زمن فهي اخر ما افكر فيه؛ أخاف عليها من نفسي!!!
لكني حقا احبتها..لقد احبت صديقي المقربة...لقد حرت في أمري وامرها لكني صرخت باعلى صوتي "اللهم اعني وارشدني الى الطريق الصحيح؛ يا ربي ليس لي احد غيرك أسأله او أتوجه اليه بالدعاء فلا تردني خائبا يا رب"....

كانت تصل بي طول الليل دون توقف وقد قلقت كل القلق علي وامضت اغلب ليلتها ولم يغلق لها جفن*هكذا قال اخي فقد كانت تتصل به وتراسله كل حين حتى تعرف ان كان قد استطاع الوصول إلي باتصال او عرف احوالي لكن هاتفني كان صامتا مثلي ولم استطع الاجابة على الاثنيين وقد واصلت في اتصالاتها تلك حتى الثالثة صباحا؛ كانت تسال اخي ما ان كنت عدت الى البيت في حيرة وقلق كانا ينطقان ويصرخان معها في كل رسائلها؛

«أين هو اريد التحدث اليه لكنه لا يجيب لقد اتصلت به مرارا لكنه لا يرد...»

«اهدائي سيكون بخير هو دائما هكذا حين يضجر او يمل ليست المرة الاولى...»

«احقا ما تقول هل تعود على الذهاب الى الجبل بمفرده هل سيكون بخير أريد محادثة فقط قليلا لماذا لا يجيب على اتصالي...»

«صدقيني سيكون بخير لا تقلقي بشأنه قد يكون ترك هاتفه بالسيارة ونزل او قد يكون في وضعه الصامت...»

«كيف لي ان لا اقلق...ارجوك افعل شيئا ما من اجلي»

لم تتوقف عن الاتصال بي ومحاولة الوصول الي وقد شعرت بأسا واخي يروي لي ما حدث في اليوم التالي اذ اني تسببت لها في قلق وحيرة كبيرين لكني لم اتعمد ذلك قط؛ كانت ترسل رسائلنا تسألني فيها عن مكاني وحالي وعن سبب قلقي ولكن رغبتني في العزلة الى ذاك الحد كانت سببا لأن لا أقرأها حينها فكانما لم امتلك هاتفا قط؛ بعد ان كان لا يفارق جيبني فقد صار الليلة ملقى يتقلب في محفظني حتى يكاد ينطق ويصرخ

تفقد محفظتك أيها الغيبي واخرجني من هنا؛ تعال واجب على اتصالها فقد تعبت وانهكها القلق لماذا جعلتني ابكما منذ المساء، احمق؛ اراد ان يخترق تلك المحفظة خارجا ليرتمي في وسط راحة يدي حتى ارفع السماعة واسمعها صوتي وكأنه اشفق عليها وسمع حسييس ضجرها من تلك المسافة؛ وكأنما كان يشغله قلب رقيق وحساس لا بطارية؛ وظلت في اتصالاتها تلك حتى شارف النوم يعانقها فاوصت اخي بان يجعلني اتصل بها حين اعود فطمأنها انه لن ينسى...

كان التعب قد ادرك معي مراحلہ الاخيرة وقد اجتمعت كل
الاضطرابات التي تلازم الانسان احيانا وتراكت فوق
جسدي؛

تساءلات تزداد كل دقيقة...

حيرة تخنقني وتصد الهواء عن العبور الى رئتي...

هواجس تحيط اصفاها بمعصمي وتقيدني...

تعب...

انهاك...

اعياء...

صداع كان يظرب رأسي دون توقف منذ المساء كما لو ان

حجرا اصما باردا يسقط عليه من السماء...

اغماء بسبب قلة النوم...

عينان ذابلتان لم تذوقا طعم النوم منذ ليلتين...

قلب يدق ببطئ شديد وكأنه يعد تنازليا ليتوقف...

يدان تجمدتا من برد آخر الليل....

قدمايا بالكاد اشعر بهما بل بالكاد تتلملل اصابعي في

الحذاء....

الم حاد يمزق بطني فانا لم اذق طمع الماء او الطعام منذ
منتصف النهار....

أصبحت ارى السماء والنجوم يكادان يلمسا قمة الجبل
بسبب عينايا الحمراءوتان....

ذاك الهمس لا يتوقف ولا يتعب أبدا اسمعه يصرخ يكاد
يخترق طبلة اذني وقد زاد في الم رأسي اضعافا...
جسمي يتصبب عرقا وقد احسست بحرارة تتجول داخلي
وتغمر كل جزء مني وتحضني لكن اطرافي وساقني تكادان
تنكسران من تجمدهما بردا....

لا اشعر بشيئ مني حتى إنني لا اشعر بي؛هل اصبت
بشلل كلي...

مالذي يحدث لي؟؟

هل احتضرا!! أهذه علامات الموت؟؟

لا اضن انها علامات تدل عن مرض او حمى لكني كنت
مستسلما لكل شيئ وغير مهتم لما يحدث حولي؛ مالذي
كان يحدث اصلا فقد سيطر الصمت على ذاك الجبل منذ
وصولي كانه عزم على التزام الهدوء والسكون احترامما
لوحديتي ورغبتني في الانفراد بنفسني وقد ساعدني

سكونه على سماع صوتي الداخلي الذي كان يقودني ويجذبني اليها ويشدني بقوة؛اي مخلوق هذه ومن اي مغنط؛لوهلة أحسست ان قوة جذبها لي قد تجاوزت شدة الجاذبية على المشتري؛وكان الكوكب يحاول تحريكي وانتزاعي من الارض وسحبي اليه رغم انه يبعد عني سنوات ضوئية لكنها لم تكن تبعد عني الا بضعة كيلومترات؛في الحقيقة لم تكن تبعد عني انشا واحدا فهي لم تغادر مخيلتي مذ بدأ ذاك الاهتمام بيننا يتزايد ببطئ حتى صار كمطر الشتاء بضع قطرات تتسلل من السماء تحاول اخفاء ارتطامها بالارض لكنها تفشل منذ اول قطرة تصل التراب الجاف،لكن اهتمامنا ذاك كان بشدة اعصار بورما في صعوده من العادي الى تجاوزه المعقول؛باختصار لقد باغتتنا الحب ونصب لنا فخا؛بل كان لغما غطاه وزينه الاهتمام حتى وصل مرحلته القصوى فادررنا أننا واقفون على لغم؛كان اعظم من ان يكون لغما؛بل كانت قبلة نووية وكنا عليها واقفين طول ذاك الوقت ولا سبيل للتراجع لقد خشيت ان تسلبني الحياة شعوري واحساسني وينتهي حبي لها فاضطر للنزول وتركها؛سيخف وزنها عليه وسينفجر تحتها وتتطاير أشلاء

في الفضاء؛ لن يكون لها اثر حتى ولن تبقى منها ذرة واحدة؛ خفت ان أفقد توازني واسقط من فوقه وتبقى معلقة وحدها؛ لكن ان نزلت فلن يصل جفناها الى الالتصاق حتى يتفتت جسمها القصير ويتبخر بدنها الهزيل في الهواء لا افكر في شئ غير هذا ولم أفكر قط في نفسي حتى ولم اقل لمرة واحدة اني يمكن ان اكون الضحية وان التعويذة قد ترتطم بالجدار وتعود بقوة صاروخ لتترب الكاهن الذي اطلقها؛**قد تكون هي من سينزل ويتركني وحيدا فوق هذه القنبلة فلا ترى الا دمائي وفتات عظامي يلطخون الجو بل لن يكون لهم اثر حتى؛ سأتحول الى لا شئ خلال اجزاء من الثانية حتى اني لن أجد الوقت لاغلاق عيني كي اتفادى هول مشهد تناثر اجزائي مع ذرات الغبار؛ ساتبعثر.....**هذه الفكرة كانت من المفقودين في مخيلتي حتى انها لن تراودني قط ولم أضعها في قائمة تساؤلاتي الطويلة مطلقا؛ كانت قائمتي تكاد تلامس السماء السابعة لكن هذه الفكرة كانت وكانما لم تغادر عالم الغيب ولم تبرحه ابدا.....

انها الثانية بعد منتصف الليل؛ اجد نفسي ملقى فوق صخرة صلبة وباردة والكون كله من فوقني يناديني لاتخذ

قراري والنهوض اذ يجب علي الخروج من وسط تلك الدوامة التي جرفني سيلها الي الاعماق؛ شعرت كاني نملة سوداء صغيرة إنتهى بها الحال بعد يوم طويل من جمع القش الصغير وحببات الطين التي لا تكاد ترى بالعين؛ إنتهى بها المطاف بعد ان اعيهاها التعب وارهقها وسط حشد من البشر المذعورين من شىء ما وقد كانت تتطير بين اقدامهم واجسامهم العملاقة فهي بالنسبة لهم مجرد ذرة لا ترى؛ مجرد حبة رمل حملها الهواء وابعدها عن الشاطئ ورمى بها في ساحة لا يكاد المرء يحرك جسمه فيها من شدة الازدحام والتراص هكذا كان

حالي فوق ذاك الجبل؛ شعرت اني لا شىء؛ أهذه هي العلامات الاولى للمرض؛ أهذه هي اعراضه وتأثيراته؛ اي مرض أيها التائه؛ خمن قليلا وشغل فكرك البسيط... نعم؛ انه مرض الحب.

لكن ان كانت هذه مجرد اعراضه الاولى فكيف سيكون في منتصف اكتوبر؛ ايشبه الامراض الأخرى التي نعرفها ودرسنا عنها والتي طالما اخافتنا وافزعتنا؛ أله دواء او علاج؛ ما هي مدته وكيف يشفى المريض منه؛ اتوصل العلماء والاطباء الى ايجاد ترياق له؛ أهو معد؛ كيف ينتقل

من شخص إلى آخر بالوراثة؟!؛أحمق ان اجبت على كل هذه الاسئلة بالتأييد وأبله ان تجاهلتها وتركتها للوقت وغبي ان تركت الامر بيد ما تبقى عندي من مليغرامات من اللامبالاة وندمي سيكون أشد من قتل امرء ان عدت الى المنزل قبل الاجابة عنها لكنني جمعت هذه الصفات الثلاث في مخيلتي واكتفيت بالصمت والنظر السماء وجمودها من فوقي.....لقد عجزت يا الله.

لقد كان توقيتنا مناسباً لصلاة قيام الليل وكنت قد حافظت على وضوءي منذ صلاة العشاء؛التي صليتها في مسجد ليس بعيد عن الجبل؛حتى الثانية فجرًا؛لقد انار الله حيرتي بشيء من النور الذي اصدره قلبي؛لست ملاكا ولا معصوما من الوقوع في الذنوب والخطايا لكن لطالما شعرت ان قلبي كان نقياً وبعيداً من ان تغويه صور الدنيا الفانية؛لكنني تأكدت بعدها ان قلبي نقي وصاف لانه كان أمي؛

الصلاة وخشوعها والطمأنينة التي تبعثها في كل انش من جسم المسلم....

القرآن ونغمته التي تريح الاعصاب وتهدء من توترها
واظطرابها وتحقن الدفئ والاسترخاء في شرايين من
يسمعها....

الدعاء الذي يخرج من القلب النقي والطاهر لا سيم ان
كانت كل الشهوات والنزوات التي تزينها لنا الحياة لا
تستهواه؛دعاء الذي لم يعد له حول ولا قوة؛دعاء اللاجئ
المسكين؛دعاء فقير جعلته الحياة ينام جائعا؛دعاء مظلوم
أدين باطلا؛دعاء حمامة خرب عشها في غيابها؛دعاء كائن
ضعيف يطلب شيئا من الجبار الذي لا يخفى عليه شيء
ليلا كان او نهارا؛باختصار ذاك الدعاء الذي ينبع من باطن
القلب النقي.

كان وقوفي صعبا نوعا ما اذ شعرت وكانني امضيت كل
حياتي على كرسي متحرك وعندما ناهزت الخمسين قال
لي الطبيب ان اعضاء ساقي العصبية التي خلقت ميتة
منذ ولادتي قد استفاقت وصارت تعمل بفاعلية كبرى وان
علي الوقوف وترك ذاك الكرسي الذي يثبتني ويمنع
جسمي من حقها في الحرية؛لقد كانت الصخرة هي ذاك
الكرسي وكان الطبيب هو قلبي اما الخمسين سنة فقد
كانت مذ استلقيت على تلك الباردة الصلبة حتى الثانية

فجرا؛ ولكن اي وقوف هذا يا الاهي؟ كيف لي ان اقف متوازنا
واثبت على طولي في دقيقة واحدة وبعد خمسين سنة
من الجمود والشلل؛ لم يكن الامر في مجمله سهلا قط
فقد تعلق بكلينا وليس بي وحدي ولكني في الحقيقة
خفت على صداقتنا التي طالما تاكدت انها صارت وستكون
مثالية ومميزة وكنت لاكون اقرب اليها من اهلها
واقربائها؛ لقد احببت تلك الصداقة اكثر من حبي لاهي
ولطالما تاسفت له عن ذلك فكان يكتفي بالضحك ويقول
اني لم احب صداقتها بل اني احببتها هي؛ لقد صدق.....
تنهدت في اعياء ووقفت أخيرا متشبثا بخيط رقيق ورفيع
اسميته إيماني المتواضع والبسيط وقد فككت خيوط
حذائي ونزعتة قبل وقوفي ذاك؛ كنت لا اكاد اشعر بساقي
يحملانني من شدة تجمدهما من الخارج لكني كنت اشعر
بحرارة تكاد تحولهما الى حمم من الداخل؛ كانت الصخرة
كبيرة وواسعة بما يكفي لأصلي فوقها وقد كان منظرا
خاطفا لا اقوى على وصفه من تلك النقطة
المرتفعة؛ السماء من فوقني تصطف نجومها وتتراص لتكون
مشهدا بديعا للكون وما فيه؛ اضواء المدينة من تحتي
تشكل مهرجانا من الانوار بمختلف ألوانها وقوة اضائها؛

اقف لمناجات ربي وطلب العون منه في ذاك الظلام وذاك الارتفاع ووسط ذاك السكون وذاك الجمود وقد قربت اكثر الى السماء؛اي منظر ذاك؟؟ اخذ قبلي واغمضت عيني وكان رأسي كعادته في كل صلاة يميل وينحني الى الاسفل كان ذلك يحدث لا اراديا؛أستحيت من شئ ما؛انه غني عن التشيئة؛لقد استحييت من ربي فانا مجرد عبد ضعيف كبلته خطاياها وذنوبه عن وعي كانت ام عن غير وعي؛لكني سرعت في لقائي بربي فرفعت بيدي؛كانتا ثقيلتان وباردتان عن العادة؛رفعتهما دون ان اشعر حذو اذني وكبرت مبتدأ صلاتي؛**الله اكبر**؛لقد طفت في الهواء بقلبي رغم ان جسمي ثبت في مكانه واقفا واحسست اني ارتقي صعودا نحو السماء ملامسا الغيوم التي بدأت تتكون مع اقتراب الفجر؛طار قلبي وعبر السماوات السبع للقاء ربه وطلب العون والمغفرة منه؛ شعرت اني اصل القيام في جماعة بمكة المكرمة وراء شيخ حفظ القرآن في قلبه واضاف إليه كل قول خرج من فم اكرم الخلق واعظمهم؛حفظ أقوال محمد صلى الله عليه وسلم وسيرته وتفصيل حياته؛ربما كان احد القرائ المفضلين عندي؛كان صوت تلاوته لآيات صورة البقرة يتردد

على اذني وقد عشقت صوته وطريقة ترتيله التي تدخل
المصلي في خشوع بعون من الله مهما كانت درجة
إيمانه؛ سمعت صوت احمد علي العجمي؛ لطالما ابهرتني
قراءته.....

اي جمال كان بتلك الركعتين وانا اردد ايات الله وقد حاولت
الخشوع والخروج من الوجود؛ حاولت ان اخرج كل حرف من
مخيلتتي يمت للحياة بصلة وبقيت بقلبي الخاوي من
قصص الدنيا امام ربي اترجاه الرحمة والعون؛ كانت الركعة
الاولى كمثال اسراء من فوق تلك الصخرة الي السماء التي
علقت فوقي وقد تركت كل ما كدر علي ليلتي في
جسمي الضعيف الهزيل امام قوة الله وعظمته؛ سجدت
وقد محيت كل ذرة من حولي كانت قد كونت المكان
وانشاته؛ كل شئ تبخر وحتى الهواء انعدم لبره في تلك
السجدة ولم يبقى شئ في الكون غير قلبي الذي يسبح
في السماء راکعا قريبا من ربه وجسمي الذي يسجد
طافيا في اللاشئ، في الظلام، وكأنه النقطة الوحيد التي
بقيت تشع بالنور في كل الكون.....

وقفت من سجودي للركعة الثانية فتبعثرت بتلك الوقفة كل
تسائلاتي وحيرتي وهمومي وسحبت نحو السماء

متجاوزة النقطة التي وجد فيها قلبي طافيا في الهواء
وبدات التلاوة من جديد ولم تغب صورة الامام ومكة من
امامي؛ كأنما حججت وانا لم ابارح صخرتي تلك وقد حافظت
عينايا على اغلاقتهما ولم ينفثا قد؛ لا الخوف ولا
الهواجس ولا الذعر كانت لهم الجرأة في الاقتراب مني في
صلاتي تلك؛ سجدت سجدتي الاخيرة وقد احسست بكل
ما تملكني من تعب واعياء وانهاك يتبخرون ويصعدون
مغاديريني نحو خالقهم دون رجعة لقد ازيل كل ما كان
متراكما فوق جسمي كانما احد ازاح عني غطاء ثقيل
شعرت تحته بحرارة تملكني واختناق يشد عنقي ويعصر
عليه....

سجدت؛ انفاسي تعبر جسمي دخولا وخروجا ببطئ دل
على اني ادركت الخشوع وقد شكرت الله ولم يكفني
الشكر لتلك النعمة؛ طبعت جبيني على الصخرة وكان
لقلبي ان أعرج عائدا الى مكانه الذي تركه شاغرا
لدقيقتين بدت لي وكانها عقد من الزمن ورحت بذلك اتوجه
الى ربي بادعيتي الاخيرة قبل ان أسلم والتي تعودت
قولها في كل صلاة من صلواتي وقد كان اطالة السجود
من عاداتي الا ان الاطالة هذه المرة تجاوزت العادة؛ لقد

ذكرتها في صلاتي مرارا ودعوت لها معي وقد ادركت ان صورتها انتقلت من بين النجوم أين علقت في السماء والتصقت بقلبي وقد طافت حوله خلال صلاتي مثل طوفان الالكترونات حول نواتها الا ان قلبي جذبها اليه في اخر سجدي التي طالت وقد تمنيت لو أمضي ما بقي لي من عمر في سجودي ذاك؛ لقد طال حتى خلتنى غفيت ونمت وانا اردد؛

اللهم لك الحمد؛ اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد؛ اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه؛ اللهم لك الحمد فيما اعطيت ولك الحمد فيما أخذ ولك الحمد على كل حال وانت ادرى من خلقك بكل حال؛ اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي وقلبها على دينك؛ اللهم اغفر لي ولها ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات؛ اللهم اغفر لي ولها لوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا؛ اللهم يا من تجيب دعوة الداعي اذا دعاك اجب دعائي هذا وتقبله يا رب العلمين؛ اللهم يا من علمتنا ان رحمتك قد وسعت كل شئ وارحمني وارحمها وراحم والداي وجميع المؤمنين واغفر لهم ذنوبهم وتب عليهم انك انت التواب الرحيم؛ اللهم تقبل

صلاتي وصلاتها واغفر خطيئتي وخطيئتها وتوفني واياها
بين يديك ساجدين؛اللهم انعم علي وعليها بنعمة
الخشوع في الصلاة وحبنا في القرآن وتلاوته؛اللهم ان
الحب من دينك فان كان فيه ضرر لكلينا او لاحدنا فاطفي
ذاك الضوء الذي اشتعل في قلوبنا وجنبنا عنائه وألمه وان
كان فيه خير لكلينا فزد نوره في قلبينا وانر به حياتنا يا رب
العالمين؛اللهم ان كان في الامر ضرر لصداقتنا فابعده عنا
وجنبناه يا مجيب؛اللهم ثبت قلبينا على حبك قبل حب
بعضنا؛اللهم ان كان مطافنا الفراق والفشل في الحب
فابعدنا عنه واطفي حبا لبعض وانزعه من قلوبنا فاننا
ضعفاء لا نقوى على ذاك الالم يا رب؛اللهم يا مجيب الدعاء
ليس لي احد سواك أسئله او اوتوجه اليه بالدعاء فلا
تردني خائب يا رب العالمين؛اللهم دعائي اليك صاعد
فتقبله في رحمتك يا عزيز يا رب؛اللهم ما أحببتها لاجل
جمال ولا حسنها ولكني أحببتها لاجل خلقها وقلبها الطيب
الذي يدرك عظمتك ويؤمن بك وروحها المشبعة بالنقاء
وعقلها الذي يستحضرك ويعي وجودك ويخشى غضبك
وانت ادرى بما في قلبي وعقلي مني فيا رب قربنا في ما
لا يتجاوز دينك وحلالك واجعلها لي رفيقة وصديقة بما يحث

عليه شرعك واكتبنا لبعض واجعلنا من الطيبين يا رب
العامين؛ اللهم احببني فيها ولا تجعلني انساك او اغفل عن
ذكرك يا رب...؛ ثم تريت ثانية اخذت فيها نفسا وسلمت
واستيقضت عينايا من رحلتها بين يدي ربها وليت الرحلة
لم تنتهي آنذاك ودامت حتى تخرج روعي الى ربها للقاءه
وانتهى بذلك قيام ليلي وحسم معه امري وانتقلت كل
اتعابي وحيرتي الى جوار ربها فهو الادري بها مني وقد
احسست بأن شيئا عظيما ازيح عني وذهب مع الهواء دون
عودة؛ اي عظمة واي شعور ذاك الذي هز كل بدني خلال
تلك الركعات حقا ان الصلاة لا تريح النفوس فحسب بل انها
تعزلها عن هذا الوجود الفاني وتحملها في رحلة تكون فيها
الروح شفافة تكاد ترى الشئ من خلالها بين كل تلك
الكواكب والمجرات؛ تكون نقية وطاهرة وقد ملأت حبا بالله
خالقها لا بأي من المخلوقات التي ستتبخر يوما ما في
الهواء صعودا الى ربها لترجع بين يديه؛ فكيف لنا ان نحب
شخصا اكثر من الله الذي حبنا فيه وزرع عشقه في قلوبنا
واضاهه!!! ليس كفرا او نفاقا منا بل ان قلوبنا بطبعها خلقت
ضعيفة امام عظمة ما تزينه لنا الحياة وما تلقي به امامنا
فاذا ما احبنا شخصا وعشقنا وجوده في حياتنا لا نجد

انفسنا الا قد نسينا الذي كان سببا في حينا لذاك
الشخص؛ نعم نحن ننسى الله بمجرد تعلقنا بشخص ما
وتعودنا على وجوده في حياتنا فنغرق معه ونغوص في
تفاصيله حتى ننسى كل الوجود وننسا مع ذلك أنفسنا
ويكون عقابنا من الله شديدا في الدنيا اذ لا يتلينا بمرض
او بالموت لكن الامر يكون أسوء من ان يكون موتا فنحن
سنفقد ذاك الشخص الى الأبد ولن يبقى له اثر في حياتنا
هذه ولن يكون هناك عقاب او عذاب اعظم من ان نفقد
إنسانا تعلقنا بوجوده الى درجة ان ننسى الله وننسى
انفسنا؛ ذاك عقاب الحب الاعمى.....

انها الثانية والنصف فجرا؛ اصبح الطقس يبعث نسيمات
تسبب القشعريرة في الجسم وصارت الخفافيش تصدر
رنينا وتعود الى اوكارها التي هجرتها منذ غروب الشمس
؛لطالما ذكرتني تلك الوطاويط بمصاصي الدماء وقد راق
لي طريقة عيشهم وأسلوبهم في الحياة فهم معصومون
من حب الاشخاص لأن حبهم وعشقهم قد كرسوه كله
للماء فحبهم دماء وغرامهم دماء وعشقهم دماء وكل
حياتهم هي بالاساس دماء حمراء ساخنة لذلك فقد كانت
حياتهم هذه سببا في ان تجنبوا ألم الفراق ووجع البعد

وقسوة التخلي والخيانة كلها مجرد نكات يضحون عند سماعها ويمضون في حال سبيلهم باحثين عن الدماء لكنهم محظوظون اكثر منا نحن البشر فهم على الاقل يعشقون شيئا يبقوهم على قيد الحياة بينما نحن نحب شخصا يسلبنا سعادتنا وراحتنا وفي الاعلب حياتنا بعد فترة قصيرة من عشقنا له ورغم ذلك نواصل في حبه ونسمي انفسنا خائنين ان نسيناه؛ كم نحن حمقى نجعل الحياة لا تكف طول الوقت عن السخرية منا والضحك على تصرفاتنا البلهاء ونحن نركض وراء كرة حمراء صغيرة تنتفخ وتمتلئ وندعي انها مصدر الحياة بينما هي لا فائدة منها ان لم تمتلأ بحب الله ورسوله الكريم.

عزمت على الرحيل بعد فترة النقاهاة تلك اتخذت قرار وفي الحقيقة كنت قد كذبت فهو لم يكن قراري بل كان قرار كل من قلبي وعقلي؛ تماثلت بالوقوف من جلستي تلك بعد ان سلمت واستغفرت الله وحملت حقيبتني حتى اني لم افتحها الى ذاك الحين وكان الهاتف قد توقف عن الرنين منذ فترة؛ لقد نامت تلك الظريفة واستسلمت للحيرة والقلق اللذان انهكاهما ورمت بكل جسمها النحيل وقامتها القصيرة على سريرها وسبحت نحو سبات عميق واتخذت

النوم صديقا يعوضني حتى اهاتفها؛كنت قد تركت السيارة على بعد خطوة مني لذلك لم اكلف نفسي المشي طويلا فقد اخذ مني الانهالك كل طاقتي وخارت كل قواي وانتهت؛ركبتها وكان تشغيل اغنياتي الهادئة اول ما فعلته رغم انها كانت ساعة متأخرة من الليل الا ان الاغاني كانت تريحني نوعا ما؛كانت تروق لي في تلك المواقف لكن ليس اكثر من سماع القرآن الا انها كانت الحاضرة حينها؛لا اعرف لماذا لكن هذا ما حصل؛كان الطريق طويلا كأنما اقطع سنوات ضوئية منتقلا من نجم نحو نجم اخر وقد شعرت بطول الوقت وثقله لكنني حافظت على هدوئي وقدمت بتريث لان السيارة كانت من يشتغل طول اليوم لتوفر مالا للبيت ولم يكن من الجيد ان يحل بها اي مكروه اذ اکتفیت بالانسجام مع موسيقي وواصلت نحو البيت....

اخذت مني رحلة العودة ساعة وكان وصولي عند الثالثة والنصف؛كان الفجر على وشك الاكتمال ليعلن عن بزوع الشمس لنهار جديد؛كان الجميع نيام وقد تعودت واخي النوم فوق سطح البيت في المدة الاخيرة بكون الطقس كان حارا بالاسفل فقصدت السطح من فوري حتى اني لم اذق طعم الاكل منذ منتصف اليوم كان الأكل آخر الاشياء

التي يمكن ان تزور مخيلتي حينها او تتجرء على
مراودتي؛ ادركت السطح وكان فراشي ينتظرني حذو أخي
لكن اي فراش واي نوم في تلك الساعة بعد ذاك الذي
جرى معي لم أفكر الا فيما كانت تفعله حينها وان كانت
بخير وعلى ما يرام؛ لقد تغابيت الليلة كثيرا بعدم مراسلتي
لها او اتصالي بها لكن الأمر جاء لصالحنا كلينا ولم اكن
لاختار الوحدة لو لم تكن هي موضوعها ومدار اهتمامها
كله؛ اصلا لم اتعمد اهمالها حينها؛

كان اخي في سبات لم اكد أميز ان كان حيا او أنه فارق
الحياة اذ كان بالكاد يتحرك ويتململ في مرقدته؛ جعلته
الحياة يترك الدراسة وينقطع عنها منذ الخامسة عشر ومذ
ذاك الوقت لم يرتح يومية متتالين من العمل؛ كان ينهكه
ويتعبه ويضجره كثيرا اذ ان روتينه لا يطاق وكانت كل أيامه
لا تختلف عن بعضها الا من جهة جو اليوم فاما مشمس
حار واما ممطر بارد؛ ينتظر كل يوم بلوغ الغروب حتى ينهي
ما شغل يده منذ الفجر ويعود ليرتمي في سريره؛ وقد كان
اشتغاله لأيام الاسبوع السبعة يثير غضبه ونفوره لكن ما
باليد حيلة حياتنا هكذا؛ كانت كل دقيقة من الليل تعني له
الكثير لكن ألد اعدائه كان بلا شك تلك الصفراء التي تصيح

صباحا بين اسراب الرباب البيضاة معلنة على بداية يوم جديد بنفس روتين الامس؛ معظم من في البيت يظنون انه افسد حياته يترك الدراسة وافسد نفسه بتفاهات الحياة لكن لا احد كان يدرك المعارك التي كانت تخاض داخل قلبه كل يوم بسبب حياة لم يرق لها ان يكون من الناجحين؛ كان قد وعدھا انه سيجعلني اتصل بها ريثما ابلغ المنزل واعدود لكن النوم غلب كليهما وذهبا في رحلة مطافها الصباح؛ كنت افكر في ايقاضه من نومه اذ كان من المحال ان انتظر الى حلول اليوم الموالي الا ان مقصدي كان فقط ان اطمأن ان كانت بخير او بها شىء فهو بالتاكيد تحدث اليها في غيابي وأمضى كل الليل يرأسلها ويواسي حيرتها وقلقها علي؛ كنت متأكدا من ذلك؛ الا ان ايقاضه كان صعبا اذ ان التعب كان متراكما فوق جسمه الهزيل وزادت اللحافة التي تغطيه في سحبه عميقا حتى غرق نوما؛ كنت وكأنني اوقض ميتا او مومياء محنطة فارقت الحياة منذ ملايين السنين لكني لم اكن اريد منه الا بضعة كلمات معينة لا اكثر؛

لا يستحق الامر تحليلا او تفكيرا عميقا لادراك سر كل ذاك الاستسلام والجمود تحت مظلة النوم فهناك مخدر يمزج

مع الماء او العصير ويشرب للضحية حتى يغمى عليها
ويفعل بها ما يفعل وهناك ابرة تحتوي على

مليمترات من سائل مائي يحقن للمريض اثر اخضاعه
لعملية فيغيب عن الوعي ببطئ حتى انه لا يدرك انه
يغمى عليه ويخدر بل يرضن لآخر لحضة انه سينام لنصف
ساعة حتى ينال قسطا من الراحة ليجد نفسه في
الحقيقة قد نام لمدة ساعات طوال يصل حدها الاقصى
الى ١٩ ساعة تزيد او تقل ولكن هناك ايضا سائل اخر فتاك
للتخدير وافقاد الوعي لكنه لا يحقن ولا يشرب بل يسري
في كامل الجسم طول الوقت ويفعل بالحركة ومدى
سرعتها؛سائل التعب والاعياء؛هكذا يهوي أخي المسكين
كل ليلة في جرف نوم اسطوري لا اعتقد اني اريد معرفة
عمقه؛

كان يستلقي على بطنه ويلقى بملامحه تجاهي وقد
امعنت فيه النظر وانا اتردد قبل ايقاضه وافساد نومه فعادت
اذا استيقظ من النوم ليلا من المحال ان يستطيع العودة
اليه مجددا وبذلك فايقاضه سيفسد يومه الموالي بسبب
صداع رأسه وعيناه اللذان سيمضيان كامل النهار في حمرة
لا يكادان يفتحان لذلك ترددت قبل ايقاضه فقد جربت

مسبقا تلك الحالة التي ليس لها وصف اجدر بانقطاع
المخدرات على المدمن لأيام؛ لقد كان مدمنا على النوم؛ لا
ادرك كيف حصل ذلك لكنه احس بهفوتي الى جانبه فنظر
الي بعينين نصف مفتوحتي خيل الى وانا ارشقه بناظري
انه يحدثني من أعماق نومه حتى اني خمنت انه لا يعي
ما يقول؛ كان كمثل ثمل شرب جرعات زائدة من الخمر
وصادف في تلك اللحظة ان جاءت صورة عشيقته التي
تركته لانه فقير ولا يملك مالا فاتصل بها واخذ يسالها بصوته
المشوش لماذا فعلت به هكذا وهو الذي جعلها تحاذي
امه في درجة حبه لها؛ قال وكأنه يتمتم؛

«لقد كادت تموت من قلقها وحيرتها عليك لطالما قلت لك
ان تنسى ان بالهاتف شئى يدعى الوضع الصامت ، كانت
تتصل بك منذ غربت الشمس وغابت عن سماء هذه
المدينة البائسة، لم استطع اغلاق هاتفي او عدم الرد
عليها وعلى رسائلها وتركها في ذاك الوضع، كل رسائلها
تصرخ معها وتنحب كانها ام ضاع ابنها في زحام محطة قطار
او ما شابه.....

«مالذي بينكما لتفزع وتخاف عليك الى تلك الدرجة؛ كانت
تقول لي كيف لها الا تخاف عليك وماذا ان حدث لك مكروه

ما وكيف استطعت ان اتركك تغادر بمفردك وتسالني كل دقيقتين ما ان استطعت الوصول اليك بالهاتف؛ اتصدق لم تمل من الاتصال بك طول الليل حتى هزمها النوم واستسلمت له منذ مدة لكنها لم تصمت الا عندما وعدتها بانك ستتصل به حين تعود؛ هل كل هذه صداقة...

كنت انصت اليه ولم انبس بشيء؛ خلته سيقول أمك؛ حسبه سينطق باسم امي ويقول انها علمت بخصوص غيابي عن البيت ليلتها وقلقت علي كل القلق؛ خلته سيقول اتصل بامك وطمانها عليك لكنه ختم باسمها في نهاية حديثه واطبق تلك الانشآت بين رموشه وعاد الى موته....

جلست في فراشي وتناولت حقيبتتي بلهفة وسرعة كاني اكتشفت فيها الماسا لكني شعرت بضجر يلبسني فقد انتظرتني طول الليل وواصلت الاتصال بي وهي تتقلب في حيرتها حتى ادركت العجز واليأس ونامت مغطاتا برداء الحيرة والقلق؛ ادركت هاتفي وفتحته مباشرة الى سجل المكالمات ثم حساب الفيسبوك خاصتي؛ تمنيت لو ان الحظ يحالفني واجدها مستيقظة تنتظر لكنها كانت قد نامت منذ الواحدة ليلا تاركتنا رسائل اشعرتني بالخزي

لكوني لم استطع اسكات الحيرة التي حملتها بين حروفها
حينها ومكالمات تجاوزت العشرين وقد احزنني اني لم
ادرك الرد على واحدة منها؛ أهذه سخرية قدر ام ان الحياة
بدأت تضجر وتغار من صداقتي الجديدة؛ كان الهاتف يتخبط
في مكانه وسط حقيبتتي طول الليل بين المكالمات
والرسائل الحائرة والحزينة ولم يخطر إلي ان اخرجه حتى
لأرى الوقت او اطمأن على امي مثلما تعودت في كل ليلة
اذ كنت اتصل بها عند الثامنة ليلا لكني لم أحادثها
ليلتها؛ وكأني نسيت اني املك هاتفا حتى.....

تبا للتكنولوجيا ان كانت بيد شخص ولا يقدر على الوصول
الى مبتغاه بواسطتها.....

اخذت نفسا اقرأ تلك الرسائل بفم مبتسم وقلب حائر
وعقل تائه وروح مختنقة ونفس منهكة؛ كان كل واحد فيهم
يأخذ طريقا لوحده حينها ادركت ان كل جزء يكونني قد
تخاصم مع الطرف الذي يحاذيه وانتفضوا مبتعدين عن
نواتهم التي جمعتهم بسبب اختلاف اظطراباتهم؛ لقد
تفككت؛ كانت تقول وقد كانت رسائلها كافية للتعبير عن
قلها تجاه غيابي؛

❖❖سلام كيف الحال؟؟❖❖

ما اخبارك؟؟

أين تهت اريد التحدث اليك؟؟

اتصلت بك للتو لماذا لا ترد على الهاتف؟؟

مالذي يجري ارجوك اجب اين ذهبت طمأني عليك؟؟

اين انت؟؟

اجب

!!؟؟

اتصل منذ مدة وانت لا ترد اين انت فقط طمأني عليك

وكفى؟؟

كانت تتصل دون توقف ثم صارت تتصل كل ثلاث دقائق على امل ان ارفع السماعة واقول اني أتيت لكن لم يكن بيدي حيلة ولم ادرك هاتفي الاحمق ذاك ولم يخطر ببالي انها قد تضجر وتتصل الى تلك الحال؛ماذا يجري هل ساتوه في تساءلاتي من جديد بعد تلك الجلسة العويصة؛حسنا لم ارد معرفة شئ حينها غير ان كانت بخير ولا بأس بها وا كانت قد احببني وبادلتني نفس الشعور لكنها قالت انها اكتفت من انطوائها على نفسها وانها ملت ظلما لروحها

السجينة وقررت التحرر واني لست كبقية من تعرفهم من
أصدقائها وان طبعي غير طبعهم واني لن اكون مثلهم
قط!!!لماذا اتساءل ان كانت احببني اذا والجواب امام عيني
معلق في السماء بين النجوم والقمر.....

الثالثة والنصف فجرا وهي منذ الغروب تحاول محادثتي
وحين تعبت من الانتظار وانهكتها حيرتها وقلقها استسلمت
للنوم ولا بد انها في سبات الآن والهاتف حذو وسادتها؛لقد
نامت وهي تنتظر اتصالي ولا شك انها في

في انتظارها ذاك حتى الان ولكن كيف لي ان اوقضها في
هذا الوقت المتأخرة حتما ستستيقظ وتحادثني لكنها لن
تكون بخير بعد ذلك فهي تعاني من ألم في عينيها جراء
السهرة لساعات متأخرة من الليل والهاتف يرشقها باضواءه
السامة حتى انها قد تصاب بصداع حاد في رأسها اذا
استيقضت الان؛صحيح انها ستفرح وتطمأن علي وسيرتاح
بالها المشغول لكن لن يحدث خير لها بعد ذلك ثم ان الامر
يقوى ان ينتظر سويقات اخرى ولا شك انها الان نائمة والا
لكانت اتصلت بي مجددا او على الاقل كانت هاتفت
أخي؛تمالكني الحيرة مرة اخرى لكن محال لن اتصل في
هذا الوقت المتأخر حتى ان الشمس ستشرق بعد

ساعتين آخرين وقد نامت في وقت متأخر وتحتاج الى الراحة بعد قلقها ذاك سيكون الصباح موعدنا؛ لقد استحييت ان اتصل حينها.....

كانت السويغات المتبقية على طلوع الفجر بالنسبة لي كأنها دهر من الزمن لقد شعرت بكل ثانية تمر من فوق سجمي مثل حلزون او دودة كنت اسمع قطعة ساعتني اليدوية وقد كان كما لو ان عقاربها تسخر من انتظاري وتبتزني وقد احسست ان الوقت يتعمد التباطئ اذ ان بين الدقيقة والدقيقة مسافة سنة ضوئية بين النجوم لم تكفي الحياة بابتزازي ومماطلتي بل حتى الوقت صار يدحرجني كما يشاء ويشتهي فوق سلمه الممل والمضجر لكني لم اعجب قط من هذا التشابه بينهما في الاساليب فالوقت هو ابن الحياة البكر والمدلل ولا اعجب ان يكون الابن شبيها لاهمه وميالا لها؛ اخذت ما كنت اريده من كلمات من اخي واخذت مكاني ورحت اتقلب في فراشي بين ان اتصل بها واوقضها من نومها وبين ان اتركها تسرح في احلامها حتى بضع ساعات اخرى رغم انها نامت في فزع وحيرة من اجلي لكني انتهيت الى ان اتركها تكمل ما

بقي امامها من بقايا الليل واحادثها ريثما تبزغ الشمس
في سماء المدينة.....

كان النوم بالنسبة لي من المحال رغم انها الليلة الثانية
التي لم اضق فيها طعم النوم ولم اغلق جفنا اذ جلست
على كرسي ووضعت سماعاتي ورحت اتأمل ما بقي
معلقا من نجوم في السماء وقد صارت تغيب عن الانظار
وتصغر مع مرور كل دقيقة؛تناولت هاتفي الذي خذلني
ليلتها وجعلني اتركها تنام مغطاة بلحافة الحيرة والقلق وقد
ضجرت لذلك كل الضجر؛اخذت اقلب رسائلنا القديمة منذ
اول رسالة بعثتها لها حتى ذاك الحين وقد غصت عميقا
بين ما كنا عليه وما اصبحناه؛حقا تأكدت ان الحياة صغيرة
الى حد نكاد فيه الالتصاق والاندماج ببعضنا البعض؛اخذت
اتصفح الرسائل وابتسامة لازمت وجهي لم اعرف حتى
على ماذا كانت تعبر؛فرحة_حيرة_تعجب_سعادة
طمأنينة_تفائل؛لم افهم مطلقا ما تعنيه تلك الرسمة على
شفتي لكن اي كان ما عنته فانا لم اكثرث وواصلت قراءة
ما كنا نتبادلته خلال الاشهر الاخيرة الماضية وقد رسخت
في ذهني بعضها الذي جعلني اشعر ان الحياة ستواصل

سخريتها مني حتى اخر نفس لي فيها؛ كانت تقول وتلك
الضحكات لا تغيب عن اي رسالة من رسائلها؛

«اقطن بذلك المقهي الذي يطل على البحر وبيتنا لا يبعد
كثيرا عن الشاطئ وعن برج المدينة...»

«لقد اكملت دراستي والان افكر في ايجاد عمل لي هنا
في مجال الهندسة...»

«عذرا علي ان اتعود مخاطبتك بلطف فانت لا تملك ادنى
فكرة كيف تكون رسائلي مع اخوك الصغير؛ شتائنا لا تكاد
تسعها السماء...»

«انت اذن تقربني من جهة امك يا اخي الصغير سررت
بمعرفتك واتمنى لك التوفيق في دراستك...»

«اذا شاءت الاقدار سنتقابل الليلة في نفس المكان الذي
تعودنا اللقاء فيه سنسهر هناك انا واقاربي وابنت عمي
اراكم هناك...»

«اسمعي ذاك الفتى الذي كان معنا البارحة؛ صديقنا
يريدك!!!»

«يريدني!! ماذا تعني بيريدني؟؟»

«عجب بك ويريدك في علاقة جدية نهايتها الزواج.....
«انه لطيف وراشد وما كنت لانخبرك عنه لو لم اكن متأكدا
انه يناسب مقامك...
«احذر ان تحبني وتجعلني ابتلاءك...
«لما قد يزعجني الامر؛ انا فقط احذرك لا اكثر...
«انت لست مثلهم ولن تكون يوما مثلهم؛ لكل شخص
طبعه وطبعك انت مختلف تماما عنهم؛ لن تكون مثلهم...

☆☆☆

يا للحياة وسخريتها وياالدنيا كم بانت بحجم خرزة سبحة
المصلي ستستمر في جعلنا نبدوا بلهاء وحمقى نسير
وراءها ونلبي رغباتها وحاجاتها ونمضي كل اعمارنا ونحن
في اعمالنا واشغالنا التي لا تنتهي حتى بعد موتنا
ومفارقتنا لها ولكن حماقتنا تثبت نفسها حين نصر على
اننا من نختار حياتنا ونرسمها ونغير تفاصيلها حسب وما
يروق لنا ونواصل في العيش وفق هذا الضن حتى فنائنا؛
كم نحن حمقى يا الله والغريب اننا ندرك حمقنا ونواصل
في التعامل به مع دنيانا؛ القدر يسخر منا على الدوام
والحياة تعينه على ذلك والدنيا ترغمننا على اقناع انفسنا

انا من نضع تاريخنا ونحن نسير على هذا الايقاع وقد
*قرب للناس اجل وهم في غفلة معرضون**؛ تلك الظريفة
التي كان تعارفي بها سطحيا منذ مدة ولم أكن اعرف عنها
غير اسمها وانها تقطن غير بعيد عني وانها في الحقيقة
تقربني صارت صديقتي الظريفة والمقربة والوحيدة التي
أهتم بها اكثر من نفسي ومن امي بالامس؛ واليوم امست
الفتاة التي احببت؛ صارت القصيرة التي آمل ان تكون
زوجتي على سنة وشرع الله وحلاله..

اكملت ليلتي على تلك الحال في قراءة الرسائل التي
مضت ومشاهدت صورها التي ملأت ذاكرة هاتفي ولم
ادرك قط لماذا قمت بحفظها فيه منذ مدة قبل موضوعنا
هذا لكن لم يكن للسؤال فائدة الان فقد أحببتها وتعلقنا
ببعض وانتهى الامر ولم يعد ببالي اي سؤال من تلك
التساؤلات غير اثنين ابيا ان يغادرا ذهني وكانا من اعنف
مستعمريه واوحشهم اذ سببا لي ضجيجا وصداعا حادا
داخل مخيلتي وواصلنا في وخزي ودغدغتي بلا تعب او ملل
طول الوقت؛

لماذا اختارتني بالذات من بين عشرات الاصدقاء الذين
أحاطو بها؟؟ ألاجل اهتمامي المفرط بها؟؟

ماذا سيحل بصدقتنا التي طالما قدستها واعتبرتها
مثالية!!ماذا ان فشلنا في الحب هل سنعود اصدقاء كما
كنا ماذا ان جعلني الحب اخسرهما واخسر صداقتها
الظريفة معاً؟؟

لم يبقى في ذاكرتي غير هاذين المتطفلين يزعجانني ولا
اضن اني ساجيب عنهما مطلقا في الايام القادمة فالامر
يتطلب الصبر والصبر الكثير لكنها لم تكن تجربة بالنسبة
لي ولم يكن رهانا سواء ربحته ام خسرتة فلن يتغير
شيء؛لقد تعلق الامر بحياة جديدة كنت قد بدأتها منذ فترة
وبعد دهر من اللامبالاة مع فتاة ظريفة وراشدة ،مرحة
طموحة ومسؤولة،جسد يتاجج نشاطا وحيوية ومفعم بورح
المغامرة واصطناع الضحك والابتسامات باي شكل
كان،ذكائها وكلامها العذب حتى ان كان شتما ومزاحا
يكونان مع قامتها القصيرة انسجاما متواضعا يجعلها مجلبة
للانتباه؛كانت كالقبة التي تحتل مكانا فوق الجامع فرغم
قصرها الا انها تمثل نصف جماله؛او سفينة تيتانيك مصغرة
تبحر في عرض المتوسط محملة ببراميل من النور
والمعرفة والعلم والطموح؛كانت سفينة تشع وتلمع على
بعد آلاف الكيلترات؛هكذا كنت اراها ولم يكن من السهل

علي ان اجعل نفسي تخسرها او اترك صداقتنا تتبخر في الهواء فالحب ليس بهين كما كان يظن البعض لكنها لا تزال صديقتي حتى الان وحتى ذاك التصريح الذي ادلفته لي وزجت به بكل وضوح امامي لم يجعل من الحب بيننا مطلقا بل أشعل فتيلا صغيرا؛ ذاك الخيط الابيض الصغير الذي يترأس عليه الشمعة هو الذي اتقدت فيه نقطة نار صغيرة بسبب تلك الرسالة لكن الفيتل لا يزال صغيرا في مبتدئه واخشى ان يكون من ذاك النوع الذي يكبر بسرعة ويسارع متجها الى اسفل الشمعة حتى تنطفى ولا يبقى فيه شئ خلفا ورائه قطرات بيضاء سرعان ما تتجمد بفعل الهواء وهذا ما اخاف ان تبلغه علاقة صداقتنا ان تحولت الى حب لذلك علي ايجاد الحل وانقاذ علاقتنا ان كان يهددها خطر ما لكنني عجزت حقا واستسلمت لليأس والخيبة فالامر يتطلب زيارة لعالم الغيب الذي نحن معصومون عن ادراكه او معرفته لذلك يكون عجزنا في انقاذ علاقة ما من التلف والانهييار اعظم من عجزنا في اصلاحها وترميمها ان حل بها ما خشينا؛ هكذا نحن.....

امضيت ما بقي من تلك الاجزاء الخائفة من الليل على تلك الحال اتقلب بين الحيرة التي لازمتني تجاه مصير علاقتنا

التي انتهى بها الحال ان اخذت طريقا سيارتا انعدمت فيه
السرعة المحددة منذ عقود عوضا عن الطريق التي كانت
تسلكه وتترنج عليه ببطئ شديد وبين تلك الابتسامة
الباردة التي ارتسمت بقلم القلق على ملامحي وبين
الضجر والملل لاني كنت سببا في خوفها حتى اغلقت
اجفانها على ضوء العجز والحيرة لانها لم تستطع معرفة
اي تفصيل عن ان كنت بخير او ان عدت للبيت ام لا؛ ضلت
هذه الاضطرابات تلازميني فترة جلوسي على ذاك
الكرسي الذي جمد ظهري وألمه؛ كنت مرهقا ومنهكا
للحد الذي شعرت اني احتضر واتنفس هوائي الاخير فانا
لم اضق رائحة النوم منذ يومين وليلتين متتاليتين؛ احمرت
عيناى واحاطت بهما هالتان بنيتان وكادتا يبزغان ويقفزان
ليرتميا تحت قدمي وشحب وجهي واستوطنني صراع هز
كل جسمي من اعلاه الى اسفله لكني لم اتمالك نفسي
ولم اكن من الصابرين حينها اذ تناولت هاتفى وانا بالكاد
ارى الشاشة وادرك اين الج وكتبت لها بعينين يكادان
ينفجرا وجعا وضغطا؛ كانا كما لو ان احدا يعصرهما ويجذبهما
اقتلاعا من مكانهما؛

xx لا اعرف ان كنت ستقرئين هذه الرسالة الان لتطمأني وترتاحي لكن على كل حال وصلت لتوي الي البيت وانا على حد ادراكي بخير...نتحدث صباحا لم استطع السماح لنفسي بالاتصال في هذا الوقت لم ارد ايقاظك من النوم؛سامحيني لقد حاولت مرارا لكني منعتها....غذا اذن. كتبتها وانا بالكاد افتح عياني ألما وانهاكا لكني لم استطع اغلاقهما بعد؛كنت منهكا وبحاجة للنوم وقد قررت الا اقص العمل في الصباح مالذي كان يمنعني من الاستسلام للسبات؟لا أعرف!!جعلت الهاتف مشغلا ليوقضني عند التاسعة صباحا فهي على الاغلب في عطلة وبما انها نامت بعد منتصف الليل فلن تستيقظ قبل التاسعة هكذا خمنت ورحت اقلب صورها التي ملأت هاتفي وتزايدت فيه كنت قد انتقيتها كلها من حسابها فايسبوك منذ ايام ولم ادرك خلال ذاك اليوم لماذا قمت بتسجيلها حتى؛اكان بدافع الصداقة ام ان الحب الذي كان يختبئ وراء لحافة ما تبقى عندي من لامبالاات كان يرسل لي ذبذبات أمرتا لفعل ذلك؟؟لا يهم حصل ما حصل وعلي التركيز في ايجاد اجابة لكلتا السؤالين حتى لا اندم لبقية حياتي لتفريطي في

صداقة لم اكن لاستبدالها بوزن المنظومة الشمسية ذهباً
من اجل الحب؛

تبا للحب ان كان سيحرمنا صداقتنا الظريفة.....

لم اعهد نفسي الا اقلب ما تبادلناه منذ اول رسالة وامعن
النظر في صورها حتى هويت مع الحد تلك الصور وغصت
عميقا في ملامحها التي كانت تحاول اخباري قصصا
عنها؛ كانت تريد اكمال ما بدأتها هي في اخر لقاء
جمعنا؛ تلك الابتسامات المظلمة وتلك الضحكات الباردة
والكاذبة؛ تلك التبريرات عن عالمها الذي تحاول تزيينه من
الخارج حتى تخفي ما كان يدور داخله من صراعات
ومواجهات عنيفة؛ ذاك القناع التي تحاول التخفي ورائه
حتى لا يدرك احد ان ورائه عينان حمراوان بكاء ونحيبا
ووجها شاحبا كانه في التسعين من عمره ووجنتان امتلأتا
شقوقا وتجاعيدا؛ ملامح باردة وحزينة بسبب شئ اسمه
حياة وعلمونا في المداس انها جميلة؛ لم اشعر بشئ الا
بارتطام خفيف بالكاد احسست به ينزل كقطرة ماء وسط
المحيط كان دخولها سلسا للحد الذي لم يلفت انتباه اية
سمكة في الجوار؛ انه هاتفي؛ لقد سقط من يدي المنهكة
بعد ان افلته اصابعي الهشة ليسقط ويحتل مكانا فوق

صدري وتهاوت اطرافي إلى اليمين واليسار مطروحة على الارض الباردة لكني لم اشعر بأي شئ؛ لا ارتطام الهاتف فوق صدري ولا ارتطام يدي على الارض ولا حتى برودة الجليز تحت اطرافي؛ لقد اشتغل مفعول ذاك المخدر بجرعات زائدة حتى طرحت على ارضه وسقطت في جوف بئر النوم العميق؛ لقد قتلني؛ انهكني ونهب كل قواي حتى صرت مثل مولود نزل من رحم امه منذ ربع ساعة لا حول له ولا قوة فحتى نسمة هواء زائدة قادرة على ارجاعه من حيث اتى؛ لقد اتلفني؛ انه النوم؛ مخدراته عديدة لكن افتكها التعب والاعياء ثم الانهاك؛ لقد اجهز علي حتى قبل ان اتخذ قرار الاستسلام له وضل الهاتف على اضاءته تلك موجهها صورتها نحو صدري وهي رفقة صديقاتها ترتدي خمارها الاخضر وقميصها الذي ساير الخمار في لونه؛ تبتسم ابتسامتها المقنعة بانها اسعد كائن وجد ولم يوجد في الكون مثل سعادته احد....

صوت خافت وبعيد يتسلل الى اذني يهتز له كل جسمي معلنا على شئ من الراحة والطمأنينة والاستجمام لكني لم احرك جفنا ولم استيقظ حتى فما زال عملاق التعب يستلقي فوقني دون حراك وكان جبالا ارست فوقني ونصبت

حجارتها الثقيلة فوق جسدي المنهك والبارد حتى اني لم اقوى حتى على تحريك يدي لتغطية نفسي وحمائتها من برد الفجر الذي كان ينصب كل الليل فوق راسي المتصدع وباقي جسمي المرفوس بالتعب؛ كان صوت اذان صلاة الصبح يحط رحاله في اذني ويغطيني بنغمته العذبة آتيا من الجامع المجاورة للبيت؛ لا اقوى حتى على الحراك لتغطية نفسي فكيف لي ان اسير رغبتني للنهوض والذهاب للمسجد لأداء الصلاة حاضرة كما وددت؛ لقد ادركني النوم ما يقارب الساعة الرابعة فجرا وكنت بالكاد اسمع صوت الاذان ولم ادرك حتى متى انتهى فقد كنت مخدرا كليا فحتى خصلات شعري كانت مستيلمة وملتوية للهواء الذي يعث بها يمنا ويسرة؛ بدأ الصوت يتلاشى شيئا فشيئا ويبتعد بعد ان كان ضيفا في اذني لكن في الحقيقة لم يكن من يتلاشى بل كنت الذي يفعل له هكذا فقد ارجعني النوم الى رحلتي التي صارعت لانهايتها بمحاولة النهوض للصلاة لاجد نفسي قد تهت مجددا في صحراء التعب والانهاك؛ ابتلعتني حتى الساعة التي شغلت الهاتف عليها وركنت سيارتي في نفق الغيوبة حتى رن الهاتف عند التاسعة.....

اخترق عويل الهاتف اذني ووثبه الى طبلتها كان بمثابة قرع على طبل؛دقات تتكررت وراء بعض داخل رأسي المتصدع مكونة طنينا مزعجا كاد يمزق خلاياي العصبية ويتلفها وكان كما لو انه يتعمد ازعاجي واثارة غضبي فلم يلبث على نومي الا عدة ساعات لم تكن كافية لاشباع جوعي للنوم؛لقد كنت لازلت ضمأ ولم يتوقف الهاتف عن الرنين ولم اقوى على رفع يدي اليه الا بعد صراع كبير مع اطرافي الثقيلة والمستسلمة لبرودة الارض؛كانت عظامي كما لو انها متهشمة ومنكسرة رفعتها بجهد واعياء واخرست ذاك المزعج الى الابد وقد كان لا يزال في مكانه لم يتحرك في ذات حاله على نفس الصورة التي نظرت اليها قبل سقوطي الى النوم اذ كانت اخر من نظرت اليه ليلا واول من ابصرته صباحا.....

اشرقت صفراء يوم اخر معلنة منذ بلوغها متوسط السماء عن يوم دافئ بعد ان طردت كل السحب التي تعودت التواجد في الجوار وحظرت عليها الاقتراب ليوم كامل؛كان يوما مشمسا وقد وجهت اشعتها المتوجة مباشرة نحو منتصف جمجمتي تبلغني انه علي النهوض؛كان الهاتف قد رن عند التاسعة وتجاوزها باكثر من بنصف ساعة تقريبا

لكني كالعادة ادركت حسيه ولم احرك ساكنا جراء من بقي في جسمي من بقايا ركام التعب والاعياء الا ان الشمس التي وجهت سهامها المزعجة نحوي منذ الصباح كانت فعالة اكثر منه واجبرتنني على القيام من قبري ذاك رغما عني وعن تعبي الذي جعلني اتمايل وانا انزل الدرج؛ شعرت ان الظاهرة الطبيعية شأن الشمس والقمر والنجوم ونسمات الهواء تحس احيانا بما يتكون من مشاعر تحتها وتعمل في بعض الاحيان على اعناتها وتاجيها وهي التي خلقت ونحن على يد نفس الخالق رب العالمين فمن المنطقي والطبيعي ان يكون بيننا تواصل وانسجام روحي لا يكون ظهوره مطلقا ولكننا ندركه من خلال مسبباته فشرودي مع النجوم ليلا ذكرني بها وجعل مخيلتي ترسم لها صورة بين حباتها المعلقة في عنان السماء المنارة والشمس صباحا كانت عازمة على ايقاضي وقد ادركت ذلك ربما لان مواعي لمراسلتها قد حل اما نسيمات الهواء الباردة عند جلستي بالجبل فقد ذكرني بلامحا وتلك الابتسامة المثلجة وذاك الوجه البارد التي كانت تستعين به لاطفاء جمالية على نهارها حين

تجتمع بالآخرين؛ لم أومن يوما بعلم الفلك والتنجيم لكن هذا كان ما ضننته فحسب.....

كان بداية اليوم مضجرا اذ لازال الصداع يصر على مواساتي سويغات اخرى من اليوم لكني حاولت تجاهله وخرجت من البيت بعد اكلت شيئا اخيرا بعد يومين كاملين من الصيام اذ لم يدخل امعائي شئ غير الماء ولطالما واجهت مشكل الامتناع عن الاكل اثر التفكير في شئ ما او حين يشغل بالي امر يتعلق بحياتي؛اصبحت صداقتها حينها تمثل جزءا مهما في حياتي وفي الحقيقة لم يكن جزءا فقط بل كانت اكثر من نصفها فهي كانت اول صديقة اقترب منها كل ذاك القرب واكون واياها على انسجاما وتواصل طول الوقت وعلى الاغلب كانت اول صداقة بذاك الشكل سواء كانت مع اولاد سبقوها او فتيات؛كانت مختلفة وفريدة عن من عرفتهم قبلا كل الاختلاف؛مختلفة للحد الذي كان كافية الى اشعال فتيل الحب بيننا بعد ان كانت شمعتنا منطفئة تقتصر على صداقة متينة فحسب.....

عينان شديدا الحمراء..وجه شاحب وبارد..حاجبان بالكاد يبقيان عينايا مفتوحتان..تحول ابيض مقلتي الي احمر قاتم لقلة النوم ومشية متهاوية للسقوط؛هكذا كنت ارى

نفسي من خلال أعين من يعترطني من المارة وانا اقصد مكان عمل اخي؛ اوصلتني قدماي الى مبتغاي واخذت زاوية في المكان واجلست جسمي على كرسي ورحت احاول ايقاظ ما بقي نائما منه بشرب القهوة اذ كانت الوحيدة التي عرف عنها فاعليتها في ابطال مفعول ذاك المخدر الذي سرى في كل بدني ليلا وقد ادركت ذلك فعلا....

«انها متصلة الان وتسالني عنك منذ قليل يكفيها القدر الذي نامت عليه من الحيرة البارحة وطمانها عليك...»

قالها اخي دون حتى ان ينظر الي فقد جلست وراءه مباشرة لكنني البارحة لم اتعمد تجاهلها ولم اضن انها ستستيقظ في ذاك الوقت صباحا فهي تحب النوم وتستسلم له ولا تقاومه مطلقا هل استيقظت من اجل الاطمانان علي؛ كانت التساؤلات تزورني مع كل نسمة هواء تلامس جسمي فبعد ان تخليت عن ما بقي معلقا في داخلي من لامبالات وجعلت جزءا منها يتبخر مع قرائتي لرسالتها تلك ثم سمحت للجزء الباقي منها يأخذ طريقه الى السماء مع جملة الحيرة والهواجس التي تملكنتني في الجبل صار اهتمامي بامرها وبكل نفس يخرج

منها سواء كانت تخاطبني او تخاطب غيري يهمني ويشير انتباهي حتى ان كانت لاتزال صديقي فحياتها صارت من اول اهتماماتي...

لم انتظر ثانية بعد انطفاء صوت اخي وسكونه؛ اخرجت هاتفي واتصلت بذاك اللاشيئ الافتراضي الذي اسر كل العالم وجمعه في غرفة لا تتجاوز مساحتها عشرة سنتيمترات على عشرة حتى صار الكون اجمع يتراص مصدرا طينا شبيها بخلية نحل ثائرة وغازبة لكني ما كنت ارى الامر هكذا على خلاف البعض الذي يعتقدون الفايبيوك مصدرا للتسلية والمعرفة ومنبعا للعلم ومخبرا بكل شئ يحدث في العالم في لحظة واورتوبيسا ينقل اخبار الناس فيما بينهم وتحتل احاديثهم ودردشاتهم الكراسي الاولى؛ فالبعض يستعمله للتواصل والحديث والبعض الاخر يختاره مصدرا موثوقا منه لمعرفة مستجدات العالم والبلد الذي هو فيه وفئة اخرى تجعل منه الحكيم والعلماني والعريف الذي يطلعهم على ما جهلوه وغاب عن عقولهم المتواضع واخرون يستعينون برقعته الواسعة لفضح اسرار بعضهم البعض وافشائها في كل العالم وهذا يجعل منه خيطا متينا ليوصل افكاره وميولاته ومنتجاته الى كل

العالم اما الفئة الاقل استعمالا له والتي تتخفي وراء رداء الليل فهي مجموعة ما يسمى بالهكر او القرصنة وقد جعلوا من فايسبوك قطارهم السريع ذو المقاعد المريحة لسلب الاموال والمعلومات من حاويات الاغنياء ورجال الاعمال لكن سواء كان رجل الاعمال ذاك فاسدا ام صالحا فالسرقة تظل سرقة حتى ان كانت حبة لوز من غير رضا صاحبها او علمه؛الاختلاف في الرؤى جعل مني مدعاتا للسخرية بين جملة الحمقى الذين عرفتهم ولم يصدق ان كان فيهم واحد فقط يحتكم الى جانبه المشرق من عقله ويتبعه فالكل يتبع تلك الزاوية المظلمة التي غطاها لنا العالم الغربي بلحافته الجميلة والتي سلبت عقول الجميع الا البعض منهم؛لحافة العولمة والتقدم الذي لم يأخذ منه العرب الا جانبه الفاسد والذي تخلى عنه الغرب وسمحوا لنا به لانه لن يفيدهم في شئ بل سينفعهم ان كان متواجدا عندنا فنحن بالطبع من يحسن استخدام الاشياء الثمينة ويجيد توظيفها ولو كانت هذه الاشياء ستفيدنا في شئ لم يكونوا ليتركوها تصلنا يوما اذ هم يعرفون انها ستهلكنا ونحن ندرك انها اهلكتنا لكن هيهات مازالت عقول من يقودنا تطبخ في فرن ناره باردة والعقل لا ينضج الا اذا

قارب الغليان فكيف له ان يصل تلك المرحلة ونار باردة
تدغدغه من الاسفل وتشعره ببرد حد التجمد؛اكذب ان
قلت اني ايقنت ذلك منذ زمن طويل لكن طويلا كان او
قصيرا فقد اقتنعت وسرت على خطى قناعاتي تلك ان
الغرب جمعوا كل العرب دفعة واحدة كمن يخرج شبكة
الصيد من قاع البحر مرصفة بالاسماك ورموا بهم وسط
علبة ضيقة بلورية لا تتسع في الحقيقة الا لخمس حبات
دواء مضاد لصداع الرأس لكنهم وضعوا فيها الهالم العربي
ياسره واغلقوها باحكام وكتبوا على غطائها*مواقع
التواصل الاجتماعي*هذه التسمية جميلة جدا ورائعة اذ
ان كل من يقرأها يلتمس فيها التواصل والحب والصدقة
والشمل الململم والاخوة حتى يتخيل له ان الغرب كان له
الفضل في انشاء جمعيه خيرية تجمع كل المسلمين
العرب وتجعل من كل بعيد قريب وكن كل غريب صديق
وتجعل العدو اخا والغائب يعود والظالم يجد طريقه ومبتغاه
في هاته الجمعية؛لكن كل هذا الاطراء والجمال لم يكن الا
لعبة كتلك التي تبقي الرضيع صامتا حتى لا يبكي؛لعبة
صغيرة وجميلة وضع فيها كل العرب لتلهيهم وتبقيهم
جامدين يسعون وراء حل الغازها واحجياتها في حين يلهو

الآخرون ويلعبون في العالم كما تهوى أنفسهم وتشتهي
لكن الأمر من ذلك أننا نعرف أن هاته اللعبة التي أكرم
الغرب بها علينا لعبة يستحيل حلها إذ خلقت دون حل
كمثل ما خلقت الدنيا دون راحة لكن رغم ذلك فعوضاً عن
أن نحاول الخروج من تلك اللعبة الضيقة نحن نصر على
مواصلة المحاولة في حل الغازها المستحيلة؛
هكذا نحن.....

كانت الظريفة قد قرأت رسالتي منذ دقائق وارسلت لي
تبادلني التحية وتوبخني على ما كان عن غير قصد مني
لكنها كانت حقاً منزعجة وغاضبة مما حصل البارحة إلا أن
غضبها لم يكن ينوي المضي قدماً فقد كان بسبب قلقها
وحيرتها تجاهي وانتهى بمجرد أن اعتذرت وافهمتني أنني
لم أكن أتجاهلها أو أتمنع التحدث لها بل كنت بحاجة إلى
جلسة مع نفسي ولم أخبرها حتى أنها كانت سبب تلك
الجلسة وموضوعها إذ اكتفيت بطمأننتها وازالت ما بقي
عالقاً في نفسها من هواجس؛ كانت هذه المحادثة
الصباحية مميزة بالنسبة لي واعتبرتها نقطة بدأت فيها
صداقتنا تسرع في مراحل تحولها الأخيرة إلى حب
حقيقي؛ كانت تقول بثقة في أول رسائلها وقد غابت تلك

الضحكات التي تعودت ان اجدها في كل رسالة قبل ان تزج
بما عندها وهذا ما افهمني انها كانت تعني ما تقول لكن
سرعان ما عادت ضحكاتنا تزين حديثنا؛

xxصباحك جميل!!!

xxصباحك اجمل، اين تهت البارحة وكيف استطعت ان
تفعل ما فعلت؟؟؟

كان علي ان اقنعها بحقيقة اني حقا لم اقصد تجاهلها فلو
اني شعرت بالهاتف لطمأنتها وقد ابدت تفهمها للامر فهي
صارت تعرفني جيدا لم قد اكذب عليها لم اكن مضطرا لذلك
حتى؛

xxصدقيني لم اتعمد ان اتغيب عن مراسلتك لكنني حقا
لم انتبه لشيئ من حولي كنت تائها ومشوشا وكنت في
أمس الحاجة الى ان انعزل على العالم لبضع ساعات وقد
نسيت الهاتف في وضعه الصامت منذ المساء!!!

xxلم اقل انك تتجاهلني؛ طيب لابس المهم عندي انك
بخير ولم يصبك شيء؛ صحيح؟؟

xxلم قد اتجاهلك اخبريني!! انا بخير والحمد لله امضيت
طولة الليل في الجبل وحدي كنت قلقا للغاية تجاه بعض

الامور ولم ارد ازعاجك معي وفي نفس الوقت غابت عن ذهني فكرة انك ستقلقين الى ذاك الحد!!

«حسنا مالذي جرى ولماذا اردت البقاء وحدك اخبرني ما بال صديقي؟؟؟»

صديقك؟؟؟ صديقك وقع في حبك يا فتاة؛ صديقك قيده اصفاد عالمك الذي لم تخلق له نهاية ولم تكن له بداية زاره بنية فضولية لاستكشافه فلم يخرج منه الا جسده في حين بقي قلبه معلقا هناك في اللاشيئ مكبلا باصفاد عقلك وروحك النقية؛ من كان يقول او يضمن ان هذا سيحدث اصلا فقدت نصف ايماني بشئ يدعى الصدمة من معرفة خبر ما حين اخبرني قلبي انه يهواك؛ هذا ما قلته في نفسي؛

«لا شئ مهم ولا امر يقلق بضع مشاكل بالمنزل وامي التي تبعدني كيلومترات واشياء من ذاك القبيل لكن لا بأس الآن انتهى كل شئى وذهب مع ليلة البارحة حين وصلت الى البيت وأخبرني صغيرك انك قلقت علي كثيرا ولم تستطعي النوم الا في وقت متأخر بسبب حيرتك وفزعك من اجلي!! شكرا لك...»

قرات واستغرقك القليل لترد وقد عادت ضحكاتها مجددا
تزين حديثنا بشيى من البهجة والفرح ثم ادلفت مدعية
الاستنكار والنفى؛

«ومن قال اني قلقت عليك وفزعت اخوك يبالغ!!!»

اجبتها وقد ملأت رسالتي ضحكا على انكارها ذو الحجج
الهزيلة؛

«لكن اتصالاتك الواردة التي ملأت هاتفني تقول غير ذلك
يا ظريفة صديقك لكن اتعلمين شيئا طول الليل ضننت اني
لم اخرج من وحدني تلك ولن ابرح مكاني نحو الابتسام
بصدق لكن قلقك علي ايا كان صفته مبالغا فيه ام بسيطا
فقد غير وجهة نظري وطرده شيئا يسمي الوحدة من
ذاكرتي ولم قد أحتاجها ولدي صديقة ظريفة ومرحة تهتم
لامري مثلك!!؟شكرا مرة اخرى...»

تأخرت في الرد من جديد وكانت وكانها تحاول اخباري انها
لا تبالي ان غبت او ظهرت فهي لا تهتم لكنها اجابت اخيرا
والضحك اول الحاضرين في ردها؛

«لا تبالي يا مغرور!!»

«ليس غرورا بل وجه نظري وانت لست ملزمة بالاخذ بها
لكن حقا لم اعد بحاجة للقلق او اختيار الوحدة جليسة
فقد اذهبت عني كل تلك الافكار منذ البارحة ولم اعد
اكثرث لشيئ الآن مادامت قد حضيت باهتمام احدهم
وصداقته وحبه!!

كانت ضحكاتها تخبرني انها تمزح طول الوقت فيما تقوله
وترسله لي وكان كلامها الذي يرافق تلك الضحكات يقول
انها تعني ما تقوله وان الضحك مجرد زينة تعودنا زجها قبل
كل حديث اذ اننا نقوم بكتابتها تلقائيا لذلك كنت دائما
انسى امر الضحكات كما لو انها غير موجودة وانغمس في
الغوص في ما تخفيه تلك الحروف بالرسالة من معاني؛ لم
اكن اريد ان يقع اي منا في اساءت فهم للاخر رغم ان الامر
كان محال ان يحدث لكني تذكرت كلما نظرت الى ما
تحتويه رسائلها من حروف ضاحكة ان فتيل تلك الشمعة
اشعلته مزحة حفيفة منذ البداية؛ اجابت مأيدة هذه المرة؛
«صدقت لا داعي لبحثك عن الوحدة افعل نفس الشيء
ووضف بحثك في شيئ اجمل منها قد يجلب لك السعادة
يا احمق...

«صداقتك مثلا صارت مصدر سعادة لي اتعلمين لما!!

❖❖ الخمن؟؟

❖❖ لا تقلقي نفسك؛ فقط لانك ظريفة وعقلك اظرف منك
لكن قلبه مازال يخفي عني بعض الروايات لكن ساقراها
لاحقا على الاغلب...

❖❖ لكل جميل وقته يا صديقي صبرا.

اردت ان احسم امر الحيرة التي كان تلكزني منذ ايام خوفا
من ان اكون قد اسأت فهم تلك الرسالة التي تحمل من
الغموض اكثر مما تحمله من المعاني*لست مثلهم ولن
تكون مثلهم ابدا لان طبعك غير طبعهم كلهم انت مميز
بالنسبة لي*لقد زارتنى حيرة خانقة جراء هاته الرسالة
اجلستني مقعدا على كرسي الوحدة في ذاك الجبل
المظلم لكني حسمت امري وعدت حينها ولم يبقى لي
الا طمأنة نفسي من اي شئ يشوشها في الايام القادمة
وصدقوني لم اكن لاكلف نفسي كل هذا هذا العناء والبحث
المتعّب لو لم تكن صداقتها تعني لي الكثير لكن حبي لها
الذي كان يتأجج داخلي ويصارع للخروج ظل يسحبني
ويشدني الى ان استسلم لما بداخلي وافسح له المجال
للانطلاق؛سالتها دون اي حرف يشير اني اعني الضحك؛

xx الحب!!! هل تأمنين به؟؟ من الافضل الصداقة ام الحب؟؟
كانت اجابتها متأخرة لكن هذه المرة على غير العادة وقد
اقنعت نفسي أنها فهمت ما ارمي اليه لكنها حاولت
تجاهل ما فهمته، لماذا فعلت ذلك؟؟ لم ادرك قط؛ لم تغب
الضحكات على رسالتها لقد تعودت عليها وادمنت؛ اجابت
متملصة؛

xx لكني لم اجرّب الحب قط كيف لي ان اعرف!!!

xx ولا انا جرّبته لكن ماذا تظنين؟؟؟

xx كل ما عندي ان الحب جميل لكني لم اجرّبه قط اما
الصداقة فهي ظريفة ولست متأكدة انها قد تكون اجمل
من الحب طبعا لا اجزم فكل شئى وارد؛! لماذا خطر ببالك
هذا السؤال الآن...

تساءلت؛ وكيف لي ان اعرف الجواب فهو سبب هواجسي
؛ لم تعني في شئى اذ لم ارد غير ان اعرف ان كان الحب
سيجعلني اخسر صداقتها واغوص معها في عالمه الذي
يشبه الكون غير المحدود ومن الصعب ان لا يتوه فيه
المرء؛ ماذا ان فشلنا فيه وافترقنا وقد خسرنا صداقتنا سابقا
ماذا سأفعل فقد تعودت طيفها حولي وهي لم تصبح

حبيبتى حتى؛ ستتبخر صداقتنا ريثما نخترق الغلاف الجوي
للحب وندخل الى مجاله الحيوي هذا ما يفعله؛ لن يترك
صداقتنا على قيد الحياة ماذا ان اخفنا واردا العودة لن
نجد لها اي اثر؛ اخشى ان نعود لنجد انفسنا غرباء؟؟ لقد
تهت وشردت من جديد لكن قلبي يناجىها وروحي تشدني
اليها بقوة؛ لقد اتعبني الحب قبل ان اغوص فيه حتى ماذا
ان هويت واستسلمت له....

تميزت اغلب رسائلنا بشتائم خفيفة كانت اساس كل
المرح والضحك الذي لا يعرف نهاية في محادثتنا الا اني
انهيت حديثنا حتى يتوافق عقلي وقلبي على قرار نهائي
فعقلي يخشى ان نفشل في ذاك العالم المعقد وقلبي
يريدني ان استسلم لمغناطيسها الذي يسحبني اليها
دون ان اشعر بشيء؛ قلت مازحا؛

«حسنا علي القيام ببعض الاعمال لكن هذه المرة لن
اغيب عنك طويلا نلتقي مساء سيكون حديثنا طويلا الليلة
على ما اذن، انتبهى لنفسك وكوني بخير.

«حسنا الله معك ولا تنسى انتظرك مساء سانهي ما
بداته قبل مجيئك من اعمال في البيت. اراك.

ماذا ان اردنا بشدة ان ننقذ علاقة ما من التبخر كالجليد؛ماذا ان اصبح الحب الجميل والرائع كما عرفناه مصدرا للشك والخوف؛ماذا لو تنبأنا مسبقا بما سيحدث لكننا نفعل الشيء رغم ان مطافه مغلق باحكام؛ماذا لو اننا ضحينا بشيء من اجل شيء اجمل منه رغم اننا لا نعرف مصيرنا فيه؛ماذ ان أمعنا النظر للحظة في ماهية ما ينتظرنا لن نصل لشيء صحيح لكن لا بأس بالمحاولة فربما يملكنا شعور ما يضيى لنا الطريق قليلا؛

ماذا لو؟؟!!هكذا امضيت بقية يومي احاول خلق توازن بين افكار تتزايد في ذهني تثير حيرتي وفكرة بزغت اوراقها الخضراء وظهرت من تحت التراب في قلبي؛بين امكان ان يقتل الحب صداقنا وينسيناها فان اخفقنا فيه صرنا غربا وبين اني حقا احبتها؛بين الصداقة والحب ظللت اتأرجح واتقلب طول النهار؛أصداقة ام حب؟؟ وقد تمنيت لو كان بامكاني اختيار الاثنين لاخترتها معا فحتى لو فشلنا في الحب فلن تذهب صداقتنا سدى اذ اننا سنجدها تنتظرنا او اننا قد نمزج الاثنين في شيء واحد رغم ان الامر محال لكني كنت لاحاول؛تهت ولم اجد في عقلي اية اجابة تعينني؛انها الثامنة مساء؛الليل في المدن يتسلل الي

الانهج ببطئ حتى انك لا تشعر به وبحلوله مطلقا وقد
تواصلت حيرتي حيال الامر وصار علي اتخاذ قراري الاخير
لكني لم افهم ماذا اريد بالضبط؛ ادركت اني احببتها صحيح
لكن لماذا اتردد في مصارحتها وانا على علم مسبق انها
توافقني وتبادلني نفس المشاعر؛ اخاف ان اخسرها
صحيح؛ مر اليوم بسرعة حتى اني لم اشعر باي جزء منه
ولم يكن في ذهني شئ خلال غير ثلاث؛ هي والصدقة
ام الحب.....

حل موعد انتهاء عمل اخي وكان لنا ان اغلقنا المكان
واخذنا طريقنا الى البيت الذي لم يكن يبعد الا بضعة أمتار
عنا لكني لم اكن اشعر بشئ لشرودي ونحن نمشي
بخطئ بطيئة؛ كان الامر قد وصل معي الى آخره ولم اعد
اطيق الاطالة في التفكير وكان علي وضع حد لسهوي ذاك
والا كنت اخذت كل عمري وانا افكر في شئ يبقي
امكانية خسارتي لها بعيدة عني؛ هذا ما كان ببالي لكن
اخي لم يلحظ اي من شرودي ذاك ولم يكن لينتبه اصلا
لانه كان غارقا بمراسلة صديقه المقربة؛ صديقة تحولت مع
الوقت الي حبيبة وهو الذي تعرف عليها من خلالي اذ لم
يكن يعرفها حتى قمت بتقديمهما لبعض فصارت صداقتهما

متينة حتى تعدى بهم الامر الي ان احبا بعض؛ الحب لا يصنع المعجزات اعرف من كان يقول انهما سيصلان الي تلك المحطة وهو الذي كان يسخر مني حين كنت اراسلها وارفع من معنوياتها عندما كانت تمر بفترة عصيبة واختلط المرض بمشاكل عائلتها وانقطاعها عن الدراسة؛ كانت محطمة بالكامل ولم استطع فعل شئ غير مساندتها عبر الرسائل او حين اهاتفها للاطمأنان عليها فقد كانت صداقتنا تعاني من مرض البعد كان يقول لي دائما حين يراني اراسلها*كيف تستطيع ان تمضي وقتك في التحدث لهذه الفتاة انها صغيرة جدا ومن قال انها تقول الصدق بشأن مرضها ومشاكلها؛ قلبك الطيب سيتعبك يوما ما ولن ينفحك الندم في شئ حينها*هكذا كان يقول لكن القدر نظم لهما موعدا ليتراسلا فيه بعد ان حدثتها عن اسرتي ومن بينهم هو وقد بدأ تراسلها الاول بسيطا وتطور شيئا فشيئا حتى اصبحت تراسله اكثر مما تراسلني وتحادثه عبر الهاتف وتسال عن احواله طول الوقت ونسيتني نوعا ما لم يكن ذنبها لكنها وجدت من انسجت معه وغاصت في قصصها رفقة حتى نسيت ما بقي عالقا في ذهنها من اوجاع تسببت لها الحياة فيها؛نسيتها مؤقتا لكنها لم

تختفي يوما وسرعان ما تحولت تلك الصداقة وتلك الفتاة التي لم تكن تروق له الي صديقة مقربة وحببية وحتى البعد وعدم التقائهما مطلقا لم يشكل عائقا غير انه خلف العذاب والالام لوقت طويل لكنه اقترب خطأ فاتحا وتغابى ولم يسأل نفسه حتى اي مما كان يدور ببالي وقتها عن امكان ان يقربهما الحب من بعضهما البعض حتى يآل به الحال الى ان يخسر حبا وصداقتها معا؛ هوى معها والقسا بنفسيهما في ذاك العالم المعقد دون اي وعي بما قد يحدث؛ لطالما تمنيت لو كانت تلك الصغيرة التي لم ارها يوما اختي ولطالما احببت لو كان القدر قد القى بها في عالمي حتى تكون مدلتي وأختي وصديقي الصغيرة لكانت ملت الفرح والسعادة بجانبني وبحثت عن الحزن قصد تذوق طمعه لكن القدر لم يفعل ولن يفعل ذلك يوما؛ هذا ما قلته لها ذات مرة حين اتصلت بها وكانت قد اختنقت من قساوة الحياة عليها فاكتفت بالمهممة وختمت بتنهيذة هزت داخلي واشعرتني بما تعنيه كلمة عجز عن مساعدة صديق ما؛ سقطت مع اخي في علبة الحب وعاشاها بحلوها ومرها بينما حضيت انا بصداقة الفتاة التي عرفها اخي قبلي وحدث بذلك ما حدث مع الصغيرة الاخرى اذ

تراسلنا حتى كدنا نمل التراسل وتضائل بذلك حديثها مع
اخي وهو الذي عرفته قبلي.....

كان الفرق بيني وبين اخي شاسعا جدا في وجهة النظر
للحياة وما تخفيه اذ كان يسعى وراء جمال الوجه ولم يكن
يعير اي اهتماما لجمال العقل او الروح مثلي الا ان هذا
الاختلاف الذي كان بيننا قد وظفه القدر في شئ آخر اذ
انه لم يسبق له ان رأى صديقه المقربة قط بينما كنت
اراهنا يوما في الاسبوع.....

كان منغمسا يراسلها بينما لا يزال الشرود يلازمي لكني
اكتفيت التردد والتفكير وسألته بنبرة حائر اغلقت في
وجهه كل ابواب الاجوبة عن تساؤلاته وانهكه تعب التفكير
ومماطلة نفسه التي تنتظر جوابا مقنعا؛ تكلمت دون ان
اشعر لما قلت رغم اني كنت اعلم ان جوابه لن يعينني
بشيء فرآنا يفترقان ويتضاربان؛

«اسمع ما يجب ان افعل برأيك لا اريد ان اتلاعب بها؛ لا
اريد ان ادخل معها في عالم واعلقها بي ثم اتركها
واخذلها؛ اخاف عليها من نفسي رغم اني احببتها من اجل
روحها وقلبها الطيب الا اني اخاف ان أتركها في منتصف

الطريق بعد ان وثقت بي ورسمت لي صور في مخيلتها
وزينتها على طريقتها الخاصة!!!

كان شاردا هو الآخر في امر ما مع صديقه ولا اذن انه
سمعني وسمع ما قلته لكني كنت يائسا من التفكير اذ
كنت مدركا اني وقعت في حبها وانتهى الامر لكني اردت
دفة بسيطة تطمأني رغم ان جوابه لن يكون المطمأن
حتى لو اجاب بالتأييد؛ ادلفت مرة اخرى؛

«اتسمعني سألتك ماذا افعل برأيك اخاف ان اتركها في
منتصف الطريق واخذل ثقتها في واخسرها الى الابد؟»
لكنه اجاب هذه المرة وقد لمست في جوابه شيئا من
المنطق وكانت اول مرة احس فيها ان اخي على حق فيما
يقول؛

«افعل ما تراه مناسباً اتبع قلبك مثلاً فانت لن تمضي كل
حياتك وحيداً ان كنت تحبها الان ستحبها اكثر واكثر غداً
وبعده واذا كنت اعرفك جيداً فانت لن تتخلى عنها حتى ان
طلبت منك ذلك؛ هي ظريفة وراشدة والمهم انها متواضعة
لم لا....

كنت بحاجة الي رأي يعينني رغم اني اتخذت قراري وانتهيت اذ ان كل ما قاله كنت ادركه منذ البداية لكنه لم يفهم اني أخشى خسارتها بسبب الحب وان مضينا في ذاك الطريق سيجعل صداقتنا تبرد وتتبخر ثم ستنسى وان احتمال فشلنا فيه واردة وسيخلق افتراقنا حينها فجوة كبيرة بيننا من الصعب ان نعود اصدقاء مثلما كنا ؛هذا ما يفعله الحب جميل ورائع صحيح لكنه مدمر يا اخي؛مدمر للحد الذي يدفع المرء لان يعشق الموت بعد فقدانه للشخص الذي تعلق به لكنها بحاجة الى اهتمام اكثر؛بحاجة الى شخص يقف معها في شدتها التي تأتي الانتهاء فأخي لم يعرف عنها شيئا مما عرفته وادركته انا.

ادركنا البيت واخذت زاوية فيه وامسكت بهاتفني لكن لم ارسل شيئا ولم اتصل قط بحسابي؛احببت صديقتي وانا الان مطالب بان اقرر؛لم تطالبني بشيئ من جهتها لكن نفسي هي التي تطالبني بذلك في حين يصارع قلبي في مكانه ويدفعني نحوها دفعا؛صداقة ام حب؟؟لماذا كانت تنبهني بألا احبها؟؟ لماذا اصرت على تحذيري بان لا اجعلها ابتلائي؟؟لكنني جعلتها كذلك وانتهى الامر وحصل ما حصل لكن مازال بإمكانني التراجع واطفاء ذاك الفتيل ان

كان يهدد صداقتنا خطر ما؟؟ أستجعلها تلك القمص التي روتها لي سيئة معي في المستقبل؟؟ ماذا ان عملت على ان اخرجها من قوقعتها تلك عساها تنسى احزانها وهمومها فالحب سيقرني منها اكثر وسيصير بامكاني ان اضفي على حياتها شيئا من السعادة التي حرمت منها منذ زمن؟؟ الحب سيقربني منها كثيرا بالتأكيد وسيكون بمقدوري ادخال الفرح الى قلبها الحزين واخراجه من مستنقع الكئابة ذاك؟؟ لكن حقا هي تستحق التضحية من اجلها؛هي تستحق المغامرة فان كان الحب سيفرخها ويجعلها تعيش حتى مدة قصيرة دون ذاك القناع الذي تضعه على وجهها؛ان كان الحب سيجعلها تبتم بصدق؛ان كان الحب سيحييها من جديد ويخرجها من عالم الحزن ذاك ويرسم على وجهها بسمة صادقة؛فأنا مستعد؛انا على استعداد للتضحية بصداقة لطالما احببتها ليحل محلها حب لا اعرف اين سيركن بنا سيارته؛
اقسم انها كانت نستحق أكثر من تلك التضحية.....

الحب!! كان اول حب لي هو امي وقد حضيت بشرف حبها
وطالما افتخرت به لكني لم اجرّب مطلقا الحب الاخر حتى
ذاك الوقت؛ لم اجرّب قط ان احب احد غير امي اذ اني كنت
ارى ما يفعله الكثيرون في تلك المدينة او غيرها تحت اسم
الحب وادركت ان ما عرفته عنه لا يتطابق مع ما يمارسه
اولاؤك الساذجون وقد كانت افعالهم القذرة كافية لاطفاء
ضوء الحب الذي صار يخفت شيئا فشيئا حتى انطفئ

واختفي وصارت كلمة حب تعني اشياء بشعة ومخالفة لما كانت عليه في السابقة لكن رغم ان الاغلبية حولوا الحب الى وسيلة تتخفى ورائها شهواتهم المتوحشة الا ان الاقلية التي لا تزال على وعي بجوهر الحب ومعناه الحقيقي لا تزال متواجدة لكن بقلّة تكاد تنعدم وتختفي بسبب كثرة العقول التافهة التي تقودها نزواتها الضمّاء واهوائها.....

الحب!! في زماننا هذا عندما تسمع هذه الكلمة من احد تكون مخيرا بان تسلك طريقان؛ لكن الطريق الاكثر استعمالا في هذا الزمان هي طريق الحب الشيطاني الذي يقرر فيها شيطانك الذي يتبعك كل الوقت ويحاول ايقاعك في الاخطاء والمعاصي؛ يقرر عنك الطريقة التي ستحب بها شخص ما وبالطبع لن يختار شيئا من جملة خيارات توضع امامه لانه سيختار شيئا واحد وبالاساس لا يوجد غير ذاك الخيار بذلك اصبح مفهوم الحب الان بين يديه فهو الذي يكتب الحروف المكونة لمفهومه بطريقة غير مباشرة؛ اي عبرك انت؛ فهو الذي يستوطن مخيلتك وتفكيرك؛ الحب جمال الشعر؛ الحب جمال الوجه؛ جمال العين؛ الحب جمال الشفتين؛ الحب جمال أعضاء معينة في

الجسم؛ الحب أصبح اساسه جمال الجسد؛ في زمن
الماديات أصبح الحب هو جمال الابدان؛ فاذا سألته لماذا
تحب تلك الفتاة او لما تعلقت بها واقمت معها علاقة حب
كما سماها هو اخبرك بكل جرأة وبساطة* لانها جميلة يا
صديقي* جميلة؟؟ مالجميل فيها دعني اخمن روحها ام
قلبها!!! لم تكذ تكمل هاتين الكلمتين حتى ينفجر منك
ضحكا وساخرا على تفكيرك البدائي والمتخلف! نعم
سيقول ان تفكيرك متخلف وان بعض الرجولة تنقصك ثم
يجيبك بكل رحابة صدر بعد غرقه في الضحك!! نعم عقلك
وتفكيرك يضحكانه* احمق لاني اتحدث اليك ماذا عساني
افعل بروحها وقلبها ايها المعتوه افق نحن في القرن الواحد
والعشرين وعلى وشك بلوغ الثاني والعشرين ما عادت
تلك القصص تشبع رغباتنا وشهواتنا نحن البشر انما
احببتها او بالاحرى اعجبتنني؛ لا يهم الكل سواء فانا لا انوي
جعلها اميرة في بيتي لقد احببتها لاجل شعرها الحريري
الاسود وعيناها لقد اسراني بجمالهما ولونهما العسلي
وشفتاها يا صديقي شفتاها لا يقاومان* يقدم لك هذه
الكلمات وهو ينظر ناحيتها او يتخيلها واقفة امامه ولعابه
يسيل كمثال كلب مسعور ويكمل تعداد خصالها الجسدية

المتبقية وعيناه تبرقان شرارة لو كان الشيطان واقفا امامك
لما رأيتها فيه؛ نحن البشر؟؟ تبا للبشرية ان كنت تنتمي
انت اليها وتبا لي ان كنت بشريا مثلك؛ هكذا اصبح مفهوم
الحب في زمننا هذا حب الاشخاص تتبعنا للشهوات
والنزوات؛ حب للاجساد لكن الامر لم يبقى مجرد حبر على
ورق فقد صار يتطور ويرتقي حتى جمع القدر بين مفهومهم
للرقي ونظرتهم الطفيلية للحب فخلقت بذلك لوحة قذرة
بامتياز وقع الشيطان اسمه اسفلها؛ لوحة شيطانية غريبة
تفنن البعض في تطبيقها ليصبح الحب ممارسة للجنس
في كل وقت ومكان وليتحول الى جملة من الحركات التي
تحمل في ظاهرها حبا لكن يتأجج في داخلها وحش
اسمه الخطية والمعصية.....

الحب!!! الحب صار عناقات تشعر كلتا الطرفين بالدفء
والعطف والحنان؛ الحب صار قبلات يسرح بواسطتها الراقيان
الى عالم اخر غير عالمنا هذا؛ عالم ينفرد فيه كلاهما تحت
مطر من الاجواء الرومنسية والكلمات العذبة حتى يقتنع
الاثنين انهما يعيشان الحب في حين ان كل منهما يشبع
شهوته ويسكت نزواته لا اكثر وقد تحول الحب في نهاية
المطاف الى تمثيلية صغيرة؛ بسيطة وقواعدها سهلة

وراقية تتماشى مع رقيهم الذي تزيوا عليه وكبروا فيه؛ مسرحية تدوم طويلا في اغلب الاحيان لكن في الحقيقة دامت شهرا او سنة فهي في النهاية مسرحية ومآلها كلمة تكتب على الشاشة وينتهي كل شئ**النهاية**مسرحية يسعى كل من البطلان الى اشباع ما يستطيع بقدر ما يستطيع من شهواتها البشرية المقرفة واذا ما انتهى واحد او كلاهما تكون المسرحية قد انتهت ويذهب كل منهما في حال سبيله فقد عاشا الحب وانتهى الامر لكن الحمق انهما يقنعان نفسيهما ان الحياة لا تريدهما معا وان القدر فرقهم وابعدهم عن بعض!!اي حياة واي قدر يتكلمان عنه واي فراق!!متى اجتمعا اصلا حتى يفترقا ويلحنا تلك الانشودة التي يطلقون عليها**المكتوت**او مشيأة القدر؛هما بالاساس لم يجتمعا بل اجتمعت شهواتهما وانسجمت وتغذت من بعضها البعض الى ان شبعت وملت فقررت الانفصال عن بعضها بنفس الطريقة التي اجتمعت بها ؛هكذا اصبح مفهوم الحب اسفا؛جمال ابدان؛قبلات وعناقات ثم كل يذهب في طريقه مشوهين صورة القدر على انه السبب وانه السيئ؛لم يكن الحب هكذا ولن يكون يوما فما

يمارسه هؤلاء باسم الحب ليس له اسم اخر غير فساد اخلاقي او قذارة تنتجها عقولهم المستعمرة من قبل الغرب وفيديوهاتة؛ تلك قذارة الرقي خاصتهم وليس حبا.....

اختلافي ظل يجعلني مدعاة للسخرية والشتائم لكني لم اغير ذاك الاختلاف قط اذ لطالما راقني واعجبني وليس من السيئ ان يكون المرء مختلفا ومميزا عن غيره لان الحب بالنسبة لي كان يصنف جمال المظهر كآخر شئ في قائمته الطويلة حتى كاد الجمال فيها يختفي ويتبخر؛ الحب!! كان ولطالما ظل في نظري هو الاهتمام؛ الاحترام؛ الصدق؛ الوفاء؛ الخوف؛ القلق؛ الغيرة؛ الاحتواء؛ الاكتفاء؛ التواضع؛ القناعة؛ البساطة؛ الامان؛ الثقة؛ هكذا

علمتني امي مفهوم الحب وهكذا اوصتني ان ابقيه راسخا في ذاكرتي وقد جعلتني اؤمن بهذا المفهوم وقوة ايماني به حتى لا اتوه وسط افكار كانت تعرف انها ستعترض طريقي وتحاول زعزعت ذاك الايمان الذي انشأته امي في وشيدته حجرا حجرا لكن حبي لها جعل ايماني بالحب الحقيقي يتماسك ورغم ان الحب الذي علمتني امي فقد في زمننا هذا الا اني ظللت مؤمنا به حتى لقيتها تلك

الليلة؛ ظللت متمسكا بذاك المفهوم حتى جمعتني بها
الصدفة وربما كان القدر.....

علمتني امي الحب الحقيقي....

علمتني ان الحب هو ان نجعل من احبنا سبب عيشنا
ونسعى لاسعاده وافراحه باهتمامنا واحاطتنا به فلا
نشعره انه حمل ثقيل علينا مهما كانت مشاكله وسواء
كان سيئ الطبع او جيده فحبنا له لا يجب ان يتغير اذ
نخصص له ساعات من اليوم تحمل اسمه لنتحدث اليه
فيها لكننا نفكر فيه طول اليوم بساعاته ودقائقه وثوانيتها
حبيبا يمضي اليوم دونه حين يغيب وتشغله عنا الدنيا كانه
دهر في حسن انفرادي واهتمامنا به لا يجزء ويفصل
المواضيع بل ان كل حرف وكل ثانية من حياته تعنينا؛
راحته..طمأنينته..فرحه..تعبه سعادته..ارقه..مشاكله..
حزنه..انهاكه..مرضه..عافيته..انفاسه..كل حركة في
حياته..جديده..ماضيه الذي يطارده ويزعجه..كل جزء وكل
خصلة منه تصير منا ولنا وتنتمي الينا وبذلك يصبح عالمه
هو موطننا الجديد؛الاهتمام هو دستور الحب ذاك
الاهتمام...

علمتني امي ان الحب هو الاحترام واذا ما قيل احترام فالجميع يذهب الى تقدير الذات والشخصية والهيئة واسلوب التعامل لكن كل هؤلاء يمثلون الشخص وصفاته وهم من يرغمونك على احترامه ارغاما لكن الاحترام في الحب هو الكلام الطيب والجميل؛الكلام العطر والعذب؛ الاحترام ان تخجل وانت تنظر في عيني من تحب وان تحمر وجنتا حبيبتك وهي تنظر اليك فتسارع الى اخفاض رأسها احتراما قبل ان يكون خجلا؛الاحترام ان تستحي وانت تمسك يدها وان ترتعش وهي تضغط على يدك حتى تخبرك الا تتركها فهي تحبك؛الاحترام ان تطلعها على كل خطوة تخطوها فكل شئ تفعله صار يهملها؛ الاحترام ان تستأذنك وتستشيرك وتأخذ رأيك في ابسط الامور واعقدها؛الاحترام هو محو كل تلك الشتائم والكلمات المقرفة من مخيلاتنا؛تلك التي لقننتنا اياها الشوارع؛لماذا لا نتوقف للحظة ونسأل انفسنا شيئا؛كيف لثمانية عشر سنة من العناية والاحاطة من قبل تلك العجوز التي نسميها أمنا ان تذهب سدى بمجرد تجولنا لبضع دقائق في الشارع الذي يعج بالمسوخ؟؟تخيلوا انفسكم وانتم تنطقون بتلك الكلمات امام امهاتكم؟! صحیح لن تقدروا

على ذلك لانكم تستحيون اذا كيف لكم ان تنطقوا بها امام من تحبون!! كيف لكم ان تتفوه بها في وجه فتاة ستكون يوما ما أما تربي بنتا او ولدا مثل ما فعلت امك!! كيف لك ان تخرجي تلك الحروف المركبة من الشيطان وتنطقي بها امام من تحبين!! ايمكنكي ان تقولي حرفا منها امام ابوك!! الا لن تستطيعي لكن اوليس ذاك الفتى هو ابوك عندما تختلون ببعضكم في مكان ما!! ابوك ان كنتم قد اتقنتم الحب وفهمتموه لكن ان كان حبكما شيطانيا فهو ليس الا شيطان مثلك اعذريني؛ الاحترام مشاركة وتبادل لكل تفصيل مهما كان حجمه او صفته؛ الاحترام هو دين الحب؛ ذاك هو الاحترام...

علمتني امي ان الحب هو الصدق؛ صدق ما نقوله وما نفعله؛ صدق كل كلمة تخرج من افواهنا لكن مصدرها قلبنا اذ ان ما ننطق به هو انعكاسا لما نحس به داخلنا...

علمتني امي ان الحب هو الوفاء فمالذي يدفع المرء للغدر والخيانة!! المال؟؟ الله يرزق من يشاء فالذي افقرني هو نفسه الذي اغنى ذاك؛ الجمال!! جمال القلب والروح لا يظاهيهما وزن الارض والاشمس ذهبا فاذا كان القلب والروح فاسدان ما ستصنعون بالجسد اخبروني؛ الوفاء لا

يجيده الا من امتلا قلبه بحب الله وشيئ من التواضع
والقناعة فحتى لو امتلك غيرك مال الدنيا وجمال يوسف
عليه السلام لن يتخلى عنك حتى لو كنت تظفر تمرا
وتتعشى زيتونا وتقطن كوخا؛الوفاء هو العمود الفقري
للحب؛هو قلب الحب؛ذاك هو الوفاء.

علمتني امي ان الحب خوف؛ان نخاف من يوم علمه عند
الله يتبخر من أحببت مع الهواء ويصير ذكرى تلازمك طول
حياتك التي ستنتهي حينها ولن يبقى منك الا جثة او
جسد بارد؛الخوف ان يكون حرصك على من تحب كحرصك
على امك التي بدأت تتقدم في السن وتضعف؛ الخوف ان
تحرص على من تحب كمثلك حرصك على صلاة
الجماعة؛الخوف ان يتخلى عنك نوم الليل اذا كان قد اصاب
حبيبك اذى او مكروه؛الخوف ان تخشى ان تجعلك الحياة
تخسر من تحب رغم تعلقه بك فانت تخاف خسارته ذات
يوم؛الخوف هو منهج الحب ذاك هو الخوف..

علمتني امي ان الحب هو الغيرة؛حاسة سادسة كما
قالت؛شعور لا ارادي؛تملك عفوي خلق مع الانسان
بالفطرة؛خلايا تنشط لا اراديا في جسم الانسان عندما
يلمح جسما ايا كانت صفته كبيرا ام صغيرا يقترب من دائرة

من يحب؛ حاسة يكون حبنا القوي تجاه شخص ما السبب
الابرز في تفعيل نشاطها اذ انها تستوطن عقلة وتستعمره
وتملأه ضجرا وغضبا ليس من الشخص الذي تحبه بل ممن
هم حوله يحاولون الاقتراب منه او هم قرييون منه؛ من
اصدقائه،، من اقاربه،، من اخوته،، من امه وابيها ان لزم الامر
فالغيرة كالحب لا تستثني احدا ولا تفصل؛ الغيرة هي
اعلى درجات الحب؛ تلك هي الغيرة...

علمتني امي ان الحب اكتفاء؛ اكتفاء من الكون بأسره من
اجل من نحب؛ اكتفاء من الآخرين؛ اكتفاء من البشر؛ اكتفاء
المخلوقات؛ اكتفاء من كل شئ فحبنا القوي لشخص ما
يجعلنا نرى فيه الكون بمنظوماته ومجراته وكواكبه؛ نرى فيه
الاصدقاء والاخوة والاقرباء،، نرى فيه الأم الثانية والاب
الثاني،، نرى فيه جمال الام وحنان الاب واهتمام الاخوة
وحب الاصدقاء،، نرى فيه الرقي؛ نرى فيه الحياة بتفاصيلها
فسواء تواجدت حولنا اشياء اجمل بكثير ممن احبنا او
اختفت فحبنا لذاك الشخص واكتفائها به يجعل من الخيانة
والتخلي منعدمان حتى في الخيال؛ يكون من المحال ان
نخون حتى ولو توفرت حولنا كل اسباب الإغراء فالأكتفاء
هو ان يحاط بك الاشخاص بجميلهم وقبيحهم؛ بغنيهم

وفقييرهم من كل جانب لكنك وجدت عالمك في شخص واحد وانتميت اليه؛الاكتفاء ان نرى العالم باسره في عيني من تحب؛الاكتفاء يتطلب قدرا من القناعة بما رزقك الله وما وهبك اياه حتى لو كان فقرا؛ذاك هو الاكتفاء

علمتني امي ان الحب هو تواضع والتواضع صفة لا يتسم بها الا القليلون في زمننا هذا زمن السعي وراء الجمال الظاهري وجمال الاجساد والوجوه؛التواضع هو ان تكون مؤمنا ان علاقتك بالآخرين لا يحكمها جنس او لون او ماديات؛التواضع هو ان تصادق الغني والفقير والجاهل والقارئ والمتعلم والامي؛التواضع ان تتحدث مع الكبير والصغير والأبيض والاسود والعربي والاعجمي اذ *لا فرق بين عربي او اعجمي الا بالتقوى*؛التواضع يتطلب القناعة؛ذاك هو التواضع....

علمتني امي ان الحب هو القناعة؛ان تؤمن ان المغني هو الله والمفقر هو الله والغني هو الله؛ان تؤمن ان من اغنى ذاك قادر على ان يفقره ومن افقر ذاك قادر على ان يغنيه لكن الله يرزق من يشاء؛ان تؤمن ان من اعطى الجمال لذاك هو الله ومن اعطى القبح لذاك هو الله؛ان تؤمن ان الجمال هو جمال الروح والقلب وان الغنى هو غنى العقل

والنفس فالمال لن يشتري او يصنع لك قلبا طيبا وعقل نيرا
ونفسا عزيزتا حتى لو كان مال الكون كله موجودا بحسابك
البنكي او في منزلك فالقلب الذي اصابه العمى لن يبصر
الا بمشيئة من الله وحده والعقل الذي اصابه الجهل لن
يعلم الا بارادة الله وحده والنفس التي مرضت بتتبع
الشهوات لن ترجع الا بهداية من الله وحده؛القناعة ان يمر
حذوك اجمل واغنى ممن احببت لكن لا يتحرك لك ساكن
لانك على قناعة انك لن تحظى بقلب مثل القلب الذي
اسكنك داخله؛القناعة تتطلب الايمان؛تلك هي
القناعة.....

علمتني امي ان الحب هو البساطة واوصتني الا اتصنع او
اخلق لنفسى شخصية لينجذب لى الاخرون؛ان اعيش
كما شاء الله لى اعيش؛البساطة هي الا اتصنع؛ان اكون
كما انا؛البساطة تتطلب القناعة؛تلك هي البساطة...

علمتني امي ايضا ان الحب هو الأمان؛ان اشعر من يحبني
انه فى غنى عن القوة لانى قوته؛فى غنى على الطاقة
لانى طاقته؛فى غنى على المقاومة لانى امامه فهو لن
يكون بحاجة اليها؛ان اشعر من يحبني انه يمتلك الاب
المسؤول والحبيب والاحن والاخ الحامى والامر الامثل

؛الامان ينسى من يحبني وهو معي ان الله خلق شيئا
اسماه خوف؛الامان ان يحضني من احب وهو مغمض
العينين دون خوف او تردد؛الامان ان تضل ممسكة بيدي
وتتبعني حتى ان كنت اقودها الى الظلام والعممة؛حتى
ان كنت اسحبها الى مقبرة مظلمة في منتصف الليل ؛
حتى ان كنت اقودها الى كهف معتم تحت الارض؛الامان
ان تغمض عينيها وتهوي معي الى اي مكان يقشعر له
البدن؛الامان يتطلب الثقة؛ذاك هو الامان...

علمتني امي ان الحب هو ثقة؛هي حالة يكون فيها المرء
متأكدا من دقة او صحة امر يتعلق به او بمن يحب؛ثقة بمن
نحب؛الثقة هي الا اكون بحاجة لان تبرر لي من احب ما
يقوله الاخرون عنها؛الثقة هي حين اسمع الآخرين يأولون
قصصا على من احب واكتفي بالنظر في استهزاء او
الصمت احتقارا؛الثقة هي ان لا انبس بحرف عندما
يناقشني الاخرون حول امر من احب او حول امر نفسي
ذاتها لان ثقتي تخبرني من انا ومن هم اذ لا حاجة لاضاعة
افكارك وانت تناقش تفهاء تعودوا تأويل الحكايات لقله
انشغالهم الثقة هي سنة الحب؛تلك هي الثقة...

علمتني امي ان الحب هو احتواء تبدأ هذه الحاجة بشكل كبير لدى الطفل الرضيع الذي ليست لديه القدرة لفهم سبب الضيق الذي يشعر به اذ ليس بمقدوره أن يقوم بأي شيء سوى أن يصرخ وبالتالي تأتي أمه لتحضنه وتواسيه وتساعدته، بكل ثقة وهدوء وتعاطف؛ انت بحاجة لانسان آخر كي يساعدك على التنفيس على مشاعرك وضبط نفسك وقد بدأ الاحتواء بيننا منذ جلسة السفينة تلك؛ الاحتواء هو ان نغمس في قصص وحكايات من نحب ونأخذ عنه اكبر قدر يمكننا اخذه حتى نفرغ عنه ما يكدر عليه من مشاكل وهموم استوطنت قلبه وخنقته؛ كمثل الام مع طفلها، ابن الخمس سنوات الغاضب والذي لا يكف عن الصراخ؛ كمثل هدوء الام في مخاطبتها لابنها الصغير محاولة معرفة سبب غضبه وتقنعه انها تفهم السبب حتى وان كانت تجهله وتدعوه اليها حتى يحتضنها ويفرغ فيها جزءا من ذاك الضجر وربما تأخذه عنه كله وتخبره بصراحة انها تتوقع منه الهدوء والتوقف عن الصراخ وتتعاطف معه وتبدي ملامحها الباسمة رغم ضجيجه لكن عمره الصغير وعدم ادراكه لما يفعله يجعله يبدأ في ركلها واذيتها جسديا فتضع حدا لهذا عن طريق مسك الطفل وحضنه *أنا احضنك

الآن كي أساعدك ان تهدأ لانني لا أقبل ان تركلني*؛الاحتواء ليست خاصة فقط بالأم والطفل بل هي مستمرة خلال حياتنا وتظهر بشكل خاص عند حاجة الانسان لشخص آخر ليساعده في ضائقة يمر بها في لحظة معينة في هذه اللحظة تقع مسؤولية اكبر على الشخص الذي يعلن مساندته للاخر المتضايق او المحتوي الذي يتوقع منه بالاضافة الى قدرته على الهدوء والتعاطف وأن يحافظ على رباطة جأشه مع رسم ...حدود واضحة لا يسمح بها للشخص المحتوي ان يؤذيه

رسمت لي امي صورة للحب الحقيقي ولونتها من اجلي بكل ما امتلكت من الوان اذ انها جسدت لي الحب في انه إيمان فكما نأمن بالله ورسوله وقرآنه فنحن كذلك نؤمن بمن نحب فالحب كالدين تكونه فرائض لكن فرائضه تجاوزت الخمس على عكس الاسلام فاول فريضة في الحب هي الوفاء وثانيها الثقة وثالثها الأمان ورابعها الصدق وخامسها الاكتفاء وسادسها الغيرة وسابعها القناعة وثمانها البساطة وتاسعها التواضع وعاشرها الاحتواء وحاديها الخوف؛الحب هو ببساطة دين مثل الاسلام حتى ننتمي اليه علينا ان نلازم فرائضه كمثل ملازمتنا للشهادتين

والصلاة والزكاة والصوم وكمثل ايماننا ان لله سيرزقنا الحج يوما ما؛ ذاك هو الحب فاذا غابت فرائضه الاحداعشر تلك لم يعد ديننا فمثلا يكون تارك الصلاة كافرا في شريعة الاسلام لانها فريضة من فرائض الدين الاساسية وقد سميت بعماد الدين الاسلامي فتارك الوفاء كذلك كافر في شريعة الحب لانه فريضة من اولى فرائض الحب المركزية وهي قلبه النابض لكن لنختصر كل ذاك الحديث ولنقل ان الحب ببساطة هو امي.....

اصبح زمنا هذا زمن ماديات؛ ماديات ضاجعت بعض البشر الذين اصبحت عقولهم بتورمات والتهابات حولتهم الى وحوش آكلة للحوم الصادقين، الذين اصبحتوا في تضائل، فانجبت مالا؛ زمن مال تزوج الرقي المصطنع والخاطيء والذي اسيى فهمه فانجبا الفساد الاخلاقي وهو مسخ من مسوخ الشيطان؛ هو حفيد ابليس المدلل واول ما قامت به الماديات لضمان مستقبل اولادها واحفادها ان عبثت بخلايا الحب الجينية واصافت اليها بعض الافكار القذرة والتي هي في الاساس من ابداع الشيطان فتسبب ذلك في اصابة الحب بالتهابات وتشوهات في مظهره وملامحه فمثلا عبث الغرب بعقول اغلب العالم

العربي وادخلوا فيه افكارا ابليسية لا تمت لمحمد او بسنته بصلة مما ادى الى زعزة ديننا وانهياره وتراجعته فقد عبثت الماديات بالمعلومات المخزنة في شريحة الحب وذاكرته فقامت بفسخ بعض الافكار ووضعت محلها فيروسات زينتها حتى ظهرت اجمل من الافكار التي محيت لكن الفيروس يظل مسخا حتى وأن علق تاجا فوق رأسه ولبس حلة سليمان القانوني واذا ما نظرنا عن كتب لوجدنا ان من بين تلك الفيروسات يتفوق المفهوم البدائي للرقى وقد سبب ذاك العبث في تزعزع دين الحب الحقيقي وانهياره جزئيا حتى كاد ينعدم لكني طالما آمنت ان الحب الحقيقي مازال على قيد الحياة وقد زاد إيماني حين بدأت صداقتي بتلك القصيرة التي اضفت على حياتي نكهة وطعما بعد ان كانت سببا في تخلصي من لامبالاتي التي كانت تحبسني في جسن انفرادي؛ الحب!!! دين ليس كأى دين شهادته الوفاء وصلاته الصدق وزكاته الثقة وصومه الأمان وحجه الاكتفاء تقواه القناعة وإيمانه التواضع معاملته الاحتواء اجره الغيرة وحسناته الخوف واذا ما تخلت عن احد هاته الاركان وادعيت الحب فانت منافق في شريعة الحب اما اذا تخلت عنها كلها ومارست الحب

على الطريقة الغربية افعذرني انت بالنسبة لدين الإسلام
منافق تعلن انتمائك لدين الله وفي نفس الوقت تغرق في
المعاصي والذنوب وتدرك انك غارق فيها لكنك تواصل في
ذلك اما بالنسبة لدين الحب فانت كافر.....

ذاك هو دين الحب وتلك هي شريعته وسنته.....

اخبرتني امي عن الله ورسوله منذ صغري وجعلتني اؤمن
بهما واشهد بوجودهما ثم علمتني كيف احب واقنعتني
ان احب الله ثم رسوله ثم احب الاشخاص وقالت ان حب
الاشخاص ونسيان الله يتسبب في عذاب لا يطاق ولا
يحمل؛عذاب شبيه بعذاب النار لكنه في الدنيا؛قالت ان
الحب دين مقدس مثل الاسلام لكنه دين باطني خفي
في حين ان الاسلام هو حياتنا اما الحب هو ما تقوم عليه
حياتنا...

هذا ما علمتني اياه امي؛وامي امرأة صادقة تخاف الله
وتحبه وتقدسه ولطالما صدقت في ما قالت له لي وآمنت به
حتى اصبح ذلك المفهوم للحب هو اسلوب عيشي ورغم
اني علمت اني ساتعب لان امثالي قليلون في العالم بل
صارو يتضالون بسبب ما تفشى من عقول فاسدة تعبد

جمال الاجساد لكني ظلت متعلقا بما درسته في
مدرسة امي.....

الحب دين مقدس حتى نتقنه يجب ملازمة فرائضه؛ وهكذا
ستكون علاقتي بتلك الظريفة؛ صديقتي التي احبتها..
بدات حكايتنا منذ زمن لقائنا الاول؛ بدات مع تلك الصدفة ثم
تلك المزحة*رتاج* ثم العناية والاهتمام والحرص كانا الماء
المقدس والنقي والطاهر الذي سقى وكان سببا في
تخصيب تربة صداقتنا التي ترعرعت ونمت حتى تحولت
الى حب؛ بدات قصتنا بدفعة بسيطة أسميها صداقة مثالية
واهتمام مقدس لكنها انطلقت تلك الليل بعد ان حسمت
الامر مع نفسي واتخذت قراري بان استسلم لذاك
المغناطيس الذي خلق معها بالفطرة وكان يجذبني
ويشدني اليها منذ البداية؛ روحها... قلبها..
عقلها... نفسها... شخصيتها هم الذين سحبوني ولم يكن
لجمالها اي دخل في حبي لها؛ صحيح انها كانت جميلة؛
جميلة للحد الذي جعلني اعجز عن تشبيهها اما بملاك
نزل من السماء واستوطن الارض وغمرها بنوره ام انها
ثمرة من ثمار الجنة كانت قد تسلت الى الارض خلف ادم
وتبعته الى عالمنا هذا؛ حقا لقد كانت جميلة كجمال

المصحف مفتوحا على حمالته الخشبية؛ كجمال الكعبة
والطائفون يتحلقون حولها؛ كجمال جبال ارلندا الجليدية؛
كانت جميلة كأمي يوم العيد؛ كانت كيوم عرفة.....

تغيرت كثير من المعطيات والاشياء فقد تضاعفت قوة
صداقتنا وازدادت حتى صارت حبا وبذلك فان مرحلة الصداقة
قد تم تجاوزها وحسب ما شعرته انها نسيت؛ نحن من
نسيناها وتركناها تتبحر فقد حل محلها الحب؛ اعرف ان
الحب رائع لكن امني لم تخبرني قط انه يفسد الاشياء
الجميلة فاول ما فعله ان قام بافساد صداقتنا وجعلنا
ننساها ونعض البصر عنها فاصبحت الصداقة حبا وصار
الاهتمام اضعاف ما كان عليه من قبل؛ اصبحت مبالغا فيه حد
الخيال وتحولت صديقتي الى المرأة التي احببت
وامست*اختي*؛*زوجتي* وقد عادت بي هاته الكلمة الى
لقائنا الرابع حيث كنا نمشي في نهج من انهج المدينة
العتيقة الضيق نبحت عن أخي الذي تاه رفقة قريبتها في
زحام تلك الحفلات واذا بفتاة تعترض طريقنا تقصد اتهجا
عكس سيرنا فنظرت لها نظرة سخرية لما كانت ترتديه من
ثياب غير لائقة وقد كشفت جزءا من جسمها؛ لطالما نبذت

ذاك النوع من الفتيات لتبرجهن ؛ كانت قد انتبهت لنظراتي
الساخرة لتلك الفتاة ولم تنبس فادلفت وكانني ابرر شيئا؛
«لا تظني انها اثارث اعجابي انما قصدت السخرية بتلك
النظرات فلباسها مبالغ في تبرجه.

قالت وهي تبتسم؛

«ولماذا تبرر لي سبب نظرك اليها افعل ما شئت فانا
لست زوجتك حتى امنعك او اغار عليك..

حياة تسير كما تشاء وقد يرسم لها خارطة سيرها ونحن
ننقاد حسب اهواء كليهما وهكذا نعيش؛دخلنا كلينا في
عالم جديد عنا؛كون واسع ولا نهائي مثلها؛كون قواعده
مقدسة واحكامه فرائض من تمنع عنها فقد اعلن كفره
بالنظام اكمله؛لكننا كنا واعين بما نحن مقدمين عليه
ومدركين اننا مررنا الى عالم معقد واصعب من عالم
الصدقة الذي تعودنا عليه؛تركنا طور الصداقة وانتقلنا الى
طور الحب واصبحت الاخرى مجرد جسر ذهبي عبرنا من
خلاله الى جزيرة في عرض المحيط؛كانت كذلك في
ظاهرها لكن تبين ان وجدنا انفسنا نطوف في كون
باكملة؛كون يشبه كوننا هذا لكنه مختلف كل الاختلاف

عنه؛هوائه؛مائه؛شمسه؛قمره؛نجومه وكواكبه ومجراته؛
بدى كانها اشياء لم ندرسها سواء كان في علم الوجود ام
في علم الكون والكواكب؛كان شيئا خارجا عن نطاق
المألوف؛كان كمثل الجنة؛لا خطرت على قلب بشر ولا
ادركها عقل ولا فكر؛شعرنا في البداية اننا غرباء ومختلفون
عن ذاك العالم واننا محل كل الانظار وكأننا كائنات فضائية
نزلت الى الارض؛كان التأقلم مع قوانين ذاك العالم صعبا
لكنه لم يكن مستحيلا.....

كنت جالسا في زاوية من البيت اضع سماعات الاذن وانتظر قدوما اذ لطالما كانت كلمة <<متصل>> على فايسبوك بالنسبة لي مثل اجابة امي <<انا هنا >> عندما اناديها اثر دخولي البيت قبل حتى ان ألقى السلام لكنني كنت اضجر اذا ما اجابني والدي وقال انها ليست بالمنزل؛ اضجر لانها ليست بالبيت وليس لأن والدي هو من اجاب عوضا عنها؛ تلك هي امي؛ ظهرت الكلمة اخيرا وبدأت اكتب رسالتي وقد تواصلت مزاحنا وضحكنا الذي تعودنا عليه وألفناه ولم يتغير منه شيء اذ كان كل حديثنا مزاح وضحك ولطالما تعمدت اثاره ضحكها باشياء كنت احيانا اختلقها واتصنعها من لا شيء حتى تبسم ورغم اني كنت أحس ان تلك الابتسامات التي تتقدم الحديث هي محظ حروف تزجها وتعودت على وضعها وهي تحمق بعينيها الذابلتين وشفتيها المطبقتان الى بعض؛ لكن كنت قد تركت الاستسلام والعجز في عالم الصداقة اما حينها فعزمت على ان اكون بطلها الخارق حتى وان تطلب مني الامر التصنع وهي من الصفات التي لطالما نبذتها في علاقتنا؛ ادلفت بابتسامة العادة؛

xx انت هنا يا قصيرة!!!

كانت قد اتقنت اسلوب الابتسام في وجه من تعرفهم اما
اسلوب الابتسام في الرسائل فقد كان هوية لا اكثر؛
اجابت؛

«اهكذا يلقون التحية!! مغرور.. كيف حالك؟؟»

«بخير مادام الله انعم علي بصداقتك... وانت؟؟»

«بخير والحمد لله في كل الحالات لكن لا تبالي صداقتي
ليست تحفة فنية اخبرتك ان لا تحبني وحذرتك ان لا
تجعلني بلاءك لكنك فعلت ما قاله لك عقلك وها نحن ذا
نغرق ببطئ...»

«عقلي لا دخل له في ما حدث بل قلبي هو السبب
وبالنسبة لي صداقتنا التي تطورت وتحولت الى حب هي
اعظم تحفة فنية يمكن ان يتبناها احد المتاحف البارزين
في العالم او احد المخرجين السينمائيين خاصة وانها
انتقلت من طور الى طور اخر على مبادئ قد فقدت في
زمننا هذا؛ الصدق شارف الاختفاء؛ الثقة كم افتقدتها؛ الوفاء
صار من الاساطير؛ الاكتفاء اصبح مثل استقلالنا ندرس عنه
في الجامعة لكن الواقع مختلف تماما على ما

تعلمناه... اتمتى ان يعيننا الله ونؤمن به حتى لا نتوه في
عالمه!!!

«حقا انك احببتني؟؟»

«هل ستزعجين ان كنت قد فعلت؟؟»

«لم اقل؛ لكن الحب شئ صعب ومعقد حتى اني لا
استطيع ان اقول احبك لأحد حتى ولو كان مزاحا...»

«انا استطيع وسافعل لكن على الاغلب لن يكون مزاحا!!»

«محال ليس بالامر الهين كما تظن لا تكن مغرورا

«صعب صحيح لكن ليس مستحيل...»

«تقول احبك وانت تنظر الي؟؟ في عيني؟؟»

«اتراهنين يا قصيرة؟؟»

«اراهن لكنك لن تفعل فالكلمة في اطار المزح ثقيلة؛

صعبة؛ الكل يستحي من قولها؛ يخجل المرء.... فما بالك ان
كنت ستقولها بجد!! الا لن تستطيع متأكدة...»

«معك حق؛ حقا البوح بمشاعرنا لمن نحب امر صعب

لكني حقا سافعل....»

بدأت رحلتنا وانطلق قطارنا يجوب ذاك العالم ويستكشفه ويمر بكل محطة من محطاته؛ بدى الامر كاقلاع على متن صاروخ نحو كوكب غير القمر؛ نحو كوكب زهري اللون تدب فيه الحياة بكل معانيها الجميلة والظاهرة؛ كان كوكبا خاطفا وجذابا طغت عليه الالوان وهيمنت الورود على كل انش منه حتى اني لم اعى التفريق ان كان كوكبا او عالما او كونا بأسره؛ على الأغلب جمع الثلاثة في شئ واحد سمي الحب؛ كان الامر خاطفا ورائعا كالطيران فوق الارض بمظلة او كالقفز من مروحية نحو البحر او كالنظر الى كل دبي والدوحة وجمالهما من قمة برج خليفة او كالتجول في جبال سويسرا الشاهقة؛ كان شعورا بديعا... انجرفنا مع هذا السيل العسلي وغصنا معه ولم نكن نهتم حتى ما ان كان يقودنا نحو هلاكنا اذ استسلمنا له ولتياره دون ان ننبس؛ فقط اکتفينا بامساک ايدي بعض والنظر لذاك الكون؛ انقطعنا عن العالم كليا وصار عالما واحدا وتفكيرنا واحد وكانما كل الاشخاص من حولي قد تبخروا ومحيوا من الوجود ولم لم يبقى سواها في مخيلتي جالستا تنظر دون ان تنطق بحرف؛ اکتفيت بانها تسكنني اما صوتها فسينطق يوما ما بلا شك فحتى

الابكم له الامل في ان يتكلم بعد سنوات من الصمت
والانتظار.....

تواصلت مراسلاتنا وقد ازدادت عن ذي قبل حتى كادت لا
تتوقف؛ كنا مثل عجوز مهووس بالكتابة ينقر طول اليوم على
ازرار آتة الكلاسيكية فلا تسمع لتلك الطقطة
توقفا؛ انغمسنا في التحدث عن الحب ومواضيعه
اللامتناهية وقد كان رهاننا الثاني اني ساقول لها*احبك*
وانا انظر في عينيها لكنها اصرت ان الامر صعب وليس كما
اعتقد بتلك السهولة اما بالنسبة لي فقد تخليت عن بعض
الامور منذ فترة وتخلصت منها لانها لن تسمح لي بالعيش
كما اريد في هذا العالم ان بقيت؛ تخليت عن اللامبالاة
التي كانت تخنقني؛ تخليت عن الاستحياء من القيام ببعض
الامور التي كانت تثير حياء الاغلبية في زمننا هذا،
كالاعتراف بمشاعرهم تجاه من يحبون فترى كثيرا يكتبون
تلك الكلمة سنوات متتالية دون ان يقدرها على المصارحة
بها او قولها إما خوفا من ان يكون الطرف الاخر غير مبال
بهم ولا يبادلهم نفس المشاعر ام استحياء وفي اغلب
الحالات كان الاستحياء يسيطر وفي نهاية المطاف اما ان
يخسروه الى الابد ام يواصلون الكبت الى ان يذهب عنهم

لكني قررت ان لا اقترف ذاك الخطر حتى لو تطلب مني الامر شراء الجرأة التي تلزم لقول *احبك* بالملايين وان لزم الامر ولم اوفره كنت لاقترض من بنك او احد ما...

بقي يوم واحد على نهاية الاسبوع ونفسه على لقائنا الخامس ولم نكن نفعل شيئا غير التحدث مراسلة وقد عادت الايام الى بطئها القديم وصار الشوق للقائنا على غير عادته؛تغير الكثير مع هذه العلاقة الجديدة،تغيرت العناية واصبحت احرص على محادثتها من ذي قبل،تغير الاهتمام وصرت اطمأن عليها كل دقيقة من اليوم فحتى نومنا ليلا كاد يصبح منعما واصبحت ٢٤ ساعة صارت لا تكفينا للتحدث؛ظللنا كل الليل منغمسين في حكاياتنا وقصصنا التي صارت لا تعرف لها نهاية ولا حدود؛كانت تسألني ان كانت ستراني في اليوم التالي وان تغيبني سيكون مرفوضا ولن تقبل اي تبرير؛ كنت بدوري انتظر ذاك اليوم بفارغ الصبر؛تلك الضحكات لطالما حيرتني واثارت هوسي اذ انها كانت لا تغيب عن اي رسالة من رسائلها ايا كانت؛ارسلت تتساءل؛

xx سارك غدا بلا شك صحيح؟؟

xxوان لم تريني مالذي سيتغير؟؟؟

«« لن يتغير شئى لكنك ستأتى من اجلي ولن اقبل تغييرك
اي كان سببه!!!»

«« طيب كنت امازحك اصلا انتظر رثيتك منذ مدة...»

كالعادة امضينا ما بقي من الليل كله نتحدث حتى غلبنا النوم ولم نشعر بانفسنا نستسلم لمغناطيسه حتى ايقضتنا شمس اليوم الموالي بصراخها الصامت؛ كان يوما كباقي الايام بالنسبة لي لكنه كان فريدا ومميزا؛ ادلفت لها برسالة القي عليها تحية الصباح؛ لم تكن متصلة فهي من عشاق النوم اذ لا تعرف لها وجودا الا اذا انتصف اليوم لكني تركت لها رسالة ومضيت اكمل ماانشغلت به او بالاحرى ما تعمدت الانشغال به حتى لا اشعر بمرور الوقت لكن رغم ذلك فقد عدت الساعات حتى المساء بدقاتها الستين كما لو اني انتظر اذان المغرب لاشرب واسكت ضمئي بعد يوم كامل من الصيام؛ اليوم في المدن قصير اذا لم يكن هناك شئى يشغل بالك لكنه يساوي جيلا كاملا اذا ما كانت لديك صديقة مجنونة كاللتي استعمرت تفكيري والقت به في سجنها الانفرادي دون اية ذنب او تهمة
ثابة.....»

القت الشمس اخر تحية لسمااء ذاك اليوم وشدت رحالها لتزين سمااء بلد اخر ربما فرسا او كندا وربما كانت ايطاليا او سويسرا؛ ايا كان البلد الذي اتجهت اليه فلن يكون اجمل من وطن رفعت فيه راية محمد رغم انها قاربت منتصف العمود الذي يرفعها نزولا الا ان بعض النسومات مازالت تطالها وتهزها رفرفتا؛ تاركة ورائها لونا ورديا يكاد يعلن استمراره في الافق الا ان الليل يمحوه ويلبس عالمنا الصغير هذا حلة سوداء انيقة؛ لكن اضواء تلك المصابيح المجددة في كل مكان تفسد لمعان وسواد هاته الحلة وتصرخ معلنتا على بزوغ نهار لم يلبث على مغادرته الا دقائق؛ نهار مصطنع؛ كان الامر بمثابة صراع ينشب كل يوم بين ليل يحاول بسط سواده على كل جزء من تلك المدينة ومصابيح تفشل تلك المحاولة وعلى الاغلب كان ذاك هو الشئ الوحيد الذي استطاع الانسان التغلب به على الطبيعة بعد تغلبه على الجاذبية؛ إلغاء الليل وافساد اكثر من نصف ظلمته؛ هل يعد هذا انجازا؟؟

كان الجو دافئا نوعا ما واستغرق وصولنا الى الشاطئ اكثر من ربع ساعة مع ازدحام المدينة صيفا؛ كان اخي

برفقتي وقد اتفقنا على ان تنتظرنني في مكان العادة؛ كان ذلك المكان بالنسبة لي بمثابة انفجار الكون وتكونه اول مرة وهو ما نتج عنه كل ما اصبحناه ووصلنا اليه؛ هاتفتني قبل ان ابليغها تسال عن سبب تأخري خاشيتا اني قد ألغيت الموعد لكنني ذكرتها بازدحام تلك المدينة خلال فصل الصيف فتفهمت وقالت انها تنتظرنني في نفس المكان؛ انزلتنا سيارة الاجرى غير بعيدين عن برج المدينة وقد اكتض الحشد فيه وتزاحموا اذ ان حفلات الليالي الصيفة لا تزال قائمة بعد تنشيطا للسياحة وجلبا للغرباء الراقين؛ قادتنا اقدامنا الى المكان حيث كانت تجلس وقد رافقتها قريبتها كالعادة؛ هذا ما ضننته لكنها كانت قد اعترضت طريقها صدفة واصرت على المجيئ معها؛ تبادلنا التحية وجلسنا نتحدث غير آبهين للناس تتلوى راقصة كمجانين....

كان لقائنا الخامس؛ لكنه اختلف عن سابقه كل الاختلاف ورغم التحول الذي نسجه القدر في صداقتنا الا اننا واصلنا التعامل والتواصل كما تعودنا وقد كانت الشتائم المازحة وكلام الدعابة اول الحاضرين في جلستنا اذ لم نكن نكف عن الضحك الا لالتقاط انفاسنا؛ كانت تفتقد

الابتسام الذي حرمت منه منذ فترة طويلة؛ اللقاء الخامس لصداقتنا التي تخلينا عنها لكنه اللقاء الاول لحبنا الذي كان لايزال يتململ كرضيع في غطائه الدافئ والعطر؛ كان اخي قد وجد لنفسه موضوعا يشغله مع قريبتها وغصت وهي في مزاحنا المعتاد بعد ان اجبرتنني على انهاء ما تركته لي من حلوى وقارورة مشروب قاربت الانتصاف كانت قد اشترها قبل وصولنا بدقائق؛ انشغلت عني قليلا تعبت بهاتفني وتسالني عن سبب امتلاءه بصورها لكنني كنت انظر اليها فحسب واكتفي بالاجابة عن كل سؤال "بلست ادري ربما جسلت من تلقاء نفسها" فتنفجر ضاحكتا على شرودي وانا انظر اليها؛ كانت لا تستطيع البقاء في مكان واحد طويلا اذ ارادت النزول الى الشاطئ والقيام بجولة فيه فأيدت فكرتها وانصرفنا مبتعدين على ذاك الضجيج الذي لم اكن اسمعه اصلا لتركيزي وشرودي مع نغمات صوتها؛ ذهب اخي رفقة قريبتها عكس اتجاهنا لكنه لم يكن يعيرها نفس الاهتمام الذي ابداه لها فيما سبق اذ انغمس كل منهما في هاتفه حتى انه لم يكن يسمعها حين تدلف اليه باحدى الكلمات فقد لازمت السماعات اذنيه ليلتها؛ كان ضجرا وحزينا لاشتياقه لرؤية

صديقته التي احبها ولم يقابلها قط؛ غاب الاثنان عن ناظرينا بعد ان ادركت وهي الشاطئ وتباطئت خطواتنا بسبب الرمال؛ اخذتنا الاحاديث والمواضيع في دوامتها حتى اننا لم نشعر بمضي الوقت الذي صار عدوي الوحيد والذي مقته وبادلني نفس الشعور من جهته الا اني لم اكن اقدر على فعل شئ لأعبر عن كرهني له في حين انه اشعرني انه يكن لي كرها تجاوز كرهني بكثير اذ كان يحول الساعة الى دهر بمجرد ان ابتعد عنها وافارقها اما في لقاءاتنا فالساعة تدخل في سباق مع الدقيقة والثانية ينتهي بفوزها؛ لطالما انهكتني مشاكل الحياة وافقدني وقتها المتغير حسب اهوائه الامل في انها ستصير جيدة.....

حافظ البحر على هدوءه المعتاد وكان ارتطام الامواج بالرمال لا يكاد يسمع وقد نجح الليل في تغطيت جزء كبير من الشاطئ بردائه الاسود وعم المكان صمت وسكون يشعر قليل الايمان وضعيف القلب بالخوف؛ لم يكن يزوز أذني حينها الا صوتها الشبيه بالعزف على اوتار آلة كلاسيكية تذهب عن الجسم كل انهاكه مهما كان حجمه وتراكمه؛ كانت تحدثني عن شئ ما لكني لم اكن

ارکز علی ما تقوله بقدر ما شردت في الاستمتاع
بسنفونية حسیسها؛

«اضن ان اخاك فقد اهتمامه بقربيتي وصار لامباليا بها
مقارنة باول لقاء!!!»

«اشتیاقه لصديقه التي لم يرها حتى الآن سبب له
ضجرا حادا واكمل معه الامر الى الاستياء لما عجز عن
الذهاب لرؤيتها بسبب انشغاله بالعمل طول الاسبوع؛
الحياة تصر على قتل الحب في كثيرنا رغم انه يصارع
احتضاره داخلنا ولا يريد الموت....»

قاطع حديثنا صوت صراخ هز كل الشاطئ والغى هدوئه
واتلف سكونه وقد بدى من خلال نبرته انه صوت طفل او
بنت صغيرة؛ اسرعنا الخطى وجرينا نحو الصوت الذي اخترق
هدوئنا حتى ادركناه؛ كان طفلا صغيرا جالسا على الرمال
وقد غرق في بكائها ونحيبه حتى تخدر ولم يعد يقوى حتى
على الكلام وقد تحلق به مجموعة من النسوة يسألونه
ويخاطبونه؛ وقفت الى يمينه بينما انحت هي امامه
وامسكت بيديه النحيفتين تهدؤه وتطمأنه انه سيكون بخير
وانه في امان؛ ننظر اليه وقد غسل وجهه بدموعه واحمرت
عيناه لكثرة بكائه ولم يكن ينبس بحرف غير البكاء او ينطق

في بعض الاحيان بكلمتين << اريد امي >> ثم يعود الى نحيبه من جديد؛ كان يبدو في السادسة من عمره سقط شعره على حاجبيه وهزل جسمه وتبين من خلال صراخه انه تاه عن امه واهله وقد ادلفت بعض النسوة الحاضرات انه كان رفقة عائلته منذ قليل في نفس المكان وان امه لم يلبث ان خرجت من سباحتها الا بعض دقائق وقد اثار ذلك حيرتنا لكن الطفل كان قد اعياه البكاء وانهكه وصار بالكاد يستطيع التنفس؛ كان يبكي ويشهق حتى شارف الاختناق وقد زاد تحلق ذاك الجمع به في خوفه وفزعه اكثر؛ كانوا يخاطبونه ويسألونه جميعا في آن واحد مما زاد في نحيبه واستياء حالته اكثر وكل يوجه اليه سؤالا لكنه كان صغيرا على ان يفهم اي من ذلك الحديث كان كما لو انه يراهم وحوشا يلتفون حوله...

كانت تقبله وتقدم له الماء ليشرب فيمتنع ويواصل بكائه؛ كاد يغمى عليه من شدة البكاء والنحيب وقد واصلت تهدئه محاولتا معرفة اسمه او شئى عنه الا ان ضجيج اولئك النسوة كان حقا يزعج الطفل ويشير هلعه اذ كان الكل يتكلم ويسأل من جهته فصرخت فيهن ان يصمتن لأنهن يثرن خوفه؛ لثانية شعرت اني عديم الاحساس وحقير فقد

نسيت لوهلة امر الصبي ونحيبه وشردت انظر اليها وهي تخاطب الطفل وتحاول اقناعه انه سيكون بخير وانها ستأخذه الى امه؛ كانت تشد على يده بلطف وتقبل وجنته المملطخة بالدموع ثم تحضنه اليها وتخبره الا يخاف لانها لن تتركه حتى تجد له أمه ؛ كانت كما لو انها تخاطب ابنها الصغير الذي يبكي لاجل ألم لازمه في بطنه او كما لو انه فقد وعيه لبرهة بسبب مرض ما؛ احمر وجهها وشحب لونه وصارت دموعها تدفع ذاك الغشاء الذي يمنعها من الخروج والتمست فيها خوفا لم الحظه حتى في عيني ذاك الصغير وهو الذي سكنته الهواجس والكوابيس اثر تيهانه عن أمه ؛ اقحمت روحها الطيبة وجعلتها تشعر الطفل يشيئ من الطمانينة حتى نقص صراخه وأصبح يكتفي بالمهممة كمثل العاجز عن الكلام وهو يحاول ايصال كلمته المتقطعة لاحدهم؛ كانت تحضنه تارتا وتقبل وجنته اخرى وتهمس له ان اطمأن امك آتية لاخذك.....

شردت فيها؛ في الحنان الذي انفجر منها دون ان تشعر؛ في العطف والخوف الذي انتابها لأجل ذاك لصغير؛ في احتوائها له واندماجها بروحها مع خوفه وهلعه حتى كادت تبكي مع بكائه؛ كانت كما لو انها وجدت ضائعها الذي غاب

عنها منذ خمسين عاما؛ كانت كما لو انها امرأة فلسطينية تجثو على ركبتها وتنظر الى ابنها المملخ بدمائها والملقى على الارض؛ كانت تقبله ثم تحضنه ثم تمسح على شعره وتقول له لا باس امك قادمة؛ مرت من امامي صورت امي وهي تحضني وتصرخ عندما فقدت وعي ذات مرة <<ماذا اصابك بماذا تشعر هل تسمعني>> شردت فيها وهي تواسي الفتى وتحضنه فرأيت أمي ؛اطلت النظر وغصت اكثر حتى وصلت بي الحال ان تجمدت في مكاني وانقطعت كل الاصوات التي كانت تكاد تثقب طبلة اذني وصرت لا ارى الا افواها تفتح وتغلق واجسام تتمايل امام الفتى؛ لم ازح نظري عليها ولم احرك عيني عنها قط فقد كانت أمي منحنيتا امام الفتى تغمره بعطفها وتغويه بحنانها وطمأننتها.....

شردت فيها لدقيقة فرأيت أمي! فكيف لا احبها؟؟ ماالسبب الذي كان ليقدر على جعلي اترجع عن الغرق اكثر معها؛ لقد استطاعت في ثانية احضار أمي التي اشتاق لها وافقتها ووضعها أمامي؛ غبي انا اذا تركت كلمات خيانة وغدر وخذلان وتخلي يزيدان ثانية اخرى في دفتر دماغي لقد تخلصت منهم حينها الى الابد؛ هذا ان كانا فيه

اساسا؛اعادني صراخ الطفل من جديد الى رشدي فلم يكف النسوة على اثاره هلعه وكاد يهلك بكاء فانحنيت اليه وحملته بين يدي وطلبت منهن بلطف ان يتركوا امره لنا وافهمتهم اننا لن نتركه الا بين يدي امه ثم ابعدته عليهم ومشينا به نحو سفينة صغيرة بعيدا على ذاك الجمع اجلسته عليها وانحنيت امامه وجلست هي الى يمينه وابت ان تفلت يده؛كان قد بدأ يهدأ ويطمأن بعد ان ذهب عنه مجموعة الحمقى اولاًؤك اذ كانوا حقا مصدر هلعه الوحيد اكثر من كونه قد تاه عن امه؛نظرت اليه بلطف ومسحت وجنتيه ثم قبلته وسألته بما يناسب سنه؛

«لا تخف سأأخذك الى امك الان لكن اخبرني ماسمك؟؟»
كان بالكاد يستطيع التنفس فقد انهكه البكاء حتى صار لا يقوى الا على النحيب؛جاء من بين ذاك النحيب صوت خافت وضعيف يغشاه الخوف والفرع نطق تلقائيا وقال؛

«سيف...»

لم يزد على هذه الكلمة حرفا وعاد الي شهيقه ونحيبه مرة اخرى؛كان اسمه سيف وقد تاه عن امه او انها تركته ورحلت لم نكن ندرك فعلم امره كان بيد الله لكن تطلب منا الامر بضع معلومات اخرى رغم علمنا انها لن تفيدنا في

شيئ ولم نتوصل من خلالها الى شيئ فقد كان صغيرا جدا على ان يحفظ رقم امه او عنوان سكنه لذلك لم نزد على توتره ولم نسأله حتى؛مسحت على شعره وسالته وهي تنظر اليه وتحقنه طمأنينة وحباً؛

«طيب يا سيف سناخذك الآن الى امك لكن ماهو اسمها حتى نناديها؟؟»

لم ينبس الفتى بأي حرف فقط سيطرت عليه الكوابيس والهواجس وخنقه الهلع والخوف إثر فقدانه لأمه وكبلته دموعه التي ابت التوقف ربما احس انه فقدها الى الابد او ربما ظن انه لن يراها مجددا وقد بدى انه شديد التعلق بها لانه لم ينطق سوى بكلمتي "اريد امي" لربع ساعة لم يتوقف عن قول هاتين الكلمتين؛كان يحبها اكثر من ابيه بلا شك فهو لم يستحضر اسمه ولم ينطق به مطلقا ؛كنا نجالسه ونواسيه وقد همست لها ان المكان كان مظلما قليلا وانه علينا اخراجه الى زاوية يطغى فيها الظوء بشكل جيدة لربما يرتاح ويهدأ ويكف عن النحيب وربما تراه أمه من بعيد وتجري نحوه او يمكننا اخذه الى مركز الشرطة فحتما ستسارع أمه الى تقديم بلاع حول ضياع ابنها هذا ان لم تكن قد تركته عمدا ورحلت فقد شاع هذا الامر وكثر في

وقتنا هذا ؛ لكنها لم تجبني بشيء فقد انجسمت
واندمجت مع حال الطفل وصارت هي الاخرى غير قادرة
على الكلام او اخذ اي قرار؛ كانت تكتفي بتقبيله واحتضانه
حتى اقنعتة انه بخير وانها ستجد له امه وتقدم له ماء
ليشرب ويسكت ضمأه اذ كان فمه جافا تماما لكثرة
بكائه؛ لوهلة ضننتها امه وشعرت اني اتخيل منذ البداية امر
صراخه؛ هل تزوجنا بكل تلك السرعة وانجبنا طفلا؟؟ ضننت
انها ستهمس لي وتقول ان الطفل بدأ يستسلم للنوم
وصار الجو باردا فلنعد الى البيت حتى لا يمرض.....

اخترق المكان صوت اخر لطفل اخر اذ اني لم اشعر الا
بسجمه يرتمي امامنا صارخا فزعا يردد <<أخي،أخي>>
كان اخوه قد ادركنا بعد ان سمع نحيبه وبكاؤه الذي باشر
فيه منذ ثوان؛ كان يبحث عنه في كل ارجاء الشاطئ غارقا
هو الاخر في دموعه يقوده فزعه لفقدان اخيه الصغير حتى
قادته قدماه المرتعشتان الى مقعدنا ذاك؛ كف الصغير على
النحيب بعد ان اطفأ اخوه الاكبر نار خوفه وحضنه مطمئنا
وقد ادرك انه صار في البيت حذو امه الآن؛ كان يتسم
والدموع لازالت تغطي وجهه حتى ادركت امه المكان
بوجهها الاصفر ويداها المرتعشتان؛ للحضة ادركها الموت

لشدة خوفها ثم اقلع عنها بمجرد ان رأت صغيرها وقد جمعت في ملامحها خوف فقدانه وفرحة العثور عنه واختلط البكاء بالابتسام والضحك وألقت بكل جثتها عليه تقبله وتحضنه وتردد سامحني لم اترك سامحني؛وقفت الظريفة على قامتها ونظرت الى السماء نافثة الهواء الذي انحبس داخلها لشدة خوفها على الفتى ونطقت الحمد لله؛كانت كما لو ان احدا بشرها بان غريزا عليها قد خرج بافضل حال بعد اجراء عملية ما بعد ساعات من الانتظار؛وضعت يديها على وجنتيها تمنع دموعها من الولوج الى الخارج والتفتت تنظر الي وانا الذي تجمدت ارقبها وانظر اليها في شرود ثان؛كانت الأم قد حضنت ابنها وحملته بين يديها وغادرت المكان تاركتا ورائها كرها للشاطئ وبحره هذا ما ينتاب المرء أثر تلك المواقف؛افقت من شرودي وتقدت تلك الخطوة نحوها وقد ارتعشت يداها وسمعت دقات قلبها وهي تتسارع داخلها تكاد تفجره؛لا اراديا امسكت بيدها وشبكتها بيدي ودون ان تشعر هوت على كتفي برأسها وقد اعيهاها ذاك الخوف الذي لازمها لدقائق متتالية؛اي لغة اوظفها كيف اصف تلك الثواني؟اتكفي العربي ام ان العبرية انسب؟؟ أستعمل الفاريسية ام اسلوب الشام ام ادمج

الاربعة معا؟؟ماذا افعل!!ببساطة كانت كما لو ان امي تحاذين وتمسك يدي ؛كانت بالكاد تبلغ كتفي برأسها الصغير وقد ضغطت على يدي وكانها تفرغ شحنة الخوف والقلق تلك في؛كانت بالكاد تمشي وتساير خطواتي حتى مضينا بضع امتار اخريات وجلسنا الى الرمال نلتقط ما تركه فينا ذاك الظريف من انفاس؛جلست وقابلتني في جلستها واخذت تملا كفيها رملا ثم تفرغه وتكرر ذلك والتزمت الصمت لبرهة ثم اكملنا ما بدانا من احاديث قبل ان يسكتنا ذاك الصبي؛ سألتني ان اطلعها عن بعض الاشياء عني والتي لم يكفنا الوقت حتى نتحدث فيها في اللقاء السابق اذ انشغلنا بالغوص في حكاياتها حتى مر الوقت ورحلت لما جاء دوري في التحدث؛سألتني ان كنت قد احببت قبل ذلك فاخبرتها اني لم اجرّب الحب قط ولم احب قبلا الا اني اکتفیت بالاعجاب بفتاة منذ عام لكني ادركت انها من النوع الذي يسعى وراء اقامة علاقات لإشباع شهواته ورغباته فغضضت عن بالي وجعلتها تتوه عني وتغدو من بين الاشياء الذين أتلفتهم لامبلائي القديمة؛اجبت عن سؤالها وتجاوزته بسرعة ثم اكملنا جلستنا وقد حفها المزاح والضحك كما تعودنا؛كانت تجلس

قبالتي ومنتظر الي وتبتسم نفس الابتسامة التي عودتني
عليها منذ اول لقاء ولم نكن نعرف للسكوت طعما فطلبت
منها ان نأخذ استراحة لبرهة نكتفي بالنظر الى ملامح
بعض وسماع صوت الهدوء الذي يبعثه ارتطام الماء
بالشاطئ فلم تمتنع عن ذلك وباشرنا التأمل في
بعض؛استمر الامر دقيقة لكن حبي للتحدث اليها
وممازحتها شدني فادلقت؛

لم استطع الصمت اكثر من هذا؛غباء ان نهدر ثانية من
جلسة بعد غياب أسبوعين في الصمت !!!

حمق ليس غباء لكني استطيع الصمت اكثر ان اردت..
طيب انت انظري الي واكتفي بصمتك ان اردت وانا
سأثرثر وحدي...

هزت برأسها مؤيدتا ولم تنطق بحرف اذ اكتفت بالنظر إلي
في صمت مسائرتا لرغبتني فاضفت قائلا وقد امسكت
بكلتي يديها وواصلت الحديث؛

ستكونني أما رائعة على فكرة او بالاحرى ستكونين
صورة لامي

.....

«شعرت انك خفت على الفتى اكثر من هلع امه عليه؛
لم استنتج شيئا وجهك كان يصرخ بهاته الكلمات...
.....»

«أتعلمين؛ علمتني امي ان لا ابرر سبب خسارتي في
شيئ ان كان بإمكانني الفوز فيه منذ البداية..
.....»

«لكن الامر الان مختلف اذ لا ينحصر في مجرد رهان
وكفاك صمتا مرت الدقيقة منذ زمن.

«طيب؛ دوري الآن ماذا اقول؟؟

نظرت في عينيها بصمت لثانية وقد ابتسمت واحمرت
وجنتاها خجلا وكأنها تنبأت بما سأقول؛
«لا تقولي شيئا..... احبك.»

لم يكن الامر يتعلق برهاننا حقا؛ قلتها دون ان ابتسم
وشردت من جديد اتأمل ردت فعلها اذ ان الكلمة لا تثير
الصدمة بقدر ما تثير الحياء والخجل؛ احمرت وجنتاها وذبلت
مقلتيها وامتلا دمومعا صدتهما كالعادة عن النزول ثم
ابتسمت وضغطت على يدي لشدة خجلها لكنها سرعان
ماستسلمت واحنت رأسها الى الاسفل واكملت في

ابتسمتها الخجولة اذ ان اعترافي لها بحبي كان بمثابة
مطر انهمر بغزارة وغمر أرض قلبها القاحلة والتي جفت
اوراق اشجارها منذ مدة طويلة؛ اذن اني كنت سببا في
فرحة تملكها واحيت شيئ من روحها الذابلة والتي فقدت
املها في جمال الحياة منذ وقت؛ كانت فرحتها لا تكاد تسع
ذاك الشاطئ وبحره رغم شساعتهم؛ كانت كفرحة
الاطفال بهدايا العيد؛ كانت كفرحة أم وجدت ابنها الذي
فقدته منذ سنوات دون ان تعرف عنه حرفا؛ كانت كسعادة
الأم بمولودها الذي قدموه لها منذ دقائق في لحفة قطن
وهو وليد الساعة؛ رفعت رأسها وادلفت؛

«لقد فزت واخذت الرهان وقلتها بطلاقة رغم اني كنت
واثقة من انك ستعجز..»

لكني فسرت من جديد؛

«قلت لك مسبقا ان الامر لا ينحصر في مجرد رهان..»

«طيب..»

ظننت أنها ستنطق <<وانا ايضا أحبك >> لكنها جعلتني
التمس الخيبة اذ اكتفت بالابتسام خجلا وهي التي
سمعت تلك الكلمة لأول مرة؛ ورغم المسافة التي فصلنا

ورغم اني ظللت ماسكا يديها الا اني عجزت عن ادراك ما
ولج داخلها وما شعرت به اثر نطقي *باحبك* لكني لا
اشك ان قلبها الذي التمست فيه شيئا من الحزن منذ
لقائنا الاول قد نال سيئا من الدفئ والطمأنينة حينها ولا
شك اني ازحت عنها جزءا هاما من همومها واحزانها بتلك
الاحرف البسيطة في ظاهرها؛هاذا ما املته في تلك
اللحضة وقد حضيت بذلك بشرف احتوائها؛كان أخي قد بلغ
مكانا في افقنا وجلس رفقة قريبتها منذ مدة وانغمس كل
منهما في هاتفه كما تركناهما منذ انطلاقنا في تلك الجولة
الا ان بعض المناوشات بينه وبين اخونا الأكبر كانت قد
نشبت بينهما عبر الهاتف ادت الى تعكير صفو جلسته تلك
وحسمتها واكتمل مجيئه الى مجلسه والفتاة الى كهربة
الجو اكثر واضطرت لمرافقتها الى البيت لسبب
جهلته؛كانا يتشاجران طول الوقت وكنت من يتحمل عواقب
شجارهما كما لو اني مساهم فيه؛في حين قصدت هي
البيت ورحلت رفقة قريبتها وانتهى لقائنا ذاك بشيئ من
الخيبة التي تملكنتني منذ هممت بالعودة الى
البيت؛الوقت...لطالما مقته وكرهته.....

لم يستعرق بلوغنا البيت الا دقيقتان؛ كانت الساعة قد شارفت منتصف الليل الا اني لم أتمكن من اغلاق جفن رعم ان عيناى كانتا يطلبان النوم وياملان قسطا من الراحة لكنى عجزت عن ذلك؛ اخذت كرسيًا وجلست في زاوية من سطح البيت ارقب النجوم وتلك الاضواء التي تبعثها منارات الشواطئ لتوجه السفن الي طريقها منتظرا اتصالها او رسالة ترد منها؛ لكنها تأخرت وما بيدي شىء افعله حينها غير الانتظار فقد خانني النوم وراح عني ونام أخي بعد شجار مع الآخر لم أترك فضولي يقحم نفسه فيه ولم ادرك سببه حتى؛ كانا يتصادمان طول الوقت فالكبير صعب الطبع وشروطه لا تنتهي والصغير يأبى الانصياع لتلك الشروط التي لطالما اعتبرها خنقا واحتقار وبقيت انا بين هذا وذاك انظر دون ان اصدع رأسي بتفاهاتهم؛ وضعت سماعاتي لكنى لم انتظر اكثر حتى راسلتنى تعلمني انها قد تأخرت بسبب تجوالها في معرض الكتاب بالمدينة وانغمست في تقليب عناوين الكتب واسماهما التي جذبتها؛ كانت تعشق القراءة كعشقها للشكولاتة؛ سألتني ان كان لها او لقريبتها سبب في ما حدث من خصام بين اخوي فاوضحت انا بعيدين كل البعد عن دائرة شجارهما وان الحكاية

تتمحور في تجاهل اخي لبعضنا مامر الاخر؛ استمر تراسلنا كعادته حتى وقت متأخر من الليل وقد كانت رسائلنا لا تكاد تتوقف او تنفذ حتى جاء احدهم وافسد حديثنا وغطانا بلحافته الدافئة؛ لطيف للحد الذي لا تشعر بنفسك الا وانت تطبق جفنيك ببطئ وتام مثل رضيع يمتص من صدر أمه حتى تتوقف شفثاه شيئا فشيئا وتنكمش يداه ببطئ ويغوص في سبات عميق؛ لقد كان النوم.....

مرت ايام على لقانا الأخير وقد تواصلت مراسلاتنا ومحادثاتنا في ازديادها وكثرتها اذ ان الليل لم يكن يكفينا لنتهي مما شرعنا فيه منذ بداية المساء؛ ذاك الاهتمام وتلك العناية والحرص عليها وعلى معرفة اخبارها اليومية كان مبالغا فيه اثر صداقتنا لكنه اصبح الآن لا يوصف بمجرد كلمات تقال او تكتب؛ كان اهتمامي بها غنيا على ان تصفه المعاجم والكتب والروايات؛ كان كحرص اي فلسطيني على تحرير القدس والصلاة في المسجد الاقصى؛ كان كاهتمام أمي بي حين كنت في الثالثة من عمري؛ اهتمت بها كاهتمام الأب بابنته الوحيدة؛ كاهتمام جدتي بأمر حجبها؛ مالذي اصابني ياالله!! مالذي فعلته بي تلك الظريقة؟ تلك القصيرة؟ ماذا فعلت لقلب عزم على العيش

باصفاد اللامبالاة؛ تكبله وتمنع يديه من الابتعاد كل في جهتها؟ قل مالذي لم تفعله؟؟ قل مالذي امتنعت عن فعله؟؟ مثلا قامت بتفعيل مغناطيس روحها الطاهرة على أقصى درجاته ووجهته نحو منتصف قلبي مباشرة ولم تكفي بذلك فقط بل وارغمتني على الشرب من خمر قلبها الطيب والنقي كان خمرا غير الذي عرفته؛ كان وكأنه الخمر الذي تحدث عنه القرآن والذي يسقاه الخالدون في الجنة؛ لطالما لمست فيه شيئا من الخزن كان يبدو اكبر مما توقعته كلما اقترب منه أكثر؛ لقد كان جمالها الخارجي اخر صورة انظر اليها او اعيرها انتباهي بل انغمست في الغوص مع امور بدت لي كمثل اكتشاف حضارة جديدة لم يسبق لأحد ان ادركها؛ روح طاهرة وظريفة؛ قلب يحمل من الطيب ماتصفت به عائشة رضي الله عنها؛ نفس نقية عاقلة وراشدة تعي ما تقول وتفعل؛ عقل يكاد يصيب العين بالعمى اذا ما امعنت النظر والتركيز فيه؛ عقل ينتج فكرة ثم يجددها ثم يطورها ويحللها ويتعمق فيها؛ يقلبها داخله حتى تكاد تنطق كفاك تفكيرا اتركيني بحالي؛ شخصية يافعة وديمقراطية متواضعة وبسيطة تعيش على ما وجد وتبحث بما امكنها عن الافضل؛ ماذا كانت بالظبط؟؟ من اي

معدن صنعت لم ادرك؟؟ اكان ذهباً ام زمرداً او ربما الماساً
وياقوتاً!! اعلم اني ابالغ لكن هذا رأي؛ رأي عاشق ومحب
يمكن القول؛ كانت روحها تنطق وعقلها يصرخ؛ كانت نفسها
تهمس لي من بعيد حتى اني بالكاد اسمع حسيها اما
قلبيها يا من تقرأ؛ قلبها كان ينحب ويرتل لي قصصاً لطالما
وددت تكرار الاستماع اليها آلاف المرات دون كلل لو
ملل؛ قلبها كان ينجح احدها لربما كنت المقصود او لربما
كنت ماراً صدفة فلتقطني؛ لقد ارغمتني على عشقها دون
ان تنبس بحرف حتى.....

كنا نمضي كل الليل في التراسل والتراسل والتراسل وقد
تواصل غوصي نحو اعماق عالمها الذي لا نهاية لاعماقه
دون ملل؛ واصلت السباحة غير آبه ان كنت سأتعب او ان
كان من الممكن ان انسى كيفية الغوص او السباحة
فاغرق واموت في الاعماق المظلم؛ اكتفيت بالغوص
فحسب دون ان انبس؛ نبلغ في حديثنا الثانية فجراً او اكثر
لكني كنت انام دائماً وانا اكتب احد الرسائل فلا البث ان
اكتبها حتى اشعر بارتطام خافت فوق صدري ويظل الهاتف
على حاله ذاك ممدداً فوقني ومن جهتها تنتظر ردي لكنها
تدرك بعد دقائق ان النوم قد القى بي طريحاً على الارض

فاحيانا توقضني باتصالها واخرى تتركني انال قسطا من الراحة لانني كنت اعمل طول النهار واخصص لها المساء وكل الليل؛ يظل الهاتف طريحا فوق صدري بينما رسالة بدأتها لم تصل وجهتها؛ وكم من رسالة كتبت فجرا بعناية وحب ولم تصلها؟؟؟ وكم من موضوع بدأناه يفسده النوم بازعاجه وقلة أدبه؟؟؟ كنا نتحدث ذات ليلة عن الرهان الذي فزت فيه اذ ظلت تلك الكلمة تراقص قلبها وتنعشه حتى بلغنا اللقاء السادس؛ اذن انها واست شوقها لي وقلصت من وحدتها وضجرها؛ لقد حملتها كلمة*احبك* وركنت بها فوق السحب وجعلت لها غيمة واسعة وناعمة؛ فراشا تملمت فوقه كمثل تململ رضيع صغير في سريره القطني الدافئ؛ كانت تقول ولا تزال تلك الضحكات ترافق كلماتها؛

✕✕ لم يكفك ان حولت عمري الي التاسعة عشر وهزمتني في المرة الاولى بل وقلت لي انك تحبني وانت تنظر في منتصف عيني!! كيف تفعل ذلك؟؟

✕✕ ليس بالامر الصعب لكني غيرت كثيرا في اسلوب حياتي اذ ان الاستحياء من فعل بعض الاشياء في هذه الحياة قد يجعل المرء يندم في المستقبل وأنا لا اريد ان

اذوق الندم يوما ما واقول يا ليتني اعترفت لها أنني احبها
والا لما كانت مع ذاك الان....

طيب لقد قلتها وانتهى الامر ولن تندم يوما على كتبك
لها...

اخذت اكتب رسالتي ردا على ما قالته لكنني هويت لمخدر
التعب والانهاك واطبقت عيني ولم اشعر الا بالهاتف ينفلت
من بين أصابعي نحو فراشه الدافئ فوق صدري؛ لا تمر الا
دقيقة حتى تدرك من جهتها اني فارقت الحياة جزئيا
فتضيف؛

أين انت؟؟

هل نمت يا مغرور؟؟

نعم هذا ما يبدو!! طيب ليلة سعيدة!!

كان شعورا رائعا ان استيقظ صباحا راكضا بيدي نحو الهاتف
وهو يغط معي في سبات عميق لاجد تلك الرسالة لم
تتكمّل حتى ولم تبعث الى صاحبته فأحذف ما كتبه
وادلف؛

صباح الخير كيف حالك اليوم؛ آسف لقد غلبني النوم
البارحة ولم اشعر بشيء؛ اتمنى ان يكون نهارك سعيدا

وجميلا مثلك؛ صباحك ورد؛ صباحك زهر وعطر ومسك؛
اتمنى ان يكون يومك فرحا وابتساما وضحكات لا ينقطعون
؛ حماك الله ورعاك وابعد عنك السوء والمشاكل وكل أذى
وكل ما من شأنه تعكير مزاجك او صفو راحتك وفرحك؛
حماك الله ورعاك ولا حرمني منك ومن ابتسامتك وروحك
الظريفة وأدام الله عليك صحتك وعافيتك ووقتك الطيب....
كانت تستيقظ كل صباح لتجد هذه الرسالة تنتظرها لكني
كنت أتمنى في كل يوم ان اجدها قد كتبت لي اثناء الليل
شيئ يجعلني التمس الامل ويدخل الى قلبي شيئا من
الفرح والطمأنينة بأنها احببني من جهتها؛ صحيح انها
احببني اعرف لكن حبها لي كان لا يزال في طور النمو
وامتنعت على البوح به رغم ان الكلمة كانت تتردد على
شفتيها رغبة في الولوج؛ كنت امل ان اجد شيئا من
قبيل*ليلة سعيدة واحبك*او*طابت ليلتك.. احبك انا
ايضا*لكني لم اكن اجد اي من هذه الكلمات ولم اشعرها
اني احس بضجر يملكني احيانا حين اجالس نفسي اثناء
العمل او اثناء انشغالها بل وواصلت مراسلتها كما لو انها
بادلتنني نفس الاعتراف؛ لم افكر بشيئ غير الاهتمام بها
ورعايتها فقد كانت بحاجة لذلك كمثل حاجتي الى

سماعها تقول احبك لكني حاولت ان لا ابدي اي إهتمام
تاركا لها المجال حتى تجالس نفسها وتفهم ما تريده وما
ترفضه اما من جهتي فقد حسمت الامر مع نفسي منذ
مدة وعزمت على ألا اتركها حتى لو تطلب الامر مني
التخلي على كبريائي ومبادئ عشت عليها وراقت لي منذ
فترة؛ هذا ما يفعله الحب دائما؛ الحب الصادق والنقي
يسلبك كبريائك ويلغي مبادئك وحتى شخصيتك تتغير
وتتحول الى شخص مختلفا تماما عن الانسان الذي
عهدته من قبل؛ ترى وجهك الذي تعرفه ويعرفك عبر المرآت
لكن في داخلك شخص مختلف تمام عما انت
عليه؛ شخص كبله الحب وطوقته الصور من كل جهة؛ هذا
ما يفعله بك ذاك المرض المميت؛ مرض غير الامراض التي
نعرفها ودرسنا عنها لسنوات حتى يصل بنا الامر الى
محاولة ايجاد ترياق يريح الناس منه؛ ليس سرطانا وليس
سيدا ولا فقر دم وليس نقصا في المناعة ولا جذري ولم
يكن يوما طاعونا او حمى؛ بل على الاغلب هو اجتماع
يمتزج فيه السبعة ويتكاثرون في قلبك حتى يصبح مثل
رئتي مدخن لزم اتخاذ السيارة صديقتا له منذ عمر
الحادي عشر حتى يوم فارق الحياة عن عمر يناهز

التسعين ويومين؛ اقنعه احدهم ان ينقطع عن التدخين وإلا سوف يموت وهو الذي صار جلدا على عظم ولم يتبقى فيه شئ غير عينيه لا يكادان يؤديان حركتهما اطباقا وفتحا؛ لازم الفراش وهزل جسمه الى حد أن الناظر اليه لا يكاد يفرق ان كان الشعور الذي هزه كان خوفا ام اشمئزازا لكني لا اعرف كيف انقطع ذاك الشيخ عن التدخين ورمى علبة السجائر التي عاشرتة تسع وثمانون عاما؛ رماها بكل بساطة وكأنها لم تنعش صدره ولم تأخذ عنه جزءا من حملة الذي انهكه وعذبه طيلة تلك الفترة؛ فقط اكتفى برميها ولم يقل حتى مالذي بقي في عمري اصلا حتى أخاف من الموت تبا له لن استغني عنها؛ هو فقط رماها؛ من الذي اقنعه لا اعلم ربما حبيبته التي لم يحضى باتخاذها حلاله يوما لانها اختارت الرقي والحياة والمال والجمال الظاهري ولهت ورائ الفناء وهو الذي احبها بكل ما أوتي من قوة حتى انه امضى كل حياته وحيدا كارها النساء والحياة التي يجرين ورائها؛ ربما عادت له وجعلته يحضى بجلسة معها ذكرته بالايام الخوالي نسي خلالها انه وضع سيجارة بين شفثيه يوما؛ نسي انه دخن لمدة تسع وثمانين سنة بلا انقطاع؛ نسي حتى اسم العلبة التي

كان يكرر اسمها كل يوم لبائع السجائر طيلة تلك السنوات؛ لكنه لم يكن يعرف ان حبيبته تزوجت وانجبت اطفالا وبناءة وانما جاءت لتلقي عليه التحية بعد ان عرفت انه لم يخن حبه لها يوما ثم ستعود الى زوجها الجميل والفاتن؛رماها في جيب معطفه الطويل وقال:لقد هزمتني طيلة تلك السنوات وجعلتي مني مدعاة للسخرية وامام من؟؟؟اما اصبعي!! امام نفسي!!امام رثتي!!امام قداحة تافهة لكنك لن تخرجي من هذا الجيب بعد اليوم وحتى الايام المتبقية لي في هذه الحياة التعيسة ؛لن تتعدي عني ولن اتركك بهاته السهولة!!لا تفكري كثيرا ليس هناك سبب غير اني لست ندلا،لست غادرا ولا خائنا؛لقد رافقتني طيلة تسع وثمانون سنة بايامهم ولياليهم وكل ساعة منهم ولطالما ارحتني وطردتني عني هموما تقود الى الجنون او ربما لكنت مت منذ زمن؛لقد جعلتي من نفسك وعاء افرغ فيه ما كدر علي من هموم؛ جعلتي من نفسك رفيقة وصديقة وجليسة سيئة ومهلكة لكنك ساعدتني كثيرا في وحدتي؛بفضل الله ثم بفضلك انت حاربت الحياة وقساوتها خاصة عندما تتزينين من اجلي مرة بعدة مرة وتضعين مساحيقك ومكياجك الفاتن

والحابس للانفاس؛ خاصة عندما نرتدين من اجلي ذاك
الفيستان الذي لطالما احببته وفضلته على فيستانك الاخر
لطالما سارعتي في اخراجي من هذا العالم المعوج كلما
لمحتني مختنقا وحرينا؛ لطالما كنت رفيقة سيئة وجيدة
في نفس الوقت لكنك تظلين سيئة رغم كل ما قمت به
من اجلي؛ آسف هكذا نحن البشر نحسن معاملة الاصدقاء
في البداية ونجبرهم على التعلق بنا رغنا عن انوفهم لكننا
في النهاية او ربما في منتصف الطريق نتركهم غارقين في
صدمتهم وخيبة املهم؛ لن اكون ندلا ولن اعطيك الفرصة
حتى تنعتيني بالخائن او الغادر لذلك لن ارميك بهذه
السهولة ستبقين على مقربة مني ومعني طول الوقت؛
ستلامسك يداي كلما وضعتها في جيبني لاخرج مالا او
عندما اشعر ببرد فالتمس الدفئ في جيبني؛ صدقا لطالما
احترمتك لانك الوحيدة التي ضحيتي بنفسك في كل مرة
من اجلي وقبلتي بالذل والاحتقار في سبيل
راحتي؛ اشعلك ثم اجعلك تحترقين بطريقة بائسة تفقدين
فيها شكلك وافقد فيها انا عافيتي ثم اطفأك بدعسة قدم
ورغم كل هذا لم تمتنعي يوما عن اراحتي؛ حقا شكرا على
كل شئ لكن لن تلامسي شففتاي مرتا اخرى؛ تبا للحياة

التي جعلتني التجئ لك وازعجك بحماقتي وشكرا لك على كل شيء؛ لقد مات العجوز بعد يومين من تركه للتدخين لان رثاه اصيبتا باكتئاب حاد بعد ان تخلصي عنهما ذاك النيكوت الذي لطالما احباه وغرقا معه في عالم من الخيال؛ مات وغسل ووضع في كفنه الابيض على عكس بشرته التي اسودت وشحبت جراء التدخين؛ دفن وقرء عليه القرآن وحتى حبيبته لم يتسنى لها الحضور في جنازته او تكون آخر من يخرج من المقبر كما كان مكتوبا في وصيته؛ لم تستطع الحضور فقد كانت مشغولة بعمل ما اذ كان عليها كسب المال لتعيش حياة جيدة وراقية؛ لم يكن في جنازته احد غير الذي حفر قبره وصديق له كان اسمه محمد؛ لم يكن له احد في هذه الحياة فقد مات والداه منذ زمن وانشغل إخوته بحياتهم وزوجاتهم واولادهم واكتفي هو بملازمة التدخين ومجاسلة آلة الكتابة والنقر عليها طول اليوم حتى يأخذه النوم وهو في مكانه جالسا في باحت بيته الخشبي الذي بناه في احد الجبال ذات الاعشاب الخضراء والاشجار اليافة؛ لقد خان حبيبته مع آلة الكتابة تلك التي لطالما اعتبرها زوجته التي لم ينجب منها الا كتبا دون ان تنشأ بينهم معاشرة او علاقة جنسية لكن

اتخاذ التدخين كحبيبة لم يكن خيانة قط فهو كان يدخن قبل ان يتعرف عليها حتى؛ مات تاركا ارملة تربى مائة كتاب اما رقم واحد بعد المائة فقد ظل عالقا في منتصفها ولم يكتمل وسجائره الأنيقة في اصطفافها لم يحرك ساكنا ولم يبرحا مكانهما الذي لازماه طيلة تلك السنوات على تلك الطاولة الا ان محمد اخذهما ووضعهما فوق قبره مثلما اوصاه المرحوم رحمه الله واسكنه جنته وغفر ذنبه ورزق وحدته وعلبة سجائره وآلة الكتابة خاصته جميل الصبر والسلوان...

ليلة دافئة كعادتها لكن السكون قد هز كل المدينة هذه المرة اذ لا تسمع الا حسيس الناس يتحدثون ويهمسون في كل مكان؛ كان لقاءنا السادس غريب الاطوار لكنه سمح للفرحة والضجر ان يتملكاني في نفس الوقت؛ كيف لجسم ان يتحمل هذين المتضارين؟ ايفكر في الفرع ام يسرح مع ضجره؟ اضمن اني قسمت الاثنين على كل من عقلي وقلبي؛ حضي قلبي بجرعة من الفرع اما عقلي فقد حنق ابرة ضجر كفته طول ايام؛ لا اعلم كيف حدث ذلك لكنني أغلقت هاتفي منذ الفجر بعد ان راسلتها طول الليل ثم اطفأته وخرجت من البيت لكن لم تكن لي وجهة محددة

فقط خرجت؛ وجدت نفسي استقل اول قطار غادر نحو مدينة مجاورة لا تبعد الا ربع ساعة بالقطار؛ كان يوما دافئا اعلنت فيه الشمس سيطرتها على سماء كل المدن؛ ما الذي كنت افعله لا اعلم فقط اکتفيت باغلاق هاتفني واستقلال القطار لاجد نفسي اؤرجح قدمي من فوق جسر صغير يقطع البحر؛ على الاغلب كنت شاردا نوعا ما اذ لم اكن اسمع الا تلك الاغاني التي تطن في اذني غير آبه لما توجهه لي الشمس من صفعات متتالية؛ غير آبه للالم الذي لازم رأسي و صار كما لو ان احد يرشق سكيننا صدئتا فيه؛ غير آبه لكل ما يحدث حولي او لاولاؤك الذي يقفزون من فوق الجسر الى وسط البحر؛ غير آبه لصراخهم وضجيجهم المزعج الذي يخترق في اغلب الاحيان سماعتي؛ لم اكثرث لاي شئ اذ لم يكن امامي الا صورتها وهي تقول لي احبك يا مغرور؛ كنت اتخيلها فقط ولكن مجرد خيال بعث في جسمي قشعريرة اشعرتني برجة وكأن احدهم فتح فوق رأسي صنبورة ثلج؛ مجرد شرود في صوتها العذب وهي تقول احبك انا اشعرتني برجفة برد تهزتني من شعر رأسي نزولا ببطئ وصولا الى اصابع قدمي؛ شعرت ببرد شديد؛ برد شديد في الصيف

والشمس من فوقي تكاد تحولني الى حمم بركانية؛اي
برد كان ذاك وحرارتي كادت تتجاوز التسع وثلاثين؛برد في
اوت او ربما كان جويليا؛اصبحت اهذي!او بالاحرى لقد
جعلتني اهذي وهي لم تقل لي احبك بعد فماذا لو
فعلت؟؟كنت لاجن لامحال لكن اهذا حقا ما كنت اسمعه
عن الحب؟أهذا ما يفعله الحب بالانسان؟لكن ايا كان ما
يفعله فقط راق لي واعجبني وخاصة ان كانت هي
السبب؛كانت تقول لي دائما ان لا اجعلها ابتلائي لكنني
صرت أدعو في كل صلاة ان اللهم لقد ابتليت بها وانت من
بليتنيها فزدني من بلائها؛البعض يجعل التدخين بلاءه
والبعض الآخر يتخذ الخمر وآخر يتخذ المخدرات لكنها كانت
ابتلاء مختلفا عن التدخين والخمر والمخدرات كل
الاختلاف؛لقد ادمنت مراسلتها والتحدث اليها وادمنت
سماع صوتها السنفوني واصاب احيانا بمرض عصابي
مؤقت كلما شردت في النظر اليها او التفكير فيها؛لكن هل
لهذا الادمان دواء؟؟اتمنى ان لا يكون وحتى ان تواجد
ساسرق كل علبة من كل صيديلة واحرقها؟؟لكن هذا لن
يكفي وعلى الاغلب سافجر معمل الادوية ذاك ولن اتردد
ثانية؛اضن ان هذياني اصبح مبالغا فيه لا أعجب فقد

امضيت كل اليوم فوق ذاك الجسر انظر الى صروة انتجها ذهني؛ رافقها صوت يهمس في أذني احبك احبك احبك؛ لكن لا اذن اني سوف اتعب نفسي في تفجير مصنع الادوية ذاك فهو بالاساس غير موجود ولو كان سيوجد لكان وجد منذ بلوغ رميو وادمانه على مشاهدة طيف جولات او حين قرر شهريار الاعتراف بحبه لشهرزاد او ببساطة لو كان وجد مصنع للادوية من اجل الادمان على الاشخاص لكان دمره عنتره يوم تدشينه؛ لا يهم سواء وجد او لم يوجد فانا لا اريد ان اشفى بل صرت ادعو الله ان تتعكر حالتي اكثر وتزداد سوءا وقد استجاب لدعائي سبحانه.....

استيقظت عند التاسعة كعادتها وفتحت حسابها ككل يوم لتقرأ رسالة الصباح تلك وتدلف لي بمثلها؛ كان يوم احد وبذلك تذكرت انه يوم راحتي فاتصلت بي ريثما اكملت اشغال المنزل لكن هاتفي كان مغلقا؛ ظلت تتصل مرارا مثل تلك الليلة لكنها لم تتوصل لشيئ فاستعانت باخي الذي اخبرها انه استيقض فلم يجدني ولا يعرف اين ذهبت؛ كنت قد خرجت منذ السادسة صباحا واستيقظ هو عند الثامنة لكنها ظلت تتصل وترسل رسائل متتالية لم اقرأها الا ليلا؛ كانت تخاف كثيرا خاصة علي اذ كلما اتصلت

ولم اجب تملكها الهواجس والكوابيس من كل مكان؛ كانت
تخشى ان يصبني مكروه؛ صحيح اني اغلقت هاتفي منذ
الفجر لكن لم يكن ما فعلته بسبب الحيرة والضجر؛ لم يكن
اختبارا لها لارى ان كانت تحبني حقا ام لا؛ لم يكن
عمدا؛ كل ما فعلته كان تلقائيا بلا اي سبب؛ كنت حائرا
ومشوشا اذ اني اعرف انها تبادلتي نفس المشاعر لكن
عدم بوحها بها جعلني ارتبك واسأل نفسي هل ستتراجع
بعد ان صارت بالنسبة لي كل ما كان وما اصبح.....

ظلت تتصل طول النهار والضجر والخوف يقلبان قلبها يمنا
ويسرة؛ نسيت حتى ان تتناول ما اعدته للافطار وظلت
خاوية البطن طول اليوم لكن صبرها نفذ وهي تنتظر لحظة
اتصال منها يرن فيها هاتفي؛ خرجت من البيت لاراديا
وقصدت الشاطئ تبحث عني آملة ان تجدني متربعا على
احد تلك الاحجار امام البرج او فوق تلك السفينة
الصفراء؛ مشطت الشاطئ حتى كادت تصل اخره لكنها لم
تنل الا الخيبة واليأس وقد اصيب رأسها بضربة شميس
وتملكها صداد بعد ان امضت ساعات وهي تكرر خطواتها
على الشاطئ بحثا عن خبر لي لكنها لم تغنم من بحثها
شيئا غير صداد وألم في بطنها جراء الخوف والحيرة؛ عادت

الى البيت تحمل في يمينه هاتفها الذي ساندها وبحث معها لساعات لكنه اخفق هو الاخر اما يسراها فقد كانت تضغط بها على بطنها الذي يلكرها ألما وفي مخيلتها ملأت اطنان من الخيبة واليأس والهواجس التي لم تكن تكف؛ اين ذهبت؟؟ اين انت الآن؟؟ اين هو يالله؟؟ كيف له ان يفعل هذا بي؟؟ ماذا ان حصل له مكروه ما؟؟؛ عادت الى البيت ولازمته حتى المساء ولم تكف عن الاتصال بعد.....

حل المساء وحلت مع عتمة كل ليلة؛ كنت قد فتحت ذاك الهاتف الغبي واخذت طريقي عائدا الى البيت لكن اخي اتصل بي وقال ان انتظر امام برج المدينة فقد قررت العائلة الخروج في نزهة تلك الليلة فتحولت الوجهة وصار وسط المدينة مقصدي؛ كانوا في انتظاري في تلك الساحة التي امتلأت وازدحمت بالناس وقد زاد ذلك في صداعي سوءا؛ كانت قد راسلت اخي قبل وصولي وطمأنها انني بخير فطلبت منه ان يحضرني اليها وهي التي خرجت ليلتها رفقة اصدقاء لعابلتها؛ انشغل الآخرون في سهرتهم التافهة تلك بينما اخذت الطريق واخي وقد شرع يقص لي انها كانت تسأله عني طول اليوم وانها هلعت وخافت كثيرا في غيابي؛ لمحتها من بعيد وكيف لي ان لا المحها وقد

انار كل جسمها من على بعد امتار مني؛ كان نورها يصرخ من بعيد؛ كان شعاعها يناديني ان اركض نحوى انا هنا؛ كانت ترتدى خمارها الاحمر وهو من كان يصدر كل ذاك النور وسترتا حمراء بمربعات سوداء وبنطالا ازرق قاتما وخذائها الابيض؛ مشيت نحوها وقد تجمدت فى مكانها وكانها وجدت ظالتها التى تبحث عنها منذ سنوات؛ كانت لاتزال خائفة ومذعورة بعد يوم كامل من الانتظار والحيرة؛ لاراديا امسكت يدها وسحبتها خلفى ومشيت نحو الشاطئ فانقادت وتعبت خطواتى دون ان تنبس بحرف؛ كانت تكتفى بالنظر الى؛ رأيت فى عينها امتزاجا للخوف والشوق رسما لوحة فنية لم تلمحها عيناى فى اى معرض للصور؛ مقلتان تغطيهما طبقة دموع تبرق وتلمع دون ان يسطع فيهما الضوء حتى؛ عينان امتلأتا بدموع الخوف والفرح؛ الضجر والشوق؛ الهلع والارتياح؛ اى تضارب كان ذاك الذى حملته تلك المقلتين الصغيرتين؟؟ شعرت ولو ان البحر بامواجه الهادئة والمضطربة قد اختار عينيهاملاذا يمضى فيه ليلته تلك؛ بلغنا الشاطئ الذى يقع يسار مسرح المدينة بعد ان مشينا بضع امتار فى ممر مسطح بالحجارة؛ كانوا يطلقون عليه شارع الحب ولكنى كنت

اتساءل طول الوقت من المعتوه الذي اطلق عليه تلك التسمية؛ لم ارى في ذلك الممر الا ظلمة وعممة تختبئ داخلها افعال الساذجين القذرة والتافهة؛ افعال الراقين التي تقام تحت اسم الحب؛ كان ممرا مظلما تنعدم فيه الانارة؛ احتوى كل انش من المدينة على مصابيح عملاقة تحول الليل الى نهار الا ذاك الممر لم يكن فيه اي مصباح فلماذا سمي بشارع الحب؟؟ يفصل بينه وبين مقبرة المدينة حائط اسمنت فلماذا سمي شارع الحب؟؟ على يمينه كان الشاطئ ببحره والناس اما يسهرون ليلا ام يسبحون نهارا وعلى يساره مقبرة والناس اما في سباتهم منذ زمن طويل واما قادمون من منازلهم على الاعناق حتى يدفنوا ويدخلوا مثواهم الاخير فأى حب كان بذلك الشارع؟ أناس يسبحون ويصرخون ويغنون على الشاطئ وأناس يجلسون على تلك الكراسي الحجرية بالممر ويتلون لبعضهم قصصا لا تعرف النهاية وأناس نائمون منذ عقود يتمنون لو يعودوا الى الحياة ليعيشوا فيها يوما واحدا ويعملوا صالحا؛ من الذي اطلق على ذاك الممر اسم شارع الحب اكان عاشقا مثلي ام كان مدمنا على صديقه

كحالي ام انه فقط اراد ان يسخر من اولاءك الاموات الذي
يرقدون بسلام وراء ذاك الحائط.....

ادركنا الشاطئي قبالة احد الكراسي الحجرية لذاك الشارع
وقد نزعت يدها من يدي بعد ان تمصت مني ووقفت
امامي وصارت تصرخ بصوت غاضب رافقه الحزن
والضيق؛ كادت تبكي وهي تصرخ لكن كالعادة كبتت دموعها
وصدتهم؛ تلك المقلتان صارتا تتمنيان لو ان تلك الفتاة تفتح
العنان لعيناها حتى يخرجها كل ما احتفضا به من دموع
لسنوات؛ لكنت اغرقتي في عينيها وانا اجيد السباحة في
كل المحيطات الا فيهما؛ كانت تصرخ وهي تنظر في منتصف
عيني؛

«لماذا؟ لماذا فعلت بي هكذا؟ أتعرف مقدار الخوف الذي
سببته لي اليوم؟ اتعرف اني امضيت يومي ابحت عنك من
مكان لآخر؟ اتعرف اني خفت ان يصيبك مكروه؟ أتعرف أني
لم استطع تناول شئ طيلة اليوم؟ اتعرف اني خشيت
اني خسرتك الى الأبد؟ لماذا فعلت ذلك؟؟

في المرة السابقة شعرت بالخزي تجاه نفسي وانا اقرء
رسائلها وهي في غاية الخوف علي لكن في تلك الليل
كان خوفها امامي؛ كان هلعها وفزعها يخاطبانني ويصرخان

في وجهي؛ شعرت اني نذل وحقير؛ شعرت اني احمق
وغبي؛ لم استطع فعل شئ غير اني مقت نفسي لما
فعلته وكرهتها في تلك اللحظة؛ لقد كنت حقيرا عن غير
قصد؛ لكن الحقارة لا تستثني شيئا ان كان بقصد او بغيره؛
كانت لاتزال تصرخ في وجهي لكني قاطعتها وهمست
بخجل؛

«لقد اشتقت لك!!»

توقفت عن الصراخ وقالت؛

«ماذا؟؟؟»

«لقد اشتقت لك»

عادت تلك النظرات الملئى بالدموع وصرخت من جديد
وهي تضربي على بطني؛

«اهذا تبريرك لما فعلته؟؟ اتبرر غيابك ليوم كامل دون ان
تطمأنني عليك بانك اشتقت لي؛ اهذا ما قاله لك
منطقك؟؟؟»

«انا حقا آسف وصدقيني انا لا ابرر شيئا لم اتعمد فعل
ذلك لكني حقا اشتقت لك!!»

امسكت بطنها الذي لايزال يؤلمها وتراجعت مقتربة من البحر وانحنت قليلا وهي تقول لماذا فعلت بي هذا لكني لم انبس بحرف؛ لم استطع الكلام حتى؛وقفت على طولها وعادت نحوي وارتمت إلي بكل جسمها وعانقتني محيطة يديها بظهري وانامت رأسها على صدري كان بالكاد يصله؛عانقتني وهي تهمس؛

«لماذا فعلت ذلك لقد خفت عليك».

لقد اصابني شلل كلي وهي تضغط بيديها علي؛كانت تفرغ ما جمعته طول اليوم من خوف وحيرة وهلع واكتمل معها الامر بالشوق حتى تحولت الى قبلة موقوتة انفجرت على صدري في ذاك العناق؛شللت؛لم اعد اسمع اي من ذاك الضجيج الذي كان يهز كل الشارطي؛ لم اعد ابصر شيئا غير جسم يشع نورا يغمرنني من امامي ويحولني الى جسم منار؛تمنيت لو كان لدي جناحان لحظتها لكنت حلقت بها الى السماء السابعة حيث يتسنى لها استنشاق شئ من الهواء العذب وهو الذي انعدم في عالمنا هذا؛لا اراديا ودون ان يكون لي اية سيطرة او تحكم في اعضائي رفعت يدي ببطئ واحتويتها بينهما؛شعرت كما لو ان احدهم يحرك يدايا ويرفعهما

بسلاسة ليعانقها؛ احسست كما لو اني رجل آلي يرفع
بيديه وفق درجات بطيئة؛ لقد استحييت وانا بذاك القدر من
القرب منها؛ شعرت اني اقرب الى قلبها من شرايينه
واوردته؛ لقد تشرفت بعناقها وهذا كان الفرغ الذي تملك
قلبي لكني شعرت بضيق وضجر في عقلي لاني كنت
السبب في حيرتها وخوفها اما ذاك العناق فقد انساها انا
لم نتحدث طيلة اليوم؛ لقد حولت كل جسمي الى بئر
عميق سكبت فيه كل ما بداخلها من خوف وهلع؛
احسست بطاقتها السلبية تغادرها وتخرقني وتتوزع في
كل انش مني؛ لقد كانت كصعقت كهرومغناطسية كتلك
التي يتلقاها المريض اذا ما وصل درجة الموت؛ حضيت
يثاني هدية منها حينها؛ هدية لم يكن يضاهاها بالنسبة
لي لا مال ولا مجوهرات؛ لقد اهدتني هموهما واحزانها كما
لو انها اهدتني كنز الدولة العثمانية؛ كم راقى لي هديتها
تلك.... سحبت نفسها تلقائيا عني وابتعدت؛ لقد انتزعت
قلبي من عروشه واقتلعتة معها اثر تلك السحبة؛ منذ ثوان
كنت اتنفس هواء نقياً ومنعشاً كان عطرا لكنه انقطع عني
مع تلك السحبة؛ لقد لمحت الحياة وادركت جمالها وزاد
تعلقني بها في ذاك العناق؛ لقد عشت لدقيقة في الجنة

ثم خرجت منها بسحبة؛ احيانا نتمنى لو ان الساعة تصبح
عاما والدقيقة شهرا والثانية يوما؛ احيانا نتمنى لو اننا نملك
آلة تجعل الوقت يتوقف ونحن نمر بمثل تلك اللحظات مع
من نحب؛ والله لو امتلكتها في تلك الثواني لكنت اوقفت
الوقت ثم حطمتها حتى يبقى عالقيين في اللاشيء الى
الأبد؛ لثوان عانقت الكون باكملة ثم انسل مني فانفتحت
يادي عنها لاراديا بنفس البطئ مثلما انكمشتا؛ كانت اذا
ما تحدثت امامك اقنعت ان لها من القوة والصمود ما
بامكانه تدمير اسرائيل وناصرتها لكن في ذاك العناق
شعرت بانفاسها تلج وتخرج ببطئ انفاس الرضيع؛ اخذت
شهقة من اعماق قلبها كاد توهمني أنها امتصت كل ذرة
هواء وجدت في الكون؛ لقد رمت كل صمودها وقوتها في
تلك الانحناءة وارتمت الي خائرة بالكاد تقوى على
الهمس....

تراجعت عني وهمست انها سامحتني ابتسمت وقالت ان
اقربائها ينتظرونها في المسرح وعليها الالتحاق بهم فورا
فاوصلتها ووقفت ارقبها تتركني؛ اصبحت اشعر كلما تقابلنا
وحان موعد رحيلها ان روحي تفارق جسدي واني
اموت؛ لقد كان رحيلها عني في كل مرة وابتعدها كمثل

الاحتضار؛ كان لعودتها الى المنزل او لرحيلها سكرات
تتملكني كادت تدرك سكرات الموت؛ رحلت وفارقتني
حياتي وظللت متسمرا في مكاني ارقبها من بعيد وهي
تعد خطاها نحو اقاربها؛ كنت احسدكم عليها طول الوقت
وأنا الذي لم احسد احدا في حياتي على شئ؛ رحلت
تاركتني اصارع جسدي الذي امضى ما بقي من الليل
يتخبط بين الضجر والفرح؛ ضجر ما اصابها بسببي حماقتي
وفرح عناق دام ثوان اقنعني ان الحياة اجمل مما كنت
اعتقد؛ اقنعني ان الحياة ليست بذاك السوء الذي اعتقدته
دون ان تنطق بكلمة.....

هويت الى الفراش يكاد الانهك يقتلع روحي من جسمي
ويصعد بها الى اخر سماء وياليتها فعل؛ لقد قرر النوم ألا
يزورني ليلتها؛ اي نوم قد يتجرأ على ملامسة جسمي وانا
لا ازال احاول ايهام نفسي انها لم تسحب نفسها عني
بعد؛ لقد ظلت تلك الثوان عالقة في مخيلتي طاردا ما
وجدته في عقلي من أفكار وصور؛ لقد مسحت عقلي
واصبحت مفرغا خاويا من كل ما كان فيه من قصص؛ اي
عناق ذاك الذي يفقدك الذاكرة؛ لقد كان عناق فتاة ملاً كل
جسمها حكايات وقصص أغلبها يبكيك سماعها ويشعرك

برجة لا تكاد تدرك ان كانت ضجرا لأجلها ام حزنا عليها؛ رن هاتفي الذي كان ملقى فوق صدري كعادته كل ليلة وقد كان رنينه بمثابة رسالة منها تقول فيها افتح حسابك اريد محادثتك؛ تلقائيا فعلت واتصلت بحسابي وتساءلت؛

xx هل عدت الي البيت؟؟

xx اجل كيف اصبحت الآن طمأني عليك هل انخفضت حرارتك؟؟

xx واي حرارة قد تبقى بعد ذاك العناق؟؟

كان تفصلنا كيلومترات صحيح لكني رأيت شفيتها يرسمان ابتسامة صادقة للمرة الاولى؛ خجلت حتا وهي تكتب رسالة عن بعد؛ ربما استحت من شاشة هاتفها فالحياء لا يستثني احدا؛ اجابت بخجل؛

xx مع حق لكن حقا لقد ازعجني غيابك اليوم وخفت ان يكون قد اصابك مكروه ما؛ ظلمت طول اليوم ابحت عنك في كل مكان لكن دون اي جدوى، صدقني اعرف انك احببتني وانك تحبني واعرف كذلك انك تخشى ان يكون شعوري تجاهك مخالفا لشعورك لكن صدقني لقد تأكدت اليوم انك تحتل مكانا مهما في قلبي واصبحت مميزا عن عن

الآخرين النسبة لي؛ احب التحدث اليك وأحب التواجد في مجلس؛ احب مداعرتك وشتمك وأحب سماعك تتكلم وخاصة عندما تتحدث عن امك وتحلف برأسها؛ ادام الله في عمرها وحفظها لك؛ احب ان اطلعك على كل ما يحدث معي وعلى كل مستجدات يومي وأحب ان اطلعك على ما لا استطيع اخباره للآخرين؛ لكن اريدك ان تعرف كذلك اني لست من اولاؤك الذيت يعلقون الناس بهم ثم يتركونهم بعثية؛ لست ممن يقولون انا معك ثم لا تجد من اترهم عندما يرحلون الا الصور؛ لست كذلك صدقني ولن اكون كذلك لقد تعلقت بك واليوم تأكدت انك تعني لي الكثير عندما خفت عليك وفزعت؛ كل ما فعلته كان لاراديا لا اعرف لماذا لكن هذا ما حدث كنت غاضبة للغاية وانا اقف امامك لكنني شعرت اني اريد الضحك بشدة لانني فرحت لرؤيتك واريد البكاء لانني ضجرة وقلقة وفي النهاية كبت الاثنين وعانقتك دون ان اشعر حتى اني هويت نحوك بكل ثقلي؛ وأمل الا تخذلني وتتركني.....

كنت متكأ ولم اشعر بجسمي الا وهو يهتز تلقائيا ودون ان تكون لي رغبة في الوقوف حتى؛ أكانت هذه أحبك على طريقتهما فلطالما عرفتها غريبة الاطوار؛ كان خجلها بمقدار

صمودها وقوتها التي تظهرها طول الوقت؛ اذن انها استحت حتى من كتابة تلك الحروف الاربعة ووجدت ان الجمل مهما طالت وكثرت اسهل من محظ اربعة حروف؛ اذنها عنت التمهيد لتلك الكلمة وتركت الامر للقائنا القادم؛ اي رد سيكون كافيا على رسالتها واي جمل ستعبر عما احسست به وأنا اقرء تلك الرسالة واكررها؛ اي اسطر واي كلمات قد تروي لها ما بداخلي؛ العجز حتى لكتابة بضعة كلمات وارسالها بلمسة؛ العجز عن التعبير هذا ما اصابني حينها؛ تأخرت عن الرد لكنها انتظرت دون ان تضيف اين انت كعادتها؛ شرعت في الكتابة ولم يكن في مخيلتي شيئ لاكتبه لقد امتصت رسالتها تلك كل ما خزنته لسنوات في ذاكرتي؛ ماذا ساكتب؟؟ ماذا عساني اقول امام تلك الكلمات؛ حقا ان النساء ليجعلنك تعجز عن كتابة بعض الاحرف حتى وهن يبعدنك بآلاف الكيلومترات؛ لقد فجرت ذاكرتي عن بعد؛ هذا ما يصيبك عندما تحب امرأة حتى وان كانت لم تزر المدرسة يوما فماذا لو كانت مثقفة واي ثقافة تلك؛ ثقافة فحسب يا صديقي؛ كتبت كلماتي المتواضعة ببطئ وهي مازالت تحافظ على كل غرام من صبرها؛

«أحبك.....»

مجرد كلمة؛ لم أقصد الاحتقار لكني لم أجد شيئاً غيرها في مخيلتي إثر تلك اللحظة فاكثفت بها وصمت؛ أضن أنها كانت تكفي رداً على رسالتها؛ لا أجزم لكن شفيتها كرراً تلك الابتسامة لكنها لم تكن بصدق الأولى؛ كانت صادقة كصلاة مودع؛ كصلاة الاستسقاء؛ المهم أنها كانت صادقة رغم أنني لم أحضى بمشاهدتها عن كثب؛ لطالما كرهت التراسل في مثل هذه الحالات لأن مجرد رسالة مهما كان جمالها لن تعوض ذلك اللقاء الذي تجتمع فيه روحينا رغم الصنمات التي تفصلنا عن بعض؛ لن تعوض اجتماع صوتينا، وأعيننا في نظراتها التي تروي حكاية كل الحضارات العربية؛ لكنها أدت وظيفة رغم ذلك؛ وظيفة لا تغني ولا تسمن من جوع لكن على الأقل كانت بمثابة مواساة وطمانينة لا أكثر؛ رسالة تبتسم كالعادة؛

«أعرف، أمانحني قليلاً من الوقت بعد!!»

«وقت؟؟ وقت لاجل ماذا!!»

«حتى أستطيع قولها مثلك..»

لقد فهمت، اهي ثقيلة الى هذا الحد؟ هل انا الجريئ ام
انها ضعيفة امامي؟ او ربما ان البوح لا يتطلب كل تلك
الجرءة انما كان خجلها يكبلها طول الوقت! لقد كان لها
المتسع لتقولها وهي تعانقني فلماذا تراجعت؟؟ لقد اخذت
عنها حزنها وضجرها وامتصت خجلها في ذاك العناق رغم
انها لم تستطع اطالة النظر الي!! لكن مالذي منعها لا
اعرف؛ تسائلت وكانني لم افهم شيئا رغم اني ادركت كل
شيئ ؛

«تقولين ماذا لم افهم؟»

«اقول احبك..»

«بعض الوقت حتى تقولي انك تحبينني؟»

«اجل»

«الوقت بالنسبة لي صار مجرد ارقام؛ لك العمر كله يا

صغيرة....»

«طيب..»

«ماذا عن بطنك وألمه؟»

«« لا يهم كان سببه الجوع والغضب لكنه اختفي مذ اكلت
وتناولت مسكن...»

«« لن يكفي الاسف الآن لكن حقا اعذري حماقتي لم
اقصد إثارة حيرتك!!»

«« لا يهم حصل ما حصل ؛المهم انك بخير..»

«« امتناعك عن الأكل سبب لك الألم لكنه لم يحل
مشكلتك لا تتغابي مرة اخرى جسمك نحيف بطبعه يكفيه
ذلك قد تصاب مناعتك بسوء.....»

قالت ساخرة؛

««نحيفة لكنك لن تقوى على حملي والمشى بي حتى
لبضعة امتار...»

واجهت سخريتها بالمثل وادلفت؛

««بضعة أمتار!!! ما رأيك ان حملتك ومشيت بينما تعدين
لثلاثين؟؟»

واصلت سخريتها والضحك لا يغيب عن اي رسالة من
رسائلها؛

««لن تقدر على ذلك لكن فليكن.....»

❖❖ اسمعي

❖❖ هل تراجعتي يا مغرور؟؟

كانت مصرتا على السخرية مني رغم انها تعلم اني
سأذيقها الخيبة على ثقتها البالغة في نفسها؛

❖❖ فلتكن خمسين اقصد

❖❖ مغرور.. فلتكن...

بلغنا الفجر عالعادة حتى اهواها النوم واستسلمت له
لكني لم استطع اغلاق جفن بل ظللت اكرر تلك الرسالة
حتى الفجر وفي كل مرة اعيدها اشعر اني اقرءها للمرة
الاولى؛ مالذي فعلته بي تلك النحيبة؟ مالذي اصابني وهي
حتى لم تقل لي انها تحبني بعد؟ لم تفعل شيئا غير انها
جعلتني ازج بنفسي في سجنها واي سجن ذاك!! زلزلة
انفرادية وجدت فيها كل صور الحياة الجميلة التي فقدت
في العالم الخارجي؛ جعلتني أرمي بنفسي في زلزلتها
الانفرادية واحكم عليها بالسجن مدى الحياة دون أشغال
شاقة؛ واي شقاء قد يحل محل حبي لها وقد كانت دعائي
في كل سجدة ان اللهم زدني شقاء من اجلها وشقاء
حبها ان كنت احتمل المزيد؛ حقا ان الشقاء لاصناف لكن

الشقاء من اجل شخص اعتبرك غرفته الهادئة التي
يستطعم فيها الراحة والاسترخاء بمعناها الحقيقي كان
افضلها بالنسبة لي؛ لا تعتبر نفسك ممن يتمتعون بالقدرة
على احتواء احدهم ان لم ينسك هذا ان الشقاء لا يحمل
في طياته الا السوء والتعب لكن الشقاء من اجلها ادركني
راحتي التي فقدتها منذ زمن؛ ماذا عن الاهتمام؟ اي درجة
قد تأتي بعد الإهتمام فلا اذن ان هاته الكلمة كانت تكفي
لتعبر عما اردته!! صدقوني العجز عن التعبير خانق اكثر من
فقدان شخص عزيز....

عادت الايام الى بطئها المعتاد وصرت انتظر انتهاء اليوم
حتى يحل محله اخر واعيد نفس الانتظار حتى القاها؛
حتى الرسائل التي لم تعد تحصى ولا تكاد تعد صارت لا
تكفي ولا تسمن اشتياقنا لبعض؛ كنت اول من ينام ليلا وانا
اكتب تلك الرسالة التي لم تصلها قط؛ كنت اصارع التعب
والانهاك كل ليلة لكن الغلبة للنوم في النهاية؛ وكم من
رسالة كتبت ليلا بعينين نصف مطبقتين وظلت معلقة
هناك في العدم حتى تحذف صباحا وتعوضها تلك الرسالة
الصباحية التي لم تغب يوما عنها؛ اصبحت تلك الرسالة
كمثل الفريضة بالنسبة لي؛ واضبت عليها كل يوم فجرا

كمثل صلاتي اذ ان هاتفي كان يرن منبهه عند السادسة
اما الرسالة فتصلها عند السادسة وخمس دقائق؛ تلك
الخمس دقائق كنت استغرقها في كتابة الرسالة؛ اعلم
اني كنت استطيع بعثها بلمسة واحدة في وقت اقل عن
طريق نسخها لكني كنت اعيدها كلها كل يوم فبعض
الاشياء اذا نسخت فقدت طعمها ولذتها وقد وجدت شيئا
من المرح وانا اعيدها كلها كل يوم دون ان اغير فيها حرفا
الا اني اضيف اليها بعض الكلمات حتى صارت تقول لي
احيانا انها تتعب وهي تقرأها صباحا بنصف عين؛ كان اليوم
يمر ببطئ سواء اشتغلت ام كنت بالبيت حتى وصل بي
الحال ان صرت أقوم بأشياء قتلا للوقت لا حبا في العمل
لكن في كل الحالات كانت تنتظر اتصالي في المساء حتى
نبدأ شوطا من التراسل يحسمه النوم والتعب عالة؛
لكن اي تعب كان ليبقى عالقا بجسمي عندما اشرع في
محادثتها؛ كانوا يتبخرون تلقائيا اثر امساكي بالهاتف؛ اي
ابتلاء كان ذاك وهي التي حذرتني بان لا اجعلها ابتلائي
حتى صرت احمد الله على ذاك البلاء وادعوه الزيادة فيه؛
لقد كان ابتلائي بها رزق من الله لا اذن اني قد احضى
بأفضل منه في حياتي قط؛ لقد رزقني الله ابتلاءها.....

لا زالت تلك الحفلات تخلق الصخب والضجيج بالمدينة ولا زال الناس واغلبهم سياحا يترددون على البرج ومقهاه المشهور ومسرح المدينة وشارعها المظلم على الدوام؛ كانت ليلة احد وكل من قيدهم العمل ومشاغلمهم طيلة اسبوع كامل كانوا متوزعين على كل مقاهي المدينة او على الشاطئ والبضع منهم كان يمارس لعبة الصيد الليلي؛ كانت اول مرة اخرج فيها وحدي دون اخي الذي منعه ضجره الشديد وشجاره المعتاد مع اخي الاكبر من الخروج؛ كانت تنتظرنني في مكاننا المعتاد؛ لايزال ذاك المكان بالنسبة لي نقطة انطلاق حكايتنا وقد قدسته واحببته كثيرا؛ كانت رفقة قريبتها التي صارت صديقتي الصغيرة مع الوقت وقد صغرنتني بخمس سنوات؛ لم يكن لمهافتها لزوم فقد ذهبت الى مجلسهم مباشرة كما لو اني تركتهم منذ قليل وعدت بسرعة؛ لمحتها من بعيد كعادتي وكيف لي ألا ألمح شهابا مارا فوق راسي يغمر السماء بضوئه اللامع؛ لطالما قالت لي اني ابالغ في وصفها وان مبالغتي بلغت حدها الاقصى لكن الوصف او المبالغة فيه كان مجانا ومتاحا في ذلك الوقت هذا ما كنت اقوله؛ كانت تجلس على درج قبالة البرج تنتظر مجيئي وقد

رأنتني قبل ان المحها؛ ظللت امشي وانا انظر الى جلستها
تلك ولا شىء في نطاق نظري غيرها حتى اني ظننت
لوهلة انها جاءت لوحدها؛ ابهرني ضوئها كلما اقتربت مترا
زيادة؛ خمارها المشع والعطر وملاحها التي تنير كل
المكان؛ عيناها البراقتان وشفاتها بلونهما الطبيعي؛ حتى
لو اسكتوا كل تلك المصايح العملاقة التي تصنع لهم نورا
مصطنعا ما كان ليتغير شىء من جهتي فقد كانت شمس
سمائي تبزغ ليلا..... بلغتهما؛ جلست حذاها تبادلنا
السلام واخذنا نحسب ثواني لقائنا السابع؛ اول ما يشد
النظر كان خمارها الرمادي؛ كان بمثابة تاج من الذهب زين
رأسها وغطى شعرها الذي لم اراه قط لكن لطالما
احسست انه كان شىء من انواع الحرير الخالص؛ كانت
ترتدي بنطالا ازرق كلون السماء وسترتا تماشت مع لون
الخمار وحذاءها الابيض؛ قلت مبتسما وقد تعمدت النظر
امامي؛

«لن اقول انك تبدين جميلة الليلة فهذا سينفي انك
جميلة في باقي الايام، لكنك حقا جميلة....»
ضحكت ثم قالت؛

«لقد قلتها في كل الحالات لكن لا تبالغ كعادتك

«لو كانت المبالغة تشتري لكنت انفقت كل ما معي على
شرائها كلما جئت لمقابلتك....»

ضحكت دون ان تنبس ثم تناولت هاتفني وظلت تقلب
صورها التي سجلت فيه منذ مدة؛ كانت تسألني الا تمل
من تسجيل صوتي طول اليوم هاتفك فيه صوتي مذ فتحت
حسابي حتى اخر صورة لكني كنت استمع لها واكتفي
بالنظر والصمت؛ كنت كثير الشرود في تفاصيل كلامها
وصوتها وملامحها؛ انشغلت قريبتها طول السهرة بتقليب
هاتفها والنظر اليه دون ان تمل لحظة واحدة بينما واصلت
هي تقلب هاتفني وتصفح صورها التي ملأت كل
ذاكرته؛ كان الضجيج يملأ المكان اذ لا تكاد تسمع صوتا
واضحا للناس وهم يتحدثون؛ كان من طبعها الا تجلس في
نفس المكان طويلا فقررنا التمشي قليلا على الشاطئ؛
لقد كان البحر شاهدا على كل مقابلاتنا ولو استطاع
النطق لقال حفظكما الله وجمعكما في حلاله وعلى سنة
نبيه لكن كل هذه الكلمات كان تقال في الاغلب على
طريقته الخاصة؛ كل موجة كانت تحدث صوتا اثر ارتطامها
بالشاطئ حملت في داخلها بعض الكلمات؛ اي كلمات قد
يتسع لها البحر؛ احيانا يدرك المرء انه قد بالغ كثيرا في

المبالغة هذا ما احسست به لكن حقا لو كان بحر تلك
المدينة حبرا لكنت احتجت لتسعة منه على الاقل حتى
اكتب لها ما كان يطوف بداخلي من مشاعر تجاهها لكن
أين انا من ذاك الخيال تركت الامر للايام قد تطلعها
بنفسها.....

اخذنا طريقنا نحو الشاطئ وقد مررنا بذاك الشارع؛ شارع
الحب كان مظلما كعادته وعلى ما اذن فهو لن يضاء
يوما؛ الانارة على الاغلب هي الوحيدة التي كان يفتقدتها
الاموات في تلك المقبرة؛ على الاقل المقبرة كان بها
مصابيح يجعلونها احلى واجمل رغم انها رمز الخوف
والوحشة بالنسبة للكثيرين اما ذاك الشارع فقد بدى
اوحش منها واعتم؛ كان يشعرك بخوف اكثر مما قد تشعر
به وانت تتجول في تلك المقبرة؛ اي شارع حب هذا؟؛ كانت
قربيتها لا تزال منغسة في هاتفها لا تعرف حتى ان كانت
تضع قدميها على رمال جافة ام انها كانت ملطخة بالماء
وقد سحبتها قدماها ومشيت امامنا تتمايل مع صوت
الموسيقى الذي يصدره هاتفها؛ كان الشاطئ بالكاد فيه
صيادون يلتقون السمك ليلا فلا تلمح الا صناراتهم التي
تضيء عن بعد امتار؛ كانت تمشي الى يميني وقد تبادلنا

الحديث الا اني كنت اتكلم دون انقطاع بالكاد كانت تقول
معي بضعة جمل؛طريقة التجأ اليها حتى اتفادى إمكانية
ان تضجر وهي تجالسني او تتجول معي؛كنت كثير الكلام
في كل جلساتنا ولقائاتنا تلك؛كان البحر هادئا كعادته في
كل ليلة؛كنت اصمت لدقائق حتى اسمح لها بمشاركتي
في الحديث ثم اعود الى ثرثرتي؛ احسست بشيئ يضغط
على يدي اليمنى بلطف وسلاسة؛كانما كانت يد طفلة
صغيرة لم تتجاوز العاشرة من عمرها؛لقد كانت يدها؛كيف
لم اشعر بيدينا اللذان تشابكتا واندمجتا ببعضهما منذ
انطلاقنا؛اذا لم تخذعك مثل تلك الناعمة فمالذي قد
يخذعك؟؟اذا لم اشعر اني امسك يدها الا عندما ضغطت
على يدي ببطئ؛اكان ذلك هو الاندماج؟؟الذالك لم اشعر
بشيئ وانا الذي بادرت بامسك يدها منذ البداية؛كانتا
ناعمتين وصغيرتين سيطر عليهما بياض شديد؛سلسنتين
ومسطحتين؛لوهلة ضننتني امسك الحجر الاسود الكريم
بين يدي....

جلسنا على الرمال نتبادل الاحاديث والشتائم؛كانت
ضحكاتنا وفرحها لا تكاد تسع السماء بينما واصلت قريبتها
انشغالها بهاتفها اذ لم تعر اهتماما لما كنا نثرثره حتى وان

كنا نذكرها في حديثنا؛ كانت غير مبالية بكلينا على عكس البحر ومياهه المالحة؛ لقد حفظ كل كلمة نطقنا بها منذ اول لقاء؛ لو قدر الله له ان ينطق لاعاد ما كنا نثره لو سألته؛ كانت تفصلنا امتار على مقهى اسمه الحورية كان مقهى على شاطئ البحر لا ترى فيه الا سياح اجانب جاءوا لنشر ثقافتهم وتعميم رقيهم متكئين على عملتهم التي تنعش اقتصاد دولتنا العزيزة؛ اخذنا طريقنا عائدين نحو ذاك الشارع ومسرحه الصغير؛ لقد التصقت يدينا وتجمدت على حالها ذاك وابت الافتراق فلا هي سحبت يدها ولا انا فعلت؛ لم تفارقها حمرة الخجل التي ارتسمت على خديها منذ لامست يدي يدها وانسجما إلى بعض؛ كنت اشعر بطاقة تخترق جسمي وتعبر اليه من خلال تلك النقطة التي كانت تربط جسمينا ثم تعود والجة اليها؛ كنا كما لو اننا نتبادل الشحنات بين بعض؛ كانت تملك من الشحنات ما كان كافيا لاحداث دمار في تلك المدينة اذ امتزج الحزن بالقلق واندمج الخوف بالخجل وصار التعب محتويا للضجر وكونوا معا بلازما كانت تنصب كلها داخلي وتعبر إلي مع كل ضغطة صغيرة على يدي؛ كنت اتحدث واثرت دون صمت او دون حتى ان اخذ نفسا؛ ادلفت قائلتا في تسائل؛

«الا تمل من الكلام؟؟ الا تتعب!!

توقفت لوهلة ثمة واصلت السير وانا اجيبها مبتسما؛

«هل مللت من الانصات إلي ام ان حديثي لا يعجبك؟

«لا لم اقصد ذلك لكن اغلب الاولاد صامتون لكنك تحاول

ايجاد كلمات حتى وان انعدمت؛ لماذا ترهق نفسك بهذا

القدر من التحدث؟؟

نظرت اليها وانا ابتسم بلطف وقلت؛

«لا اريدك ان تشعرني بالضجر او الملل وانت برفقتي

فالصمت اقرب صديق للملل ولكن لماذا قد اصمت اريد

تعويض كل رسالة كتبتها لك وانا اتمنى ان اقول لك

محتواها في وجهك، هذا كل ما في الامر...

اخذت جوابي بابتسامة خجولة واحنت رأسها الى الرمال

ثم سايرت خطواتي وعدت الى ثرثرتي وضجيجي ذاك

وهي لا تجد اي من الكلمات التي تريد قولها؛ لم يبهرني

جمالها مثلما ابهرني خجلها وحيائها؛ كنت اقول؛

«احيانا استحضر صورتنا لتلك الفتاة الصغيرة التي اسميناها

رتاج واقول انها ستحظى بالعيش داخل اسرة سعيدة

ومجنونة لكن اتعلمين شيئا لقد اعجبني للغاية ذاك الاسم

رغم انه لا يحتوي على اي من حرفينا لكنه راق لي كثيرا؛ انظري الى تلك البلهاء الا تمل أبدا من حشر عينيها في ذاك الهاتف....

كانت تساير مشيتي ورأسها نصف منحني الى الاسفل لكنني لم اشعر الا بيدها تنفلت من اشتباكها بيدي؛ سحبت يدها تاركتا يدي معلقتا في الفراغ جوفاء يملأها الهواء ثم وقفت امامي وقد اوقفتني فتجمدت في وقفتي واكتفيت بالصمت والبخلقة؛ فهمت لكنني تجاهلت وانتظرت؛ ظلت تنظر الى منتصف عيني لبرهة ثم همست؛

xx احبك.....

.....xx

xx أنا احبك.....

اقتربت سمائي من الارض حتى كادت تلامس رأسي وخرس الكون كله من حولي؛ الشاطئ؛ الشارع المظلم؛ المسرح؛ كل المدينة التي كانت تهتز ضجيجا وصراخا إما ان الجميع سكت ام اني اصبت بطرش لدقائق بعد ان قالتها للمرة الثانية؛ ادرينالين!! جرعات من الادرينالين تكاد تفجر اوردتي وتمزقها؛ قشعريرة هزت كل جسمي وزعزعته؛ لم

استطع الحراك او الكلام؛ماذا ساقول اصلا امام حضرت
عينها ونظراتها المميّمة؛استغرقت دقيقة حتى استطيع
ايجاد مكان لتلك الاحرف التي اخترقتني؛ ملأت قلبي
وعقلي واستمرت في مسيرتها نحو كبدي ورثتي
واستحوذت على كل ما كان وما لم يكن شاغرا في
ذاكرتي ولازلت ابحت في جسمي عن مكان احتوي فيه
باقي الكمية التي كانت كما لو ان شيئا لم ينقص
منها؛ولجت الى داخلي ببطئ ودون أية مقدمات؛دون ان
انبس بحرف ظللت شاردا في مقلتيها المغطاتان بغشاء
الدموع ذاك؛شفتها وابتسامتها الوردية واسنانها
الجليدية في اصطفا فهم الأنيق؛كنت جديدا في ذاك العالم
وكانت المرة الاولى التي احس فيها بمعنى تلك الكلمة
مع احد غير أمي؛اعتقدت منذ زمن ان كلمة حب ليس لها
مرادف في كل المعاجم لكنني ادركت حينها ان الكلمة في
حد ذاتها معجم؛معجم يحتوي رموزا ونقوشات يصعب
قراءتها او تفسيرها؛بل ان ليس لها اي تفسير او معنى
محدد ولا تتوصل الى حل وانت تحاول اقناع نفسك بان
للحب معنى معين؛هو هكذا كمثل معادلة رياضية
مستحيلة الحل نكتبها باحرف وارقام متراصة ومصطفة في

بريستيجها الفاتن على ورقة بيضاء ناصعة واذا ما تعمقت فيها وغصت في ثناياها تاكد انك ستراجع في النهاية وتزيع تلك الورقة جانبة بعد ان رسمت امام تلك المعادلة علامة يساوي؛ تليها جملة بسيطة من كلمتين *غير ممكن*فتسأل نفسك حينها بإحتقار اخلقت لتكون غير ممكنة الحل ام اني من عجز عن حلها؟؟هكذا الحب الصادق هو هكذا أنيق وجميل وصاحب برستيح خارق تفهم انه متكون من ذرات مختلفة الالوان؛نواة بيضاء خاوية من الداخل والخارج تستحوذ على مكان هام من قلبك؛مركز القلب؛تحديدا النبضات؛تلك النوات البيضاء الصغيرة هي نبضات القلب تخلق صامته وجامدة ولا تفعل الا مرة واحدة من اجل شخص واحد؛ تنشط وتتفعل لحظة وقوفك امام حوائك او حتى لحظة لمحها من بعيد؛ إثر تفعيلها التلقائي تباشر تلك النواة في سحب ثلاث عشر الكترونا بالتتالي الاحترام؛الصدق؛الوفاء؛الخوف؛ القلق؛الغيرة؛الاحتواء؛الاكتفاء؛التواضع؛القناعة؛البساطة؛الامان؛الثقة؛يتحول لونها من الابيض الى الاحمر الملطخ بالدماء النقية والطاهرة والعذبة اثر ولوج آخر الكترون واندماجه بالنواة؛الثقة آخر جسيم وآخر من يسحب لكنه

اهم إلكترون لتكون الحب؛ الحب وهو ذاك الدم الاحمر العذب الذي يطوق النوات البيضاء ويزينها فيختفي البياض نهائيا وتصبح النوات الحمراء الجديدة نبضا تنكمش وتنقبض؛ ذاك هو الحب تدركه وتحس به بتغلغل في اعماقك وهو بالاساس اعماقك وينمو ويتطور حتى يفوق طاقة احتمالك؛ هو طاقة متجددة ومنتزاة عبر الثواني ولتحمل ضغطه وطاقته يجب ان تكون أقوى بكثير مما تظن؛ الكل يعلم انه لن يستطيع تحمل طاقة الحب المتجددة والكل يدرك انه سينفجر في النهاية ويتبخر مع الهواء لكن ما باليد حيلة فالحب كمثل الموت حق والكل مدركه؛ ويبدأ صراعك في احتمال الطاقة الزائدة التي تنتجها تلك النواة الحمراء النابضة؛ محاولات التعبير عن حبك لشخص ما في حد ذاتها هي أشد تلك الصراعات واعظمها في رقعة الحب والتي لم يتوصل احد للنجاح فيها فصراع التعبير ومحاولة اخراج ما يطوف داخلك ليس له تسمية منطقية غير انه معادلة رياضيات لا حل لها اذ ان ما بداخلك من حب تجاه شخص ما غني على ان تصفه مجرد حروف او كلمات او حتى ارقام وصور او اغاني وحتى ان اعتقدت انك كنت او في الاصل فنان في شئ ما وجسدت ما

تشعره به تجاه ذاك شخص في عمل فني فأعلم ان ما بداخلك اعظم بكثير مما انتجته؛حتى لو انزلت الشمس والقمر والنجوم وجلبت الكواكب والشهب والنيازك وجمعتهم كلهم وكونت بهم لوحة زيتية فما بداخلك ارقى بكثير يا صديقي ان كنت حقا قد احببت بصدق موجهها نظرك الى روح تشع نورا وعقل يفرز عطرا؛ آسف هكذا الحب وان ضننت اني اشعرك بالعجز فصحح معلوماتك فمفهوم الحب الذي لم يوجد قط هو من فعل وليس انا وما انا الا ضحية لذاك المفهوم الوهمي او الافتراضي؛ اي كانت ماهيته فأنا ضحيته مثلك ولا نختلف عن بعض في شئ غير انك تقرأ الآن فكرتي حول الحب ووجهة نظري المتواضعة تجاهه وتعرف اسمي ومكان سكني لكني لا اعرف عنك شيئا فاحمد الله لأن غيرك يراها قوة خارقة.....

الحب شئ بسيط؛هذا ما يقوله البعض؛اي بساطة وهو لم يفهم مطلقا؛اي بساطة وهو الذي يملك مفهوم لم يفهمه احد بعد؛احيانا نسأل انفسنا ما هو الحب؟ما معنى حب؟ان اعتقدت انه اهتمام وما ياتي بعده من تلك الاسماء الاثنا عشر فانت تتوهم لأنهم ميزاته ومكوناته وليس مفهومه؛هكذا نحن البشر فضوليون بالفطرة نسعى وراء

معرفة شئئ منعدم؛صحيح ان السعي لاجل المعرفة جميل لكن السعي لاجل معرفة العدم والوهم أجمل حمق؛لكننا في النهاية ننتهي الي قول ان الحب هو كالاسلام دين مقدس وكفى؛هو موجود نحسه ونشعر به كحمم بركانية داخلنا لكن بلوغ مفهومه او ادراك تعريفه محال لانها سراب؛ذاك هو الحب الصادق والحقيقي؛بسيط لكنه معقد.....

كانت تقف امامي وعيناها موجهتان نحو منتصف وجهي كأنهما شضية نووية؛لقد اخترقتني بكلمة دون ان تلمسني او تتحرك من مكانها ثم ابادتني بنظرة كانت لطيفة وسلسة؛كيف لنظرة بريئة ان تبيد؛عيناها امتلأتا صدقا ما كان كافيا لاحداث تسونامي ثانية تحذف اليابان والصين والعاصمة الاقتصادية طوكيو من الوجود لكني كنت الضحية حينها بمجرد شردت لثانية انظر فيهما؛ همست للمرة الثالثة؛

❖❖أسامة انا احبك...

لااراديا ابتسمت؛لااراديا تنهدت؛لااراديا اخذت نفسا عميقا؛لااراديا تقدمت خطوة بقدمين بالكاد يعرفان ان هناك

شيئ سمي جاذبية؛ لا اراديا ضممتها إلي وعانقتها بكل ما كان مخزنا في جسمي من قوة وهمست بلطف؛
«حبيك ايضا».

كيف ستكون حياتي اذا ما صار كل شيء فيها يحدث لا اراديا بفضل تلك الظريقة؛ حقا سيغار مني مصطلح الإثارة وستحقد علي السعادة واصبح من المهددين بالاغتيال؛ لكنني لن ابوح لاحد ان هذين يريدان قتلي واخذ مكاني والا نعت بالمجنون ولن يذنبوا في شيء لو زجوني في سجن للمجانين الميؤوس من شفائهم؛ حتما لن يكون سجننا اجمل وأرقى من سجنها الذي امضيت فيه اشهرا اقتنعت فيهم لا اراديا اني لم اعش قبل ذلك يوما؛ عناق كان كمثل اندماج نووي تراصت فيه كل الجسيمات الصغيرة والدقيقة مكونة جسما واحدا صلبا ومتجدد الطاقة مخلقتا حرارة كبرى؛ كانت قصيرة بالكاد يصل رأسها الى اعلى صدري؛ احسست بانفاسها السلسلة تلج وتخرج من رئتيها؛ شهقة تكاد تشفط الكون بين لحضة واخرى؛ شعرت بكل خفقة لقلبها على حدى؛ حبست انفاسي حتى لا يزعجنا صوت دخول الهواء الى رئتي وخروجه ويمنعني من سماع صوتها الذي يصدر من عمق داخلها؛ صوت

انفاسها؛دقات قلبها؛شهقاتها المنهكة ؛شهيقتها
وزفيرها؛ضحيج افكارها التي اجتمع في منتصف
جمجمتها؛استحييت وانا بذاك القدر من القرب منها؛كانت
اقرب إلي من قلبي؛عانقتها ظاهرا لكن روحها عبرت
مباشرة الى داخلي واقبرت نفسها هناك في منتصفني؛
ابتعد عني جسدها منها ذاك العناق لكن روحها اخترقني
والجتا إلى داخلي ولم تخرج قط؛كانت اقرب الي من
نفسي.....

انحنيت قليلا ثم حملتها كما لو ان اغمائها تملكته وهممت
بالمشي بخطوات بطيئة نحو ذاك الشارع المظلم؛كانت
تنظر الي في استغراب وتعجب؛قلت وانا
ابتسم كالعادة؛

«يمكنك ان تبدئي العد ان شئتني!

قلت تبادلني نفس البسمة؛

«طيب.

ظللت أمشي وانا أنظر إلى عينيها وأبتسم في صمت؛
هناك اشياء متعددة تتسبب للمرء في فقدان الذاكرة
والتوازن وربما الحياة حتى،حادث مرور،رجة قوية على

مستوى رأسه بشيئ ما، سقوطه من مكان عال، صدمة او
خبر لا يتحملة العقل، الاكثار في المخدرات؛ لكن النظر في
عينها الشرود فيهما قد جمع الكل في شيئ واحد
بالنسبة لي؛ باشرت العد؛

«واحد* واحد ونصف* إثنان* إثنان ونص....»

«هذا غش وليس عادلا اهكذا ستعدين حتى
الخمسين؟؟»

ابتسمت ساخرة؛

«اجل وان انزلتني تحت اي ظرف ستخسر الرهان!!»
صدقيني كنت لاطوف بك الكروية ان طلبتي ذلك فلماذا قد
انزلك حينها؛ كانت خفيفة كروحها ثقيلة كعقلها؛ شعرت اني
حضيت بحمل الكون بين يدي في تلك الدقائق
المعدودة؛ لكن ما كان يثير ضجري ويشعرنني ان الحياة لن
تجعلني أحضى بديمومة النظر إلي وجهها الجميل مطلقا
فالدقائق الجميلة كتلك مهما طالت فميصرها الفناء
والزوال؛ ظلت تعد عشوائيا لما يقارب الربع ساعة لكني
انزلتها بعد ان مر وقت كان كافيا لتعد المائة وقد أدركت
خيبتها وهزيمتها الثالثة اذ اكتفت بالابتسام موهمتا

نفسها انها فازت فسايرتها ثم قلت ان علينا العودة الى تلك الساحة حذو البرج لنأكل شيئا ونشترى ماء فلم تمتنع؛قالت؛

«لحظة هل جربت يوما طعم مياه البحر؟»

«لما هذا السؤال وما صفته؛نعم احيانا تتسلل بعض القطرات إلى فمي عند السباحة انها مالحة وثقيلة على الحنجرة تمر عبرها كأنها صمغ يميل الى الصلابة؛لكن أتعلمين شيئا قد يكون لها طعم آخر ان كانت من بين يديك!!

اجبت وقد وضعت يدي في جيبتي وابتسمت؛ظلت تنظر إلي لدقيقة دون ان تنبس وقد قطبت حاجباها ثم ابتسمت وجرت بضعة خطوات نحو المياه التي تتسابق حتى تبلغ الشاطئ وتلكمه في ارتطام شبه صامت ثم تتراجع من حيث جاءت؛غمرت المياه بكلتا يديها ملأتهما ثم عادت مسرعة نحوي وقالت مبتسمة؛

«لك ما اردت؛لكن لا اضمن ان طعمه قد تغير، لن اراهن وانت اياك ان تجادل في الأمر،للمبالغة حدود...»

ابتسمت ثم انحنيت الى يديها المملوئتان بماء البحر تاركا
يديا في مكانهما وشربت كل ما حملته فيهما ثم نظرت
في عينيها وقلت مداعبا؛

«حقا ان طعامه مختلف والا ما كنت ابتلعتة....»

«حقا انك مجنون وحقا هذا ما يعجبني فيك يا مغرور....»

كانت ساحة البرج تعج بالحشود الذين تركوا كل ما كان
يشغلهم وهجروا المقاهي وتجمعوا كخلية نخل تائرة لأجل
حفل صاخب؛ كانت مكبرات الصوت ترج كل المكان وتهزه
حتى تحول الى رقعة واسعة يصدر صوتا كقرع اقدام فيلة
عملاقة على الارض؛ سيطرت الأغاني الاجنبية على
الاجواء اذ كالعادة كانت حفلة لتنشيط السياحة الشاطئية
وجلب السياح؛ اندمجت قريبتها مع الحفل وصارت ترقص
وتتمايل معهم في حين لم نكثر لكل ذاك الضجيج ولم
نعر اهتماما لأي من ذاك الازدحام؛ اخذنا مكانا على احد
الادراج تحت حائط البرج الكبير وجلسنا نكمل ما بدأناه من
أحاديث؛

«طيب أخبريني الآن كيف حالك وما اخبار امك وابوك
والبقية؟؟»

ابتسمت ابتسامة باردة متجمدة كالثلج؛ ابتسامة من ذاك النوع الخانق تراها تبتسم لكن في الحقيقة ذاك كان اختناق بالنسبة لها؛ لقد فتحت في وجهي ذاك الرتاج مجددا؛ رتاج عالمها المظلم؛ كونها اللامتناهي؛ عالمها الذي تختبى فيه تلك الصغيرة المراهقة التي لم يتجاوز عمرها الخامسة عشر؛ كوكبها المعتم الذي تنيره تلك الابتسامات المظلمة؛ كنت على يقين أنني ساتوه فيه مرة أخرى لكني لم افكر قط اندفعت اليها دون أية محاولة صراع؛ على الاغلب لم اندفع جذبتني اليها ببطئ فسايرتها؛ كانت تتحدث وتنظر الي ومن جهتي خشعت مع حديثها ولم ازح عنها نظري ثانية واحدة؛ من قال ان قانون نيوتن للجاذبية كان صحيحا؛ ما كان ليقول ان للارض قوة تسمى جاذبية لو نظر قبل ذلك لثانية في عينيها الحزینتين كانتا تصنعان جاذبية خاصة ومختلفة عن القانون الذي درسناه لسنوات في صف الفيزياء؛ غشاء الدموع على قاب قوس من الولوج خارج مقلتيها ثم خارج جفنيها؛ قالت بلطف وحزن بعد ان تنهدت؛

«حالههم يا صديقي مختلفا تماما عن حال ذاك الحفل؛
حالههم ساكن وصامت من الخارج لكن داخله صاحب اذا

ماقتربت منه كدت تفقد سمعك لشدة الضجيج؛ حمدلله
اني لازلت اسمعك..

«اتدرين منذ اول لقاء ضننت ان كل تلك الابتسامات
والضحكات واجواء المرح التي كنت تخلقينها كانت مصطنعة
وليس فيها من الصدق شئ؛ مجرد قناع مبتسم ترتدينه
كل يوم؛ قناع بارد يظل يخنقك كل يوم منذ الصباح حتى
عودتك الى فراشك ليلا؛ صرت اتأكد كل مرة من ان ضني
في محله؛ لن اجبرك على تأكيد ضني لكن يكفي ان كل
ما احسست به تجاهك ومن اجلك كان صحيحا وصادقا...

قررت تلك اليتيمة التي تختبى وراء فتاة الهندسة المرححة
الخروج ومجالستي ومنحتني شرف التحدث اليها
واهدتني اغلى ما تملك؛ المال والاشياء المادية! كم
امقتهم واكره رائحهم حتى؛ لقد منحتني ثقتها؛ سمحت
لي بحمل ما تبقى من هموم تكدر عليها؛ منحتني شرف
جعل احتوائي لها يكتمل حتى يصل مطلقه؛ شرود تلك
الليلة على السفينة؟ انه يعاد لكن بنكهة اخرى تماما اذ ان
روحها المنهكة والمختنقة هي من تولت الحديث هذه
المرة بينما اكتفت شفتاها بمهمة اخرى؛ كانتا تذييانني
همسا* صدقني لم اتعود ان احكي قصصي لاحد ولم يعرف

احد عن مشاكلي او حتى عن حياتي سواء كانت جيدة او سيئة؛صدقني لا اعرف كيف اقف امامك الان واطلعتك على اسراري وحكياتي؛لا استطيع منع نفسي عن محادثتك؛صرت أتأكد اكثر انك مميز بالنسبة لي وفريد عن كل من عرفتهم في حياتي وكل ما بحت به من قصص تخص حياتي هو اكبر دليل على انك حقا مميز عندي فانا ما جلست مع احد وما تحدثت بطلاقة وارتياح مع احد هكذا من قبل*؛تنهدت ثم شبكت يديها الى بعضهما وقالت بابتسامة باردة؛لقد اتقنت الابتسام وصارت ماهرة فيه حتى في أسوء حالاتها؛لا داعي له حتى فلم يكن في حياتها نهار جيد فكل يوم مثل أخيه الذي سبقه ابتسام بارد وتظليل؛

«اتعلم، لم احضى بمعرفة ماهية الطفولة ولم يتسنى لي ادراك يوم واحد اعيش فيه معنى كلمة مراهقة، حرمت منهما بجيدهما وسيئهما؛صرت ارى الناس من حولي يلهون ويمرحون؛يتمتعون بكل ثانية تمر من حياتهم لكنني كنت في نفس الوقت اشعر اني غريبة عنهم ولست مثلهم؛اني من كوكب آخر غير الارض؛اني لست بشرا؛هذا ما بدأت اشعر به منذ زمن حتى اليوم؛منذ ان بدأت افهم

وأعني ما حولي وصرت على يقين بماهية الحياة وان هناك اشخاص يواجهون مسؤوليات تفوق طاقتهم وقدرتهم على التحمل ادركت في نفس ذاك الوقت اني مصنفة ضمن تلك الفئة المحرومة والمسكينة؛ مسكينة للحد الذي يجعلك تشعر بالقهر وانت تسال نفسك لماذا؟؟؟ فيما اذنت انا ومالحرام الذي فعلته لاتلقى رصاصات صدءة وملوثة بالكره والظلم من إنسان كان من المفترض ان يجعلني انسى ان الله خلق شيئا سماه خوف وخلق وحشا سماه ظلم وخلق مسخا سماه كره وحقدا!!؛ محرومة من ابسط حقوقها التي لا تشتري من المغازات ولا من الصيدلية ولا حتى من المكاتب؛ محرومة من اشياء تعطى هكذا مجانا بلا اي ثمن؛ اشياء غنية عن التشيئة رخيصة في ظاهرها لا قيمة لها أما ان منحتها لاحدهم فهي اعظم كنز قد تهديه يوما في حياتك؛ لا تعجب مما اقوله يا صديقي لكن حقا تحملت ما كان كافيا لاسقاطي أرضا لكني ظللت على طوللي بعون وفضل من الله تعالى فلو كان عقلي وتفكيري يميل الى طريقة تفكير صديقاتي الاخريات او اختي مثلا لما كنت هنا اجلس اليك واحداث عن شئ؛ لما عرفتني اصلا في حياتك؛ لكني لطالما علمت ان الله قريب لا يضيع

حق احد هذا ما كان ييقيني صامدة؛ كان فضل الله علي كبير كبر الكون ثم فضل اختي الصغيرة التي كانت في كل مرة تبتسم فيها وانا اداعبها تجعل إيماني بان للحياة وجه جميل يزيد اضعافا رغم اني في اعماقي اوقن ان الحياة كانت جميلة صحيح لكنها صارت بائسة وحمقاء مع الوقت والبائس اذا ما تحول الى بائس بعد ان كان جميلا فلا اذن انه سيعود الى جماله يوما؛ هي هكذا وستظل هكذا الى يوم تقوم الساعة فالبعض يساير بئسها ويصبر على ابتلاء الله والبعض يصير بائسا مثلها ويعمل ما قدر عليه من افعال بائسة حتى تصير الحياة بذلك اكثر بئسا؛ هكذا نحن البشر صنفان؛ صنف يعلم بوجود الله ويؤمن به ويخشاه والآخر يعلم بوجود الله ويعصيه ويتحداه.....

كأنما غشاء الدموع الذي يغطي مقلتيها انتسخ بطريقة ما إلي وصار يثير ضبابا امام عيني ويحجب عني رؤيتها بوضوح؛ كانت قليلة الكلام؛ بالكاد اسمع حسيها او ضحكها؛ لكن في تلك الجلسة تحدثت كما لو انها تحدث نفسها؛ كنت اکتفي بالصمت والبهلقة ولم استطع ان انبس بحرف واحد؛ ما كانت الحروف والكلمات لتصف لوحة *انغام طبريا* التي شاهدتها في عينيها المملوئتان

بالدموع؛ اخرست نفسي وخشعت مع صوتها الرقيق ذاك؛
انقطعت عن الوجود فحتى تلك الصرخات والهتافات
والاغاني الصاخبة هربت ولم تجد في اذني مكانا لها؛
صوتها كان يهز كل جسمي رغم انها كانت بالكاد تتكلم
؛ كانت تهمس؛ واي همس كان قادرا على الغاء ضجيج
مكبرات الصوت تلك؛ صوتها اخرس كل شئ من حولي؛
كانت دفعة بسيطة مني وغير مخطط لها او متعمدة
جعلتها تجد في ما كان يكفي لتنقص عن نفسها ذاك
الثقل وذاك الكم الهائل من الاوجاع التي ستفجر جسمها
يوما ما لكثرتها؛ لقد تأكدت حينها ان كل ما رأيته من سعادة
فيها كان مجرد قناع وهمي لكني اردت ان احاول علي
احضى بشرف نزعها وجعلها تضحك دون ان تحتاج
للاستعانة بذاك البلاستيكي الخانق؛

«لا تعيري اهتماما لما يصدره هؤلاء البلهاء فانا لا اعرف
حتى ماذا يغنون او ماهية تلك النغمات، صدقيني انا لا
اسمع شيئا الآن غير صوتك انت؛ صوتك له سنفونيته
الخاصة؛ شئ لم اسمعه من قبل اكملني!!!

ابتسمت واحنت رأسها خجلا كعادتها ثم رفعتة الي
واكملت؛ اكملت نزع ذاك القناع؛ لقد سمحت لي بالولوج

عبره؛ فتحت لي باب ذاك العالم مجددا لكنه كان عالما
مختلفا عن العالم الذي زرته على تلك السفينة؛ عالم بدى
لي مؤلوفاً؛ كانت فلسطين ثانية بداخلها؛

منذ صغري كانت الحياة تبدو جميلة ورائعة أحببت
العيش فيها لكن عندما كبرت ووصلت سن المراهقة تغير
كل شئ امامي بلمح البصر؛ تغيرت وجهة نظري للحياة؛
تغير اسلوب عيشي؛ تغيرت افكاري؛ تغيرت حياتي بأكملها
اذ وجدت نفسي اتحمل مسؤوليات أكبر من عمري؛ كما لو
أنها اعباء عجز في الخمسين من عمرها مات زوجها وترك
لها خمس بناة دون اي ذكر يعينها؛ تلك كانت حالتي لم
اشعر قط اني انسانية تتنفس مثل من حولي؛ لم اشعر يوما
اني بشر او اني انتمي الى هذا الكوكب البائس؛ لم اشعر
يوما بشئ مما يشعر به الناس من حولي؛ كما لو اني
عنصر ماص؛ كما لو اني صفر في ترتيب الاعداد الرياضية
يمتص اكبر الارقام لكن لا يتغير في حجمه شئ؛ صرت
امتص الابتسام والضحكات اثر خروجها من افواه الآخرين
لكني لم اكن افعل بها شئاً غير اني ازين بها ملامحي
واترك داخلي لله فهو الاعلم به من اي احد حتى
مني؛ الابتسام حق، نعمة، مكتسب، ثمرة، دليل على فرح

الانسان، لا تشتري ولا تباع؛ هي فقط تخلق مع الانسان
مجانا، انا ايضا خلقت معي ابتسامة لكنهم افتكوها مني
بالقوة او ربما اضعتها مني في زحام هذه الحياة او ربما
سرقوها، الموهم اني صرت امتص الابتسامات من الاخرين
وانسخ عن ضحكاتهم ابتسامات مزيفة حتى لا يرى العالم
ضعفي وقلة حيلتي؛ كنت اسايرهم وهم يضحكون وضحك
بتوهم وهم يبكون؛ كنت ابتسم بابتساماتهم اما
ابتسامتي فقد فقدتها منذ زمن.....

لم يعد هناك شئ في كل جسمي على قيد الحياة غير
عيني واذني اللذان صارا عبيدين لصوتها؛ وضعت كلتا يدي
في جيبتي وهويت مستسلما في تلك الفلسطين
الصغيرة؛ تلك الابتسامة المزيفة التي تزين ملامحها ليست
لها بل هي مجرد انعكاس لابتسامات الاخرين ونسخة
عنها؛ تلك الابتسامة التي كانت سبب في شرودي حتى
فقدت نفسي داخلها ليست لها فماذا لو عرفتها قبل ان
تفقد ابتسامتها الحقيقية؛ ماذا لو استرجعت ابتسامتها
التي اضاعتها في اي لحظة؛ حتما لن تتراجع خطوة واحدة
على قتلي؛ لن تشفق علي مطلقا فالامر سيتم على غير
إرادة منها؛ بل عالاغلب سانسبب لها بشئ يجعلها

تبتسم بصدق ونفس ذاك الشيء سيكون السلاح الذي
سانهني به حياتي لكنني ما عدت أفكر في شيء حينها
فقد امتلكتني بكل قوتها؛ ماذا ان مت برصاصة ابتسامه
صادقة منها؛ ماذا ان قتلتنني بابتسامتها؛ سيكون موتي
على يدها استشهادا بلا اي شك؛ حقا اردت ان أصبح
شهيدا بفضلها؛ واي استشهاد ذاك الذي يكون في سبيل
ملاك؛ وصلت تلك القطرات التي تصارع للخروج حد رموشها
وظلت عالقة تتأرجح هناك منتظرة كلمة اخرى؛ كلمة تخرج
من قلبها الفلسطيني؛ كانت على قاب قوس من التبعر
لكنها ظلت تصارعها واكملت؛ تنهدت؛ شهقت بلطف؛ نظرت
إلي؛ لقد خنقني تناقضها؛ عيناها تبكيان بابتسام
خافت؛ شفقتها تنحبان مبتسمتين؛ اما قلبها يا
صديقي؛ قلبها كان غنيا على ان يوصف بكلمات فاعذرني
سيكون احتقارا مني ان اکتفیت ببعض الكلمات
لوصفه؛ قلبها كان وكفی؛

«كنت مجبرة على تحمل مسؤولية نفسي في وقت
مبكر جدا على تحمل المسؤولية؛ لم اكن اعرف حتى ما
تعنيه الكلمة لكنني طبقتها دون ان اعرف معناها؛ كنت
اتلقى الضرب كلما رفضت العمل في أحد متاجر المدينة

كنت اتلقى الشتائم والاحتقار في البيت؛ كنت مجبرة على العمل في مجالات تفوق قدراني وطاقتي؛ تصور لقد عملت في اعمال البناء؛ كنت مجبرة على العمل حتى أوفر المال لاجل اوراق ترسيمي بالجامعة؛ حتى اشترى ملابس للدراسة؛ حتى اوفر مصروف جيبي؛ كنت اشتغل في كل العطل حتى اوفر المال لادرس؛ كنت اعمل في كل عطلة؛ اشتغلت حتى في شهر رمضان وانا صائمة؛ كان مشغلي من اغنياء المدينة؛ كان حقيرا ووضيعا؛ كان ملحدا وبائسا لدرجة انه لا يعرف للصيام شيئا ولا للصلاة معنى؛ كنت اراه مسخا لأن الوقاحة وصلت به الى الافطار في رمضان المبارك؛ اتدرك معنى ان تتحمل الشتم من مسخ يفطر رمضان دون ان تجد القدرة لمناقشته حتى لا يطردك من العمل فقط لانك بحاجة الى المال لكن حين تتذكر ان والديك على قيد الحياة وأنهما بصحة جيدة وفي حال لا بأس به؛ حين تتذكر وانت فتاة تعمل صائمة في شهر رمضان تتلقى الشتائم من مسخ لاجل بضع عملات؛ ان والديك يملكان مالا كافيا لتوفير حاجيات كل البيت ويبقى في النهاية بعض من ذاك المال؛ حينها يا صديقي ستدرك

ان "الحياة جميلة هي مجرد لغز لا حل له؛ هي مجرد كذبة لا تختلف عن وعود رؤساء الدول لشعبهم"....

سكتت لوهلة ثم شهقة وتنهيدة اخرى لم يشعر بها احد ممن كانوا حولنا لكنها هزت كل جسمي وطرحت روحي امامها؛ فصلت روحي عن جسدي وألقت بها في غير وعي ولا رشد؛ ابادتني بكلمة؛ قتلتني بابتسامة رغم انها مزيفة؛ وهاهي الان تقضي على ما بقي يتنفس من روحي يتنهيدة؛ بمحظ نفس يخرج من بين شفيتها؛ تلك الفتاة خربت جسمي دون ان تلمس منه شيئا؛ اخرست نفسي؛ بل نفسي هي التي اخرستني وحذفت كل حروفي؛

«ابي؟؟ كان الوحيد الذي تسبب لي في حزني هذا؛ كل ما تراه في الآن هو نتاج لما قام به ابي معي؛ اصلا مالذي قام به ليته فعل شئ من اجلي فكل ما عرفته انه يفعل اشياء لي لا من اجلي؛ الشخص الذي من المفترض ان يجعلني أمل من الضحك والابتسام وابتحث عن قليل من الضجر حتى أغير به روتين السعادة كان سببا في حزني او بالاحرى قهري هذا؛ لقد حرمني من كل شئ قد تتمناه فتاة مهما كبرت في السن يضل خاطرها صغيرا؛ حرمني من الحب ولم يشعرني قط انه يحبني او يحمل في قلبه

ذاك قليلا منه تجاهي لكني كنت دائما احاول اقناع نفسي انه مثل كل الآباء صعب الطبع لكن عبثا بافكاري لم يكن لصعوبة الطبع دخل في القصة فهو لم يحبني يوما؛ هكذا هو أبي اناني لا يهتم الا لأمر نفسه؛ حرمني من الاهتمام؛ اكان لينفق مالا لو اهتم بي حتى يبضع كلمات؛ الاهتمام مجاني ومتاح للجميع لكنه لم يكن متاحا لي رغم مجانيته؛ لطالما احسست انه يفعل كل ذلك عن قصد لكن لماذا؟ اي سبب يجعله يتجاهل ابنته؛ اي سبب يجعله يكره ابنته؛ كنت متفوقة في الدراسة؛ اي سبب يجعله يغفل عن السؤال عني؟ اي سبب؟؟ كانت امنيات صديقاتي ان تكون لهن حياة يعيشونها في رفاهية؛ كانوا يتمنون ان ينجحوا في الدراسة ثم يجوبوا العالم للتسلية لكني في نفس الوقت كنت اتمنى ان يبدي لي أبي بعض الحب والاهتمام؛ تلك كانت امنيتي الاولى لكن الآن فقدت الامل في ان تتحقق تلك الامنية يوما؛ قليلة هي المرات التي نجلس ونتحدث فيها كأب وابنته؛ لم يكن يسأل عني مطلقا؛ لم اسمعه يوما يطرح تلك الاسئلة التي اشتهر بها الآباء تجاه اولادهم* أين أنت* أين كنت* أين ذهبت* مع من كنت* لماذا ذهبت* لماذا تأخرت* لا تذهبي* هل لديك

نقود*هل انت بخير*اين انت ذاهبة حتى اوصلك*اين انت انتظري ساتي لاخذك*؛اتعرف لطالما تمنيت ان اسمعه يسألني هاته الاسئلة؛لكنه لم يفعل حتى الان؛كنت اتأخر في العودة الى البيت احيانا مثل الليلة او حتى في وقت دراستي كنت اصل البيت في وقت متأخر لكنه لا يتصل ولا يسألني حتى أين كنت او لماذا تأخرت؛تمنيت لو يسألني وهو يصرخ في وجهي لن ارفع رأسي حتى لكنه لم يفعل يوما؛كنت كلما طلبت منه مالا لاجل دراستي يقول انه لا يملك مالا وانه حتى ان كان يملك لن يعطيني وانه يجب علي ان اتحمل مسؤوليتي واعمل لاحصل على المال؛كان يقول اني عبئ عليه او اني مشكلة حصلت له وصارت تخنقه؛كانت فكرة انه يكرهني تلج الى عقلي فاطردها بتعلة ان الأب مهما كان قاسيا وصعبا فهو لن يكره ابنه او ابنته فالطبع القاسي لا يستدعي كرها بالضرورة فاغلب الاباء شديداو الطبع لكنهم لا يحبون لابنائهم نزلة البرد حتى لو كانت خفيفة؛لكن تلك الفكرة استوطنت عقلي مع الوقت وصارت امام وجهي في كل لحظة بعد ان وصل به الامر الى طردي من المنزل ليلا؛ كنت احيانا اناقشه في بعض الامور حتى ينتهي بي الامر ملقات خارج المنزل

يائستا يائسة ؛انتظر قليلا لعله يخرج ويقول لي ادخلي
فقد خرجت عن وعيي بسبب الغضب لكن لا احد يخرج
لادخالي و جبر خاطري؛ لا احد يخرج لمواساتي لازل طول
الليل ملقات في الشارع الموحش حتى انه لا يكلف نفسه
حتى مهاتفتي حتى يطمئن ان كنت بخير! ان كنت
أكلت! ان كنت نمت دافئة او لم انم! ان كان اعتدى علي
احد الحمقى الذين يجعلون الليل ردائم اللعين ليفعلو ما
يحلوا لهم بالضعفاء امثالي كنت لا اسال نفسي الا سؤالا
واحدا*هل حقا دخل أبي الى غرفة نومه ووضع رأسه على
الوسادة ونام مرتاح البال وابنته مشردة في الشارع
ليلا؟؟؟؛ كان كلما نقاشته في شئ مهمما كان بسيطا كان
يشتمني ويوبخني ويرشقني بكلمات استحيي ان اعيدها
حتى على نفسي؛ فأما امي لا الومها على شئ فهي
من جهتها كانت تعاني انانيته ووحشيته؛ انسحب من كل
الصورة وترك لها مسؤولية العائلة ومصاريفهم على عاتقها
وحدها؛ كانت تعينني احيانا ويكثر عليها ضغط الحياة احيانا
اخرى فتعاتبني على ابسط الاشياء وتريني نفس الوجه
الذي كان يرينيه ابي طول الوقت؛ لكنها كانت احن وارث
منه؛ تصور كيف لاب ان يفعل كل هذا مع بناته! تصور كيف

لأب ان يقف امام ابنته وينعتها بالعاهرة!تصور كيف لأب ان يحرم بناته من حنانه وعطفه واهتمامه!تصور كيف لأب ان يطرد ابنته في منتصف الليل من البيت ويمنعها من الدخول ويتركها لليل وظلامه يقلبانها كما يحلو لهما!تصور كيف.....

سكتت فجأة فزاد انتباهي لذاك السكون المفاجئ؛كان كما لو انه هدوء ما قبل العاصفة لكن اي عاصفة قد تهب الآن وفي فصل الصيف؛اي عاصفة قد تهب في ذاك الطقس الحار والدافئ؛كانت عاصفة دموعها اللؤلئية التي كانت تصارع للبقاء ساكنة مذ اول لقاء جمعني بها؛كانت عاصفة ذاك الغشاء الذي كان يزين مقلتيها منذ اول مقابلة؛قنبلة نووية انفجرت على بعد مليمترات عني احدثتها بضع قطرات شفاقة كاللؤلؤ؛كالاماس كانت تلمع دون الحاجة الى ضوء يبهرها؛بكت تلك الصامدة وذرفت اول قطرات دموع منذ زمن؛من الصعب ان يبكي احدهم وهو يخاطبك لكن الامر سيكون اسهل من الابتسام اذا ما كان موضوع الجلسة أب عاق لاولاده فالعقوق ليست بالاساس صفته خاصة بالبنين انما اهمال الاولاد هو في حد ذاته عقوق لله؛قالت وهي تنظر الي بدمع عذب نزل على وجنتيها؛

«اتعلم اشعر اني اصبحت ابادله نفس شعور الكره ذاك؛
صدقني؛ يتملكني شعور حياء احيانا وانا اقول*ابي*صرت
استحيي وانا اناديه بذاك الاسم فهو لا يستحقه صدقني
هو.....

شهقت اخرى تهزني وتطرحني ارضا؛لقد تعبت حقا من
ظرباتها التي ظلت توجهها الي دون ان تدرك ذلك؛تلك
الشهقات كانت مثل هزات ارضية تحدث في جسمي لكن
ما بالبيد حيلة فهي تكملني الآن؛لطالما قلت انها تكملني
في حين انها من كان بحاجة لمن يكملها ويغطي تلك
الفجوة الواسعة التي احدثها ابوها في منتصف قلبها؛قالت
وهي تبتسم والدموع تتسابق من التي ستقبل شفيتها
اولا؛

«هو لا يستحق ان اناديه أبي حتى؛ احيانا اشعر اني
اكرهه؛اتعرف مالا امر الذي يجعلك تكاد تفقد صوابك؟ يجعلك
تكره حتى ان تفكر في امره حتى؟أبي إمام في
المسجد؛إمام يخطب الناس يوم الجمعة ويصلي بهم ؛ أبي
يحمل على عاتقه صلاة مئات المصلين لكنه لم يستطع
حمل مسؤولية بناته يوما!أليس هذا ما يسمونه النفاق
الذي يثير الاشمئزاز؛تعبت يا صديقي؛ تعبت...

كانت لا تزال تبتسم؛ تهت ولم ادرك ماذا سافعل اما تلك النظرات؛ اما عينيها الامبرياليتين؛ شفيتها؛ ابتسامتهما الوهمية؛ كانت محطمة بالكامل؛ كانت منهكة ومدمرة؛ فلسطيني كان حالها؛ لقد بعثرتني بنظرة؛ لملمت نفسي واحتويت حروفي، جمعت ما بقي في عقلي من كلمات تنفست ببطئ؛ ماذا ساقول يالله عجزت حتى عن تركيب جملة بسيطة؛ عجزت عن التنفس حتى وقد استحييت ان احدث صوتا يزعج تلك السنفوية التي تعزفها دموعها في سقوطها على وجنتيها؛ كانت معزوفة حزينة لكنها تظل معزوفة في النهاية؛ لا اراديا رفعت يدي وقد تملكتهما رعشة جعلتهما يرقصان في الهواء؛ مسحت خديها وتحت عينيها بلطف وسلاسة وانا اقول وقد حافظت على تلك الابتسامة التي صارت باردة ومزيفة هي الاخرى؛

«صدقيني لن تنفع الكلمات في شئ الآن لكن دعي إيمانك بالله قويا ولا تيأسي من شئ لا أعرف ان كان كلامي سيدخل في قلبك بعض الطمأنينة لكن اعدك والله معيني على هذا الوعد انه سيتغير يوما ما وسيعوض لكم ما حرمت منه طيلة هذه المدة لا تقولي انك كبرت وانتهى

الامر فالحب والاهتمام ليس لهما عمر فقط اجعلي ايمانك
بالله يبقى قويا كصمودك هذا.....

كان اخر شئى تصويرته واخر فكرة قد زارت مخيلتي بل هي
لم تزرها يوما انما راودنني حينها في تلك الثواني؛ ان ذاك
الصمود وتلك القوة قد تتزعزع يوما وتهوي الى الارض
مطرحة؛ لكنها سرعان مااستعادت قواها واوقف تلك الدموع
بابتسامة ظريفة وقالت؛

«اتعلم شيئا يا صديقي؛لقد عشت كل شئى في فترة
مراهقتي؛كل شئى الا المراهقة لم اعشها.....
بطلاقة؛بارتياح؛تحدثت عن حزنها وقهرها وهي تبتسم واي
ابتسامة تلك التي ارتسمت على شفثيها الرقيقتين؛اي
ابتسامة تلك التي تجعلك تهوي وتهوه في اللاشيئ
بمجرد ان تمعن النظر فيها لثوان؛اي ابتسامة تلك التي
تشعرك برجفة وقشعريرة لشدة برودتها؛كانت صامدة للحد
الذي كان كافيا لأن حدثتني عما يوغر قلبها ويجعله ينزف
وهي تبتسم؛ينزف دون ان يجد أحدا يجعل دمائه تكف او
تتوقف؛بالكاد كانت شرارينها تحتوي دما فقد نذفت اغلبه
ولم يبقى فيه سوى بضع قطيرات كانوا يبقونها على قيد
الحياة طول تلك المدة لكن اضن انها استهلك ما بقي معها

من تلك القطرات في قول كلمة احبك ونحن على الشاطئ
منذ ربع ساعة؛ اطلعتني عن اشياء تبكي الحجارة الصماء
بل وتفتتها وهي تبتم؛ اي صمود كان ذاك بالنسبة لفتاة
في عمرها؛ كان صمودها سوريا؛ اجتمع حزن فلسطين
بسكانها ومدنها المحتلة وكونوا مخيمات في قلبها؛ لم يكن
حزنا بسبب احتلال او ظلم بل كان سببه اعظم من
ذلك؛ اي حزن هو ذاك الذي يستعبد الانسان ويجعله
يبتم رغما عنه؛ اي حزن هو ذاك الذي يجعل الانسان
يغدو مجرد لاجئ في جسده؛ اي حزن هو ذاك الذي
يجعلك تنفق جزءا كبيرا من مالك حتى ترسم ابتسامة
على شفئك تزين بها ملامح وجهك؛ اي حزن هو ذاك الذي
يجعلك تجالس شخصا تحدثه مازحا مداعبا تبادل الضحكات
حتى تقنعه انك اسعد منه بكثير في حين ان الغاما تنفجر
داخلك دفعة واحدة مخلفة حطاما ورمادا اسود كذاك الذي
يزين غزة وضافها؛ القهر، الحرمان هما أرقى انواع الحزن
واجودهم؛ هما دين لا دين له؛ هما مسيحيان دجالان
كافران؛ هما شيطانان اخرسان لكن الجميع يفهمهم دون
أية حركات؛ الحرمان من نعمة الاهتمام والحب هو اعظم
حزن يمكنك ان تزرعه في قلب شخص يقربك، شخص مهما

فعلت له من سوء ومهما حاولت تدميره فلا تجده في النهاية الا يدفع باب بيتك ويدخل لبيت عندك؛ اصلا اين سيذهب فليس لديه مكان اخر غير بيتك؛ انها ابنتك الصغيرة التي كنت تقبلها وتحملها بين يديك ريثما تعود من عملك؛ تظل تهزها بين يديك بلطف وهي تنظر اليك، تنظر الى أبيها؛ بطلها الخارق؛ كانت تراك إلهها وهي صغيرة لا تعرف حتى النطق؛ ناصرها وحاميتها من الوحوش والاشرار؛ ابنتك كبرت يا أبي وصارت فتاة يافعة ونشيطة؛ مسؤولة ومرحة لكنها مباداة من الداخل؛ مفتتة؛ اشلاء على الارض الباردة؛ ذاك القلب الذي كان ينبض براءة ولطفا وحباً صار اليوم ينزف دمه؛ صار كمثل اسد كان له من القوة ما جعل كل الحيوانات تترك مسافة كيلومترات بينها وبينه؛ امتنع عن الاكل اسبوعا واحدة فصارت كل الحيوانات تبيت تحت شجرته التي لم يكن يجراً احد على قربها او المرور حذاها؛ ابنتك يا ابي؛ صارت امرأة مسؤولة وطموحة لكن طموحها الاكبر هو ان تراك تحضنها وتقول لها كيف حالك وماذا ينقصك حتى اعطيك؛ ينقصها الحب يا أبي؛ ينقصها الاهتمام؛ ينقصها الامان؛ صورة ذاك البطل الخارق الذي كانت تراه فيك كانت تزينها على

طريقتها البريئة والطفولية لكن تلك الصورة يا أبي صارت
اليوم مجرد لوحة زيتية لفتاة تبكي وقد غرس في قلبها
سهم صدئ مسمم بسم رفيع وباهض الثمن؛ سم القهر
والحرمان؛

من قال ان اليتيم هو فاقد الأب او الأم او كليها؛ من قال ان
اليتيم هو من مات والداه؛ صدقا لقد كانت يتيمة باستثناء؛
يتمها كان فريدا ووالديها حيان يرزقان.....

انتهى بنا الحال ان اخذنا طريقنا عائدين الى البيت؛ اخذنا
طريقا طويلا يؤدي الى بيتها بدلا من اختصاره اذ كان علينا
اكمال ما بدانا به؛ قصة الحب بين قريبتها وهاتفها لا تنتهي
ابدا اذ كانت معزولة عن العالم تماما بالكاد تسمع كلمة او
ابتسامة منها بين حين واخر؛ باشرنا المشى نعد خطوات
افترقنا؛ الوقت، كم صرت اكرهه؛ كان يمر كما لو ان احد يدير
عجلته بكل ما اوتي من قوة؛ ادلفت؛

xx صدقني عندي من المشاكل ما يكفي العالم بأسره وانا
خشى ان اكون سببا في تعكير حياتك الهدئة!!
ابتسمت ببرود وقلت بعد ان امسك يدها بلطف؛

xxصدقيني ساكون العالم باسره الذي سيحمل كل
مشاكلك وان كان هناك اضافة لن آبه؛ بالعكس انت مخطئة
فيما تضمنين فحياتي صارت هادئة وظريفة منذ ان عرفتك...
xxاظراباتي كثيرة وقلبي منهك للغاية اصلا فقدت الامل
منذ زمن في اني استطيع اعادته للحياة؛ لقد قتله اقرب
الناس الي ودفنه اقرب اصدقائي ولم يرأف بحالي احد
لماذا لا ننقذ صداقتنا لاني لا اريد ان اخسر؛ انت بالذات...
xxكفاكي حماقة لن تخسريني اتعتقدين انه بمجرد خوفك
من هذه العلاقة فإنه يجب علينا التراجع والاستسلام فقط
لاجل انك خائفة! انا لن اتركك حتى ان طلب مني
ذلك؛ حتى ان تطلب مني الامر ان اتخلى عن مبادئني
ووجهات نظري حتى ان تطلب مني الامر ان اغير من
شخصيتي ونفسي واصير مثلك؛ اعدك اني لن اتركك
لوحدهك؛ اتعتقدين ان ابتعادك بمجرد خوفك من نفسك
سيحل مشكلا؛ مخطئة سيخلق مئات المشكلات ولن
يحل شيئا وأول مشكلة سيفعلها انه سيخلق فجوة
عميقة بيننا لا تعلمين كم يمكن ان يستمر بها الحال حتى
تنغلق وتعود الى حالها السابق؛ دعينا نختصر الامر ببساطة
انا لن اتركك حتى ان جعلت حياتي جحيما....

توقفت فجأة وتجمدت في مكانها تنظر الي بعينين مازالت
دموعهما لم تجفا بعد؛ كانت دموعها تصرخ من داخل
مقلتيها بصمت وتقول*انا قبله موقوته اخشى ان انفجر
يوما فان لم تكن الى جانبي قد تبقى على قيد الحياة ولن
اخسرك لكن ان انفجرت وانت ماسك يدي فلن يبقى منك
الا رائحتك العطرة*؛ كانت منهكة اغرق الاعياء كل جزء من
جسمها النحيف؛ كانت بالكاد تقف على قدميها؛ عيناها
المحاطتان بهالة بنية تكاد تغطي باقي وجهها؛ يداها
النحيفتين كانتا بالكاد تحملان هاتفيها؛ تقدمت نحوي
وحاولت ادراك قامتي؛ كانت بالكاد تصل الى صدري؛ نظرت
في منتصف عيني بابتسامة فيها من الصدق ما كان كافيا
لجعلني اتجمد في مكاني دون ان انبس بحرف؛ كانت
صادقة وهي تقولها كصدق رجل عجوز يصلي ويطلب
الرحمة والمغفرة من ربه؛ كان لها من الصدق ما تعلمته
لسنوات من نظرات أمي وهي تخاطبني؛ كانت صادقة
كأمي؛ قالت بهمس خافت؛

xx|عدك!!

.....xx

«اعدك اني لن اترك يدك التي مددتها لي منذ وقت مهما
كان السبب ومهما كانت الظروف التي سترغمني على
فعل ذلك!!

«اعدك انني ساكون معك في الحزن والفرح؛ في الجيد
والسيئ؛ في الكئابة والسعادة؛ لن اتركك مهما قست
الحياة علي اصلا لن آبه لها معك بعد الآن!!

.....»»

«اعدك اني ساكون إلى جانبك بمشاكلي مهما كثرت
سنتقاسمها ونحلها؛ بحربي وسلمي؛ وكل تناقضاتي
واضطراباتي سأكون ماسكة يدك؛ لن اتخلي عنك تحت اي
ظرف اعدك، اثق بك واعرف انك ستحاول احياء قلبي من
جديد وساعينك بكل ما أوتيت من قوة، اعدك...

كنت قد حنط في وقفني تلك وتجمدت لبرهة؛ اغرقتني مرة
اخرى وهي لم تحرك ساكنا قط؛ اغرقتني بصدق رأيته في
عينها؛ كان كافيا لاغراق تيتانيك ثانية؛ اغراقها ببضع
قطيرات من الدموع؛ هذا جنون؛

.....»»

«الن تقول شيئا؟؟»

افاقني سؤالها ذاك من شرودي في عينيها بلطف؛تنفس
ببطئ وقلت؛

xxبلى!!

انحنيت اليها بابتسامة على شفتي وهمست في اذنها
التي وقف خمارها التاجي حاجزا بينها وبين فمي؛
xxاحبك انا...

كان خجلها يتغلب على صمودها وقوتها في كل مرة؛تلك
التي كانت تشع وتنيرها؛احنت رأسها وقد تحول بياض
وجنتيها الى حمرة خفيفة صاحبته ابتسامة لكنها كانت
صادقة على غير ما رأته سابقا؛لقد استعادت جزئيا
ابتسامتها التي فقدتها منذ زمن واي ابتسامة تلك؛كانت
الهدية الثالثة التي قدتها لي لكنها كانت اثنهم؛لو كان
لي ثروة لانفقتها كلها لاجل ان اشاهد تلك الابتسامة كل
ثانية او لكنت جعلتها لا تفارق شفتيها الصغيرتين؛لو كان
لي القوة لسلبت البشر ابتساماتهم ومعهم ابتسامتي
ولجعلتهم كلهم مؤونة لها فكلما انتهت واحدة وجدت
الاخرى تنتظر شرف ان ترتسم على شفتيها؛كانت تلك
اخر كلمة حسمت لقائنا ذاك وانتهت؛ذهب كل واحد منا

في جهته في احد مفترقات طرق المدينة؛الوقت!!لو كان
بشرا لاجهزت عليه دون أية ثانية تفكير!!لو كان بشرا لصرت
مجرما بسببه!!تبا للسجن فهو لن يكون خانقا كتلك
اللحضة التي ذهب فيها كل واحد منا في طريقه! لقد
سلبتني روعي ولم تكتفي بذلك؛اخذت قلبي بل الاصح
اقتلعته من مكانه وتركت جسدي خاويا كالارض
القاحلة؛كصحراء افريقيا لم تترك لي شيئا اعيش به غير
امل لقائها المرة القادمة؛ان كتبت اني احببتها الان فهذا
سيقلل من شأن ما اشعر به تجاهها في داخلي لكني
حقا احببتها بكل ما اعطاني الله من قوة؛أحببتها ذاك الحب
الذي لا تعريف ولا مفهوم له؛احببتها دون اي سبب
؛احببتها دون ان انظر الى جمالها الظاهري؛اصلا لم
استطع النظر اليه فقد كان جمال روحها وعقلها وقلبها
الفاتن يبهرانني بنورهما؛حمدلله اني لم افقد بصري؛
احببتها ذاك الحب الذي لا تعبر عنه مجرد كلمات تكتب
بقلم جاف او مجرد صورة او لوحة فنية ترسم بالالوان؛
احببتها حبا كالماء لا لون ولا رائحة ولا طعم له فقط هو
كالماء يكفيني انه نقي وطاهر والموهم انه عذب رغم ان
لا طعم له؛احببتها ذاك الحب الذي يشبه ماء زمزم؛كان

حبي لها كروحها نقيان طاهران كماء زمزم؛ كانت جميلة للغاية وقد كان جمالها ينبع من الداخل وما جمال وجهها ومظهرها الا انعكاس لما هي عليه روحها الداخلية؛ كانت جميلة للحد الذي لا نهاية لوصفه؛ كانت جميلة للحد الذي اشعر فيه بخزي واستحياء من أصابعي وانا اكتب بها هذه الاحرف والكلمات المتواضعة حتى اصف جمالها الملائكي؛ اي جمال ملائكي قد يوصف ببضع كلمات او حتى بألف رواية؛ جميلة للحد الذي يجعلني اشعر احيانا اني حقير فهاته الكلمات تقول لي انك تقلل من شأنها ومن جمالها؛ وجهها ساحر؛ عيناها مبيدتان؛ شفاتها تنسجان ابتسامة تجعل روحك تحتضر دون موت اما روحها فكانت اجمل من كل هذا؛ قلبها كان امتزاجا لجمال المدينة المنورة والمسجد الاقصى؛ عقلها كان قاموسا متنوعا اجتمعت فيه الحضارات وتنوعت حتى امتزجت واندمجت وكونت حضارة خاصة بها؛ عقلها كان شيئا من الخيال العلمي؛ من قال ان الاساطير غير موجودة في الحقيقة؟؟ من قال ان الاساطير هي مجرد خرافات واوهام لا اكثر؟؟ احمق ذاك الذي اعتقد ان الاساطير هي من نسج الخيال فقد كانت اسطورية في جمال عقلها وروحها؛ احببت اسطورة وكسب ثقتها

وكان لي شرفت ان أكون اول من تحب وتعشق؛ أليس هذا انجازا.....

احيانا تكون لنا القدرة على القيام باشياء بسيطة في ظاهرها لكن جوهرها لا يشتري بثمن لانه باهض جدا حتى ان امتلكت كل كنوز الدنيا فالاهتمام والحب شيان لن تستطيع المتاجرة بهما مهما امتلك من قوة لانهما لا يصنعان الا في القلب؛ لا تستطيع ان تقنع احدا ان يحبك او يهتم بك لكن جوهر القصة ان يمد لك يده من تلقاء نفسه ويقول أنه الى جانبك مخطئا كنت او مصيبا؛ لن تستطيع حينها مهما حاولت ان تصف ما ولج الى داخلك من فرحة وسعادة فكلما تعمقت في الوصف كان ما بداخلك اعظم مما تظن ويبدأ بذاك صراعك مع ذاتك ومع نفسك محاولا ان تصل الى أبعد نقطة تستطيع ان تدركها في الوصف؛ احيانا تضغط على نفسك الضعيفة حتى تصل بك الى اللاشيء اين يمكن الوصف المطلق لما ترمي انت اليه فتجن قبل ان تعرف شيئا موجود لكنه لا يدرك؛ هكذا هي الحياة حب ادراك لما هو موجود لكنه لا يدرك.....

استلقيت على فراشي في ذاك السطح؛ أخذت نفسا بكل ما اوتيت من قوة ثم اغمضت عيني لكنني لم أنم اذ

كان من المستحيل ان استطيع ذلك بعد هذا اللقاء؛لقد مر كل شئ مثل حلم ضنت لوهلة اني لم اغادر فراشي؛ضنت اني ما كنت معها وما حادثها قط انما كان مجرد حلم دام نصف ساعة وانتهي لكنه لم يكن كذلك؛ ظل ضجيج ذاك الغناء الذي تجاهلته طيلة السهرة يثير طيننا داخل رأسي كما لو اني مازلت وسطه؛كانت طبله اذني تحدث طقطقة خافتة سرعان ما توقفت؛كان الهاتف ملقى كعادته على صدري وقد تريت لدقائق قبل ان افتح حسابي حتى اطمأن عليها؛كانت تبكي في غرفتها؛هذا ما قالته قريبتها التي كانت تببت عندها؛غلبها البكاء وهي وحدها في تلك الغرفة؛تلك الدموع التي نزل منها القليل ثم صدتهم قرروا التبعر في غرفتها والنزول مرورا بوجنتيها اللتان كانتا يحمران خجلا كلما استحضرت انها اخيرا استطاعت النطق بأحبك لي؛كان نزولهم بدون سابق انذار هن فقط قرروا الخروج فاستسلمت لهم وحاولت دفع تلك الشحنة الحزينة التي بقيت عالقة معهم في مخيلتها لكن عبثا لم يخرج منها إلا القليل

وبقي الاخر يعلن حضوره فيها ويخنقها؛ادلفت؛

xxهل وصلتني؟؟هل انت بخير!!

««اجل وانت كيف حالك!!!»»

««مشتاق اليك!!»»

««أبهذه السرعة؟؟»»

««اجل هذا حال الحب يا صديقتي ستدركين لاحقا
وتعذريني.»»

ابتسمت وقالت؛

««طيب حدثني عن حال الحب هذا؟؟»»

««صديقتيني حاله سيثير اعجابك وتعجبك خير لك ان
تدركي ذلك بنفسك سيكون اجمل اصلا ماذا سأحدث؛
شعور لا يوصف؛ لا تبالي بشيئ الآن يجب ان تنامي
وتأخذي قصتا من الراحة ولا تفكري بأي شيئ قد يثير
ضجرك او مللك فقط كوني على ثقة اني معك والى جانبك
مهما حدث لن اتركك يوما ولن أتخلى عنك تحت اي ظرف
هذا ما سأكتفي بقوله وهذا ما اعدك به لكن لا تدعي تلك
الافكار تكبلك؛ لا تنصتي لذاك الصوت ان ولا تتركي له
المجال ان يسيطر عليك؛ ذاك الذي يدعوك للتراجع والعودة
الى انعزالك؛ ذاك الذي يعيدك الى القاع؛ ذاك صوت الوحدة
هو فقط يريدك ان تظلي في القاع؛ ذاك الصوت يا صديقتي

هو صوت الوحدة يحدثك طول الوقت ويهمس لك ان الحياة سيئة وان الجميع سيكونون مثل ابوك صحيح هو سيصح اخطائه يوما لكن الى ذاك الحين سيظل ذاك الصوت يجذبك نحوه؛ نحو مرقده؛ نحو مستعمرته؛ في القاع الظلم؛ حيث الوحدة والانغزال؛ حيث الصمت والجمود؛ حيث العتمة؛ تجاهليه ولا تنصتي له فهو كمثل الشيطان عدو للانسان؛ احتقره فانا لن اتركك صديقيني.....

كتبتها بقلب حزنه الاعياء بعد ان شعرت انها منهكة ولا تقوى على صراع صوت الوحدة ذاك الاحمق الذي يناديها ويهمس لها؛ أضفت مازحا؛

«اتعلمين شيئا عديني ان لم تستطيعي التغلب على ذاك الصوت وارتدت الرحيل خذيني معك؛ عديني ان تأخذيني معك الى حيث اردت الذهاب سواء كان للوحدة او للعزلة او حتى للجحيم خذيني معك؛ صحيح ان اسمها وحدة لكنه حتما ستتسع لاثنين؛ سنخرق القوانين ان لزم الأمر ذلك.....

كان علي انتظار ردها لدقائق حتى ضنت انها نامت وتركتني معلقا بين الخوف من فقدانها والطمأنينة اني

كسبتها وحضيت بها؛ صدقوني ان الكلمات احيانا ليس لها اي معنى امام ما نريد ايصاله لشخص ما؛ احيانا نسأل انفسنا مالفائدة من كتابة تلك الرسالة بأحرف هزيلة لا تمت لما نريد قوله بصلة؛ مالفائدة من ارسالها والمافائدة من لمس ذاك الزر ان كانت الكلمات لا تسمن ولا تغني من جوع؛ احيانا يكون الصمت معبرا اكثر من كتابة مائة رواية؛ احيانا تحمل نظرة واحدة في باطنها ما يحتويه مجلد كامل باجزائه وفصوله التي لا تكاد تحصى؛ احيانا نعجز عن التعبير فنكتفي باخراس انفسنا؛ لكننا ندرك في النهاية ان الرسائل هي فقط مواسات؛ محظ حقنة بسيطة نصارع بها داء البعد؛ التكلم في حد ذاته مواسات؛ نحن نريد ادماج من نحب بنا؛ نتمنى لو كان بإمكاننا ان نكون في نفس الجسد مع من نحب؛ لكن بمجرد ان نقتنع ان كل ما نريده هو مجرد خيال لن يتحقق نلتجئ للكلام لعه يسكت شيئا من ذلك الضمأ الذي بداخلنا؛ ضمأ الحب؛ الشوق؛ نحن البشر اذا ما احببنا بصدق تمادينا في الحب حتى نصبح ذوي خيال واسع حتى وان كانت نظرتنا للحياة بسيطة؛ حتى وان افتقرنا لشغف الخيال؛ البعض لا يملك الشغف اصلا لكن بمجرد ان نقع في الحب الصادق يتحول عقلنا تلقائيا الى

منظومة كاملة تتطوف فيها الصور فنصبح فنانيين؛ فن دون ان ينتج عنه لوحة فنية او رسمة او حتى معزوفة غنائية؛ فن ينبع من داخلنا واعماقنا يصدر عنه اهتمام مفرط بشخص ما؛ احتواء مبالغ فيه لاحدهم؛ حب دون ألوان هو هكذا فقط حب مطلق ازلي يتميز بشيئ واحد مهم هو انك مهما حاولت وصارعت وكانت ارادتك جبارة فانك لن تستطيع التعبير عما يدغدغك من الداخل تجاه ذاك الشخص؛ حتى لو استطعت دمج الرسم والغناء والتمثيل والكتابة والرقص في شيئ واحد وانتجت منهم تحفنية ذهبية فان ما بداخلك تجاه تلك الفتاة يا صديقي اعظم من ان تحاول وصفه فاكتفي بالصمت ولا ترهق نفسك في محاولة ادراك شيئ موجود لكنه لا يدرك.....

مرت دقائق وقد سقط الهاتف كعادته من بين اصابعي ببطئ شديد حتى اني لم اشعر به؛ كما لو انه كان حريصا على عدم ازعاجي؛ انسل من بين اصابعي وسقط على صدري وغط في نومه وهويت من جهتي مع مخدر النوم لكن الامر هذه المرة كان مختلفا تماما؛ صوت ما ايقضني من نومي؛ كان يهمس في اذني؛ لم يكن موجود في الحقيقة لكني سمعته يحدث ضجيجا في اذني حتى

يوقضني؛ لم اتعرف عليه فقد كان الامر في غاية من السرعة ولم اشعر بشيء غير اني فتحت عيني بسرعة واراحت يداي تلقائيا ولا اراديا مباشرة ناحية صدري حيث يستلقي الهاتف نائما يغطي رسالة لم تقرأ بعد؛ كان شعورا رائعا؛ من احدى لذات الحب ان تنام وانت تنتظر رسالة من احد او وانت تكتب له رسالة ثم تستيقظ مذعورا بسبب صوت يهمس لك وانت حتى لا تعرف ماهية ذاك الصوت واول ما تفعله وعينيك حتى لم تفتحها كليا ترمي يديك على الهاتف؛ كنت قد نمت لربع ساعة ثم استيقظت وقد لمحت صورتها تمر من امام عيني النصف مفتوحتين بلمح البصر؛ اسرعت يداي نحو الهاتف وكانت قد ارسلت لي شيئا؛ في كل مرة تجعلني اعجز عن اجابتها؛ تجعلني احتقر كلماتي؛ حقا ما فائدة اجابتها ببضعة كلمات لا يعبرون عما اريده وعما يطوف داخلي تجاهها؛ الامر بسيط اكتفي بالصمت لكن كما قلت الرسائل تواسي وتهده من شحنات ذاك الصراع بينك وبين ذاتك وانت تحاول بلوغ أعلى نقطة في التعبير؛ الرسائل والكلام هما مجرد حقنة لا اكثر كتلك التي تعطى للذي ارتفعت حرارته فتنخفض بعد دقائق لكن المؤسف انهما لا ينفعان بشيء فالرسائل تخفف من

حمى البعد التي تزداد بمرور الايام حتى اصبح مرضا مهلكا لا يداويه الا اللقاء وهو في الاغلب لا يدوم ومهما طال مصيره الانتهاء لنعود بذلك الى المرض ونجده تطور اثر انتهاء ذاك اللقاء وصار اسوء حالا اما الاكلام فهو مجرد وسيلة هزيلة مهما كان المرء متمكنا وبارعا في استخدامها فهو لن يصل عبرها الى ما يريد والصمت في بعض الاحيان اجدر منها؛ جاء في رسالتها بصوت عذب وخافت كانت تهمس به تلك الاحرف اللاتينية المركبة؛

«صدقني؛ اقسم لك يا صديقي اني احس بك واكثر، صدقني انت حبي الاول والاخير، لقد اصبحت كل دنياي الان لكني لا اريد ان اكون سبب مشاكلك اريد ان اكون فرحتك واريد ان اكون ضحكتك، لا اريد ان اتسبب لك في مشاكل، اريد ان اجلب لك الفرح، السعادة، الابتسام؛ انت تعرف كل شئ عني الآن وتعرف اني لم احب من قبل مطلقا وان هذه هي المرة الاولى التي احببت فيها شخصا والمرة الاولى التي اجرب فيها الحب وعالمه؛ انت صرت انا وانا صرت انت؛ صدقني لا تمر دقيقة واحدة دون ان افكر فيك او اذكرك لنفسي؛ حتى المشاكل التي تراكمت وكانت تخنقني مع أبي نسيتهما وتجاهلتها بفضلك انت؛ انت روعي

وعمري؛ انت صرت كل شئ في حياتي لكن الليلة
تملكني شعور مضجر أني على وشك ان اخسر في
الأخير؛ لكن صدقني انا وعدتك واقسم لك مرة اخرى؛ اعدك
اني ساكون معك في الفرح والحزن؛ انا لا اتحمل ان يصيبه
مكروه مهما كان صغيرا او كبيرا؛ لكن اتعلم شئ والله لو
كان هناك كلمة اخرى تعبر عما بداخلي تجاهك غير أحبك
لكنت قلتها لك منذ زمن؛ على الاغلب
كلمة*نبغيك*قد تفي بالغرض قليلا

اكتفيت بامسك الهاتف لربع ساعة والنظر اليه؛ اضن ان
الوقت توقف لأول مرة في حياته الازلية وعلى الأغلب
تجمدت في جلستي تلك دون حراك كل تلك الدقائق؛ لم
تم مطلقا اذ ظلت تنتظر الرد على رسالتها لكن ماذا
سأكتب لها وماذا ساقول فالامر لا يتعلق بالكتابة او
بطريقتها ولا بما ستحتويه الرسالة انما الامر متعلق بما
يطوف داخل رأسي ويريد الخروج لكنه لا يجد فتحتا يلج
منها إلى الخارج؛ العجز عن التعبير؛ عن الكتابة؛ عن الكلام؛
امر خانق؛ يجعل انفاسك تتقلص وعينيك تذبلان في
نظرتهمما للهاتف المضيئ؛ اي كلمات قد تعبر عما أريده؛ اية
احرف؛ اشعر بالاحتقار لنفسي وانا اكتب اسطر هزيلة

؛اكتفيت بالنظر للهاتف لربع ساعة وانا حتى لا اعرف اين
أوجد؛اعيد قراءة الرسالة مرات ومرات لكني لا اجد احرفي
وكلماتي؛استقمت في جلستي وصرت اهجئ الكلمات
واجمعها من بعثرتها لعلي أسكت ضجيج الافكار الذي
يهمس لي*لا ترهق نفسك بكتابة اي شئ فما بداخلك
تجاهها اعظم من ان تصفه كلمات؛احمق ان ضنت ان
رسالتك تلك معبرة؛هي مجرد قطرة في بحرك
الداخلي*كتبت باحتقار لنفسي؛لاحرفي؛لكلماتي؛

xxكما اخبرتك منذ حين اتركي امر مشاكلك مع الحياة ومع
أبيك لله هو الاعلم بها لن يحل اي شئ بمجرد ان تختاري
الوحدة والانغلاق على نفسك حتما سيهديه الله
وسيعوض لك كل شئ فوات واعلمي ان كل شئ له حل
فان اخطأ اليوم فبمجرد كلمة يقولها غذا يصلح كل شئ
فقط اجعلي إيمانك بالله قويا ولا تفقدي الامل في
شئ؛اخبرتك اني أحبك واني لم أحبك لاجل اي شئ
فيك لا جمالك ولا مظهرك؛جميلة انت صحيح لكن روحك
وعقلك اجمل اما قلبك فهو مصدر كل شئ فيك فان كان
وجهك جميل فذاك انعكاس لقلبك؛اعجبتني كلمة نبغيك
تلك لكن اتعلمين شيئا؛لا شئ في هذا الكون سيعبر عما

اريدہ لذلک دعي أمر التعبير للقدر او للايام ايا يكن سأبحث
عن كلمة معبرة لن اياس لكن الى ذلك الحين انا احبك يا
قصيرة وادعو الله ان يجمعني بك في حلاله وعلى سنته
نبيه؛ ذاك اليوم؟؟ لا يهم لن ينفع الكلام على اية حال.....
»ادعو الله ان يحيينا ويحفظنا الى ذاك اليوم سيأتي باذن
الله وستفرح به بالتأكيد.....

كتبتها باصابع مرتعشة؛ كنت منهكا مثقلا بالافكار؛ يابى
صراع عقلي على بلوغ تلك النقطة ان يتوقف؛ نقطة تتوقع
في اعماقي التي لا تدرك مهما حاولت؛ نقطة كمثل الحب
تماما لها وجود لكن بلوغها وفهمها من المحال؛ نقطة التعبير
عما بداخلي؛ لكن عبثا أحاول جعل الخيال حقيقة؛ أحاول
انشاء فكرة من لا شئ موجود؛ كنت لاجن لو اصررت على
مرادي؛ مرة اخرى سقط الهاتف من يدي مودعا اصابعي
التي كانت تحمله كما لو انها تحمل جبلا؛ مباشرة الى
مكانه المعتاد وهويت معه الى النوم دون ان استيقظ من
جديد ليكون الصباح آخر محطاتي؛ من جهتها لم تنم؛ ظلت
تنتظر ردا لكني لم اشعر بشئ غير ارتطام الهاتف الصامت
على صدري؛ صارعت لكن النوم كان اقوى من اصراري

على ابقاء عيني مفتوحتين؛ لم تلبث الا دقيقتان بعد ان
استسلمت للنوم ثم ادلفت؛

xx اين تهت!!

.....xx

xx هل نمت؟؟

.....xx

xx يا مغرور.

.....xx

xx أحمق.

.....xx

xx طيب على الاغلب نمت؛ طابت ليلتك.

استيقضت عند الثانية والربع فجرا وكتبت لي شيئا؛

xx احبك.

xx أعشقتك يا هذا.

الثانية والنصف؛

xx لقد اشتقت اليك.

مرت ايام متتالية على اخر لقاء جمعنا واشهر على تعارفنا
وصداقتنا ثم حبنا وصار الشوق يزداد مع ازدياد الحب
والاهتمام؛ صار اشتياقنا ينحب ليلا ويبتسم نهارا؛ لقد
تحولت تلك الابتسامة الباردة وارتسمت على وجهينا لكنها
مختلفة الان؛ ليست بسبب المشاكل او الهموم؛ لم يعد
لابوها دخل في كل ما تحمله ملامحها من حزن لكنه ليس
ذاك الحزن الذي يجعلها تضحك رغما عنها؛ ليس حزنا
بسبب القهر بل صار حزنا خفيفا صرنا نتقاسمه الاثنين
حتى نكسر به روتين يومنا؛ حزن الشوق؛ شوق للقاء؛ كل
منا يشعر بشيء يدغغه من الداخل؛ شعور ما تجاه
شخص ما ولكل منا ما يميزه عن الاخرين؛ كنت كلما وقفت
امامها اهم بالتحدث وقول ما بداخلي لكني اتوه؛ تتوه عني
كلماتي واشرد في النظر الى خمارها الذي كان يضيئ
فوق رأسها حاجبا ما تحته بالكاد كانت نظراتي تصل الى
عينها؛ غشاء من الدموع لا يغيب عن مقلتيها؛ دموع تبرق
وتلمع بين اهدابها؛ كماء زمزم نقية وعذبة؛ لا اذن ان
دموعها مالحة المذاق فعذويتها كانت تصرغ من وراء ذلك
الغشاء معرفة بنفسها؛ جسم نحيف وهزيل ارهقته
الحياة؛ كبلته الهموم والمشاكل وسلسلته من كل

ناحية؛ ابتسامة باردة وفاترة لكنها على الاغلب ارفف حالا من تلك التي كانت تخنقها وتنهكها؛ بشرة بيضاء جليدية وعينان احاطت بهما هالتان صغيرتان ساهمت في ظهورهما كثرة الدراسة على الحاسوب والتفكير المتواصل في ما كان يملأ حياتها؛ حياتها الصغيرة والظرفية؛ كانت اختها الصغيرة هي كل حياتها؛ كانت تبتسم من اجلها وتستيقظ من اجلها وتعيش من اجلها؛ كل ذلك النشاط والصمود والقوة التي تكاد تمحوك من الكون بمجرد ان تشرد قليلا في عينيها؛ كل ذلك المرح والسعادة وكل ما كانت تفعله خلافا على دراستها كان من اجل اختها الصغيرة؛ صغيرتها تلك كانت مركز ثقلها ومنبع كل تلك القوة؛ رورو؛ ابنت الخمس سنوات؛ لا تزال طفلة صغيرة بالكاد تتكلم؛ لا تزال تتردد على الحضانة؛ كانت ملاكا مصغرة عن اختها الكبرى؛ لم تكن فتاتا صغيرة بقدر ما كانت ملاكا؛ لكنني لم احضى برؤيتها الا مرة واحدة فقط؛ لم يتسنى لي محادثتها وسماع صوتها الا مرة؛ لم احضى بحملها بين يدي وتقبيل وجنتيها الملائكيتين سوى واحدة؛ تعلقت بها بمثل تعلقي باختها التي سلبتني كل ما املك دون ان تاخذ شيئا؛ سلبتني عقلي دون ان تلمسه؛ أخذت قلبي ورحي

وزجتهما في ززانة عالمها اللامتناهي؛ جعلتني احضى
بالعيش في كونها ورغم تناقضاته واططراباته الا اني
احسست اني قمت بجولة في جنة الدنيا؛جولة كانت
بالنسبة لي كفرحة رائد فضاء بالمشي فوق القمر؛لكن
فرحتي بعلاقتنا كانت مختلفة تماما للحد الذي جعلني
اهتم بها اكر من اهتمامي بأمي ونفسي؛كنا نتراسل ذات
ليلة حين قالت لي وتلك الابتسامات لا تغيب عن رسائلنا؛
«اتعلم انك تبالغ في الاهتمام بي والسؤال عني؟؟لكن
لا تعجب لسؤالي هذا اعلم ان الاهتمام من صفات الحب
الاولى لكني لم اتعود ان يهتم بي احد من قبل إلى هذا
الحد؟؟

اجبت وقد امتنعت عن الابتسام اذ كنت جادا بعض الشيء؛
«ايزعجك اهتمامي بك؟إن كان أمر اهتمامي بك يزعجك
فقط أخبريني حتى اكف عنه او اقلل منه لا اريد ان افعل
شيئا يثير ضجرك او يقلقك؟؟

«من قال اني منزعة من كثرة اهتمامك بي بالعكس
فانا في الاصل القوي اللائمة على أبي الذي لا يهتم بي
ولا يابه لامري ابدا؛لا يتصل بي حتى حين اخرج؛لا يخاف

علي ولا يبالي ان اصابني مكروه او واجهت مشكلا ما؛
لكن انت؟؟ انت وجدت فيك كل شئ يا صديقي؛ وجدت
فيك الأب والاخ والصديق والصاحب والزوج والحب والعشق
وكل شئ؛ اصلا انت الذي افقت قلبي واحييته بعد ان
كان ميتا وادعو الله ان لا نخذلني وتتركني

قالت انها تحب للمرة الأولى لكنها لم تكن بحاجة للصراع
من اجل التعبير عما تريد مثلي؛ من اين تأتي بكلماتها؟؟
ايقل ان قلبها المنهك والمتعب هو الذي ينتج كل تلك
الاحرف التي تشعرنني بالعجز في كل مرة ترسل لي فيها
رسالة؛ بالغت في اهتمامي بها حتى صارت مبالغتي
مبالغا فيها لكني كنت راض عما افعله لان اهتمامي لم
يكن شفقة عليها او رثفة بحالها؛ فقط لاني حقا أحببتها
وصار اول دعائي في كل سجدة ان اللهم ان في قلبي
نبضات تهواها وتناجئها وتخفق باسمها فاكتبها لي في
حلالك وعلى سنة نبيك الكريم.....

ليلة الاحد؛ كنت اراها يوم الأحد غالبا لاني اعمل طول
الاسبوع وفي صباح الاحد حتى المساء؛ اذ لم يكن يتسنى
لي رأيها الا عندما انهي عملي مساء؛ اجبرتني الحياة

واخوتي على تزوج العمل في سن مبكر اذ ان القدر شاء ان يكون والدي فقير يعمل في اشغال البناء؛ لم يكن ذنبه ولم يختر الفقر يوما الا ان جدي جعله ينقطع عن دراسته واجبره على العمل منذ سن السادسة؛ كان يستغله لاجل الارتقاء باخوته الآخرين؛ جعله يعمل كي يدرس اخوته الآخرون؛ كان يكرهه دون سبب رغم ان أبي كان يكن له احتراماً بالغاً الا ان جدي لم يحبه يوماً؛ لم اخجل يوماً بكون أبي كان فقيراً ولم احني رأسي الى الارض يوماً كلما رافقني الى المدرسة بثيابه المهترئة ولم اشعره يوماً اني اعرف عن كونه لا يملك مالاً؛ لم اقل له يوماً اشترى لي ذاك الشيء لانني اعرف انه لا يملك مالاً ليشتريه لكنه في النهاية يشتريه لي دون ان اطلبه منه؛ لم ارفض يوماً الذهاب معه للتسوق ام لجلب شيء حتى ان كنت مريضاً؛ قليل من المنطق ان رفضت وهو رجل كبير في السن سيضن اني اخجل به لذلك لم امتنع يوماً عن مرافقته الى اي مكان؛ عاش فقيراً وقد ضاق نفس الحرمان والقهر الذي استطعمته هي من أبيها وكان هذا السبب الاول الذي وضع نقطة سوداء صغيرة بالكاد ترى فوق بلور النافذة التي انظر من خلالها الى الحياة؛ أبي، تزوج ثلاثاً قبل أمي كن

الفقر والقهر والحرمان لكن امي جاءت اليه رحمة من عند الله محتهن من عالمه وانسته انه عاش في حياته يوما واحدا في الفقر؛ امي لم تكن افضل منه حالا فهي الاخرى جاءت من عائلة فقيرة لكنها كانت رزقا لا تضاهيه اموال السماوات والارض في شئ؛ امي؛ صديقتي؛ لم يختلفا عن بعضهما في شئ غير ان الاولى انجبتني والثانية امتلكتني..... لقائنا الثامن كان قصيرا نوعا ما؛ ليلة احد سيطر عليها السكون؛ كل المدينة كانت متجمدة لا حراك فيها؛ لم يكن هناك حفل وانعدمت الاصوات وخرست مكبرات الصوت تلك؛ لم يكن هناك سوى حشود تتجول في صمت كان هناك حداد؛ همس؛ لا شئ سوى الهمس الخافت يجوب الشوارع ويطويها طيا؛ رافقني اخي هذه المرة؛ قادتنا اقداما الى الشاطئ قبالة ذاك الشارع مرورا بالبرج الذي ملاً بالسياح الذين وجدوا في تونس وجهتهم المفضلة لسنوات متتالية؛ والمسرح الذي كانت تقام فيه حفلة صاخبة كل ليلة؛ حفلة سيطرت فيها الاغاني العربية اذ كان المسرح مخصصا لاهل المدينة فلا تسمع فيه اغنية اجنبية الا غالبا؛ اما ذاك الشارع؛ غالبا ما اسأل نفسي لماذا تنعدم فيه الانارة او من الذي اطلق عليه

اسم شارع الحب؟؟لاني لا ارى فيه شيئا الا الافعال القذرة
من اناس سيطرت عليهم شهواتهم وقادتهم شياطينهم
بسلاسلها لبئر الدعارة ذاك؛هذا ما كنت اسميه لذلك لم
نكن نجلس على كراسيه الحجرية الا نادرا لان حنا
المشترك كان البحر والشاطئ على مقربة من المياه التي
شهدت على كل جلساتنا وسهراتنا؛نتحدث طيلة الليلة
والبحر يكتب كلامنا بمياهه العذبة والباردة على تلك الرمال
الجافة؛كانت تنتظرني عند المسرح؛لمحتها بخمارها
الابيض الذي كان يناديني من بعيد كما لو انها اجنحة ملاك
ترفعها الى السماء؛تنيرها وتبعث منها نورا يجعلها
استثنائية؛مميزة عن الأخريات؛وقميصها الاحمر وتلك
القلادة الذهبية التي كانت تلمع حول رقبتها؛كان جسمها
يصنع بريستيجه الخاص اما عيناها فقد الغيا جاذبية الارض
وصنعا لنفسيهما مجالا حيويا خاصا سقط فيه واحداثت
هالة نار حولي كمثل اختراق احد الاحجار

الفضائية للغلاف الجوي للارض وسقوطها شاقا السماء
لكن ارتطامي بارضها كان سلسا لانها لم تكن ارضا كأرضنا
بل كانت سحبا؛مشيت على غيمات بيضاء كلما نظرت في
عينيها لبرهة فماذا لو شردت لدقائق؟ لكنت اصبت بالعمى

بسبب ذاك النور الذي لمع منهما؛ كان كسوفاً فريداً
ومختلفاً عما توقعه اينشتاين؛ في كسوفها مرت الشمس
امام شمس اخرى فاندمج ضوءهما وكادا يفقدانني بصري
لكنها كانت توقضي في كل مرة بهمسها؛

«اين شردت؟؟»

«المهندس الذي صمم متاهات عينيك اتمنى لو احضى
بشرف مصافحته حتى اشكره؛ بفضله صرت ادخل عالم
الخيال العلمي واخرج في ثوان بمجرد شرود صغير؛ حقا
لقد ابداع والله معينه على ذلك....»

«انا مهندسة يا مغرور انسيت؟»

«لم انسى لكن ما رايته للتو قد تجاوز الهندسة؛ ربما هو
علم جديد لم يكتشف بعد؛ أأعتبر مكتشفا اذا؟»

«مكتشف ماذا؟»

ابتسمت وقلت؛

«مكتشف جمال عينيك مثلاً!!»

سكت ثم ارجعت عيني اليها واضفت؛

«يمكن ان نعتبرهما علما جديداً!!»

كانت تحمر خجلا كالعادة وتبتسم تلك الابتسامة التي
صارت اصدق من صلاة المظلوم؛ صرنا نتقاسم تلك
الابتسامة كتقاسمنا لألم الشوق والبعد فقد فرقتنا الدنيا
طيلة اسبوع كامل ولم نكن نلتقي الا يوم الاحد الذي صار
يوما مقدسا بالنسبة لي؛ كان اشتياقنا لبعض يزداد

كلما ازداد حينا وتطور وكلما كثر الاهتمام بها كان الشوق
يتجاوز ذاك الاهتمام بسماوات؛ اخذنا نمشط شاطئنا ذاك
ذهابا وايابا ونحن نفوض في احاديث تجمعت في قلوبنا
طيلة اسبوعين كاملين؛ لم تكن الرسائل والاتصالات تكفي
رغم انها صارت مثل اللاشيئ غير محصورة؛ وجد اخي
جليسا له كانت سماعات الموسيقى خاصته وراح يسبح
مع اغنياته ويسرد للبحر قصة شوقه لصديقه التي لم
يقابلها يوما؛ لم اكن احب اصطحابه معي في بعض الاحيان
حتى لا يضجر اكثر وفي نفس الوقت لم اكن احب تركه
بمفرده؛ جلسنا على الرمال التي كنت اكره الجلوس او
المشي عليها حتى وجدت نفسي امشي حافي القدمين
معها ادركت حينها ان حبي لها صار هو الاخر مثل
اهتمامي؛ مبالغا فيه لكن لطالما راقت لي تلك المبالغة في
الاثنين؛ ادركت اني اصبحت مثل ابله يريد شطف البحر في

حقنة بلاستيكية صغيرة عندما صرت اصارع افكاري حتى
اخبرها كم احبها وكم اعشق روحها وقلبها رغم يقيني
اني لن ادرك تلك النقطة من التعبير مهما حاولت اصلا لم
يدركها احد فهي مثل الجري في العدم يفنى العالم وتأتي
الساعة وانت مازلت تجري في مكانك؛ ضاعف سرعتك
واسبق الضوء ان اردت؛ اخرج قانون النسبية والغني الجاذبية
واعبث بالطبيعة كما تشاء ويحلو لك لكن عبثا لن تصل لاي
شيئ ولن تبرح مكانك حتى رغم انك احسست انك تتحرك
لكن في الحقيقة انت لم تغادر نقطة الانطلاق هذا ان كانت
موجودة؛ عندها تستسلم وتكتفي بالصمت لكن لا تضن
انك عجزت عن بلوغ نقطة التعبير التي اردتها؛ انت لم تعجز
لأنك فقط لم تحاول قط لانك كنت في العدم والعدم لم يكن
يوما مقياسا يأخذ به المرء ليحدد ان كان ما فعله فاشلا ام
ناجحا بل هو مجرد وهم؛ فراغ؛ غرفة بيضاء في ادمغتنا
ونحن فيها نطوف ونسبح مثل الاسماك الصغيرة مهما
ملئت افكارا وصورا وروايات فبياضها لا ينقص منه شيئ
لانها اكبر من ان تلوثها بعض النقاط الصغيرة وحياتنا منذ
الولادة حتى الموت هي مجرد نقطة صغيرة كتلك التي
وضعت تحت حرف الياء او فوق التاء؛ نقطة اصغر من ان تلوث

صفحة بيضاء كبيرة هي العدم او اللاشيئ لذلك فان محاولاتى لاجراج ما بداخلي تجاهها باءت كلها بالفشل؛ كان فشل بالنسبة لي لا لها اذ لم تطلب منى الاثبات فقد كانت على يقين ان حبي لها تجاوز الخيال العلمي؛ تجاوز حتى قانون الضوء وصنع لنفسه قانونا منفردا سميناه نحن الاثنين آلبوك وهي عكس مصطلح ارتباط عند الاخرين؛ لطالما احسسنا بالتميز عن باقي المحبين فاغلبهم شدتهم الجمال الخارجي واغواهم جمال الاجسام والمظاهر بينما كانت روحها هي مغويتي اما الذي اغراني فقد كان قلبها الغوطي؛ لم يختلف حال قلبها عن حال الغوطة الشرقية في شئ غير ان الحطام الذي كان فيه كان صعب الترميم وتطلب الامر جهدا وعناء تشرفت بهما حتى شيد نصف تلك البنائات مجددا.....

الوقت يعلن حضوره المزعج من جديد؛ صدقوني لو طلب منى الشيطان ان افعل شئ من اجله مقابل انه سيقتل الوقت من اجلي ويوقفه ولو لمرة واحدة حين القاها لما كنت ترددت لحظة على تنفيذ طلبه مهما كان حتى لو طلب منى انشاء حزب يناصره ما كنت امتنعت ثانية؛ لقد مقت الوقت للحد الذي جعلني امحوه من هاتفي واكسر

ساعتي اليدوية وساعة البيت وحتى الساعة التي كانت تواجهني كل يوم بالسيارة اوقفتها؛ صار الوقت مصدر ضجري الوحيد فحتى مشاكل الدنيا وقساوتها تجاهلتها اما الوقت فقد ظل شوكة سامة في حلق علاقتنا تلك؛ انتهى بنا المطاف متجهين الى بيتها؛ لا يصلها؛ ظلت طول الطريق تحدثني عن عائلتها وعنهما؛ كنت لا اشبع من صوتها مطلقا اذ كنت اسئلهما عن اشياء تتطلب إجابة طويلة؛ لم تكن تهمني الاجابة مثلما كان يشغفني سماع صوتها السنفوني؛ كان عذبا رقيقا وخافتا؛ كانت تحدثني طول الطريق عن سبب انتقال عائلتها الى وسط المدينة وقد اكتفيت بالصمت والخشوع في حديثها حتى انتهى بنا الحال امام بيتها؛ تبادلنا سلام الوداع وتمنت لنا ليلة هنيئة ولاقيناها بالمثل ثم شبكت يديها النحيفتين ببعض ومشيت بضعة خطوات عني؛ كانت في غاية الفرح ولم تكن سعادتها تكاد تسع الكون بأسره لكن عينيها كانتا تهمسان بشيء من الاسف والضجر؛ لم يكن لاجل مشاكل البيت او قساوة الحياة فقد ظهرت امامنا كلمة اخرى جمعت ما يحمله البيت الذي صار سجنا بالنسبة لها والحياة التي كانت جحيم دنياها؛ الاشتياق؛ كان مرضنا المشترك؛ همست؛

«اسمعي!؟»

تجمدت في مكانها وحتى قدمها توقفت في الهواء قبل ملامستها الارض؛التفتت وظلت تنظر الي اقرب منها ورأسي منحني الى الاسفل؛كان الاستحياء قد البسني ثوبه وغطى كامل جسمي؛لم تنبس بحرف واحد واكتفت بالحلقة؛كانت انفاسها تخرج من بين شفتيها وفتحات انفها ببطئ بالكاد كانت تتنفس؛حافظت على اشتباك يديها لكن رأسها ظل مرفوعا للمرة الاولى؛كنت انظر لها من الاعلى وكانما انظر الى أمي وهي تخاطبني عن شيء ما؛بالكاد كانت تصل الى صدري؛شدرت في عينيها مجددا ونسيت ماذا كنت سأقول؛حقا لقد نسيت لماذا ناديتها؛ظلت تنظر الي دون اي كلمة؛انخفض مستوى ذاك التنفس الذي كان بالكاد يشعر به؛رفعت يدي بسلاسة ووضعتهما على جهتي خمارها وانحنيت الى جبينها ببطئ وقبلته ثم همست؛

«ارى ما يفعله اولائك الساذجين والمتطفلين في ذاك الشارع الاحمق وغيره من المدينة تحت اسم الحب لكني لست مثلهم ولن اكون مثلهم يوما؛لا اعلم ماهية الصورة التي رسمتها لي في مخيلتك لكن اي كانت فاجزم انها

صادقة وجميلة مثل علاقتنا هذه مادامت قد رسمت بقلم
الثقة والصدق؛ أحببتك لاجل روحك التي
اهويتني؛ شخصيتك تصنع برستيجا خاصا، افكارك المجنونة
في نطاق المعقول ، قلبك؟؟ قلبك اغراني دون ان اراه او
المسه فقط تحسسته؛جمالك يفرض وجوده صحيح
وسأبالغ حتما اذا وصفتك الان قد أقول انك ملاك من
السماء وربما اغير رأيي واقول انك حور من الجنة لكن ايا
كان ما سأصل اليه في النهاية فانت بالنسبة لي اجمل
منه من الداخل؛انت؟؟انت احبك فحسب؛وادعو الله ان
يوفقني في الاهتمام بك وان يجعل ذاك اليوم الذي
سنجتمع فيها على حلاله اقرب الينا من انفاسنا هذا
دعائي في كل صلاة.....

احنت رأسها الصغير ذاك وقد احمرت خجلا وركضت نحو
باب البيت دون ان تلتفت؛اخذنا طريقنا عائدين من حيث
أتينا وقد حسم الوقت كل شئ كما لو انه كان حلما
وانتهى واستيقظت من النوم فلم اجد سوى اخي الى
يمينني والناس يمشون امامي بعضهم يسايرني والاخر
يعاكس وجهتي؛اما هي فتبخرت ولم تبقى الا صورتها
تجعل من مخيلتي غرفتها الهادئة وصوتها الذي كان يدندن

مسايرا دقائق قلبي؛تعمدنا قطع نصف الطرق مشيا؛يتوفر في تلك المدينة كل شئ قد يخطر ببالك إلا النوم فلو جبت كل أطرافها ليلا لن تجده؛كان البضاعة الوحيدة التي تم تحريمها اذ لا تباع ولا تشتري على عكس المخدرات والدعارة؛ياللبأس!حرم النوم وتفشى الفساد بعد ان قضى فترة نقاهة عاد بعدها باسمه الانيق والفاتن؛الرقى!!الا يههم؛محلات ومغازات لا تعرف للنوم مفهوما؛ملاهي ليلية وخمارات تنام صباحا وتستيقظ ليلا والليل في تلك المدينة يلقي كل انواع التجاهل والاحتقار بعد ان تحول ظلامه الى نهار مصطنع بفصل تلك المصايح العملاقة؛لقد خرقت قوانين الطبيعة تماما وصرت افتقد الليل وظلمته؛حقا في بعض الاحيان أحس اني سافرت الى احد المدن الاجنبية ويتملكني شعور اني اتجول في احد شوارع باريس او لندن لما اره من انحطاط اخلاقي وشذوذ جنسي وتبرج لكني استيقظ من شرودي في كل مرة وادرك اني لم اسافر الى اي مكان ولم اغادر مجلسي قط وأني لا زلت أعيش في تلك الدولة؛التي دينها الاسلام ودستورها صورة ابداع في رسمها عديد المتحاذقين اقنعوا الناس بانهم رسامون لينتهي بهم المطاف ان اقنعوا انفسهم كذلك ان الرسم

يجري في عروقهم وانتجوا عملا فنيا حسب اعتقادهم سموه الدولة؛ كانت عبارة عن صورة علقت على حائط كبير رسم فيها العلم الخاص بالدولة وكتبت تحته كل الكلمات التي من شأنها ان تقنعك ان هاته الدولة تتخذ الاسلام ديننا لكن ان حاولت امسك تلك اللوحة والنظر اليها عن قرب ستمحى من الوجود من قبل هؤلاء الرسامين الاقوياء لأنه بمجرد امسالك بالصورة ستكتشف المادة التي رسمت بها تلك اللوحة وتدرك ما يختبئ ورائها وستعرف في النهاية انها مجرد لوحة ملونة تغطي شيئا ما لا اكثر وهذا لن يكون في صالحهم لذلك ان اردت العيش فقط لانك لا تحب الموت وتخاف منه فلا تقربها ولا تفكر في لمسها؛ لكن ان اردت العيش لان لديك وجهة نظر ومبادئ تريد تحقيقها فانت لن تحقق شيئا إلا اذا اقتربت من تلك الصورة وعرفت ان مادتها والوانها هم مزيج من فساد ومال ورقي اعمى وبعض الفيروسات الاخرى؛ تلك هي حياتنا كيف صارت وتلك هي نفس الحياة التي ارغمتني على كتابة كل هذا.....

لم تمر إلا دقائق على مشينا واذا برسالة ترد؛ كانت منها ومن لدي غيرها احادته؛ كنت امسك بهاتفني الا لاجل

امرين إما لمحدثتها او للاتصال بأمي ؛كانتا كل حياتي؛
قالت بحزن كان يهمس من تلك الحروف الضجرة؛

«اشتقت لك؟؟»

كنت اعجز في كل مرة عن الاجابة عن هذه الرسالة
تحديدا فحتى لو قلت لها وانا ايضا لن يتغير في ضجرها
شيئ بل سيزداد؛قلت وقد التمتت شيئ من الابتسام
وما انا بمبتسم؛

«بهذه السرعة؟؟»

«اتمانع؟؟»

«قطعا لا لانني كنت ساقول لك نفس الشيء اثر وصولي
لكنك سبقتني؛طيب اسبوع وسيمر مثلما مرة الذي
سبقه؛ سنصبر ماذا عسانا نفعل....»

تلك القصيرة ذات الجسم النحيف والخمار التاجي؛تلك
الحسنة صاحبة الخلق والخلق والنظرات المميته؛تلك
الجميلة امتلكتني بكل ما رزقها الله ووهبها من قوة حتى
صرت استيقظ لاجل محادثتها وانام على محادثتها وصار
العمل بالنسبة لي مجرد هواية امارسها حتى اقتل الوقت
اللعين الذي صار بطئه يثير الضجر والحزن؛امضينا باقي

الليل في التراسل وتواصلت عادة نومي وانا اكتب تلك الرسالة التي لم تصلها قط اذ كانت تحذف وتعوضها تلك الرسالة الصباحية كل يوم؛ كانت تعشق النوم كعشقها لأختها الصغيرة رؤى لكنها لم تكن تمتنع عن الاستيقاظ عندما اتصل بها صباحا مطلقا؛ كنت اوقضها كل يوم عند الخامسة صباحا حتى تصلي؛ كان اتصالي مرفقا برسالة قصيرة*حبيبتى صباحك خير وفرح؛انها الخامسة صلي صلاتك ثم عودي الى النوم ان شأتى؛احبك*؛ كانت لا تمتنع عن الاستيقاظ مطلقا اذ تردني منها رسالة مباشرة*صباحك اجمل؛لقد استيقظت لم استطع رفع السماعه سأصلي ثم اعاود النوم نتحدث عند عودتك من العمل؛لا تتأخر؛احبك*؛امضي كل اليوم في العمل ولم اكن اشعر حتى بأي تعب او ارهاق؛كان صوتها يهمس لي طول الوقت في اذني؛كان كانه دندنة وغناء يأنسني طول اليوم؛اما صورتها فقد كنت اراها في وجه كل شخص يمر امامي او يعترضني امرأة كان او بنتا صغيرة؛ كانت تطوف حولي وتظهر امامي في كل شئ انظر اليه او المحه؛كثر شرودي في اللاشيء وصرت اتعمق في النظر كثيرا واذا ما رأيتني قلت اني انظر بالفتيات كثيرا لكنني في الحقيقة

لا انظر لشيئ سوى لطيفها الذي يحوم حولي
ويتبعني؛ كانت صورتها تنعكس في كل شيء انظر اليه ماء
البحر حتى لو كان عكرا؛ المرأة؟؟ لم اعد ارى انعكاس
صورتني في المرأة!! ضننت اني اصبحت اهذي وخيل لي
اني شارفت مرحلة من الحمق والبلاهة لكنني كنت مخطئا
في كل ضنوني فقد كان مرضا غريبا عني؛ جنون
الحب!! هذا ما كنت اسميه؛ لم يكن مجرد هذيان او حمقا
ولم يكن محظ خيال ينتجه عقلي بل كان مرحلة من مراحل
تطور الحب؛ المرحلة نفسها التي عجزت عن التعبير عنها
رغم كل محاولاتني وصراعي مع مخيلتي ورغم تعمقي
وبحثي ادركت في نهاية المطاف اني سأجن وسأفقد
عقلي ان واصلت المحاولة لكنني لم اكثر لشيئ ورحت
متجاهلا كل ما يمكن ان يحصل بمجرد ان ادركت اني
فقدته اصلا منذ الدقيقة التي كنت فيها مخيرا بين عقلي
وقلبي؛ تخليت على عقلي ببساطة ورميته في ذاك الجبل
المظلم وصار قلبي هو عقلي وصارت هي نبضاته؛ كان
جامدا وساكنا لكنها فعلته بمجرد دفعة بسيطة؛ اي دفعة
تلك التي كانت قادرة على احياء قلب ميت وجامد؛ اي دفعة
كانت قادرة على جعل المرء يرمي عقله جانبا ويجعل قلبه

المسير لكل شئ

؟؟ التصرفات، الانفعالات، الكلام، الرؤى، الافكار!! اي دفعة هي التي تجعل المرء يعترف بالحمق لاجل شخص اخر؛ الثقة، الصداقة، فسح المجال للاهتمام حتى لو مبالغاً فيه؛ ايا كان كلهم ينتمون الى نفس المؤسسة؛ الحب، هذا ما عنيته منذ البداية؛ لطالما تأكدت ان الحب يجعلك تتخلى عن اهم الاشياء التي من شأنها ان تضمن لك حياتاً هائلة وسعيدة؛ العقل مصدر الافكار، القوة العسكرية للانسان، في بلدك اذا امتلكت سلاحاً دون رخصة فتأكد انك ستمضي ليلتك في السجن ان كشف امرك؛ ايفيك السجن لانه يسلبك حريتك؟ لا تجب فالكل يكره السجن ويخافه وخوفك هذا سيجعلك تتخفى وتتنقل في الشارع بخوف وهلع خشية ان يكشف امرك لكن لما كل هذه الهرطقات منذ البداية؟ مالذي يدفعك الى تبذير مالك والمخاطرة بشراء سلاح دون رخصة اصلاً في ماذا سينفعك وانت تملك بالفطرة سلاحاً مدمراً وقاتلاً ان احسنت استعماله؛ عقلك ليس مجرد سلاح تدافع به عن نفسك فحسب؛ بل هو كذلك درع اشد من ان يكون فولاذاً يقف بينك وبين الدنيا يتلقى عنك ضرباتها المؤلمة؛ الغرب لم يصنعوا سلاحاً يوماً

لكنهم امتلكوا عقولا صنعت لهم اقوى اصناف الاسلحة
وسرقت اغلب الثقافات من الحضارات التي استعمرتها؛ لا
يهم كل ما يهمني اني رميت سلاحي ارضا يوم رأيتها
واستسلمت لها في حين انها كانت تضع يديها في جيب
معطفها ولم تكن تحمل شيئا لآخاف منه؛ على الاغلب
كانت تحمل شيئا مبيدا؛ كانت تحمل خمارها؛ عينيها؛ روحها
كانت تسبقها حين تمشي؛ عقلها كان يبعث ذبذبات تخدر
الاعصاب وتنوهما؛ اما قلبها فقد كان رصاصة اخترقت
منصف جبيني لكنها لم تخرج من الطرف الاخر؛ ظلت عالقة
في منتصف جمجمتي بنفس حرارة خروجها الاول؛ هكذا
تخلت عن عقلي الذي مات بتلك الرصاصة ودفن في
مقبرتها الساحرة؛ وفعل قلبي تلقائيا عوضا عنه؛ كان صوتها
هو نبضاته اما اسمها فقد صار عنوانه؛ خمنا ان جنديا
يرمي مسدسه ويستسلم خوفا من قاطع طرق بيده
سكين صغيرة؛ لقد قطعت طريقي بيدين فارغتين
وسلبتني كل ما املك دون ان تتحرك من مكانها
حتى؛ بروح، بعقل، بنظرة، بهمسة، بكلمة؛ وقفت متجمدا
في مكاني وبين قدمي سلاحي الذي سقط مني دون ان
اشعر بانفلاته من معصمي؛ حتى ارتطامه على الارض

الصلبة لم يتسنى لي سماعه؛ تخليت عن شيء امتلكته منذ وجودي في رحم أمي بتلك البساطة وانطلقت اسائر خطوات قلبي الذي لم تكن له اية تجربة ولو حتى صغيرة في الحياة؛ كان مبتدأً وعفويًا؛ كنت امقت التشيئة حتى صرت شيئًا يخصها وقد امتلكتني برضا مني ودون حتى ان تطلب ذلك او تعلن عنه؛

اصبحت بكل بساطة الخفقات التي تعلم ان قلبي صالح...
مركز ثقل جسمي...

نواة عقلي التي تجذب الافكار عاقلة كانت ام مجنونة...

عدد حركاتي التنفسية في وقت لا يعنيني...

صورة ثبتت بين مقلتي وغشائها الدقيق...

الافكار التي تراودني في يقضتي...

الاحلام التي ترتسم لي في نومي...

قصة جمعت الخيال والحقيقة في رواية صرت اكررها قبل النوم كل ليلة وفي كل مرة احس اني اقررها للمرة الاولى...

سبب مقنع يجعلني استيقظ عند الخامسة صباحا...

هي فقط امتلكتني...

مضت اشهر على علاقتنا وجرت العادة ان نلتقي اخر الاسبوع بعض تلك السويكات ثم نغيب لسته ايام اخرى؛ صار الاهتمام بها وحبها يتسايقان على مدمار كانت بدايته جلسة السفينة تلك اما نهايته فلم تكن ضمن قانون السياق لذلك فقد كان كلمات من قبيل بطئ ومنعرج ومنعطف ممحوة من كتيب القوانين اذ لم تكن هناك سرعة محددة كما لو انهما يجريان في اللاشيئ؛ سرعة الصوت؛ الضوء؛ الهواء؛ كانت مجرد اسماء نامية بالنسبة لما كانا عليه؛ لوهلة ضننت اني اعيش ايام داخل عالم الخيال العلمي لكن الامر كان رائعا ايا كانت تسميته؛ الاستيقاظ عند الخامسة او السادسة للصلاة؛ السهر بعد منتصف الليل؛ النوم ورسالة لم تكتمل ولم ترسل الى وجهتها؛ رسالة الخامسة صباحا؛ الرسالة الصباحية؛ كلها اصبحت عادة وروتينا نتبادلها طيلة الايام الست وقد كان روتينا خاصة نوعا ما؛ كان روتينا ممتعا تعودنا عليه حتى صارت حياتنا تقوم عليه تلقائيا وقد كان لقائنا في اليوم السابع هو بمثابة كسر لذاك الروتين الذي لم يشعرا يوما

انه مضجر بقدر ما اشعرناه الشوق وقد صار يوم الاحد
بالنسبة لكلينا عيدا ثالثا؛

هاتفني؟؟ مؤنسي الذي يواسيني في غيابها؛ صديقي
الذي كان يتابع اخبارها من اجلي كل حين؛ اخي الذي
يجعلها اقرب مني رغم البعد؛ كانت صورتها بخمارها
الوردي وقميصها الابيض ذو القلوب السوداء الصغيرة تملأ
كل ميليمترا من خلفيته وكنت انظر اليه كل دقيقة ضنا من
اني اتعرف الى الوقت لكن* كم الساعة الآن* وقد اعدته توا
الى جيبي؟؟؟ صدقني لا اعرف! كنت اعد الاربعة وعشرون
ساعة بهذه الطريقة وقد تعودت عليها ووجدت فيها فاعلية
في قتل الوقت؛ ذاك اللعين عليه ان يحمد الله في كل ثانية
تمر منه مليون مرة لانه لم يخلق في شكل انسان او شيئا
محسوسا وإلا لكان تحول إلى ذرات في الهواء منذ
زمن؛ امضينا كل الليل في التحدث وكلما انهينا موضوعا
وجدنا الذي يليه ينتظر دفعة بسيطة قد تكون كلمة؛

«اضن اني جعلتك تدمنين السهر لكن يجب ان نكف عنه
قليلا فعليك ان تريح عينيك فضاء الهاتف قد يؤذيها...»

«اتعلم شكرا على كل شئ فعلته من اجلي؛ لقد تغيرت
حياتي كليا صرت اهتم لكثير من الامور؛ افكر طول اليوم بك

مثلا؛صرت اعرف طعم الشرود في شئى ما؛ حتى هاتفي!هاتفي كان ملقى طول اليوم فوق طاولة غرفتي واحيانا لا اعرف حتى اين يوجد واحيانا أنسى أين وضعته اخر مرة فامضي دقائق في البحث عنه اما الآن فقد تغير كل شئى؛صار هاتفي جزء مني لا يغيب عن عيني لحضة واحدة ولا يبرح جيبى او يدي؛انتظر طول اليوم اتصالك القصير الذي يعني رسالة*افتحي حسابك حتى نتحدث*او رسالة ترد منك تسأل فيها عني وتطمأن علي؛صار الهاتف مؤنسي الذي يقربك مني ويجعلني اصبر على غيابك عني؛حتى أمتي لاحظت اهتمامي المفرط بالهاتف بعد ان كانت تراه ملقا هنا وهناك وفي أية مكان دون ان اكثرث ان كسر حتى؛كانت تراني اتفحصه كل دقيقة ثم اعيدته بجانبى او في جيبى لكنها لا تعير الامر اهمية بالغة؛طبعا هي لا تعرف اني انتظر اتصالك او رسالتك تلك ولا تعرف انك سبب ملازمتي للهاتف طول اليوم لكن الامر كان يثير انتباهها فقد كان الهاتف اخر شئى اهتم به في المنزل؛اتعلم لقد احييت شعوري الذي فقدته منذ مدة؛احبك واخاف ان اخسرك يوما...

❖❖ لا داعي لخوفك هذا لن تبعدني عنك سوى الموت يا صغيرة...

كان يوما هديئا لكن استيقاضي عند السادسة لم يكن بنفس هدوء ذاك ذاك اليوم مطلقا؛ كان النوم قد طرحني بضربة سلسلة وبطيئة هويت اثرها اليه وعانقته؛ كانت لديه اساليبه في الاغواء؛ يحرض التعب على ان يفعل بجسمك كل انواع الرذيلة؛ يسد اذنيك ويمنع اية ذرة صوت من الولوج داخلهما حتى يسيطر عليك السكون والهدوء ويغمرانك بشيء من الحنان فتغوص في مياهه الدافئة وتواصل الغوص دون ان تدرك انه يغرقك ويسحبك الى اللانهاية؛ نمت بعدها وقد تركت لها رسالة كتبتها بعينين يهمسان لي انهما سينطفان في اية لحظة؛

❖❖ صدقيني يا قصيرة دعائي في كل صلاة ان يجمعنا الله في حلاله لكنني اخشى ان اقصر في احدى المرات في الاهتمام بك لان هناك اشياء لا يستطيع المرء ان يطلع عليها احد حتى انه لا يستطيع اعادتها مرتين متتاليتين على نفسه لكن ان ضايقتك شيء او احسست بضجر بسبب شيء يوما ما فحاولي ان تخبريني به حتى وان لم يكن عندي حل له فالمصارحة ان كانت لا تجعل المرء ينال

مراده فهي على الاقل تريح اعصابه وتذهب عنه شيئا من
الحيرة.....

مضت بضع دقائق لكنها لم تجب فادركت ان النوم اخذها
مني كما تعود؛ صار النوم كالوقت بالنسبة لي؛ متطفلان
يصران على افساد ايامي وقد اتفقا مع الحياة على ذلك
؛لطالما تمنيت العيش في عالم لا توجد فيه حياة ولا وقت
وينعدم فيه النوم؛ اجل هذا حمق لكنها تبقى مجرد أمنية
والله يقول للشيء كن فيكون لعلها تتحقق يوما ما؛ لم
استطع الاتصال بها لاوقضها في ذاك الوقت فاكتفيت
بالاضافة ثم نمت؛

طيب ليلتك هانئة؛ تذكري اني لن اترك يدك مهما كان
الثلث؛ احبك.....

لطالما كان لذاك النوع من الرسائل طعم خاص ولون مميز
عن باقي الرسائل؛ تلك الرسائل التي يفصل بين كل
حرفين من حروفها مسافة خمس ثوان او اكثر؛ عينان نصف
مفتوحتان احمرتا وكادت الاهداب تطبق الى بعضها؛ اصابع
يلامسون شاشة الهاتف في تراقص كأنهم سكارى؛ يدان
متداعيتان للسقوط اما القلب فيصارع في معركته كل ليلة
مع النوم؛ تلك الرسائل كانت انيقة؛ لم تقرأها الا عندما

استيقظت عند الثالثة فجرا لسبب جهلته حتى ان فكرة سؤالها عن السبب لم تراودني في الصباح؛ الرابعة فجرا؛ كنت احلم؛ صوتها كان يناديني من بعيد وقد جريت ورائه لكن عبثا كانت محاولاتي لادراكه؛ كنت كما لو اني أجري في الفراغ لكن الصوت لم يكن صادرا من جهة جريي فالظاهر اني كنت اطوف داخله؛ كنت اطوف داخل صوتها وهي تناديني؛ بدأ ذاك الصدى يتغير الى ضجيج مزعج يهز كل جسمي في ذاك الفراغ الابيض وقد انتهى بي الامر الى الاستيقاظ وقد طوقني الهلع والذعر؛ كان خوفا صامتا وكان نهوضي سلسا على عكس ما تفعله الكوابيس في العادة؛ راحت يداي الى الهاتف مباشرة وقد كانت عيناى لا تزالان تغوصان في رؤيتهما الضبابية؛ كان الامر تلقائيا وعفويا؛ لازال الوقت مبكرا جدا على ايقاضها للصلاة لكنني فتحت حسابي وقد غادر النوم غرفتي دون رجعة؛ كانت رسالتها قد كتبت باحرف اللغة العربية على غير العادة؛ كانت تلك هي الرسالة التي صارت اسمي الثاني؛ اول رواية أقرأها في حياتي؛ اول قصة احللها؛ اول صورة ترسم ويوقع اسمي اسفلها؛ اول اسطر احفظها من القراءة الاولى وقد تبادلنا ملايين لا تحصر من الرسائل لكنها

كانت اول رسالة طبعت في مخيلتي الى الابد كمثل
الشهادتان منذ سنتي الاولى؛ اخذت مني محاولات
تعريبها شهرا لكني انتهيت الى الاخفاق والعجز؛ لم افشل
في تعريبها وإنما فشلت في اقناع نفسي انها لم تفقد
الوانها بعد ان حولتها الى العربية؛ لكني اقنعت نفسي
بشيئ اخر اهم فالاشياء اذا ما تغيرت الى شيئ اخر
وحافظت على نفس المعنى فمن المحال ان تحافظ بعد
تغيرها على نفس المظهر والصورة على عكس الاشخاص
فاذا ما تغيروا حافظوا على نفس مظهرهم وملامحهم لكن
نظرت الاخرين لهم محال ان تبقى كما كانت؛ كانت رسالتها
منسوجة بحروف تم انتقائها بعناية في هدوء ذاك
الليل؛ كان كل حرف فيها يهمس ويصرخ وقد حمل كل واحد
منهم حكاية بين طياته؛ لم تكن بحاجة الى تعمق وتحليل
فقد كانت كلماتها تروي كل شيئ؛ كانت تتكلم؛ تحدثني
وتهمس بلطف؛ كنا نتبادل الحديث بنفس الاسلوب لكن لغة
تلك الرسالة كانت مختلفة؛ كان أسلوبها مميزا؛ انيقا
وسلسا؛ لطالما ميزتها عن كل محادثاتنا فقط لانها كانت
استثناء؛ قرأت؛

✘✘ عندي اربعة سنين واكثر نعاني في نفس المشاكل بو
ميتحملش المسؤولية وميهموش في بناتو ام تتحمل كل
شي تكون الأم والبو في نفس الوقت لين تعبت صحيا
ونفسيا لين معادش تتحمل أخت صغيرة في وسط
المشاكل مهملينها نحاول كل يوم نحسنلها نهارها باش
تعيش كيف اي صغير تحملت مسؤولية صغير علا بكري
تحملت مشاكل أكثر وأقوى مني؛ من صغري العمر إلي
نورمالون إلي نعيش فيه كيف اندادي ونحب كيف اندادي
شي ضاع وليت نكبت في مشاعري نتعامل بدم بارد وليت
جثة منغير مشاعر منحس بحد ومعنبالي بحد عايشة
وموش عايشة منغير قلب معنديش صحاب ولا عندي اما
انا مسكرة علا روعي معاش عيني في حد اما نهارت الي
فديت وحببت نخرج من السجن الي انا فيه حسيت روعي
وحددي ومعندي حد حببت نتحب ونحب حببت نحس
بالامان والحب كيف غيري مشيت صليت ودعيت لربي قتلو
يا ربي اعطيني أمان ابعتلي حب اعطيني شكون يرجع فيا
الروح ويحسسنني الي انا عايشة اعطيني شكون يحبني
ويخاف عليا شكون يكون صادق معايا وميخلينيش اعطيني
شكون يعتبرني مسؤولية متاعو نكون ينتو واختو وصاحبو

ومرتو وكل شي في حياتو وكملت الصلاة ورقدت ومن
غدوة شفتك انت وسيم وصاحبك وحكيت معاكم ومن
غادي بدات حكايتنا وليوم عرفت وتأكدت الي انت الي
بعثهولي ربي انت الامان والحب وكل شي ربي مخينيش
وعطاني علا قد الدعاء الي دعيتو ربي بعثلي احسن واحن
راجل في الدنيا انت حبي وروحي ودنتي انت الي رجعت
فيا الروح انت الي حسستني الي انا عايشة انت الي
قلبتلي حياتي ورجعتلي قلبي وليت نحس وليت نبكي
ونضحك من قلبي وليت عايشة ربي يخليك ليا انا والله
خايفة نهار نخسرك موش عارفة كان يجي نهار هاكا اش
☆☆☆.يصير فيا نحبك وكل يوم نزيد نحبك اكثر

اتحاول في كل مرة اشعاري بالعجز لكتابة رسالة لها ام
اني من فقدت رشدي واحببتها حتى تبعثت كلماتي ام
ان رسالتها جاءت من عالم اخر غير العالم الذي اعرفه؛
لكن على الاغلب ان حبي لها قد صار يخرج من فمي
وانفي في شكل هواء وصار ينتشر حولي في طوفان لان
داخلي امتلا بها ولم يعد يتسع لاي كمية اخرى؛ملأت كل
داخلي وصارت تطوف حولي؛اكسيجيني الخاص على
الاغلب؛منذ البداية عرفت ان مسؤوليتي لم تكن تقتصر

على صديق يحمل عنها جزءا من همومها ومشاكلها التي تخنقها ورغم انها جعلتني احضى باجمل الهدايا والتي كانت اروع ما قدمه لي شخص في حياتي الا ان مسؤوليتي كانت قد تعدت منذ اول سر اطعنتي عليه الى ان امسيت بالنسبة لها الأب الذي يهتم ويسأل والأم التي ترعى وتحمي والأخت التي تحفظ الاسرار وتعرف ما لا تعرفه الأم والأخ الذي يساند ويحتوي والصديق الذي يأتي على الاسرار ويوثق به؛ اما الاخير؟؟ جمع الاخير بين كل هؤلاء ومزجهم في في رسم فوتوقرافي لونه بكل ما اعطاه الله من حب وحنان في قلبه؛ كان الاب والام والاخت والاخ؛ اي جسم واي قلب ذاك الذي يمتزج فيه كل هؤلاء؛ جمع كل عائلتها ومن حولها في عينيه وقد كانت تراهم فيهما كلما نظرت اليه بحب؛ كان الحبيب والعاشق والمغرم؛ لكنني كنت دائما ما اضع الحبيب في اخر الركب كلما لاقيتها فقد كانت تحتاج الى ان تشعر انها تجالس عائلتها التي لطالما حرمت منها اكثر من كونها تشغف لمجاسة حبيب او صديق؛ كان لها من الاصدقاء وكثرتهم ما يثير ضجرها ومللها؛ كان لها ممن يحبونها ويطلبون علاقة معها ما يزيد في اثاره تجاهلها واحتقارها لأمر العلاقات

تلك؛ كان لها من المقربين ما يكفيها لتنسى امر الحزن والاسى لكنها لم تكن تحتاج لأي منهم مثل حاجتها لاب يحتضنها ويقبلها من وجنتها البيضاء التي كانت تحمر بمجرد ان انطق الاحرف الاولى من احبك؛ كانت تحتاج لاب يهتم بها ويرعاها ويؤنسها ويسأل عن حالها؛ كان بحاجة اليه يجانبها حتى تعانقه وتنسى الدنيا بين يديه؛ كانت تحتاج لأخ تشعر معه انها رفقة زوجها الذي يحبها ويهتم بما يرد ويخرج من حياتها؛ يحميها ويدفعها الى الامام كلما حاولت الحياة اعادتها الى الوراء؛ كانت بحاجة لأخت تحفظ اسرارها وتحل معها مشاكلها؛ تنصحها وتقول لها افعلي ما تريه صالحا فانا الى جانب؛ كانت بحاجة الى أخت تحدثها عما يخنقها فترتاح وتهدهء وتلتمس معها شيئا من الراحة والهدوء؛ كانت فقط تحتاج لام تقدم لها بعض الحنان والعطف والاهتمام؛ لكنها لم تحضى باي من كل هذا؛ لم تكن تريد مالا او هدايا فكل ما ارادته هو ان تستعيد ذاك الشعور الذي فقدته منذ زمن؛ ذاك الاحساس الذي يشعرها ويغمرها بنسماته الدافئة؛ ذاك الذي يجعلها تنام وابتسامة تأبى مفارقة شفيتها الورديتين؛ كانت فقط بحاجة لاحساس بسيط لا يتطلب مالا ولا شقاء؛ كانت بحاجة

لعائلة لا اكثر وقد كانت تلك الهدية التي لن استطيع ان اعطيها مثيلا مهما قدمت لها؛هي فقط جعلتني احضى بشرف ان اكون عائلتها؛أبوها، أمها، أختها ،أخوها ولم يكن لكلمة احبك حاجة من البداية فقط كانت العائلة هي احبك بالنسبة لها.....

ما شعورك عندما يعلن لك احدهم انك عائلته بطريقة غير مباشرة؟؟صدقني ان الامر غني على ان يسمى شعورا؛ لكن يمكننا القول ان الامر اشبه بالسفر عبر الضوء في الفضاء او كاحتساء القهوة في ليلة اكتمل فيها البدر في قمة احد الجبال بسويسرا؛لا يهم في النهاية هو امر غني عن الوصف فلماذا نتعب انفسنا بالجري وراء الهواء حتى ولو كان عطرا؛لكن ما كان يهمني كفكرة انها جاءت مازجة لكل الالوان الذين اردتهم ان يضيفوا على حياتي طعما ومعنى فقد كانت تحمل ملامح امي وصفاتها؛كنت ارى ابي في تحملها لمسؤولية نفسها واحتوائها لاختها الصغرى؛وغرور اختي وجنونها وحماس اخي ونشاطه؛ كانت صادقة وظريفة كصديقة لكنها كانت استثناء كحبيبة فقد دمجت جميع من عرفتهم وزينت صورهم بطرقها التي لطالما ميزتها عن باقي من ولجوا إلى حياتي وكونت عالما

جعلتني فيه عائلتها التي فقدتها وصديقها الذي كانت تخفي فيه كل اسرارها اما حبيبها فقد ظل في كفة اخرى يطوف فوق كل هؤلاء كمثل الشمس وهي تعلونا.....

الحياة؛ صار كرهني لها ولوقتها لا يطاقان لكن ما باليد حيلة ماذا كان لي ان افعل لها لكن اي حياة قد تصل بالمرء ان يتجاوز مرحلة مهمة من عمره؛ لن تكون غير حياة بائسة في نظري في حين ان الكثيرين يرونها اجمل من الجنة التي دقق القرآن في وصفها؛ ربما هم لا يأبهون للجانب السيئ من الحياة لان لديهم من المال ما يكفي ليبقوا ذلك الجانب بعيدا عن دائرة تفكيرهم؛ لديهم المال ليكونا صداقات ولديهم المال ويحصلوا على عائلة كما تشتتهي انفسهم فلماذا قد يتعبون انفسهم بكون ان هناك وجها مقرفا تبتسم به تلك الابتسامة المثيرة للتقيئ في وجه البسطاء امثالنا؛ تلك هي حياتنا وذاك هو وقتها تعترض الغني معضلة ما يركلها الى الخلف بمجرد ان يخرج من جيبه ورقة كتب فيه رقم يصعب قرائته للذي لم يتعود عليه كل يوم فتسقط امام احد البسطاء لكنه لا يملك تلك الورقة التي ستمكنه من ركل تلك المشكلة فيضطر الى فتح يديه لاحتضانها ضنا منه انه بذاك الحزن سيخفف من شدة

الارتطام بها لكي يجد نفسه شاحب الوجه محمر العينين وقد احاطت به ظلمة وعممة اخفت اغلب جسمه؛ لكنها كان استثنائية في نظري فقد انتقلت من طور البنت ذات العشر سنوات مباشرة الى امرأة ملأت حقيبة ظهرها بالقصص والروايات لكن اختها الصغرى لم تكن مجرد قصة من قصصها الغريبة بل كانت اللوحة الفنية التي جعلتها تتعلق بمسمى البقاء حية او التمسك بالحياة بل وأضافت اليها بعض الالوان الي جعلت من ملامحها تاخذ لها مكانا على اطراف ذاك العمل الابداعي؛ مجرد لمسات بالكاد تلاحظ جعلت من اختها الصغرى تصبح انعكاسا لها جعلها تنسى انها لم تعش طفولتها وانها حرمت من مراهقتها ولم تحضى بأي لحظة منها؛ محظ الوان أضافتها بصدق ولطف جعل من تلك الصغيرة تبدو كظل الكبيرة؛ خمنوا شخصا في الثالثة والعشرين من عمره لكن ظله الذي يرتسم على الارض لم يتجاوز السادسة بعد؛ قد يعتبر هذيانا ام جنونا لكن الله على كل شئ قدير والحرمان والقهر يصنعان المعجزات احيانا؛ هذا ما حضيت بعيشه ولو سألوني يوما ان كنت قد عشت تجربة او كان لدي شئ مميز في حياتي فلن اجد اجمل من تلك الظريفة واختها

الصغيرة موضوعا لحديثي الذي لا اضمن انه سينتهي بمجرد ان ابداه؛ كانت معجزتي من عند الله.....

كنا نتراسل بضعة ساعات قبل ان اراها وقد كنا نعدهم بكل دقائق المملة والمضجرة لاسيم وان الوقت كان يؤدي دوره كئذلى على اكمل وجه وقد اخذ منا الشوق كلما امتلكناه من صبر؛ قالت وسط ضحكاتها التي اقامت حفلا لها بين احرف تلك الرسائل؛

«لو تعرف كم اشتقت لمجالستك لنسيت انك احببتني اصلا!!!»

استغرق منى الامر بضع دقائق حتى ترجيت كلماتي ان تكون مرضية وفي مستوى رسالتها تلك؛ ادلفت؛

«وماذا ان نسيت حتما سأحبك مرة اخرى وبذلك ساعيش كل تلك الايام مرة اخرى وحين اعرف انى كنت احبك من الاساس ومنذ زمن سأعتبر انى عانيت من الزهايمر لمدة ثم شفيت لكن المفرح انك والزهايمر متشابهان لكنك زهايمر مختلف فالآخر يفقد الناس ذاكرتهم لكنك افقدتني كل عقلي لأنى نسيت نفسى معك لذلك لن انسى انى احببتك مطلقا....»

❖❖ يعني انت مريض بي!!!

❖❖ وقد تشرفت والدواء مقطوع...

❖❖ لي الشرف يا مغرور.. طيب ساجهز نفسي وساطحب
رؤى معي الليلة....

❖❖ رائع يعني اني ساحضى بمجالسة اثنين منك بعد
قليل؟؟

❖❖ على ما يبدو لكن حقا أتعلم؛ رؤى هي انا الصغيرة وهي
الصورة الجميلة التي كانت تجعلني ابتسم كلما امعنت
فيها النظر او داعبتها رغم كل ما يخنقني كنت انسى كل
الدنيا معها والآن انت تفعل نفس الشيء اصبحتما كل ما
املك؛ اشتقتك يا مغرور....

كانت تعانقني حتى برسائلها وكلماتها؛ حديثنا عبر
الفايسبوك كان عبارة عن عناق الكتروني تلتقي عبره
روحينا وتندمجان الى بعض في ذاك العالم الافتراضي؛ وما
احببت ذاك العالم وادمنت عليه وتابعت مستجداته الا
لاجلها؛ كيف لشخص ان يجعلك تدمن على اشياء تكرهها
؟؟ كيف لشخص ان يجعلك تتغير كلياً دون حتى ان تشعر
بتغيرك؟؟ كيف لشخص ان يجعلك انساناً اخر عما كنت

عليه لكنك لا تشعر انك صرت غريبا عن نفسك؛حتما لم يكن لينجح في ذلك لو لم يكن جزءا لا يتجزء منك؛اما بالنسبة لي فقد صارت انا الذي لا يختلف عني الا في فصيلة الجنس؛صرنا كمرج البحر الذي يقطع المياه نصفين لكن عذوبة المياه في الجهتين سواء.....

ليلة هادئة؛تجول الدفئ في الانهج والطرقات؛سكون مخيف؛جمود بسط خيمه على كل ركن من المدينة؛ انتهت تلك الحفلات منذ ايام وقد بدأ السياح ينسحبون بسلاسة عائدين الى مدنهم؛كانت المدينة شبه خالية لا ترى فيها الا اهلهما وسكانها؛خرجت وحدي هذه المرة وقد رافقتها رؤى الصغيرة كما علمت مسبقا وقريبتها غريبة الاطوار تلك؛ظللنا نتراسل منذ خروجي من البيت وقد جلست على احد تلك الكراسي الحجرية قبالة ذاك المسرح تشاهد اختها وهي تلعب مع الصبية والفتيات الصغار؛كنت قد اوقفت سيارة اجرى ولم يتطلب امر وصولي اليها سوى ثلاث دقائق؛هاتف يرنب نبرات شوق وانتظار طال اكثر من اسبوع هذه المرة؛رسالة ضجر بالكاد تتنفس حروفها؛بالكاد تسمع حسيس كلماتها الحزينة؛كانت رائحة عطرها تأج من بين كل حرفين؛صوتها كان يهمس بعد كل

سطر انهي قرائته وشفايا تبتسمان ولا ادرك ان كانتا
تبتسمان فرحا ام ان الشوق نفسه يتقلب في سعادته
وقد ادرك انه سيأخذ قصتا من الراحة طول جلستي معها؛
«أين أنت لقد تأخرت علي؟؟»

«انا في الطريق؛ ثلاث دقائق واصل!!»

كانت قد انغلشت تحادث اختها ثم ادلفت؛

«طيب انا انتظرك، اخبرني عند اقترابك حتى اترك رؤى
عند قريبتني واعترضك؟؟»

«يمكنك المجيء الآن شارفت بلوغ واجهة المقبرة؟؟»

«لكن ذاك الشارع مظلم جدا أخاف ان اعبره وحدي!!»

«مالذي يخيفك يا قصيرة ساكون معك ولن تمشي فيها
طويلا بمفردك فقد قطعت نصفه الان!!»

كانت تحدثني وتمشي نحوي في ذات الوقت؛ انعدمت
الانارة في ذاك الشارع اذ كان مظلما ومعتما بالكاد هناك
مصباح معلق فوق باب المقبرة يرسل ضوءا خافتا بالكاد
يغطي مسافة بضعة امتار حوله على عكس ساحة
المسرح التي اضاءت مصابيحها كل جزء من المكان حتى

بلغت الانارة نصف الشاطئ؛انغمست في مشاهدة
هاتفني انتظر ردها؛كانت تمشي نحوي وقد لمحتني في
تلك العتمة وجرت نحوي تلقائيا؛كنت لا زلت انظر الى
شاشة هاتفني التي تبهرني بضوئها واذا بجسم يرتمي
بكل ثقله علي يعانقني ويحيط بكلتا يديه حولي؛لقد خجل
حيائها من ان يمنعها من معانقتي؛حتى الحياء كان يكن
شيئا من الاحترام والتقدير والتفهم لصديقه الشوق لكنه
حال بينها وبين النطق والكلام؛انصرت على جسمي مثل
انقباض الرضيع بكلتا يديه على عنق أمه ؛لم تنبس
بحرف؛لم تكن بحاجة لتعرف عن نفسها او لتقول مرحبا
لقد اشتقت لك يا هذا؛لم تكن بحاجة لتسمعي صوتها
حتى اتعرف عليها فقد كان عطرها يبادلني السلام منذ ان
جرت نحوي بخطواتها الصامتة؛حتى ارتطام رجليها
النحيفتان على الارض لم ادركه؛حتى الارض كانت تلين
لمشيتها؛كانت انفاسها التي تلج وتخرج من رئتيها
تهمسان لي كيف حالك لقد طال غيابك عني؛رأسها
المغطى برداء الكعبة ذاك كان يعانق صدري ويفرغ فيه
شحنات الشوق التي كبلته طيلة اسبوع؛يذاها التصقا
بعض في اشتباكهما وأبتا الانحلال عن بعض؛عانقت قمرا

لثوان فاضاء لي كل ذاك الشارع دون الحاجة لشمس تمده
بالنور؛ كانت شمسا في هيئة قمر زينت سماء عالمي
الذي جعل من إسمها عنوانا بدلا من مصطلح الحياة؛ اما
صوتها؟؟ صوتها كان آذان صلاتي السادسة؛ اقامة لنافلة
صارت بالنسبة لي فيرضة همست؛

✘✘ فلنبقى هكذا الى الابد!

كنت اعجز للرد عن رسائلها احينا لكني كنت افكر وأخذ
وقتي ثم اكتب؛ لكن الآن ماذا سأكتب لاذنيها المحجوبتان
بذاك التاج؛ تجمدت؛ او ربما حنطت في مكاني ذاك؛
استحييت منها؛ من الحراك حتى لا ازعج شرودها؛
استحييت من التنفس حتى لا يزعجها همس الهواء في
شهيقه وزفيره داخلي؛ تطلب مني الامر جمع كل كلماتي
التي تناثرت في ارجاء ذاك الشارع المظلم اثر ذاك العناق
؛ اجبت؛

✘✘ وماذا ان تعبتي من الوقوف؟؟

✘✘ ومن أخبرك اني واقفة الآن ؛ بل قل وماذا ان اعيتك
السباحة!!

✘✘ السباحة في المياه العذبة لا اعياء فيها حبي.

الرسام لا ينتج لوحة فنية رائعة الا بعد ان يرمي عشر اوراق في القمامة حتى يتوصل في النهاية الى عمل فني بامتياز؛ لكنها تفنتت في رسم ملامح تلك الفتاة التي تبسم ببريق صدق في عينيها من الورقة الاولى؛ انسلت مني مبتعدة ببطئ وقد وقفت امامي لكني احسست بكل جزء مني يتخلى عني ويساير ابتعادها وكأن جسمي قرر تركي والاندماج اليها؛ شفطت كل ما بقي مني ببساطة ذاك العناق؛

«الامر لا يتعلق بنوعية الماء حبيبي وانما بمهارة السباح وقدرته على الاحتمال...»

انتهى بنا الحال جالسين على احد تلك المقاعد الحجرية في ساحة المسرح نتبادل الاحاديث كما لو اننا افترقنا لاعوام متتالية بينما انغمست تلك الظريفة في اللعب مع بنت كانت بالجوار رفقة والديها؛ كانت سعادتها اثر تلك السهرة تكاد تقسم البحر نصفين؛ كان صدى صوت ضحكاتها في لعبها مع صديقتها الصغيرة التي لا تعرفها الا للحضة يغمر الشاطئ ويحوب كل اجزائه؛ نزهتها تلك وابتعادها عن البيت كان بمثابة الافراج عن حسين زج به ظلما في احد المعتقلات؛ كانت شفتاي لا يعرفان للصمت

عنوانا،روحها كانت تساير احاديثي وتتبع صوتي لكن عينيها كانتا تتقاسما وجهة النظر وقد حضيت رؤى بالحصة الاكبر من التركيز؛لم يكن هناك شئ يظاهي فرحتها تلك وهي ترقب ابتسامة صغيرتها التي كان لها من البراءة والظرافة ما ملأ عليها دنياها وجعلها تتجاهل احزانها لاراديا ورغم ان مصاريف دراستها كانت لا تنتهي الا انها كانت توفر لها كل ما تشتتهي وتطلب؛حضيت بان تكون أما في سن الثالثة والعشرين دون ان تكون بحاجة للزواج حتى؛الزواج؛الحب؛الرومنسية؛لطالما ظلت كلمات غريبة عن عالمها الذي كانت أهم قوانينه الحرية في كل شئ؛كانت مستقلة ومسؤولة عن نفسها وعن أختها في نفس الوقت وقد جعلتها تلك المسؤولية تتخلى عن اهم شئ تملكه لاجل الا تشعر صغيرتها تلك بأنها مهملة وغريبة بين اهلها؛تخلت عن حياتها التي من المفترض ان تكون قائمة على الانسجام والحب واتخذت العناية برؤى حياتها الجديدة؛حرمت من تذوق طعم يوم واحد تحس فيه انها طفلة؛لم تعرف معنى المراهقة حتى؛حرمت من اهتمام أمها وأبوها حتى تحول ذاك الحرمان الى قهر كبتته داخلها وصار كمثل قنبلة موقوتة قابلة للانفجار وابادة كل

من حولها في أية لحظة من الزمن؛ حافظت على صمودها وتوازنها طيلة اربعة سنوات وقد صارت تحول جزءا من تلك المكبوتات الى اهتمام ورعاية تقدمهما بلطف وعطف لتلك الظريفة الصغيرة؛ ورغم ان الامر كان يخنقها اكثر مما كان يسعدها الا ان تضحيتها من اجل أختها لم تعرف اليأس والتواكل؛ كانت اما مثالية لاختها؛ واي ام تلك التي جمعت حنان الام وعطفها وازافت اهتمام الاب ومسؤوليته وحب الخت ومساندتها؛ كانت عائلتها؛ تركتني جالسا فوق ذاك الكرسي وركضت نحو رؤى تسألها ان كانت قد جاءت او ان كانت تريد شيئا فهمست لها بخجل انها لا تريد شيئا؛ قبلتها من وجنتها وراحت تراقصها وتدور حولها وقد شردت فيهما وهما يكادان يحولان الليل الى نهار بتلك الضحكات الصادقة؛ تعامل أختها بتلك الطريقة وتعيرها كل ذاك الاهتمام والرعاية فماذا لو كانت ابنتها من رحمها؛ لوهلة حمدت الله على هاتين الظريفتين اللذان صارا رزقا من عنده وقد تمنيت لو اني كنت أبناها او أخوها؛ حينها لن يزورني شعور الخوف من خسارتها لحظة؛ جمعت الكل ودمجتهم في ذاك الجسم النحيل لكن الامر لم يكن بالسهولة التي يراها البعض فالتضحية بطور من الحياة من

اجل شخص ما كبيرا كان ام صغيرا لا يقل منزلة عن التخلي عن الحياة باكملها فذاك الطور كان جزءا لا يتجزء من حياتها الا انها خرقت السلسلة وتخلت عنه بكل بساطة من اجل أختها؛ اي شخص كان ليحتمل عقله كل هذه الاضرار النفسية؛ كيف لمريض ان يشفى دون دواء؟ كيف لانسان ان يتعلم دون دراسة؟ استثنائيتها تجاوزت المعقول لذلك كنت دائما ما اقول لها انني احببت امرأة لا فتاة والفرق بينها وبين اي فتاة اخرى حتى اذا كانت في مثل سنها كان واضحا؛ كانت استثنائية في كل جزء من حياتها؛ مرت من طور البنت الصغيرة الى طور المرأة الراشدة والمسؤولة؛ اما طور الطفولة والمراهقة فقد تبخر في الهواء كما لو انه لم يوجد منذ الازل؛ كانت عصامية في حياتها؛ كبتها للمشاعر داخلها كان بقدر اهتمامها برؤى لكن جزء اخر منها كان يأخذ مجرى الغضب والاضطرابات؛ غضبها كان يجعلها تبدو غريبة عن الجميع؛ كان يدفعها نحو الوحدة والانعزال حتى لا تحدث اضرارا في علاقتها بالآخرين؛ اما اضطراباتها فقد كان فلسفية لا تفهم ولا تفسر؛ كانت فلسفتها استثنائية؛ لكن عصبيتها لم تطلني فقد كانت تمتنع عن محادثتي اذا ما اغضبها شئ

ما حتى لا تخطئ في حقي لانها عصبيتها تحولها الي شخص حتى هي نفسها لا تفهم ما يريدہ وما يرمي اليه؛ كانت تحس بالاغتراب حتى عن نفسها لكني حضيت فيما بعد بان صارت تصب كل غضبها في حتى ان لم اكن سبب المشكل؛ اصلا لم نكن نتشاجر مطلقا وعلى ماذا سنتشاجر؟؟ لم يكن هناك سبب عاقل يجعلنا نقطع عن التراسل لنصف يوم حتى وقد كانت سخريتنا من مشاجرات الاخرين لا تنتهي؛ هذان يتشاجران على رسالة قرأها احدهما ولم يرد عليها وينقطعان عن الحديث لأيام وربما تنتهي العلاقة الى الأبد؛ الآخران يتجاشران على إقفال احدهما الخط بوجه الاخر؛ كانت بالنسبة لنا مجرد هرطقات تثير السخرية لا اكثر.....

الهندسة كانت إسمها الثاني؛ فلسفة التناقضات كانت اسلوبها في العيش؛ روح صامدة رغم قساوة الحياة؛ قلب قتله القهر والحرمان والغدر والخيانة احييته من جديد بعون الله وفضله ثم بارادتها للخروج من سجن الوحدة الذي كانت تتطوف داخله؛ جسم قصير، نحيف وهزيل انهكه التفكير واعيته المسؤولية المتوحشة؛ عينان لازمهما

غشاء الدموع ذاك الذي كانت تصده عن الانفجار؛ شفتان
تبتسمان ببرود مع الاخرين لكنني التمسيت فيها شيئا من
الصدق كلما شردت في النظر اليها او عند مداعبتها
لرؤى؛ حياتها كانت تقتصر على الثلاث احرف المكونة لاسم
أختها الظريفة*رؤى*؛ قصة عشق لا تنتهي مع النوم
والاستماع للغناء وأكل اي شئ يرتبط في مفهومهم بكلمة
شوكولاتة؛ اما القراءة فقد كانت عالمها المفضل الذي
تنفرد فيه بنفسها مع كلمات ذاك الكتاب الذي يبدأ في
مغازلتها منذ قرائتها للعنوان؛ كان شغفها بالقراءة وخاصة
روايات الفانتازيا السياسية لا يعرف للحدود تعريفا؛ اما
الافلام فقد كانت هوسها الذي يجعلها تغوص في عالم من
الخيال بعيدا عن تفاهات عالمنا هذا؛ افلام
الرعب؛ الوحوش؛ القتل؛ الجريمة؛ الافلام البوليسية؛ كانت
اصنافها المفضلة؛ كيف لامرأة ان تميل لقراءة روايات لكتاب
قضوا نصف حياتهم او من الممكن كلها في القلب بين
الحزن والكآبة؟؟ كيف لامرأة ان تحب افلام العنف التي تبعث
الخوف في قلوب الرجال اذا شاهدوها؟؟ كيف لامرأة ان
تفضل الغوص في عالم الظلام والعتمة وتفضل الوحدة
على الارتباط؟؟ اسئلة لم تزرني يوما فقد كان الجواب بين

يدي منذ البداية فالحرمان والقهر يحولان قلب المرء الى كتلة صلبة جليدية من الصعب اذابتها واذا ما تجمد وبرد انطفى ضوء تلك الغرفة التي تمثل مركزه وهي التي يتولد منها كل ما يتعلق بالاحساس والشعور والحب؛ كان العنف النفسي الذي تلقته من الحياة قاسيا عليها وقد كان كافيا لجعل نبضات ذاك القلب الظريف تدخل في سبات جزئي اذ انها تخفق في الحقيقة لكن خفقانها ذاك كان وهميا؛ اما من جهتي فقد وفقت بطريقة كانت عفوية وغير مخطط لها في احياء ذاك القلب من جديد وقد صارت مسؤوليتي تجاهها لا تقتصر على صديق تحول الى حبيب بطريقة ظريفة وإنما اصبحت أمثل عائلتها التي حرمت منها لسنوات؛ كان ذاك اجمل شرف حضيت به بفضلها وكانت تلك أثنى هدية قدمتها لي بعد ثقتها بي؛

تلك هي أمي الثانية؛ تلك هي صديقتي التي احبتها..... انتهى بنا المطاف نتمشى في ذاك الشارع وقد بلغ آخره ضوء خافت كان يصدر من احد المصابيح الكبيرة للطريق المجاورة؛ اخذت رؤى تجري وتقفز امامنا وقد اختفي ذاك الخجل الذي اظهرته لي في البداية بكونها لم ترني قبلا لكن سرعان ما نسجسما وصارت ترد على كلماتي حين

اسألها او اخاطبها شيئاً؛جلسنا على احد تلك الكراسي الحجرية بينما فضلت قريبتها الانفراد بنفسها على الشاطئ وأخذت رؤى تلعب امام انظارنا،تتردد علينا تارة وتجري نحو قريبتها ثم تعود الينا تعانق أختها وتقبلها؛ كانت سعادتها بتلك النزهة لا توصف كفرحة فتاة صغيرة اثر رؤية أمها التي غابت عنها ليوم كامل؛انغمسنا في الحديث وقد كانت كل ثانية من لقاءنا مقدسة؛كانت كالصلاة خشوع لدقائق لكن خشوع لقاءنا كان لا ينتهي حتى بعد دخولها البيت؛كانت علاقتنا في اوجها وقد صار حضورها في حياتي عبادة من العبادات وأي عبادة تلك التي كان غيابها يمثل النقطة الفاصلة بيني وبين الخروج عن ديني؛حبها كان ديني الثاني؛وقد صارت إسمها صلاتي الخامسة اما صوتها فقد كان الإقامة وقد حضيت بتذوق طعم ثان للخشوع فالاول كان رزقا من عند الله اثر صلاتي المفروضة اما الثاني فقد رزقا منها عندما تسمح لي بالشروود في عينيها؛كانتا كمجال الارض الحيوي ريثما تخترقة تغدو طافيا في الهواء الدافئ حتى يحتضنك الهدوء والسكون ويغطيكم الجمود حتى تتنفسه فتهوي في ذاك العدم بجسمك وتستسلم لذاك الضوء الذي يجذبك اليه فتحس انك تسبح

وما انت بمتحرك من مكانك وحتى ذاك الضوء لن
تدركه؛ كانتا كالمخدر تنظر اليهما لثانية فتنام وانت مفتوح
العينين؛ وكأنما الكون بأسره قد حصر داخلهما وكيف لعينين
ان تحملا داخلهما كونا بكواكبه ومجراته؟ على الاغلب كانا
كذلك والله على كل شىء قدير.....

«اتدرين أني رأيتك منذ سنوات أمام بيتكم الأول؟»
«اتدري أني اريد ان اشرد في صوتك مثما تشرد انت في
عيني؟»

«المطلوب مني الآن إذن؟»

«لا شىء تكلم فحسب ولا تلم صمتي اريد فقط ان
اسكت ضمئي من صوتك رغم انه لن يسكت لكن على
الاقل يهدء قليلا حتى اللقاء القادم.....»

«طيب؛ قلت ان ابوك يعرف اخي منذ سنوات؛ كنت معه
ذات مرة حين زار ابوك في بيتكم القديم في المدينة
الأخرى حتى يقل له شىئا؛ جعلني انتظر في السيارة وقد
طال غيابه بالداخل؛ شعرت بضجر وقد نفذ صبري وهممت
بالنزول ورحت أمشي نحو الباب؛ رفعت يدي حتى اطرقه
لكن يدي لم تكد تصله حتى فتحه احدهم؛ كما لو انه كان

يعرف بأني أقف أمامه وسأدق؛ خرجت فتاة ترتدي خمارا
اخضر اللون، كانت قصيرة للغاية، لم اركز في لباسها فقد
كان الامر سريعا؛ لقد كنت أنتي ؛القيت عليك السلام لكنك
احنيت رأسك وتجاوزتني مبتعدة نحو الطريق.....

«كيف استطعت تذكر مشهد مضى عليه سنوات
متتالية؟

«لن اكذب واقول ان وجهك ظل راسخا في ذهني او ان
ذاك المشهد ظل يتردد على ذهني لكن حقا لا اعرف كيف
تذكرته؛ لا اعرف ايضا كيف تذكرت ان ذاك المشهد كان اثر
نجاحك في البكالوريا بأيام؛ لا اعرف كيف تذكرت لكن هذه
الحياة ستصيبني بالجنون يوما ما.....

«ولماذا قد تجن يا هذا؟؟

«من كان يقول اننا سنلتقي مجددا بعد كل تلك السنوات
واننا سنصبح اصدقاء وسنصل الى هذه الدرجة من
القرب؛ الا تثير مثل هذه الامور الجنون؟؟

شبتك يسراها بيمناي وقالت وهي توجه ذاك الكون إلي؛

«هناك امور اخرى اجمل من حكايتك تلك تثير الجنون يا

حبيبي...

✘✘ قطبت حاجباي؛

✘✘ مثلا؟؟؟

ابتسمت؛

✘✘ صوتك...عينك...ابتسامتك...اسلوبك الظريف في
معاملتي؛أحبك.....

اكتفيت بالابتسام؛ماذا ساقول على اية حال ففي كل
مرة تقول فيها مثل قولها ذاك او حتى بمجرد رسالة تتوه
عني كلماتي واعجز عن الرد؛لم انبس بحرف اصلا تبعثرت
مني كل الحروف التي من شأنها ان تكون كلمة؛ لكني لم
ايأس يوما من إعادة تلك المحاولات؛محاولة بلوغ اقصى
نقطة استطيتها في تعبيري عن حبي لها لكن اتضح لي ان
ذاك الصراع مع نفسي مازال سيعاشرني اكثر؛اصلا كنت
على يقين اني لن اصل تلك النقطة ابدا فهي لا تدرك؛كنت
كما لو اني احاول تغيير قانون النسبية او خرقه او ابطال
نظرية نشأة الكون؛هكذا كنت ارى تلك المحاولات.....

منتصف الليل وقد رن منبه انتهاء اللقاء واستيقظ الشوق
من نومه الذي لم يدم طويلا؛اخذنا طريقنا الى بيتها وقد
حملت رؤى بين يدي ورحلت ابادلها الحديث؛صرنا الان

اصدقاء بعد ان تخلصت من خجلها مني وقد اشترت لها
شوكولاتة اعجبتها اذ كانت عربون صداقتنا؛ فاذا اردت ان
تحضى بالقرب من صغير ما فالحلوى هي اجمل هدية
تجعلك اقرب اصدقاءه؛ هكذا هم الاطفال؛ رؤى؟ كانت صورة
مصغرة لاختها اذ لم يختلفا عن بعض في شئ غير فارق
السن؛ لوهلة احسست اني احمل المرأة التي احببت لا
أختها الصغرى؛ كانت تتفحص وجهي وانفي وهي تبتسم؛
xx ما اسمك انت؟؟

xx منذ قليل ناديتني رؤى؛ انت تعرف لماذا تسألني اذن؟؟
كان عمرها وكلامها لا يلتياق ابدا؛ اكتفيت بالابتسام بينما
اخذت تمسك انفي وتجذبه بلطف؛
xx طيب اخبريني لماذا انت جميلة؟
ضحكت ونظرت الى أختها ثم قالت؛
xx جميلة لأنني أخت ندى.

انفجر الكل ضحكا وقد ارادت النزول؛ امسكت يد أختها
واخذت تنظر الينا وتحادثنا وسط ابتساماتها التي اضفت
على سهرتنا تلك اجواء من المرح؛ كانت متعلقة باختها اكثر
من تعلقها بأمها التي انجبتها؛ رغم انها تخاف منها وتعاتبها

احيانا ان اخطأت الا انها لا تتركها مطلقا وتكون النزعات معها هي اجمل الاوقات التي تقضيها؛تشتاق لها ان غابت عنها وتفتقدها كثيرا؛كانت تحمل الهاتف الى أمها وتطلب منها ان تجري لها اتصالا حتى تخاطب أختها ان شردت في الجامعة لايام وتطلبها ان تعود الى البيت لانها اشتاقت لها ولنزهاتها فحتى ان لازما البيت فالامر لا يضجرها مادامت هي معها؛كانت تفضل أختها على أمها وتشغف لمجالستها اذ ان العلاقة بينهما لم تقتصر على اختين مثلما كانت علاقة أم بابنتها؛كانت مدللة أختها.....

انتهى بنا الحال الى سلامنا الأخير امام بيتها؛كان الوقت قد أدى دور بطولته على اكمل وجه؛مرت تلك الجولة كحلم هويانا فيه كلينا وغصنا في احاديثنا التي لن تنتهي مطلقا بينما استمتعت رؤى باللعب وكان التعب قد اغواها وحملها في احضانه الدافئة حتى وجدت نفسها ملقاتا في فراشها بعد ان اخذ مخدر النوم يؤدي وظيفته ويغطي كل جسمها الصغير؛سارعت البنتان الى البيت بينما اخذنا نتبادل آخر نظرات ذاك اللقاء وقد تغيرت ملامحها التي لمست فيها السعادة منذ دقائق الى ضجر وكان الشوق قد استيقظ

من نومه ونحن حتى لم نغب عن انظار بعض؛ تلك القصيرة
صارت تملكني؛

«اسبوع او مهما كان وسيمر مثلما مر الذي سبقه فقط
اهتمي بنفسك من اجلي ولا تجعلي مشاكل البيت
تضجرك بعد الآن؛ ليس لك ذنب في اي شيء مما حدث؛
انا معك ولن اترك مهما حصل؛ يوما ما سيعرفون ان
اهمالهم لك كان خطأ في حقك وذنبا امام الله؛ لكن اعدك
ان كل شيء سيتغير وستنسين انهم فعلوا ما فعلوه اصلا
ولن يبقى شيء في النهاية سوى روايات تافهة
ستنسينها.....»

وقد ارتمت الي تعانقني وتصارع تلك الدموع من الولوج الى
الخارج؛ لطالما ادهشني ذاك الصمود بالنسبة لعمرها
؛ كانت كما لو انها عاصرت الحياة منذ الازل وجارت كل
التجارب والمحن وحملت في قلبها هموم وحزن الشعب
الفلسطيني والسوري بأسره؛ لكن حقا ان حرمان المرء
من اهتمام والديه لا يقل خطورة عن استعباد شعب كامل
وتجريده من حقوقه وحریاتك وسلبه لارادته؛ سلبه لحياته؛
«اشتقت لك منذ الآن صدقني....»

لم استطع التراجع او الابتعاد حتى؛ لم انبس بحرف وقد سايرت تعلقها ذاك حتى انسلت بمفردها واخذت تسير نحو البيت بخطى حزينة تشدها الى الورااء؛ كان سيرها نحو المنزل بمائة المشي عكس عاصفة هواء شديدة تصدها وتعيدها الى الورااء؛ توقفت فجأة والتفت تنظر إلي بعينين ملأتهما الدموع ثم اندفعت نحوي مرة اخرى؛

كان عناقها الثاني لي يحمل من الحزن ما كان ليهدم جبلا ويمحو انبساطه على الارض؛ انين قلبها؛ نحيبه وهمسه كانوا يخترقون جسمي عبرها؛ كانت تضغط علي بيديها وتشد نفسها نحوي كما لو انها تريد دمج جسمها بجسمي حتي نعجز عن الانحلال والانفراق؛ لم احاول حتى ابعادها عني اكتفيت بالصمت وسماع الصوت الذي كان يصدر من داخلها؛ اعادت نفس ما فعلته ثلاث مرات وكلما مشيت نحو البيت لا اراها الا مندفعة نحوي من جديد؛ تشبثت بي في آخر رجعة بشدة؛ كاد ذلك العناق ينطق ويصرخ؛ كان يهمس لي ان لا تتركني في هذا المكان فهو يؤذيني من الداخل، لا تتركني وحدي خذني معك أينما تذهب، لا تذهب، لا تتركني؛ جرت نحو البيت دون رجعة؛ جذبها اليأس والضجر ودفعها نحو باب منزلها؛ دفعت

الباب بشدة وولجت الى الداخل دون حتى ان تلتفت الى الورااء؛استغرقت في وقفتي تلك وانا انظر ناحية باب منزلها بضع دقائق؛كنت لا زلت اوهم نفسي انها مازالت بين يدي؛للحظة كنت ساقول هيا يجب ان تدخلي رؤى لن تنام الا اذا كنت بجانبها،ستمر الايام بسرعة وسنلتقي مجددا؛لكن عبثا كنت اتوهم فهي في

الداخل منذ زمن وانا لازلت محنطا في وقفتي تلك استنشق عطرها الذي ظل يتسلل الى رئتي وكأنها لازالت امامي؛عطرها؟صار يمثل نصف نسبة الهواء الذي يتجول في جسدي؛انتهيت داخل سيارة اجرى عند الواحدة بعد منتصف الليل؛كان خلو المدينة يبعث الخوف؛ كانت خاوية بالكاد ترى رجلان في كل مقهى؛اما الطريق فلم يختلف حالها عن حال المدينة في شئ غير انها ملأت بسيارات الاجرى أو من كان الليل والسهر حتى الفجر شغفهم؛رسالة ترد؛

«اين انت هل وصلت؟هل انت بخير؟»

«اجل انا بالبيت وصلت لتوي؛كيف حالك؟»

✘✘ بخير اسعدني ان رؤى فرحت بتلك النزهة اليوم لكني
اشتقت لك...

نفس الرسالة التي كنت انهك وانا اجمع لها كلمات لأكون
ردا لائقا اذ لم تكن كلمة* وانا ايضا* تكفي بالنسبة لي؛
امضينا ما بقي من الليل في تراسلنا ذاك حتى نامت وهي
تكتب لي ردا على احد رسائلي؛ لطالما احبت النوم وهي
تراسلني ولطالما راق لها ذاك الشعور وهي

تستيقظ من النوم وقد تذكرت انه هزمها ليلا وتركتني انتظر
ذاك الرد الذي لم يصل فتفتح حسابها صباحا لتجد عشرات
الرسالة التي تحسمها تلك الرسالة الصباحية لكن في
اغلب الاحيان كنت من يغريه النوم ويهزمه التعب اولاً؛ كنا
نتحدث ذات ليلة ولم اشعر الا بذاك الارتطام البطيئ على
صدري؛ كان الهاتف قد انسل من بين اصابعي واخذ مكانه
المعتاد لكن النوم لم يزرها ليلتها؛ ظلت تكتب لي رسائلا
وترسل صوراً طول الليل حتى عانقها النوم في وقت متأخر؛

✘✘ اين تهت؟؟

✘✘ حبيبي؟؟

✘✘ يا مغرور؟؟

يا معتوه؟؟

احبك

اشتقت لك

ظلت تكتب تلك الرسائل طول الليلة وامتنعت عن ايقاضي
لاجد ستا وثمانون رسالة وصورة في الصباح؛
احبك☆اعشقتك☆لن اتركك مهما حدث☆معا حتى آخر يوم
في حياتنا☆لن اتخلى عنك☆دائما معا☆انت انا وانا
انت؛صارت كلمات لا تغيب عن رسائلنا يوما واحدا طيلة
تلك الاشهر؛لكن كلمتنا التي فضلناها وميزتنا كانت غريبة
بعض الشيء☆اعشقتك ربك☆كانت هي آخر ما ننهي به
حديثنا ان قررنا النوم بارادتنا؛عادت الايام الى بطئها المعتاد
وقد شغلت نفسي بالعمل حتى استطيع التغلب على
ذاك المضجر والممل؛كنا لا نتراسل الا مساء حتى وقت
متاخر من الليل؛عدت ذات مساء متأخرا الى البيت بسبب
العمل؛كانت تنتظرنى كالعادة وقد ضجرت بسبب ذلك
التأخر؛كانت تمل كثيرا في البيت فالكل له اشغاله بينما
تنفرد هي برؤى التي تملأ عليها الوقت الذي اغيب فيه
عنها طول اليوم؛كانت تعيد نفس العمل كل يوم، ترتيب
البيت واعداد الطعام ثم تجالس اختها وتنتظر اتصالي الذي

كان بمثابة دخولنا في غيبوبة التراسل لساعات طويلة؛ كنا
نقطع عن العالم الخارجي كلياً؛ رسالة ترد عند منتصف
الليل؛ كانت في غاية السعادة لكن الكلمات في رسالتها
تنحب وتأن شوقاً؛ أما رسالتها فأذهبت عني تعب ايام من
العمل بمجرد قراتها؛ كان الامر بمثابة الاستلقاء على فراش
من القطن والغوص في سبات مخيف؛ كان كما لو ان أحد
الاطباء يدلك كل جسمي ويضربه حتى راح عني كل الاعياء
في ثوان؛ ادلفت؛

xx لو تعرف ما سر تلك الابتسام التي صرت تراها على
ملامي؛ صدقني ان تلك الابتسامة لا ترتسم الا اذا ما
كنت مع الاشخاص الذين أحبهم اما الباقي فعبثاً لا
استطيع ادراكها معهم حتى لو حاولت؛ أخبرك ما سرها ام
لا؟؟

xx طبعا اخبرني ما هو هذا السر؟؟

xx انت سر تلك الابتسامة ومع الوقت ستلاحظ اني امالك
إبتسامة مميزة معك انت بالذات؛ اصلا كل ما نعيشه الآن
مميز.....

القناع الذي يملأه الحزن والفتور؛ الذي يميزه الوهم والتظليل؛ ذاك البارد الذي ظل يخنقها طيلة أربعة سنوات وهي تستعين به لتظهر للآخرين أنها سعيدة ولا بأس بها؛ ذاك المماطل الذي اعيانى حتى استطعت اختراقه ومعرفة ما يخفيه خلفه اختفى أخيرا وتبخر مع الهواء تاركا ورائه تلك الابتسامة التي ظلت مخفية تحته كل ذاك الوقت؛ تلك التي فقدتها منذ زمن وصارت تبحث عن بديل لها حتى تعبت واتخذت ذاك الوهم معينا؛ كان يخنقها ويجعلها تكبت مشاعرها داخلها؛ كان بمثابة شوكة صدءة في حلقها بالكاد كانت تتنفس فحتى الهواء الذي يتسلل اليها ببطئ يصل الى رؤيتها ملوثا ومسمما بالحزن واليأس؛ لكنها تخلصت منه أخيرا وصارت تبتسم لانها تريد الابتسام لا لانها مجبرة عليه؛ كانت فرحتها لا توصف ولا تعبر عنها بضعة اسطر او كلمات؛ ظلت تحدثني طول الليل عن حياتها كيف اصبحت وتغيرت الى الاحسن؛ انقلبت دنياها رأسا على عقب لكن انقلابها كان نحو الجيد على غير ما عهدناه؛ جعلني الله سببا لاسعاد احدهم واي احد ذاك؛ كانت صديقتي؛ حبيبتي؛ كانت تلك الدقات التي تخبر الطبيب ان مريضه مازال حيا؛ كنت مريضها وقد كان حبها

المرض الوحيد الذي اصبته ورجوت الله الا يشفيني منه وان يزدني من حماه حتى وصل بي الحال ان مت بدائها وغسلت بعطرها ودفنت داخل عالمها؛ لم اكن على قيد الحياة بقدر ما كنت على قيدها....

لقائنا العاشر كان بعد اسبوعين؛ الهدوء، السكون، الجمود، الظلام؛ كانوا عنوان تلك الليلة التي أمسى فيها حال المدينة لا يقل عن حال صحراء تسابقت فيها كثبان الرمال وتزلجت فوق نسيمات الهواء الباردة؛ كانت خالية بالكاد تسمع صوت سيارات الاجرة او بعض الزوار القادمين من المدن المجاورة؛ انتهى الصيف منذ شهر تقريبا وصار الشاطئ خاليا من سياحه؛ كان صمت المدينة يثير الخوف والتوتر في قلب من يخطرر بباله جولة في ذاك الوقت من الليل؛ زفير الهواء في تلك الانهج؛ خلو الطرقات والممرات التي كانت قبل ايام تعج بمحبي السهر الليلي؛ فراغ هز كل ارجائها وبسط الظلام مخيماته على تلك الرمال قرب المياه المالحة؛ كنت احادثها وقد قالت انها ستنتظر في مقهي المدينة حتى وصولي؛ المقاهي! المطاعم، المنتزهات؛ كلها كانت صاخبة ومليئة بالضجيج وقد اتفقنا على فكرة ان الحديث لا يجد راحته وانسجامه الا اذا كان

في أمكنة هادئة وساكنة؛ لم ترق لنا المقاهي يوما
فحسيسها لا يترك للمرء مجالا لتبادل الاحاديث ومناقشة
القصص؛ اصلا لم تجعل المقاهي الا لشرب القهوة او
الافطار اما الحديث فهو كمثل شرب فنجان قهوة له مكانه
الخاص وقد كان الشاطئ هو مقهانا؛ صارت تلك الامتار
قبالة ذاك الشارع المظلم مكاننا المفضل الذي نمضي فيه
كل سويغات لقائنا حتى صرنا نسميها *مكاننا*؛ المكان
الذي سنقيم فيه حفل زواجنا؛ هذا ماتفقنا عليه؛ وصلت
الى وسط المدينة وقد هممت بالمشي تجاه باب المقبرة
ومنه الى المسرح ثم ذاك الشارع الذي يصطحبني الى
رمال البحر؛ كانت تنتظرني في ذاك المقهى حتى اخبرتها
اني وصلت فخرجت واخذت تمشي مسايرة وجهتي حتى
تدركني؛ كانت خائفة من المشي وحدها فقد كان كل
الطريق الذي يؤدي الى البحر موحشا وشبه مظاء بالكاد
يصل الضوء خافتا اليه؛

«اين انت هل وصلت؟؟»

«وصلت وانا في طريقي الى المسرح اوشك على بلوغ
المقبرة الآن!!!»

كانت خائفة للغاية؛ذاك الخوف؛ لم تكن تظهره لاحد غيري؛كانت تتخلى على كل قوتها التي جعلتها صامدة طيلة تلك السنوات الاربعة؛كانت ترميها بكل بساطة ودون ان يرف لها جفن اذا ما لقيتني او جالستني؛كل تلك القوة التي حاربت بها قساوة الدنيا وقهرها وصارعت بها كل المسؤوليات التي كانت تحملها على عاتقها واكبرها كانت رؤى؛لم تكن بحاجة لان تظهر تلك القوة وهي معي ورغم انها تكبرني بثلاث سنوات الا اننا لم نشعر يوما بذاك الفارق الذي بيننا بل اننا نسيناه حتى؛كانت تسألني عن اشياء كنت من المفترض من يجب ان يسألها عنها وقد صارت مدللتي وأختي الصغيرة قبل ان تكون الفتاة التي أحببت؛كانت ظريفة في تصرفاتها التي جعلتها تبدو اصغر مما هي عليها ولطالما راق لي اسلوبها في التعامل معي فقد جعلت لي اسلوبا خاصا ميزني عن غيري من أصدقاءها الذين حضو بمعرفتها قبلي؛

«الشارع مظلم جدا لا استطيع المواصلة أين أنت انا خائفة؛حقا خائفة!!!

«مما تخافين وانا معك...»

كنت قد تجاوزت المقبرة وكان الشارع المؤدي للمسرح
مضاء نوعا ما؛ كانت تمشى بخطى مرتجفة خلفي وقد
لمحتني من بعيد كعادتها؛ رسالة ترد؛

«توقف مكانك!!»

«أين أنتي يا مصيبة؟»

وقد صارت خطواتي بطيئة كسلحفات لكني لم ألتفت؛ لا
اعرف لماذا لكني ظللت احرق في هاتفي انتظر ردها
لكنها كانت خلفي مباشرة؛ وضعت يدها النحيفة على
كتفي فالتفت لا اراديا؛ كانت تنظر الي مباشرة وعلى
شفتيها تلك الابتسامة التي كان فيها من الصدق ما كان
ليغمر البحر وشاطئه هدوءا فحتى تلك الامواج التي ترتطم
على الرمال محدثا صوتا خفيفا تخرس وتستحي في
حضرت ضحكاتهما وكيف لابتسامة ان تخرس بحرا؟ قل كيف
للبحر ان يقوى على اصدار صوت يزعج سنفونية تلك
الضحكات؛ وعيناها التي لطالما صرعتني وهزت كل
جسمي بعاصفتها السلسة واللطيفة كلما شردت فيها؛
واي شرود ذاك؛ كان بمثابة مشاهدة فيلم مرتديا تلك
النظارات ثلاثية الابعاد لكن الغوص في ابعاد عينيها لم يكن
بحاجة الى نظارات فقط شرود بسيط يكون تلقائيا وعفويا

يحملك الى عالم داخل عينيها ابعاده تجبرك على
الاستسلام لمغناطيس جاذبيتها؛ لم انبس بحرف اذ انها لم
تترك لي مجالا للنطق حتى فارتمائها إلي تعانقني كان
بمثابة صعقة كهربائية ابكمتني لكنها كانت لطيفة
وسلسة؛ كان الطقس باردا لكني لم اشعر غير بقشعريرة
دافئة تغادرها وتخرقني؛ كان الغياب قد اعيها وقد أصابتها
حمى الشوق؛ كان كل جزء منها يأن وينحب شوقا
؛همست؛

«اشتقت لك، اشتقت لك كثيرا يا هذا؛ كنت خائفة
للغاية....»

«مر كل شىء والآن نحن معا؛ هذا ما يهم؛ تبين ان
السرطان مرض لطيف مقارنة بالشوق والغياب؛ اشتقت لك
ايضا...»

وقد انحنيت الى جبينها اقبله؛ كان الحياء يغمض عيناى
تلقائيا في كل مرة اقبل جبينها.....»

اكملنا طريقنا في ذاك الشارع؛ كنا المجنونين الوحيدين
الذين كانا يتجولان في ذاك الجو البارد وفي ذاك الوقت
من الليل؛ كانت ترتدي حذاء احمر خفيفا وبنطالا ازرق

وخمارها التاجي لكن قميصها كان هزيلا بالنسبة لذاك
الطقس ذو النسمات القارصة وقد كان صراعي معها
شديدا حتى اقنعتها بارتداء معطفي؛ كانت تبدو اظرف
وهي تلبسه وتسير به؛ كانت تبدو في الخامسة عشر من
عمرها؛ هي تبدو كذلك في كل الحالات؛ جلسنا على احد
تلك الكراسي الحجرية للشارع قبالة*مكاننا*كان الشاطئ
يلقي علينا سلامه المعتاد من بعيد وقد تهافتت الامواج
وتسابت على لكم الرمال وصفعها؛ شرع الوقت في عمله
المعتاد وقد اخذتنا الاحاديث في رحلة تمنيت لو
أبدت؛ قالت؛

«اتعرف؛ اتوق لاكمال العامين المتبقين من دراستي
وهكذا سيكون امامي ان اختار بين فتح مكتب للهندسة او
اكمال دراستي في سويسرا؛ لكن على الاغلب ساغادر
تونس وأكمل ما بدأته منذ سنوات في سويسرا فأمي
ترغب في ذلك اكثر مني؛ منذ صغرنا تريدنا ان نكمل
دراستنا خارج البلاد وعلى الأغلب هي سترتب الأمر مع
قريبي....

كان ذاك اسوء خبر سمعته منها ليلتها واول كلمات تخرج
من فمها وتضجرني لكني لم أبدي لها اي ملامح حزن او

تعاسة فقد كان ضجري كمثل غيرتي كلها مشاعر كنت
اكبتها داخلي اذ كنت اعرض بصري وسمعي عن كل حرف
يمكن ان يتسبب في شجار او نقاش بيننا حتى ولو كان
في غاية البساطة؛كنت اسأرها في كل شيء تريد فعله
حتى ان كان يزعجني؛كانت حياتها مليئة بالاصدقاء وكانت
تراسل الجميع وتلتقي بهم بناتا كانوا ام اولادا؛ كانت
غيرتي من بعض اصدقائها الصبية الذين يدرسون معاها
تكاد تصيبي بالجنون؛كان اهم مبدأ لها في الحياة هو
الحرية لذلك ام اجبرها يوما على الامتناع عن محادثة ذاك
او عدم اللقاء بذاك ولم اعاتبها يوما لمراسلتها لذاك او
لمهافتها لذاك؛كان لها الحرية المطلقة في فعل كل شيء
يروق لها؛كانت ثقتي بها اكبر من ثقتها بنفسها وقد وثقت
بها اكثر من ثقتي بنفسي؛تلك الاسئلة: *أين كنت ومع
من خرجت ولماذا قابلت ذاك ولماذا لم تخبرني انك
ستخرجين مع ذاك وبمن كنتي تتصلين*؛لم تكن موجودة
في قاموسي ولم يردها من جهتي اي من تلك
الاسئلة؛كان خنقها واستعبادها من الامور التي لم افكر
فيها مطلقا فاذا اردت ان تخسر صداقة احدهم فاستعبده
بتلك الأسئلة الخانقة لكن حقا لم اكن انوي خسارتها لذلك

فقد اخذت عنها اسلوب الكبت وصرت اكبت الغيرة داخلي
فتراني اذا ما شاهدت صورة لها مع احد اصدقاءها بالجامعة
ثقل رأسي وتملكني صراع حاد من شدة الغضب
والضجر؛ لم اكن احتمل ان تلامس وجنتيها تلك النسمات
التي تتجول معها على شاطئ البحر فماذا لو كان رجلا
يجالسها في احد المقاهي بالجامعة؛ كنت اكاد اجن لكن
عندما محادثتها لا اظهر لها شيئا من ذاك الغضب ومن
جهتها لم تنتظر يوما ان اعاتبها بدافع الغيرة فهي لم تقتنع
يوما بان تدخل الى قاموسها كلمات الحب والرومنسية
وكلام الدراما ذاك لكن معها نسيت ان الحياة تحتوي ياسا
واخفاقا ولم اسمح لنفسي يوما ان اتركها تقنعني انها لن
تقبل تلك الكلمات يوما فرغم انها احببني وعشقتني
مثلما فعلت وأكثر فقد ظل هناك فراغ صغير في قلبها الذي
عاد الى نبضه من جديد يجذبها نحو الوحدة والعزلة لكنني
عملت على ملأه وتعبئته وقد وفقني الله في ذلك؛ اجبت
بابتسامة باردة؛

«اذن اذا تأكد ذهابك الى سويسرا فنحن سنفترق ونبتعد
عن بعض؛ لن نلتقي لسنوات؟؟»

«..... (لم تنبس).»

ستنسيني؟؟

محال!! قطعاً لا صدقني انت الآن صرت جزءاً مني؛ من قلبي؛ انت صرت تسكنني؛ حتى لو فرقتنا المسافات فأنت في قلبي لن انساك للحظة؛ سيكون اصعب امتحان لحبنا لكننا سنتجاوزه وسنشتازه؛ في النهاية يمكنك اللحاق بي....

اجبت وقد صارت ابتسامتي اصدق من قبل؛

اسمعي لقد درستني الهندسة لسنوات وقد تعبتي كل التعب في دراستك؛ كل ما جرى لك من تلك القصص لم يكن سوى ابتلاء من عند الله وقد انتهى كل شيء الآن رغم انهم لم يتغيروا بعد لكن على الأقل صرت سعيدة الآن وادعو الله ان يعينني في اسعادك اكثر لكن اتعلمين شيئاً حلمك صار حلمي منذ اليوم الذي عزمت فيه ان اكون الى جانبك؛ انا معك في اي شيء يجعلك سعيدة ومرتاحة وذهابك الى سويسرا سيعينك اكثر فهناك ستجدين عروضاً احدث من هنا؛ سأنتظرك حتى ان تطلب مني الأمر كل عمري....

قلتها بصوت خافت وقلب ينزف حزنا وأسى على ما
ينتظرني من شوق وغياب اذ لن تغيب عني لاسبوع كما
تعودت فالامر صار متعلقا بسنوات اما المسافة فصارت آلاف
الكيلومترات جوا كان او بحرا...

«حلمي منذ صغري كان في الدراسة خارج البلاد او في
فتح مكتب هندسة خاص بي لكن السفر سيكون افضل
لي لتطوير مجالي؛هناك ساحظى بتحقيق حلمي
الثاني؛سيكون لنا بيت كبير من الخشب في احد جبال
سويسرا؛الجبال هناك فاتنة كما لو انها مرسومة بقلم احد
الرسامين...

«صار حلمنا الآن...

وقد شبكت يدها بيدي والقت رأسها بلطف على كتفي
وهمست؛

«فقط انا وانت ورتاج؛بيت خشبي متواضع ولن يصل
سعادتنا احد.

انتهى بنا الحال في جلستنا الاخيرة امام تلك المقبرة
وضوء مصباحها الخافت بعد ان مشينا امتارا تحت المطر
الذي باغتتنا ونحن شاردون في صمتنا فوق ذاك الكرسي؛

جلسنا على احد الادراج وانغمسنا في احاديثنا التي لم تكن تنتهي؛ كان الصمت يتمنى مجالستنا لكنه لم يحضى بذلك الا مرات لا تكاد تذكر؛ كانت تحدثني عن احد اصدقائها الذي عرفته منذ دراستها بالمعهد؛ أدركت مؤخرا انه يحبها رغم انها حدثته عني واخبرته ان صداقتهما لا يمكن ان تتطور اكثر من ذلك؛ كانا صديقين وقد استمرت تلك الصداقة عشر سنوات؛ كان يروي لها كل تفاصيل حياته ويستشيرها في كل جزء يتعلق به؛ التحق بالجيش وصار يشغله العمل دائما؛ قالت انه هاتفها منذ ايام وقد كان ثملا وقال انه يحبها؛

كنت جالستا في مكاننا وقد رن هاتفني؛ سارعت لالتقطه ضنا مني انك المتصل لكنه كان ايهاب صديق طفولتي؛ ظل يكرر نفس السؤال* أين انت* رغم اني اجبته مرات عليه حتى ادركت انه كان ثملا....

همست بصوت خافت لم ادرك ان كان يحمل غيرة ام ضجرا؛

انه يحبك؟؟

اومات براسها مأيدة وقد احنته حياء؛رفعت رأسها بلطف
واضفت؛

«سبب سكره ليس لانه يحبك بل لانه اعترف لك بحبه
وعرف انه لن يحظى بتلك العلاقة معك؛لم اجرّب ذاك
الشعور لكني اعرف أنه خانق حد الموت ان يحب المرء
شخصا لن يكون من نصيبه....»

همست بالكاد سمعتها؛

«اجل؛هو كذلك»

صار حديثنا يقتصر على بضعة كلمات متقطعة وهزيلة تكاد
تضل طريقها نحو آذاننا؛

«هل يزعجك هذا الشيء؟؟»

«الامر ليس بذاك السوء بالنسبة لي فقد اخبرته اني
احبك انت واني لا استطيع ان اكون مع احد غيرك؛مهما
كان ألمه سينتهي يوما ما وسينساني...»

مهمته ثم همست؛

xxصدقيني الحب أصعب مما تعتقدون لن يكون نسيانك
سهلا بالنسبة له قد لا يفعل؛ قد يضل حاله كما هو مدة
طويلة...

لم تنبس بحرف وقد اكتفت بالضغط على يدي والنظر الي
في شرود؛ ادلفت؛

xxاتعلمين؛ لم احسد احدا يوما على شئ لكن فعلت
مؤخرا وحسدت رجلا لانه حضي بحب فتاة قدمت له كل
ما كانت قادرة عليه فقط اخبرته الا يتركها؛ لم تطلب شيئا
آخر لقد عشقته حد الجنون؛ حاولت الانتحار من اجله عديد
المرات؛ فقط تمنيت ان احضي بحب مثل حب تلك الفتاة
لذاك الفتى؛ ميساء؛ كانت هي تلك الفتاة وقد اخبرتني ان
الله سينعم علي بفتاة تحبني...

ابتسمت؛

xxوهل حضيت بما تمنيت؟؟

xxما تمنيته كان شيئا وما حضيت به كان شيئا أعظم؛
احبك وادعو ربي ان يجمعني بك في حلاله....

xxوانا ادعو الله ان يستجيب دعائك يا احن رجل عرفته....

«اسمعي اعلم انك مررت بكثير من المشاكل التي تسبب لك في فقدانك للثقة تجاه كثير من الامور كالحب والزواج وجعلتك تكرهين الرومنسية والدراما وكلام الحب؛ لا اعلم اذن ان الله وفقني في مساعدتك وقد استعدت ثقتك في الحياة وقد حضيت بصداقتك ثم حبك لكن اهم شئ عندي وهو اهم حتى من الحب نفسه هو اني اخاف ان اخسرك؛ لا ادرك ما قد يحصل لي ان جاء ذاك اليوم؛ اعلم ان الموت هو تعبير مجازي لكن صدقيني ان فقدان شخص عزيز بعد ان تعود المرء على حضوره ومحادثته اعظم من الموت بكثير فعلى الاقل الموت يريحك من قساوة الحياة لكن خسارة شخص عزيز هو تلك القساوة بعينها؛ كلما اود ان اخبرك به هو اني اريدك ان تكوني مرتاحة معي؛ اعلم انك معتادة على الحرية والاستقلالية ولم يسبق لأحد ان اهتم بك مثل اهتمامي هذا؛ اعلم ان هذا الامر سيبدو جديدا عليك ولن تتعودي عليه بسرعة؛ لن يكون الامر سهلا ان يغير المرء نمط عيشه لكني لن اخنقك ولن افعل شيئا يجعلك تضجرين؛ اريدك ان تكوني سعيدة فقط؛ لكن اذا ضجرت يوما من هذه العلاقة ومللت و اردت الابتعاد لفترة واذا ما اشتقت لقضاء

فترة وحيدة ومنعزلة عن اهتمامي ورعايتي فاخبريني
بذلك حتى اعينك على الامر ورغم ان نفسي لن تمتنع
عن الاهتمام بك ورغم اني لن استطيع مسايرة رغبتك
لكني سأحاول لاجلك؛ ان اردت الابتعاد لفترة فقط اخبريني
حتى اعينك حتى وان كان على الوحدة؛ لكن فقط لا اريد
ان اخسر كصدقيني ساقتل بالحياة...

زفرت وتنهدت وقد ضغطت من جديد على يدي واتكأت
برأسها على كتفي وهمست بصوت خافت وهزيل؛ كان
منهكا وتعبا؛

«صدقني انا احبك ولن اكون سعيدة الا وانا امسك يدك
واسمع صوتك؛ صحيح اني لم استطع تعويد نفسي حتى
الآن بكون ان هناك احدا صار يهتم بي ويرعاني ويخاف
علي؛ لا تلمني فقد امضيت اربعة سنوات منغمسة في
قاع بئر مظلم من الوحدة والعزلة وقد كان هذا التغير صعبا
علي لكنني ساتعوده لاجلك ولاجل حياتنا التي حلمنا بها
معا وصارت هدفنا؛ لم أعد بحاجة للعزلة او الوحدة فقد صرت
انت وحدتي وعزلتي؛ صرت انفاسي ونبضاتي؛ لن احتاج
يوما الى الابتعاد عنك او تركك يا هذا؛ كل ما استطيع ان

أعدك به الآن اني لن اتركك ابدا وانت لن تخسرني صدقني
انا احبك وقد عرفت معك معني الحب الحقيقي وطعمه....
وقد سكتت لبرهة ثم اضافت مبتسة؛

xxصدقني لا اعلم كيف حدث كل هذا وكيف هويت معك
في هاته الطريق الرائعة؛ لو علم كل الذين حاولوا اقناعي
بانشاء علاقة معهم ثم فشلوا في ذلك لوقفوا امامك
مذهولين ومتعجبين لكن صدقني لا اعلم اي قوة كانت
تبع من داخلك هي التي استطاعت جذبي وهزم عزمي
على الوحدة منذ زمن؛ اتعلم كنت فاقدة للامل؛ الثقة؛
الحب؛ فقدت كل شئ وصرت مجرد جسم يخرج الهواء منه
ويلج لكن كيف استطعت اقناعي واحياء قلبي من جديد
صدقني لا اعرف ولا اريد ان اعرف الموهم اني لك وانك
لي؛ بالله عليك مالذي سيجعلني افكر في الابتعاد او
العزلة؟؟ احبك انا.....

كان الطقس قد ازداد سوءا وصارت النسمات الباردة
تتسابق في كل الشوارع حاملة قطرات المطر الباردة وقد
شعرت ببرد بسبب الثياب الهزيلة التي كانت ترتديها؛ كانت
ملابس صيفية لان الجو كان صافيا منذ المساء لكنه تغير
فجأة وصارت السماء تنحب وتذرف دموعها التي رافقها زفير

قارص كان سببا في تعكير صفو جلستنا تلك؛ على الأغلب
فان الوقت كانت لديه اساليبه المزعجة في انهاء لقاءاتنا
وقد استعان هذه المرة بالسماء؛ طلبت مني اصطحابها
الى البيت وقد آلمها بطنها بسبب ذاك الهواء البارد؛ اخذنا
طريقنا الى البيت وقد كان المطر قد بدأ يتطور
ويتسارع؛ كانت بحاجة الى احتساء شئ ساخن لعله
يهدئ ألم بطنها ذاك ولم اجد انجع من كوب قهوة ساخن
ابتعته من مقهى في طريقنا كان يوشك على اقفال
ابوابه؛ ازدادت برودة الطقس اكثر وصارت تلك النسيمات
لاسعة ورغم انها كانت ترتدي قميصها وفوقه قميصي الا
ان الهواء كان يخترقهما ويقشعرها؛*طابت ليلتك اعطني
بنفسك وطمأني عليك حين تستقل سيارة اجرة وحين
تصل انا بانتظار اتصالك؛ احبك لا تنسى اننا سنكون دوما
معا ولن يفرقنا شئ مهما كان*؛ كانت اخر كلمات ولجت
عبر مسامعي منها وقد جرت نحو باب البيت دون ان تلتفت
خلفها؛ كان الطقس لازال على حال بروده لكن المطر كان
قد توقف قبل بلوغي البيت؛ اويت الى فراشي واذا برسالة
ترد؛

xxطمأني أين انت؟؟

❖❖ لقد وصلت للتو ماذا عن بطنك كيف حاله؟؟

❖❖ بخير؛ احسن من قبل!!

❖❖ طيب يجب ان تنامي عليك بقصت من الراحة؛ الجو بارد
تغطي جيدا واخدي الى النوم!!

اجاب بضجر وتذمر؛

❖❖ لا اريد النوم؛ أريد محادثتك اكثر...

❖❖ عيناك سيؤلمانك عليك الاهتمام بنفسك...

❖❖ صدقني انا بخير لا اريد شيئا غير محادثتك الان فقط...

امضينا ما بقي من تلك الليلة الباردة في التراسل حتى
الثانية بعد منتصف الليل وقد غلبها النوم وسقط هاتفها من
بين اصابعها واخذ مكانه حذاها ونامت وكان النوم قد غارد
غرفتي وصار من المحال ان انام في ذاك الوقت؛

❖❖ حبي؟؟

❖❖ يا قصيرة؟؟

❖❖ هل نمت؟؟

لم تكن ترد وقد ادركت ان النوم اللعين قتلها؛ اضفت؛

✘✘يوم؛جمعة؛شهر؛سنة؛اعوام؛كل هذه ليست سوى
اوقات لعينة وستمضي فان كنت معي فالحمد لله على
هذه النعمة وان كنت بعيدة عني فسانتظرك حتى وان
...سكنت آخر الدنيا

✘✘طابت ليلتك؛كوني سعيدة دائما لان ابتسامتك رزق من
عند الله والحرام هو ان تخفيها وتمتنعي عن رسمها على
شفتيك؛ساكون معك في الخزن قبل الفرح؛لن اخذك
مهما حدث؛احبك....

ايام تتالت وتعاقبت وكانت الحكايات التي تروى كل يوم
هي الكلمات نفسها التي لم تغب عن مراسلاتنا مطلقا؛
احبك...*اعشق ربك*...اشتقت لك...لن اتخلى عنك...انا
انت وانت انا...رحلتنا لن تكتمل حتى بعد الموت سنكون
معا في الجنة باذن الله...زواج في*مكاننا*على ذاك
الشاطئ...مكتب للهندسة او انتظار لسنتين كاملين من
الغياب والفراق...بيت متواضع من الخشب،يحتوي على
غرفة كبيرة في الطابق الثاني لمشاهدة الافلام واخرى
مجاورة لها ملاءى كتبا وروايات،في احدى الجبال انا...هي
رتاج؛تلك كانت احلامنا البسيطة؛تلك كانت أمانينا؛ظل ذاك
المعطف معلقا حذو فراشي طيلة أشهر وقد امتنعت

ارتدائه لا عطرها قد علق به اذ لم اود افساده برائحة عطري فاذا ما ارتديته راحت رائحتها وعلق به العطر الذي؛كنت اضعه؛واضبة على استنشاق هوائه الممسك بعطرها مدة أشهر حتى راح العطر من تلقاء نفسه وقد استغرق مني استهلاك تلك الكمية التي علقت به لأشهر متتالية فلا انام الا اذا وضعته فوق وجهي لدقيقة كانت هي الاخرى بمثابة عناق لها ولا استيقظ الا اذا تأملته لدقيقة؛كانت قد نسيت فيه احدى مناديلها الورقية الذي كتب عليه اسم المقهى ورقم هاتفه وقد علقت به بقع وردي شفاهها؛كانت قد مسحته قبل ان تبلغني اذ لطالما احترمت رغبتي في ان تكون دون اي مواد تجميل عندما تأتي للقاءني؛كنت دائما ما اقول لها ان مواد التجميل لم تجعل الا لتزين الملامح في حين ان ملامحها كانت غنية على ان توضع عليها تلك المواد فقد كان جمال وجهها يجدد جاذبيته كل برهة لكن بالنسبة لي فقد عوضت ابتسامتها اجود انواع مواد التجميل واغلاها؛ وقد احتفضت بذاك المنديل وجعلته ذكري منها في حين اني لم اكن بحاجة لاي ذكري فقد كان حبها اجمل ذكري يمكن ان احتفظ بها لكن ليس في محفظتي او في خزائتي؛كان قلبي هو

المأمن على تلك الذكرى التي كنا نعيشها ونتفنن في
تزيين صورة كنا قد رسمناها سويا بقلم اسميناها
رتنوس.....

كلما ما كنت آمله هو ان تظل علاقتنا تلك في هدوءها ذاك
اذ لم يكن هناك داع يجعلنا نتشاجر او ننقطع عن
الحديث لاي سبب فحتى مع توفر تلك الاسباب في بعض
الاحيان الا اني كنت اتجاوزها واغض عنها دون حتى ان
اشعرها اني ضجر وغازب بسبب شئى فعلته اما السبب
فقد كان في كل مرة يتفوق في دائرة الغيرة؛ كان لها العديد
من الاصدقاء منهم من درسوا معها لسنوات ومنهم من
كان مجرد صديق لها تراسله احيانا او تلتقي به من فترة
لاخرى؛ كنت اشعر بعاصفة هوجاء حارقة تلج الى داخل
جسمي وتجوب كل ارجائه كالما رأيت صورة لها مع احد
اصدقائها بالجامعة؛ فحتى ان لمحت تلك الصورة نفسها بعد
ايام من رأيتها الاولى كان حال تلك العاصفة نفسه ولا يتغير
فيها شئى؛ الحرارة نفسها، الاختناق نفسه، الغضب
نفسه، الضجر نفسه؛ تلك هي الغيرة كيف كانت
معي؛ شعور لا ارادي يخترق منتصف جسمك مرورا بقلبك
وينهي جولته مستوطنا في عقلك؛ هو كمثل الاحتضار

تشعر بان روحك تغادر جسمك ببطئ مسببة ألما عظيما لكن في حقيقة الامر هي لا تبارح مكانه بل هو محظ اختناق في هيئة احتضار تحس فيه بالعجز واليأس؛ وهما لا يزيدان خطورة عن الموت؛ بالاحرى هما موت نصفي؛ تلك هي الغيرة التي ظللت اصارع افكارها البائسة طيلة تلك الاشهر لكني لم استمع يوما لاي من تلك الهمسات التي تصدر من عقلي حتي اني لم افكر بها لثانية واحدة فقط تركت ذاك الشعور اللارادي يقوم بعمله الذي خلق لاجله وانغمست في التفكير بما في شأنه ان يسعدها ويخرجها من ذاك العالم الخانق رغم انها اقنعتني انها تخلصت منه وتركته يذهب الى الجحيم منذ اول لقاء؛ لم اسمح يوما للغيرة ان تتسبب في مشاكل بيننا اصلا فالثقة التي انشأت منذ اول صداقتنا كانت قد تجاوزت المعقول فصارت الغيرة بذلك مجرد بريستيغ لعلاقتنا الا انها كانت ترهقني رغم ذلك؛ كان اسلوبها في الحياة، والذي كان اساسه الحرية والاستقلالية حتى في العلاقة التي بيننا، يمنعها من مطالبتي بتبرير يجعلني لا اشعرها بانني اغار عليها من اصدقائها الا انها كانت تعلمني بانها ستقابل ذاك او ستجالس ذاك بعد ان عرض عليها احتساء كوب قهوة في

احد الاماكن المشهورة في المدينة؛ كانت تخبرني قبل ذهابها بيوم فلا يتجاوز ردي عن كلمات*طيب استمتعي بوقتك المهم ان تكوني سعيدة*؛ كنت اکتفي بکبت عضبي وضجري داخلي جراء تلك الامور فرغم بساطتها الا انها كانت السبب الوحيد في ضجري وشعوري بالعجز والبأس احيانا اما في محادثتها فکنت اکتفي بقول*كيف كانت نزهتك هل غيرت الجو؟*؛ كانت تشعر في بعض الأحيان من نبرة صوتي حين اهاتفها اني قلق من امر لقاءاتها مع احد اصدقائها فتخبرني انها امتنعت عن مقابلته حتى وان لم اسئله ان كانت قابلته ام لا؛*ذاك الفتى الذي اخبرتك اني سأقابلة بالامس هاتفته وقلت اني لن اقبله، لم اذهب الى الموعد*؛ هكذا كانت تقول احيانا؛ كان اخي يخبرها في بعض الاوقات عن ضجري وغضبي بسبب تلك الامور فتكتفي باخباره اننا تجاوزنا تلك القصص السخيفة وصارت الثقة بيننا تعامل الغيرة على انها ابنتها المدللة؛ وبالفعل كنا قد تجاوزنا تلك الامور لكن الغيرة هي فريضة من فرائض الحب لذلك لم امنعها من اخذ مكان لها بداخلي.....

ظللت اتقلب بين غيرة تستيقظ داخلي كلما اقترب منها احد فاتجاهلها واتركها تهمس لي دون ان اعيرها اهتماما

وبين خوفي من ان اخسر تلك الظريفة فلطالما شعرت ان الحياة لن تتركني وشأني؛ ظننت ان حبنا لن تهزه أية عاصفة ولن تضعفه أية رجة من رجات الحياة واي رجة قد تأثر في حب كان اول قانون فيه هو الخوف من الله وارضاءه؛ اي رجة كانت لتحرك ساكنا لحب ولد من رحم الصداقة وتربى بين احضاء الثقة والصدق والوفاء؛ اي رجة كانت لتجعل حبنا يحني رأسه الى الارض؛ مجرد تلك الفكرة لم تزر مخيلتي يوما ليس لسبب غير ان حبنا كان مختلفا ومميزا عما كان يمارسه اغلب الساذجون في تلك المدينة وغيرها تحت اسم الحب، كلانا كان مساهما في ذاك التميز؛ صداقة ثم حب حقيقي؛ كانت اروع قصة للخيال العلمي شاهدتها في حياتي لكننا عشناها بتفاصيلها واجزائها اما القصة فلم تكن محظ خيال بل كان فيها من الحقيقة ما جعلني اتخلى عن كل ما تعلق به منذ الصغر من مبادئ واساليب عشت عليها لسنوات حتى صرت إنسانا غريبا عني؛ شخصا لم اعهد من قبل ولم اتعرف عليه يوما فقط كنت الانسان الذي ارادته وتخيلته قبل معرفتي لها؛ لم يتوقف الامر بالنسبة لي عند مجرد اقناع او تصديق بل وصل حد الإيمان؛

حقا لقد آمنت بحبها مثلما آمنت بالله ورسوله.
آمنت بأنها لطالما كانت وستبقى ثمرة من الجنة.
آمنت بأنها استثناء غني عن التشبيه.
آمنت بأنها المفهوم المطلق للحب الحقيقي.
آمنت بأنها التعبير المجازي لمصطلح الجمال الذي لا يدرك.
آمنت بأنها كانت التعريف الثاني والاصح لكلمة رقي.
آمنت بأنها الناتج من مزج حور وملائكة في جسيم واحد.
آمنت وصدقت أنها لطالما كانت امرأة في زمن صار فيه هذا
المصطلح مفقودا يسقط الرجل قبل ايجاده.
لم يكن الزواج يوما هو العلاقة الوحيدة التي تنشأ على
شريعة الله وسنة نبيه؛ فالصداقة كذلك علاقة والحب
علاقة والأخوة علاقة؛ كلهم علاقات يتفوقن في نفس
الغرفة لكن المختلف بينهم هو الزواج لانه عهد وميثاق بين
جنس وجنس آخر مختلف يقربهم شرع الله؛ لكني عملت
على ان تكون صداقتنا ثم حبنا مبنية على شرع الله وقد
جعلنا ذلك نحظى بتذوق الطعم الحقيقي للحب اما الخوف
من الله فهو الاسلوب الذي ميز علاقتنا وفردتها وجعلها

تبتعد عن المعاصي والقذارة التي هوى فيها اغلب من كنت ألمحهم في ذلك الشارع المظلم؛ كانت سذاجتهم بقدر ظلامه ولطالما كان اهتمامي بنقاوة علاقتنا وطهارتها بقدر اهتمامي بها وأكثر؛ الاهتمام المفرط والمبالغ فيها، الغيرة التي كانت بالكاد تظهر في نبرة صوتي او ملامحي، حبها للوحدة والانعزال، ميلها للحرية والاستقلالية، تلك الذكريات التي ابت مغادرت ذاكرتها عن السنوات الماضية قبل تعرفنا؛ كل هذه الافكار لم يكن لها اية علاقة فيما حصل.....

كانت قد قصدت الجامعة لتقديم ملف ترسيمها من اجل السنتين المتبقين على ختم سنوات من العمل والتعب وجرت العادة ككل مرة ان تنال نصيبا من التجاهل والاحتقار وشيئا من الشتائم من قبل مسؤولي الجامعة الحمقى وقد كان ملفها يقبل بعد تقديمه باسابيع متتالية في حين ان الملفات الاخرى تقبل اثر تقديمها مباشرة؛ حتى ان كان ترتيبها في الصف رقم واحد في اول يوم لتقديم ملفات الترسيم فبمجرد ان تهتم بالدخول وتضع الملف يصبح ترتيبها الاخيرة ويتحول ملفها الى آخر اللائحة وحينما يزج في صندوق الانتظار؛ ذاك كان اسلوبهم الاخرق والبائس

في الاحتقار والتجاهل اما الشتائم فقد كانت كلمات من قبل*ذاك الشئ الذي على رأسك سوف يجعلك تعاني وتتعبين في هذه المؤسسة*؛*الا تنوين نزع تلك"الشوليقة"من فوق راسك*؛وفي بعض الاحيان يتم التغل في وجهها؛لكن صمودها امام تلك الاساليب كان اكبر من صمودها بسبب مشاكل الحياة والبيت ورغم كل هذا ففي نهاية الامر يتم قبول ملفها الذي كان في حد ذاته ناصرا لها ومتحدثا باسمها اذ ان تفوقها في مجال الهندسة كان يجعلها غير مطالبة بمناقشة اولاؤك الملحددين البأساء او اعارتهم أية اهتمام لما يفعلونه ويقترفونه بحقها؛لكن هاته المرة تغيرت كل المعطيات واتخذت كل الامور طريقا وجدت فيه نفسها وجها لوجه امام عاصفة سوداء شديدة الحرارة مزجت فيها النار بحمم البركان المنصهرة حملتها نسيمات سامة وخانقة كانت تتبع من عقول اولاؤك المسوخ المتخلفين عقليا؛لم يكن هناك خيار ثالث اذ وجدت نفسها الهزيلة اما خياران،الاول قاتل وخانق حد الاحتضار اما الثاني فلا يقل خطورة عن الاول بل زاد عليه اشعارها بالعجز واليأس وصارت كل الهموم التي واجهتها طيلة تلك السنوات العجاف لا تعني لها شيئا

امام ما امست مخيرتا عليه؛تمنت لو انها ظلت تطوف داخل حياتها القديمة وسط اهمال ولدها وغدر اصدقائها كل ما بقي من حياتها على ان توضع امام ذاك الخيار اللعين الذي تسبب لها في موت بارد فحتى حضوري في حياتها وحتى حينا الذي انساها كل ما عاشته قبلا واحيي قلبها النائم منذ زمن لم يجدي معها نفعاً؛لم تشعرني بشيء من هذا لكنني غصت فيها وفي تفاصيلها وشردت في روحها ما كان كافيا لافهم ما تحمله دقائق قلبها من كلمات دون ان تنبس شفاتها بحرف؛لقد كان الامر متعلقا بخمارها؛ذاك الذي احببت ان اسميه التاجي لانه كان بمثابة تاج مزج في صنعه كل انواع الأحجار الكريمة والمجوهرات الثمينة؛ غطى رأسها وستره ولطالما غمرتني نوبة مجنونة من الفرح والسعادة كلما استحضرت اني سأكون المحظوظ الاول الذي سيرى خصلات شعرها الحريرية واول من سيزيح عنها رأسها ذاك الخمار ليلة زواجنا بذاك البيت الخشبي؛كنت انام كل ليلة وأنا اشاهد نفس الصورة ترقص امام ناظري؛ تلك الظلمة التي تخيف البعض اثر اطباق اجفاننا الى بعض؛عند اغلاق اعيننا لاجل النوم او لاجل امر ما؛البعض يغلق عينيه عندما تكاد دموعه تلج الي خارجهما

والبعض يسمع خبرا مأسفا فيغلقهما لبرهة ثم يأخذ نفسا عميقا ويفتحهما في نفس الوقت والبعض الآخر يغلقهما اثر سماعه لخبر مفرح والآخر يغلقهما ليتخيل مشهدا ما يتمنى ان يحضى بتحقيقه مع من يحب؛ لكن سبب اغلاقي لعيني كان مختلفا تماما كحكايتنا؛ كنت اغلقهما لاستمتع بتلك الرسمة التي زيناها ولوناها سويا؛ كانت تمسك القلم بيمنها وقد وضعت يدي فوق يديها الصغيرة حتى صارت بالكاد ترى؛ كانت رسمة فنية بالرغم من اني لا اجيد الرسم ولا اشغفه الا اني ساهمت فيها بكل ما كان عندي من حب وصدق وقد لونتها هي بما امتلكت من اناقة وجمال؛ كانت مزيجا مني ومنها؛ كانت تروي لك كلما تأملتها حكاية جسدين اندمجت روحيهما في روح واحدة وصار الجسدان يعيشان بقلب واحد؛ رواية عنوانها الحب بمعناه الحقيقي، الاهداء فيها لله الذي كتب لنا ذاك اللقاء والشكر فيها لله الذي حفظ في قلوبنا الخوف منه حتى استطعنا التغلب على شهواتنا التي يزينها لنا الشيطان ومقدمتها علاقة صداقة ثم حب على شرع الله وسنة رسوله وجوهرها تعاملنا بما يرضي الله اما خاتمها فقد كنت انا واقفا في منتصف الصورة وقد وقفت هي قبالي

ورفعت رأسها تنظر في عيني؛ كنت اقبل جبينها وقد
لامست شفطاي خمارها التاجي؛ كنا داخل بيت خشبي
وقد عم الصمت في ارجاء المكان وسيطر على البيت
جمود وسكون مخيف لكنه لم يكن مخيفا بالنسبة لنا فتلك
هي حال الجبال ليلا لا تسمع فيها حسيسا غير صوت
القمر ينشد انغامه في السماء او صوت الاشجار تساير
ذاك اللحن وتدندن اغنية*من أجلك أحب*؛ امضينا كل الليل
نشاهدا فلما مرعبا؛ كان اسمه*آكل الأطفال*؛ في تلك
الغرفة الواسعة التي لم يكن فيها غير أريكة كبيرة
وواسعة؛ كانت مريحة للغاية؛ طاولة صغيرة وضع فوقها اناء
فشار ومشروب كوكا كولا وكيس بسكويت في شكل
مربعات وكيس بطاطس مقرمشة ومالحة؛ شاشة كبيرة
بتقنية ثلاثية الابعاد؛ اي جنون كان ذلك، فيل رعب ليلة
الزواج؛ كانت ظرافة تلك الفتاة تثير شغفي للغوص في
الحب اكثر حتى لو كان المطاف هو الجنون وفقدان
العقل؛ فقط القيت بكامل جثتي في ذاك العالم
الفاتن؛ امضينا كل الليل على تلك الاريقة وقد كانت توقف
الفلم في بعض الاحيان وتهمس لي بشيء لم افهمه
مطلقا وكانت تلك المرة الوحيدة التي لم افهم فيها قصد

ما تقول؛ انتهى بنا الحال ان نمنا في مكاننا ذاك والشاشة لاتزال مضاءة؛ كانت ليلة زواجنا؛ تلك هي الرسمة التي تفننا في تزيينها بقلم الحب خاصتنا؛ كيف للمرء ان يصبح رساما وهو حتى لا يهوى الرسم والتلوين؛ لكنني اتقنت كل الفنون معها؛ اتقنت الرسم والغناء والابتسام بصدق والاهتمام المبالغ فيه والغيرة المكبوتة والخوف حتى وان كانت في بيت أبيها؛ أتقنت الكتابة والخشوع في ابتسامتها والشروود في عينيها والتأمل في خمارها واتقنت كذلك الحب الصادق وقد كان الفن الوحيد الذي ادمنت عليه اكثر من غيره فالفنون كما تعلمون متساوية من حيث الاناقة لكن حبها كان يصنع اناقته الخاصة وقد ادركت حينها ان الاناقة في الحياة لا تتطلب بذلة سوداء وربطة عنق حمراء وحذاء اسود ملمع فقلبي هو الاخر صار انيقا حين اتخذها نبضا؛ كان انيقا وكان بريستيجه مشعا دون ان يحتاج الى بذلة او حتى الى الظهور في الاعلام؛ لن تنفع تلك الاحرف الاربعة الان لكن صدقا احبك.....

قصت الجامعة ذاك اليوم لتقدم ملف ترسيمها فأخبروها ان امرها مختلف هذه المرة؛ قالو لها ان ملفها سيبقى في لائحة الانتظار الى حين تتخذ قرارا بشأن تدينها وخمارها

الذي يغطي رأسها والى ذاك الوقت عليها ان تقرر فإما ان تنزع خمارها نهائيا او ان ملفها سيلقى حدفه في القمامة ومعه تعب سنوات من الدراسة والعمل في مجال الهندسة المرهق؛تركت ذاك الملف على طاولة اولأؤك الجهلة واخذت طريقها عائدة الى البيت تتقلب وسط نسمات الحزن والخيبة؛كانت الدنيا بسماواتها السبع وارضها وكونها عاجزة على احتواء حملها ذاك؛كانت تتنفس رغما عنها وتمشي بخطوة مبعثرة؛ كانت نظراتها للعالم من حولها عبثية وحاقدة؛كان اول ما خطر ببالها وهي في طريقها الى البيت هو مهاتفتي واخباري بما حصل لكنها لم تستطع الوصول الى لانه هاتفي كان في وضعه الصامت وقد انغمست في العمل طول اليوم اذ لا يخطر ببالني انه قد تتصل بي فهي تعرف اني في العمل اصلا لا تتصل بي الا اذا ادلفت لها برسالة اقول فيها اني انهيت باكرا؛لم تستطع الوصول الي وباءت كل محاولاتها بالفشل فراسلت اخي وطلبت منه اخباري انها بحاجة الي وان علي محادثتها ريثما اعود الي البيت؛ أخبرته بكل ما جرى معها واكدت على انها يجب ان تتحدث معي وان الامر في غاية الخطورة والاهمية؛كانت الكلمات في رسائلها تنحب

وتأن عوضا عنها؛حتى الاحرف كانت مختنقة ويائسة اما
الاسطر والحركات التي على الاحرف فقد حملت قصة
احتضارها وموتها وهي تحمق عينيها في شاشة
الهاتف؛لقد ضاجعت العجز بكل ما حمل في احضانه من
كلمات ومعاني؛

xxأين اسامة؟؟

xxلا اعرف ربما بالعمل كما تعلمين!!

xxيجب ان اتحدث اليه الامر مهم وفي غاية الخطورة!!

xxاذا كنت قد اتصلت به فهو لن يرد فهاتفه في الوضع
الصامت عندما يكون في العمل لكن اذا حالفك الحظ
وتفقدته فسوف يتصل بك....

xxطيب ارجوك اخبره ان يتصل بي اثر دخوله البيت...

xxطيب لكن ما الامر هل انت بخير؟؟

xxومن اين سيأتي الخير في هذه الحياة البائسة؟؟

xxماذا جرى؟ ما بك؟؟

xxذهبت اليوم للجامعة حتى اقدم ملف ترسيمي كما
تعلم بقي امامي عامين اضافيين لانهاء دراستي؛في ما

مضى كانو يتجاهلونني ويحتقرونني ويجعلونني ملفي اخر
الملفات التي تقبل رغم اني الاولى بالجامعة وفي اغلب
الاحيان يشتمونني ويستهزؤون بي وسبب كل هذه
المعاملة هو ديني اي خماري لا يروق لهم ولتوجهاتهم
المتخلفة؛ لكن هذه المرة تغير كل شئ لم يكتفوا بذلك
الاسلوب الحقير بل صاروا هذه المرة اكثر وقاحة من قبل؛
قالو انهم لن يقبلو ملفي هذه المرة ولن يتم ترسيمي الا
اذا نزعت خماري كليا....

كان رده يائسا وعاجز وهو الصديق فماذا لو كانت الرسالة
نفسها سترسل الي وانا الصديق والحبيب والاب وكل
العائلة؛

❖❖ لا تقلقي ستحل دعي الامر على الله!!

❖❖ كيف لا اقلق انا الان مخيرة يا وسيم؛ اما ان انزع خماري
عن رأسي لكي يقبل الملف او ان يذهب تعب دراستي
لسنوات وكل ما عملت لاجله منذ صغري سدا.

❖❖ لا اعلم ماذا ساقول حقا الامر خانق ومعجز لكن دعيها
على الله.

«انا بحاجة للتحدث اليه يجب ان اخبره بما حصل معي لا
استطيع اخذ القرار بمفردي؛ انا بحاجة اليه.

عجز؛ يأس؛ حزن؛ ضجر؛ اختناق؛ ألم؛ بأس؛ تعب؛ اعياء؛ انهك؛
حيرة؛ لازمت البيت وظلت تنتظرنى وهي تتقلب بين كل
تلك السموم القاتلة؛ كان حملها اثقل من العادة وقد
انتظرت جسدها الثاني لتفرغ فيه نصف ذاك الحمل حتى
يذهب عنها جزء من تلك السموم الخانقة؛ لكن لطالما
اسعدني انها كانت تسمح لي بأخذ الحمل كله واحتواء
كل مشاكلها وهمومها فلا اترك لها شيئا غير الحملقة إلي
وانا اتقلب في ذاك الصداق عوضا عنها ولطالما راق لي ذاك
واشعرني اني أمثل عالمها الذي تلتمس فيه الراحة
وتنسى فيه ما يكدر عليها ويقف شوكة خانقة في حلق
حياتها التي ما عرفت من الاستقرار والهدوء الا القليل؛
لطالما سايرت رغابتها وتغيرات حياتها ولم اجبرها على
شيئ يوما غير اني كنت احثها على ملازمة صلاتها
والاعتناء بنفسها؛ فاذا كانت سعيدة كنت اعمل على ان
اكون سبب فرحها وابتسامها اما اذا كانت ضجرة وحزينة
فحالها كان لا يختلف عن حال ميت بارد الجسم؛ كان
ضجرها وحزنها استثنائيان مثلها ولم يكن لي خيار اخر

حينها غير ان اكون القبر الذي يحتويها ويحاول تدفئة ذاك الجسم الشاحب والبارد؛ وفي كل مرة يوفقني فيها الله في اخراجها من عالم الظلمة ذاك كانت تخرج مني تاركتا خلفها كل ما كان يخنقها؛ كانت تلج الى الخارج وهي ترسم على شفيتها تلك الابتسامة التي كانت تذهب عني فكرة ان ما كان بداخلها صار يقيدني ويكبلني عوضا عنها؛ تلك كانت طريقتي في احتوائها؛ وقد حظيت بذاك الشرف يا ظريفة. ادركت البيت قبل المساء لكني لم القى اخي ولم اسمع منه شيئا مما حدث؛ ادركت ما فاتني من صلاة ثم جلست الى هاتفي الذي كان يحملني اليها في كل مرة ويضعني حذاها؛ كانت صورتها تلقي علي السلام وتقبل وجنتي كلما فتحت الهاتف؛ كانت تبتسم؛ اسنانها الانيقة والبيضاء؛ عيناها القاتلتان؛ شفاتها الورديتان؛ وجنتها التي احمرت خجلا؛ تلك الخطوط الدقيقة التي كانت تشبه التجاعيد بالكاد ترى؛ كيف للمرء ان يدمن على النظر والتأمل؛ لقد أدمنت ملامحها حد الهذيان فكلما نظرت اطول زاد تعطشي للنظر ليس بسبب اغراء بل كان الصدق الذي يملأ ملامحها بمثابة مخدرات نخترقني متسللة الى اوردتي عبر عطرها الذي ظل عالقا في فتحات انفي منذ

اول سلام تبادلناه تلك الليلة؛ صدقا لم افهم ماذا جرى لذاك
الفتى الذي كنته قبلا لانها ايقضت في فتى جديدا عني
بالكاد ظل اسمه كما هو اما قلبه وعقله فقد تبخرا في
هوائها العنبري؛ كانت قد تركت لي كثيرا من الرسائل
وكانت كلها تذرف دموعا افتراضية لكنها تظل دموعا؛ كاد
نحيبها وانينها يحدثان غيوما سوداء في سماء ذاك العالم
الحزين؛ كادت كلماتها تمطر السماء حمما لأجل عجزها
ويأسها؛

xxاين انت؟؟

xxانا بحاجة لمحدثك اين انت؟؟

xxانا بحاجة اليك؟؟

xxتعبت يا حبي اعياني التعب وحطمني كليا؟؟

xxانا ضجرة ويائسة للغاية اريدك الى جانبي الآن؟؟

xxهاتفني اثر وصولك البيت لا اريد تراسلا اريد صوتك

انت؟؟

xxاتصل بي أرجوك الامر مهم وفي غاية الخطورة؟؟

xxاحبك...

كانت تعلم اني اعمل ولن أنتبه للهاتف ورغم ذلك سكبت مليغرامات من حزتا في تلك الرسائل السبع؛اخبرتني كلماتها انها ضجرة حد العجز واليأس لكني لم املك الوقت للتفكير في سبب كل ذلك؛بل وحتى ان كان يبدي اسابيع للتفكير لن يخطر ببالي ان الامر يتعلق بخمارها او بنزعه؛كان من المحال ان تراودني تلك الفكرة؛عادت بي الذاكرة الى احد المراسلات التي رسخت في ذهني حين كان موضوع حديثنا الانتماء للجيش؛قالت انها تتابع كل المناظرات التي تتعلق بالهندسة في الجيش وان العمل في مثل تلك المجالات يتطلب ضرورة التخلي عن التدخين ونزع الخمار؛

«حبي اتعرف أنهم سيجبرونني على التخلي عن خماري ونزعه في الجيش؛هذا ان قررت الالتحاق به.

كانت تحب المنطق وتتخذة احد اساليب حياتها لذلك كانت اجابتي المترددة والمتأخرة في دائرة المنطق؛صدقا مجرد تلك الرسالة اضجرتني وعكرت مزاجي لكني كبت داخلي واجبت بابتسام بارد وشاحب؛

«لا تعتبري هذا أمرا بل هو رأيي؛ان ذاك الخمار الذي يزين رأسك لن يبرح مكانه ولن ينزع من فوق رأسك الا للضرورة

القصوى فاذا كان الامر متعلقا بمستقبلك وليس لديك خيار
ثان غير نزعته فالظروف تبيح المحظورات والله عفور رحيم
وهو اعلم منا ان لا ذنب لك في ذلك لأن الأمر كان رغما
عندك....

هزتها فرحة وسعادة كانت تصرخ من بين احرف ردها؛
«احبك يا هذا؛ اعشقتك انا؛ ذلكم هم الاناس الذين
يفهمون؛ اعدك اني لن ازيجه من فوق رأسي الا اذا كان
الامر محسوما من عند القدر؛ اصلا لا اريد؛ لا اتصور نفسي
بدونه.

كانت بالمطبخ تعد الغداء وقد فرغ البيت من اهله ما عدى
رؤى الصغيرة التي كانت تستغل العطلة لمجالسة اختها
حببتها؛ بالكاد رن هاتفها وقد أجابت؛ كانت تمسك الهاتف
وتنتظرنى منذ وقت؛ كانت نبرة صوتها خافتة تكاد
تنطفئ؛ شئى من الشفق يهمس كل برهة بالكاد
اسمعه؛ بادرت؛

«سلام

بالكاد سمعتها؛

«سلام

«كيف حالك

وقد اخبرني صوتها مسبقا عن حال حالها لكن السؤال قد
تعودت عليه وصار مثل القاء السلام؛

«لست بخير اود اخبارك بامر اعرف انه لن يغضبك لكنه
سيفعل ما هو اسوء من ذلك.

ترددت عن الاجابة قليلا ثم ادلقت؛

«ايا كان الامر تعرفين اني سأفهمه خاصة وان كان
يخصك؛ انا الى جانبك مخطئة كنت ام صحيحة.

«الامر ليس بالبساطة التي تعتقد يا اسامة لأنه
سيشعرك بضجر خانق وعجز يقتلك من الداخل وانت لازلت
تتنفس؛ على الاغلب هذا ما احس به الآن لكن
الحمد لله؛ طيب كما اخبرتك ذهبت اليوم الى الجامعة
وقدمت لهم ملف الترسيم، أخبرت ماذا كانوا يفعلون سابقا
لكن اليوم تغير كل شئ كليا لم يعد التجاهل ينفع في
شئ صدقني وحتى تفوقني بالهندسة لم يعد
يعني؛ اخبروني اني املك مهلة لايام حتى اقرر فيما انزع
خماري واتخلى عن تديني او ان كل ما درسته طيلة
سنوات، كل ذاك العمل والتعب والسعي سيذهب سدى

وعلي حينها ان أنسى الهندسة وما تبعها؛ سأخسر كل شيء ان رفضت ما يطلبون وموافقتي تتمثل في ان امدهم بصور لوجهي دون خمار وإلا فان الملف سيرفض...

كنت قد تجمدت اثر قولها كلمة "ان انزع خماري واتخلى على تديني"؛ ادركون معنى ان يمتلك المرء حدثان متضاربان؛ كان جسمي شبيها بكتلة جليدية متجمدة شديدة البرودة لكن داخلي كانت حرارته لا تختلف عن حرارة تلك الحمم الموجودة في فوهة البركان النشط؛ احسست ان احدهم اخترق غرفتي وصرخ* لقد ماتت حبيبتك*؛ لماذا كان العرق يتصبب من كل جزء مني في حين ان جسمي كان مجمدا بالكامل؛ لماذا نقص مستوى الاكسجين الذي كان يملأ رئتي وتقلص حتى كاد ينتهي واختنقت بشدة؛ البكم الجزئي؛ كيف لبضعة كلمات ان تخرسني لدقائق دون ان استطع الرد؛ اصلا بماذا سارد وبأي كلمات سأنطق فكلها تناثرت وتبعثرت في مكان ما؛ حتى لو حاولت النطق لن يقتصر كلامي على حرف الباء او النون مثلما يصدر عن ذاك الأبكم؛ الشلل النصفي؛ إلتصق كل جزء من جسمي على الفراش؛ تلك الوسادة صارت جزءا لا يتجزء من جمجمتي؛ رجلاي اضن اني

فقدتهما في احد الانهج؛يدي،أصابعي تجمدت حاولت تحريكها فكسرت وتفتت على الفراش مثلما تفتت الحناء من يد المرأة صباحا؛عيناى اغلقتا لإراديا؛أذناى ندمتا على سماحهما لتلك الكلمات بالولوج الى الى الداخل وبلوغ طبلتهما؛ندمتا على امتلاكهما لنعمة السمع وهل يندم المرء العاقل على امتلاكه لنعمة؛لم يبقى لي من العقل شىء اثر تلك الكلمات لذلك لا ألام على شىء؛ ندمت حتى على ولادتي وعلى عيشي لدقيقة اخرى؛ ندمت على امتلاك لعقل وعلى كوني انسانا اصلا؛ندمت على كوني موجود بالأساس؛ندمت؛تلك اعراض العجز يا سادة فليس السرطان والانفلونزا والحمى فقط لهم اعراض؛ العجز ايضا له اعراضه وهي اندماج لأولاءك الثلاثة مجتمعين.....

دقيقة مرة؛دقيقة ونصف؛دقيقتان وأنا محنط في تلك الوضعية؛تمسك يدي اليمنى بالهاتف إلى أذني في حين أختفى كل ما تبقى مني في اللاشئى الخاص بي؛لم اكن افكر في صمتي ذاك بل كنت شاردا دون تفكير؛اصلا في ماذا سافكر لم تكن المخيرة في الحقيقة بل كنت انا الذي عليه ان يختار؛الأمر لا يتعلق بأخذ دقيقة او اثنين للتفكير

فلو كان الامر بيد الوقت لكنت امضيت في جمودي ذاك كل ما بقي من حياتي البائسة لكني لم اشعر بشيئ وتمنيت ان تضيف اي كلمة اخرى توقضني من ذاك الشرود الابله واذا بهمس يأتي من وراء سماعة هاتفني؛ كانت همسة يائسة وعاجزة؛

«أين ذهبت اسمعتني».

وقد اخذت نفسا عميقا بكل ما اوتيت من قوة ثم زفرت بلطف؛

«انا دائما معك؛ اسمعك اكملني».

«تحدثت في الامر مع والدي؛ قالا ان علي نزعه حتى لا اتسبب لنفسني في مشاكل وتعطيلات لكني لا اريد ذلك؛ لا اريد نزع خماري ولا أريد خسارة دراستي؛ بالأحرى سنوات من الدراسة...»

وقد سكتت لبرهة ثم اضافت؛

«انا بحاجة اليك؛ عجزت واختنقت ماذا سافعل اخبرني يجب ان نقرر قبل اتصالهم بي..»

اخذ الصمت يرجني من جديد ويهزني هزا؛ لم اجد اي كلمة؛ اي حرف؛ لم استطع النطق بشيئ؛ ماذا سأقول؟

اسكون من سيقمر عنها؟ استضع كل هذا الحمل علي؟
هذا ما تعودنا عليه في كل مرة لكن الأمر الآن مختلف تماما
فكلانا لن يتحمل وحتى ان افرغته كله في فلن ينقص من
كميته شئ عندها كما لو انها لم تتخلص من شئ؛ ذاك
العجز اللعين كم مقته وكرهته وكم حقدت على اولائك
المسوخ الملحدن اصحاب الرقي المتعفن والفكر
المتخلف؛ تذكرت ان الصمت سيزيد الامر سوءا ولن يعينها
في شئ بل انه سيضاعف الحمل عليها ويضجرها
اكثر؛ صارت نفسي وتخبطت في قوقعت كلماتي التي
كانت غارقة تماما وهجئت بضعة احرف بالكاد استطعت
النطق بها؛ زفرت من جديد بلطف وكان زفيرا مطولا؛ لم
يختلف حالي عن الاحتضار في شئ الا اني كنت احتضر
في اختناق سام؛ همست؛

«اليس هناك حل آخر غير هذا؟»

بالكاد أوصلت صوتها الرقيق والمنطفئ؛

«صدقني لو كان هناك حل آخر ولو كان حرفا لما تراجع
لحظة عن اختياره على الاغلب لن يجبرني الخيار الثالث
على نزع خماري لكن لا يوجد غير اثنين حارقين وقاتلان
لكني لا اريد نزع خماري.»

عم صمت مخيف اخر لا تسمع فيه نبسا غير صوت انفاسها التي كانت تصلني عبر سماعات الهاتف؛عطرها ظل عالقا في انفي حتى اني توهمت لبرهة انه يتسلل مع صوتها العذب ويلج الي عبر الهاتف؛كنت اشبه برجل ثبت على كرسي حديدي بارد وجرد من ملابسه وكبل بسلاسل واصفاد حتى تجمد كل جزء منه وصار غير قادر على الحراك؛كان من المحال ان يتحرك إنشا؛ورجل اخرق ومعتوه سيئ الخلق ملامحه تميل الى اوصاف شيطان رجيم لكنه كان يرتدي بدلة أنيقة؛لم تلائم هيئته قط لكنها كانت تخفي ملامحه البشعة؛كان يقف امام ذاك الرجل المثبت على الكرسي وكانت زوجة الرجل تصرخ وتنحب وتصرخ في ذاك الاخرق ان يتركها بحالها هي وزوجها لكنه لم يكن يصغي بل لازم الضحك بطريقة ساخرة وصار يمسك المرأة بعنف وينزع عنها كل ثيابها حتى أنهى انتشال اخر قطعة من ملابسها وباشر في الاعتداء عليها واغتصابها؛كانت تصرخ وتبكي بشدة وكان ذاك الاخرق يفعل ما يفعله ويضحك بشدة دون رأفة او اي شفقة؛اما زوجها فقد ظل ينظر الى زوجته تغتصب امام عينيه؛كان يصرخ، يبكي، ينحب، يتخبط بين سلاسله الصدءة تلك يحاول

التملص لكن عبثا لم يكن تملصه يجدي نفعا؛ لم تكن هناك كلمات ليقولها واي كلام قد يعبر عن غضبه وعجزه لذلك المشهد الذي يحدث امام عينيه؛ تمنى لو استطاع كسر تلك القيود بأسنانه؛ تمنى لو تختفي تلك السلاسل فجأة بمعجزة من الله؛ تمنى لو ان الله يستجيب دعائه في تلك اللحظة ثم يعذبه ما شاء كل ما بقي من حياته؛ لكن عبثا ما كان يفعل؛ يأس بعد كل تلك المحاولات الفاشلة لتخليص نفسه حتى يقطع ذاك الشيطان الى اشلاء؛ أحنى رأسه الى الاسفل واغمض عينيه وكفر بكل نعمة امتلكها؛ كره قدرته على السمع ومقت نعمة البصر وتمنى لو انه اصيب بطرش كلي حد البكم؛ كره وجوده اساسا في تلك الحياة التي صارت عاهرة بسبب اولئك المسوخ المتخلفين رقيا؛ نبذ الحياة وكره كل ما يتعلق بها من جيد وسيئ؛ احس بالذنب؛ تلك المحطة الاخيرة في طريق العجز؛ ذنب حيال ما حدث امام ناظريه لزوجته التي لطالما وعدها انه سيحميها وان مكروها لن يلمس خصلة من شعرها مادامت الانفاس تخرج وتلج الى رئتيه؛ تحدى الحياة ليجد نفسه الآن يتذوق من اجود اناء للعجز واثمنها؛ احس انه هو من قام بذاك الاعتداء وهو الذي

عنفها وضربها؛ لكن عبثا فقد حدث ما حدث الآن وهاهي تلك الصغيرة الان ملقاتا على الارض طريحة لدمائها بالكاد بقي لها بضع انفاس خافتة تكاد تنطفئ أما ذاك الشيطان فاختمى دون سابق انذار؛ لكن ماذا عساه يفعل الآن حتى ان تخلص من تلك الاصفاد فلن يتغير شئ؛ ذاك كان حالي حينها وذاك ما احسست به في تلك الدقائق المبكمة؛ تملكني شعور اني من سيقوم باجبارها على نزع خمارها لا مسؤولو الجامعة الاغبياء اولاءك؛ كان حملا غنيا عن ان يوصف بثقيل لكنه كان كذلك في كل الحالات؛ لم اشعر باختناق او تعب او حتى بجحيم يأج داخلي مثل ذلك في حياتي؛ لم يكن أمامها خيار آخر غير هذين وقد جعلها ذلك تدرك مرحلة العجز واليأس القصوى؛ كانت مختنقة وهي تتنفس؛ لم يزد حالها عن حال تلك المرأة التي تم اغتصابها اما زوجها في شئ غير انه قد اعتدي عليها بطريقة لا تختلف منزلة عن الاغتصاب الجسدي؛ قلت في نفسي سحقا للجامعة والمسؤولين المسوخ ولتذهب الهندسة إلى الجحيم؛ اخذت نفسا اخر اشد عمقا وزفرته ببطئ؛ كان الهواء الوالج من فمي شديد الحرارة؛ همست بيأس كما لو اني الذي رفع يديه الى

رأسها ونزع ذاك التاجي من فوقه؛كنت احتضر وان للاحتضار لسكرات لكن تلك السكرات كان باردة وسوداء مثل ليل الجبال؛

«طيب اسمعي اخبرتك ذات مرة ان خمارك لن يحرك ساكنا من مكانه ولن ينتزع الا اذا تعلق الامر بمستقبل كامل او بحياة او موت؛صدقا عجزت،تعبت واختنقت لكن الامر الآن متعلق بمصير سنوات من الدراسة والتعب والعمل المجهد او بالاحرى متعلق بمستقبلك كله؛ليس لدينا خيار اخر فالامر كما قلتي محسوم اما ان تمديهم بصور دون خمار ام ان الملف سيذهب بما فيه مع الهواء؛ اسمعي لا اريدك ان تضجري او تكلفي نفسك التفكير في شئ الآن فالذنب ليس ذنبك وليس الخيار بيدك اعلم لو كان عندك الخيار لما كنت اخبرتني بالموضوع اصلا لكن عبثا الآن كل الذنب معلق في اعناق اولاءك الحمقى المتخلفون والمسوخ لعنهم الله؛حتما سيلقون حدفهم يوما ما ولن يصيبهم خير صدقيني؛لكن ركزي جيدا فيما سأقول؛تذكري ان الله تعالى قال "عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم"؛لا تحزني صدقيني الذنب ليس ذنبك ولم تخطئي في شئ

بالعكس كنت تتحملين احتقارهم وتجاهلهم طول تلك
السنين لكن شاء القدر ان تتغير المعطيات الآن؛ تذكرى ان
الله أمرنا بالعلم والتعلم والدراسة واجاز لنا التضحية من
اجلهم لذلك انت الآن لن تفعلين خطأ بل ستضحين من
اجل علم الله؛ ربنا غفور رحيم وسيغفر لك اصلا لم تذبني
في شىء حتى يغفر لك لكن لا تخافى واعلمى ان الذنب
ليس ذنبك وحتى والداك اخبارك ان عليك فعل ذلك....

تمنيت ان اصاب بالبكى الى الابد قبل ان ابلى تلك
الكلمتين؛ دعوت الله ان ياخذ روحي من جسدي ويتركه
خاويا قبل ان انطق بهما لكن عبثا فالحياة اذا عزمت على
اسقاط احدهم فهي تقول كن فيكون؛ همست وقد
استحييت من نفسي؛ منها؛ من حبنا؛ من صداقتنا؛
استحييت من خمارها فقد كان الهاتف موضوعا عليه وهو
الذي غطى اذناها؛ كان اول من سمع كلماتي قبل حتى
ان تصل الى اذنيها؛ احسست انى حقير لعين؛ احسست
بالذنب؛ سحقا لانفاسي التي ابقتني على قيد الحياة
حينها؛ همست؛

✠انزعيه والله غفور رحيم وسعت رحمته كل شىء.

صارعت؛ جاهدت اخفاء بكاءها لكن ليس علي انا؛ صديقها؛
ابوها؛ حبيبها؛ عائلتها؛ سمعت صرخات دموعها الضعيفة؛
ادركت انين مقلتها ونحيب اجفانها؛ سمعت ذاك الاحتاك
السلس اثر تزلج دموعها اللؤلؤية على وجنتيها
البيضاوتين؛ سمعت ضجيج قلبها اليائس الذي اعياه ذاك
الحمل؛ حمل لو عرض على جبل لرفضه؛ كانت تبكي وقد
شهقت؛

xxهل تبكين؟؟

همست من وراء شهقتها اللطيفة تلك؛ حتى الاحساس
المزعج كانت تعيشه باتقان وهي التي عاشته سنوات
متتالية؛

xxلا.

لكن جزما كانت تبكي؛ قلت؛

xxلا انت تبكين.

xxطيب، اجل ها قد سكت.

اجبت محاول مواسات دموعها؛

xxعلى الاقل وفري تلك الدموع حتى لقائنا القادم؛ منذ

آخر مرة اوصيتك الا تبكي الا اذا كنت جالسا حذوك حتى
امسح لك دموعك بيدي؛دموعك لا تنزل الا نادرة؛اذا هي
ثمينة للغاية فلا تخسريها ولا تجعليني اخسرها كذلك...
ابتسمت وقد ارتسمت لي تلك الضحكة كما او انها كانت
تقف امامي؛كانت واضحة ولم تملك من الخفوت شيئ؛
طيب اوقفتها الآن معك حق علي المحافظة عليها؛
علي افعال الخط الآن يجب علي التحدث الي امي...
وكان صوتها يودعني في عناق وهمي لكني احسست
بدفءه؛قلت؛

طيب؛تلك الابتسامة لا تنسي انها تعني لي حياتي
كلها لا تغفلي عن جعلها احمر شفاهك كما اتفقنا؛ كوني
سعيدة ولا تقلقي حيال شيئ الله معنا؛انتظرك.

رميت الهاتف فوق صدري واغمضت عيني ورحت اغوص
فيما كنت اسمعه منذ قليل؛كنت لا ازال احتضر وقد زادت
حنجرتي ضيقا على ضيقها وصار التنفس بالنسبة لي
بمثابة عمل شاق ومتعب؛شردت في صوتها الذي ظل
يدندن في اذني؛حسيس دموعها؛نحيب كلماتها؛تلك

السنفونية التي تنتجها ابتسامتها؛ ظللت على حالي ذاك لساعة تقريبا؛ انقطعت عن العالم كليا وهويت في احلام لا تعرف نهاية كان اسمها عنوانا وصوتها موضوعا؛ اتصال قصير يصلني؛ فتحت حسابي مباشرة واذا برسالة ترد منها؛ قسم ذاك الحزن نفسه بين كلمات تلك الرسالة فمنه من بقي حزنا على حاله ومنه من تحول الى فرح وابتسام جعل تلك الرسالة تدندن اغنية*اشتقت لك*؛ كانت اغنيتنا الخاصة والمفضلة لأحد المغنين الجزائريين؛ قال لي ذات يوم انها صارت اغنيتنا المميزة؛ ادلقت؛

حبي؛ روح قصيرتك؛ اتعلم صدقني لا استطيع ان أعبر لك بمجرد كلمات الان على ما يطوف بداخلي لكن حقا شكرا على كل شئ؛ شكرا على كل ما فعلته من اجلي ، شكرا على وقوفك الى جانبي، شكرا على كل لحظة جعلتني احضى بها معك، شكرا على صداقتك، شكرا على حبك؛ شكرا؛ صدقني لولاك لما كنت فعلت شيئا ولولاك لكنت بقيت معلقة في ذاك العالم المظلم اتارجح في العتمة بين الموت والحياة البائسة؛ لكنك اخرجتني بفضل الله من ذاك القبر وجعلتني احظى باسعد ايامي؛ جعلتني ابتسم بصدق في حياة ليس فيها اي شئ

يستحق الابتسام؛ الحياة بائسة لكنك ساعدتني على العيش فيها بارتياح؛ لقد صرت منذ زمن قوتي وشجاعتي وفرحتي وسبب ابتسامتي؛ انت سر سعادتي وسبب عيشي وتعلقني بالحياة ولولاك صدقني ما كنت فعلت شيئا؛ لا اعلم لكنني اخشى ان يأتي يوم اخسرک فيها وأموت من جديد لكن دون رجعة هذه المرة؛ اعشق ربك انا...

لا اعلم ان كانت العربية او اللاتينية او حتى العبرية ستتمكن من انشاء كلمة بسيطة تعبر عما صرت عليه اثر قرائتي لتلك الرسالة فحتى لو مزجوا جميعا وصاروا لغة واحدة فلا اعتقد انهم سيدركون ما شعرت به؛ لا يهم فالامر بالنسبة لي قد فاق تصوراتي وفي كل الحالات تعودت على العجز امام تلك الرسائل المقدسة؛ كتبت؛ حتى اصابعي خانتني حينها وتركتني ابحت وحدي عن احرف حتى كدت اشترئها؛ واي ثمن قد يحضر لي تلك الاحرف الاسطورية هذا ان وجدت اصلا؛

«احبك والله؛ لن تخسريني لاني افضل الموت بابشع الطرق على ان اتركك او اخذك؛ افضل التبعر في الفضاء الخانق على ان اخون ثقتك؛ لكن اتعلمين لقد تشرفت

بحبك وبالوقوف الى جانبك؛ كان ذاك افضل هدية قدمتها لي دون ان تشعرني بذلك....

مر اسبوع على لقائنا الاخير؛ كان اليوم التالي غريب الاطوار احس كلانا ان جسمه يتحرك في نشاطه لكن روحينا قد شبكت ايدي بعضها وصعدت الى ربها خالقها في جولة نقاهة لم نعلم مدتها؛ حتى استيقاظي في الصباح كان مملا وضجرا؛ كنت استيقظ احيانا قبل المنبه حتى لكني يومها استيقظت متأخرا جدا متناقل الجثة بالكاد املك رغبة في المشي على قدمي حتى؛ الرغبة؟ احسست اني فقدت الرغبة في كل شئ يومها؛ الاستيقاظ؛ الاكل؛ التنفس؛ التفكير؛ العمل؛ فقد الرغبة في العيش بحد ذاته؛ انا فقط استيقظت رغما عني وباليتمني لم استيقظ مطلقا يومها؛ ارسلت لها تلك الرسالة المعتادة ورميت هاتفني في جيبني وخرجت اتمشى؛ كان يوم عطلة لا عمل فيه؛ استيقظت من جهتها وكان استيقاظها لا يختلف عن حال استيقاظي في شئ غير انها كانت تصارع وترفض ما تفعله رغما عنها؛ كان حالها اسوء من حالي فهي التي ستخرج في مظهر جديد سيتعود الناس ان يروه كل يوم لكنه كان غريبا عنها ولطالما نبذته ورفضته

لكن ما باليد حيلة غير رجم اولأؤك الحمقى بالادعية؛ كان الأكل اخر ما تفكر فيه رغم انه شغفها؛ واي اكل قد يستطيع عبور تلك الحنجرة الضيقة بالكاد يلج عبرها الهواء ليبقيها حية؛ مختنقة وطمعت مظلة فوق شعرها الاسود الحريري وخرجت الى العالم البائس الذي اجبرها على التخلي عن اغلى شئ في حياتها والذي كان مصدر نورها؛ لقد اطفأوها بالكامل وصار ذاك النور الذي كان ينبعث منها يكاد يعمي الناظر فيه خافتا وضعيفا ؛حتى تلك الابتسامة التي كانت لتعوض نور الخمار اختفت هي الاخرى؛ على الاغلب لن يعوض نور ذاك الخمار اي ضوء اخر مهما كان جذابا لكن على الاقل كانت الابتسامة لتجعلها مرئية لكنهم لم يتركوا لها شيئا غير جسد هزيل وضعيف يكاد يسقك؛ كانت تتعثر مثل رضيع باشر المشي للتو؛ بخطى متهاوية ومرتعشة قصدت الجامعة وقد حاولت اظهار ذاك الصمود الذي لطالما قضت به اربعة سنوات من حياتها، لتعلمهم انها تستسلم لخيارهم المعجر وانها تخلت عن جزء مهم من حياتها، كان اهم حتى من الهندسة والدراسة بالنسبة لها لكنها ضحت به وعانت لاجله وتخلت عنه لكن ليس ببساطة كما ضن البعض؛ لم

تكن بحاجة لتخبرهم بشيئ ولم يكن لصوتها لزوم فقد كان صوت خصلات شعرها وندنته مع الهواء يسبق مشيتها الى داخل الجامعة البائسة تلك؛ كان ترحابهم بها وفرحهم لرؤيتها لا يوصف ولا تعبر عنه محظ كلمات؛ على غير العادة استقبلوا هذه المرة فتاة غير الفتاة التي درست عندهم وتجاهلت احتقارهم طيلة ثلاث سنوات متتالية؛ استقبلوها بوجوه بشوشة ومبتسمة كادوا يحملونها فوق رؤوسهم المشوّهة تلك؛ كان ترحابهم وسعادتهم لمظهرها الجديد يكادان يملآن الجامعة ويفرقعانها؛ كانت اول من دخل وراجع ملف الترسيم؛ على الاغلب كانت المرة الاولى التي تستمتع فيها بأخذ دورها سواء كان الاول ام الثاني لكنها ما كانت بمستمتعة في الحقيقة بشيئ؛ كانت النار تزداد داخلها حتى كادت تحولها الى حمم؛ قبل ملفها حتى ان بعض المسؤولين اعتذر منها عن شيئ فعله في يوم من الايام وصار الكل يحترمها ويقدرها؛ كانت ذا شأن وسمو في تلك الجامعة بسبب مظهرها الجديد الذي لم يعجبها يوما؛ وقد عاد ذاك القناع الذي كان يخنق وجهها لكنه لبس هذه المرة حلة جديدة ومتطورة عن التي سبقت؛ احست بهزيمة فادحة وبالرغم من انها كانت تمشي على قدميها

الا انها لم تكن تشعر بذلك مطلقا؛ كانت تحس انها في الطبقة الاخيرة من القاع؛ وهل للقاع طبقات؟؟ طبعا له طبقات مثل ابواب النار كلما عبرت الى الطبقة الموالية عشت وجها جديدا ومتطور للموت البارد؛ الاختناق في القاع له طعم استثنائي على فكرة؛ ايعقل ان ذاك الخمار كان يرى على انه سرطان الى تلك الدرجة في تلك الجامعة اللعينة؛ كان تغيرهم معها مبالغا فيه اكثر من اهتمامي بها واكثر حتى من وصفي لجمال وجهها؛ على الاغلب ذاك ما نعينه بسخرية القدر؛ صارت الآن مسجلة بجدارة لاكمال السننتين المتبقيتين لها في الجامعة ولم تعد بحاجة لمعرفة ما تعنيه مصطلحات تجاهل واحتقار وشتم ونبذ؛ لم تعد مختلفة عنهم ولم تعد غريبة ومحل سخرية لكن في حقيقة الامر كانت تفعل لأول مرة شيئا لا تريده فحبها للحرية دفعها للعيش على ما يراه عقلها مناسباً لكي تجد نفسها الان تفعل ما لا عقلها يقبله ولا منطقها يريده؛ صارت غريبة عن نفسها بالكاد مازالت تعرف ان لها اسما رافقها منذ ولادتها؛ قد نتساءل احيانا ما هو الشعور الذي يملك المرء حين يصل الى مرحلة ينبذ فيها نفسه ويكرهها ويرى فيها وجهه كمثل احد المشوهين

وانه لا يروق لذاته ونفسه؟اي شعور هو ذاك الذي يصل فيه الانسان الى مخاطبة نفسها والصراخ فيها كم اكرهك او بالأحرى كم انت كريهة وبشعة؛لم يعرف معنى هذا الشعور غيرها هي وحدها واكذب ان قلت اني شعرت بما شعرت حين نظرت الى نفسها من زاوية نظر الذين عهدوها مغطات الرأس؛شعور لم استطع ادراكه رغم تلك الدرجة من القرب منها ورغم اني اختناقى حيال الامر وضجري كانا لا يختلفاء عما كانت عليه من جهتها الا ان هناك نقطة من العجز واليأس ادركتها وحدها ولم استطع بلوغها من جهتي؛نقطة لم يكن لها اسم لكنها على الأغلب كانت مثل افتراق حبيين بسبب قذارة الدنيا وذهاب كل واحد منهما في حال طريقه بعد كل ذاك التعود والاهتمام والحضور؛حتى ان احسستها انك تشفق عليها وان حالها صار مؤسفا فانت لن تقدم شيئا ولن تأخر فالشفقة والاسف صارا محطتان كانت قد تجاوزتهما منذ اول عبورها باب المنزل خروجا من دون خمارها على رأسها لذلك ان حاولت السخرية منها فحالك انت هو المثير للشفقة يا عزيزي اما هي فكان لها من الصمود والعزم ما كان ليجعلك تنحني الى قدميها تقبل التراب الذي تحتها

وما كنت لتفعل هذا مع أمك التي انجبتك ولن اشك انك تحبها لكن امام رجولتها هي صدقني سوف تنحني لاراديا ودون ان تنبس بحرف حتى؛ اصلا ماذا عساک كنت ستقول غير *هنيا لزوجه يا امرأة* ؛ صدقا لطالما اعتبرتھا صديقة مثالية لي وحبية استثنائية لنفسي وأما نادرة لاختها الصغيرة رؤى؛ تلك الظريفة رغم انها كانت تتقلب وسط مشاكل المنزل دون ان تدرك ماذا يجري فقد كانت محظوظة للغاية فقد حضيت بأمين الأولى كانت التي حملتها اشهر وانجبتها اما الثانية فقد كانت أقرب اليها من الاولى حتى كادت تنسيها فيها؛ على الاغلب نسيها وصار الجسد مع الولي والقلب والروح مندمجان مع الثانية لكن عبثا ما فائدة الجسد دون قلب وروح وقد كان من بين امنياتني لو اني كنت مكان رؤى ولو حتى لنصف يوم؛ اما من جهة نظر اخرى خاصة بي وحدي فقد اعتبرتھا رجلا اكثر من كونها امرأة؛ هذا ما كانت عليه تلك الحورية..

عادت الى البيت بعد تلك الرحلة الخانقة وظلت تنتظر اتصالي؛ لازمت البيت ولم تكن ترغب في الخروج مطلقا وقد صار العالم الخارجي بالنسبة لها جحيما ساخنا

وملوثا؛ كانت ترى السماء سوداء والسحب حمراء اما الهواء فقد صار له لون وطعم شبيهان بالقطران الصلب؛ اصرت عليها أختها الكبرى ان تخرج معها لكنها رفضت لأول مرة وابت مغادرة البيت؛ لم يكن عندي أدنى فكرة عما صارت عليه ملامحها لكنني تخيلتها رغم ذلك؛ لازمت غرفتها وغنائها وهاتفها الذي صار جزءا لا يتجزء منها؛ عدت الى البيت بعد ان قضيت بعض الوقت رفقة اخي في مكان عمله؛ كان يعمل حتى يوم العطلة؛ اصبحت كلمات سحقا وتبا واللعنة على الحياة مجرد اوهام بالنسبة لي لا تسمن ولا تغني من جوع؛ كتقديم قطعة حلوى بحجم حبة الحمص لطفل اثيوبي لم يضق طعام الأكل لايام وايهامه انها ستسكت جوعه الكافر؛ جلست الى فراشي وامسكت الهاتف وفتحت حسابي؛ كانت المرة الاولى التي افتح فيها حسابي قبل ان اهاتفها؛ كانت قد قرأت تلك الرسالة عند الصباح قبل خروجها من البيت وكتبت ردها المعتاد عليها؛ ربيع ساعة بعد ارساله

لذاك الرد وادلفت برسالة اخرى قالت فيها؛

«حبيبي خرجت لتوي من البيت وأنا متجهة للجامعة وازدت ان ارسل لك هذه الرسالة قبل خروجي دون خمار؛

سامحني ارجوك فلم يكن بيدي حيلة ولم اختر اي مما افعله الآن؛ اردت فقط ان اكتب لك هاته الكلمات؛ احبك وتذكر دوما انك تسكن في؛ انك حياتي بحلوها ومرها...

كان هناك صورة لم تظهر بعد تحت الرسالة وقد كتب فوقها؛ اردتك ان تكون اول من يراني بمظهري الجديد الذي لا يعجبني؛ هذه اول صورة وانت اول من يراها حتى ان رأيتها بعد خروجي فانا ارسلتها لك قبل خروجي لذلك انت اول من يراني؛ هذه الصورة مميزة وخاصة لك انت خصيصا؛ اتصل بي ريثما تقرأ الرسالة؛ اشتقت لك...

ظهرت تلك الصورة بعد قراءتي للرسالة؛ كان ظهورها مباغتا وقد استغرت دقائق محاولا استيعاب ما رأيت له لكنني فشلت في استيعاب الامر؛ كانت ترتدي قميصا اسود خفيفا، كان صيفيا؛ حقيبة الظهر الصغيرة السوداء خاصتها وقد غرس فوق رأسها نظارات شمسية سوداء؛ شعرها كان حيريا كما توقعته مسبقا؛ كان نحيفا مثلها وقد ربط خلفها في حين نزلت خصلات منه على جبينها كادت تلامس عينيها؛ صدقا تصورت ان شعرها سيكون حيريا واسود كالليل صحيح لكنني لم اتخيل ولم تزرني فكرة اني ساراه يوما قبل زواجنا ولم استطع يوما تخيلها دون خمارها

التاجي ذاك لكن اللوم بعد القضاء بدعة؛ لم ألمها بل لمت
نفسي على لاشيئ؛ عاد ذاك الشعور من جديد وخصني
لبرهة وانا انظر الى صورتها تلك؛ الاختناق،
العجز، اليأس، الضجر، الاحتضار؛ تراكموا كلهم فوقني وناموا
لدقائق كانت بالنسبة لي دهرا من الزمن؛ رن هاتفها
فاجابت؛ كان كلامنا متقطعا يكاد ينقطع وقد حدثني على
كل ما حدث معها؛ همست؛

xxسلام.

xxسلام.

xxكيف حالك الآن؟؟

قالت بنبرة غريبة؛

xxبخير الحمد لله وانت؟؟

xxكمثل الحمد لله خاصتك؛ ماذا جرى معك اليوم؟؟

xxلا شئ مهم قصدت الجامعة وقدمت تلك الصور وقبل
الملف.

xxطيب كيف كان يومك؟ صوتك ينحب يا صغيرة حبيبك!

طيب؛ اليك؛ قصدت الجامعة وقد كان وصولي الى هناك
غريب الاطوار مثل حالتي؛ اما الاستقبال فقد فاق
المعقول؛ رحبوا بي بوجهه بشوشة ومبتسم؛ نفس
الحمقى الذين كانوا يسخرون مني ويحتقرونني
ويتجاهلونني رحبوا بي وقد كان ترحيبهم ذاك كمثل
استقبال رجل سياسة معروف او مسؤول في الدولة له
مكاناته الخاصة؛ ابتسموا في وجهي وقد كانت ضحكاتهم
صادقة؛ قدمت الصور ومعهم ملفي ولم يستغرق قبوله الا
ثوان؛ هممت بالخروج واذا بفتاة باشرت سنتها الاولى
بالجامعة؛ كانت متدينة تضع خمارا على رأسها؛ كانت واقفة
بالصف لتقدم ملفها؛ كانت الاولى بالصف؛ وقفت اشاهدها
من بعيد واذا بالمسؤول عن ادخال الطالبات الى قاعة
الترسيم يأمرها في كل مرة بالتراجع وراء الطالبة التي
كانت تقف وراءها؛ ذاك هو اسلوب التجاهل والاحتقار الذي
عانيت منه لثلاث سنوات؛ كانت الفتاة جديدة
بالجامعة؛ كانت خجولة هزها الحياء؛ كانت تحني رأسها في
كل مرة وتراجع؛ لكنني كنت قد مللت تصرفاتهم الخرقاء
وتجاهلهم للطالبات المتدينات؛ تقدمت نحوها وامسكتها
من يدها وجذبتها نحو اول الصف وصرخت في وجه

المسؤول* لماذا تتصرف معها بهذه الطريقة وما بالك تجعلها تتراجع في كل مرة تهم فيها بالدخول حسب دورها*؛ اجابني وقد لمست في صوته انه كان مدركا لذنبه* وما دخلك انت فيها*؛ فصرخت من جديد في وجهه بكل ثقة* انها اختي يا هذا وانا انتظر منذ زمن انتهاءها من الترسيم حتى نعود الى البيت لذلك لا تدع الامر يسوء اكثر ودع اختي تأخذ دورها*؛ تراجع ذاك الاحمق بعد ان نظر للفتاة التي لا اعرف حتى اسمها *طيب تفضلي بالدخول يا هذه لكن كوني متأكدة انك ستتعين كثير هنا ان اصررت على موقفك من هذا الشئ الذي على رأسك*؛ اتذكر مدير الجامعة الذي كان يشتمني ويوبخني واحيانا يتفل في وجهي كلما سمحت له الفرصة؟؟؛ ذاك الاحمق ناداني الى مكتبه ومدحني لاجتهادي في الدراسة وتفوقي في الهندسة وقال أنني سأكون محظوظة وناجحة في حياتي حتى انه قام باحضار كوب قهوة وقطعة مرطبات من اجلي وقال لي وهو يقدمهما* تفضلي يا انسة*؛ تبا له ولقهوته القذرة وتبا لتلك الجامعة كم كرهتها حد التقيئ حين اذهب اليها ألم اكن انسة عندما كنت بالخمار؛ اتسمعني؟؟

كنت شاردا في صوتها كالعادة ولم افهم شيئا مما قالته
لاني املك الوقت لاحقا لتذكر كل شئى وفهمه في راحة
من عقلي لكن تلك الثواني كانت مقدسة بالنسبة لي
ومخصصة للخشوع في صوتها اذ لا يمكن ان تجد مثل ذاك
الصوت كلما اردت سماعه فقد كان مثل الكسوف نادرا ما
يحصل لذلك فمثلا نسي اينشتاين التفكير في
المستقبل واضاع نصف يومه وهو يشاهد الكسوف فقد
نسيت اني قد خلقت اساسا وشردت في صوتها
السنفوني؛اجبت؛

xxبالتطبع ماذا عساني افعل حبي اكملني.

اكملت؛

xxطيب؛اكملت حديثي الممل مع ذاك المدير المتخلف
وهممت بالخروج من الجامعة مرورا بالباحة اين كانت
تجلس تلك الفتاة على عشب الحديقة؛كانت قد انتهت
ترسيمها وجلست تأخذ قصتا من الراحة؛القيت عليها
التحية وجلست اليها احديثها؛كانت ظريفة ولطيفة وقد
امتلكت من الخلق والخلق ما لن تعبر عنه الكلمات لكن ما
كان يميزها كان حياءها وخجلها؛اخبرتني انها اول سنة لها
بالجامعة وان امر ذاك المسؤول ازعجها؛صرت احديثها عن

سنواتي الثلاث الماضية لكني لم اقصدا اخافتها او اضجارها بل اردت ان اوضح لها ما كان ينتظرها في الايام القادمة فمن المحال ان يتركوها وشأنها؛ اخبرتها انها ستتجاهل وتحتقر وتشتتم وتنبذ وتشعر انها غريبة ومختلفة بسبب تصرفاتهم لكني حرصت على تشجيعها ودعمها؛ قلت لها اني قد عانيت منهم طيلة سنوات واني واجهتهم بمثل التجاهل في كل مرة وقد تغلبت عليهم بفضل الله ثم بفضل صمودي وعزمي على عدم نزع خماري لكنهم في النهاية وضعوا سنواتي دراستي تلك في كفة وخماري في كفة اخري فلم يكن بيدي خيار او حيلة غير اني ضحيت بتديني من اجل دراستي؛ اخبرتها بكل ما قلته لي وان الله غفور رحيم واني لم اذنب في شئ وان الامر لم يكن بيدي مطلقا واخبرتها ان عليها الصمود لآخر لحظة تستطيعها وان الله سيثيبها على ذاك الصمود ويجازيها؛ لقد صرنا صديقتين مقربتين من تلك الجلسة وقد صارحتني بعدد الامور التي تخصها لكن اتعلم امرا؛ صدقا لقد اراحتني تلك الجلسة معها واشعرتني بارتياح غمرني وهز كل جسمي، اذهب عني كل ضجري وتعبني؛ زادني التحدث اليها ثقة في نفسي واعاد إلي قوتي التي

خسرتها وزادها ايضا اصرار وثقة على عدم نزع خمارها لكن من جهتي فقد كان امر محسوما وبالرغم من ذلك فقد افادتني تلك الجلسة؛ كانت بمثابة جلسة مع طبيب نفسي لكن في حالتنا فقد تبادلنا علاج بعضنا البعض؛ عدت الى البيت وها انا الازم عرفتي والجميع صار يريد مني ان اخرج معهم لكني لا اريد؛ لا اريد؛ لا اريد شيئا غير ملازمت البيت فقط....

على الاقل استعادت شيئا من قواها وطاقتها ورغم انها كانت لا تزال مختنقة وضجرة حيال ما حصل الا ان تلك المحادثة مع الفتاة بعثت فيها شيئا من الثقة والقوة لكن الحزن والملل لم يكونا غائبين في كل الحالات عن صوتها وملامحها التي لم ارها بعد حتى تلك اللحظة؛ ادركت انها كانت تعيش شيئا من الاكتئاب الجزئي بسبب ما حدث وقد خفت ان تمتلكها حالة حب الوحدة تلك من جديد لكنني اقنعت نفسي لاحقا ان حبنا ذاك وعلاقتنا غنية على تهزها قصة الخمار تلك؛ صحيح انها لم تكن سهلة لكلينا لكنها لم تكن لتصل حد خلق فجوة بيننا ولماذا قد تحدث تلك الفجوة فما ذنب علاقتنا مما حدث؛ افكار كان من المحال ان تزورني او تلج الى مخيلتي وقد تواصل الاهتمام والحب والرعاية

ولم يتغير فيهما شيء بل كانا قد صارنا لا يطاقان بالتعبير المجازي؛ ظل اتصالنا ذاك حتى ارادت النوم قليلا عساها تخلص نفسها من شيء من تعبها واعياؤها رغم ان النوم كان كمثل الشرود في شيء ما لا يقدم في الامر شيئا ولا يأخر؛ كان قد مرة اسبوع ونصف على لقائنا الاخير وقد جرت العادة ان اقابلها في كل نهاية اسبوع او في نهاية الاسبوع الثاني على اقصى تقدير كنت قد اخبرتها منذ يومين اني من الممكن ان ازور امي في المدينة المجاورة وأقضي عندها بضعة أيام وقد كانت نهاية الاسبوع الثاني على الابواب؛ راسلتها منذ الصباح الا انها كانت مشغولة بشيء ما فتركت لها رسالة كتبت فيها؛

«اتصلي بي ريثما تقرئين الرسالة هناك امر مهم علي اخبارك به.»

لكنها كانت قد قصدت الجامعة من جديد لمعرفة اوقات حصصها وشراء بعض لوازم الدراسة ولم تقرأ الرسالة الا عند اقتراب المساء اثر عودتها الى البيت؛ كانت قد دخلت البيت توا وقد ادلفت برسالة ترد فيها؛

«لقد وصلت لتوي حبي ماذا حدث هل انت بخير؟؟»

اجبت بكلمة؛

طيب لحظة.

ثم اتصلت بها مباشرة؛

سلام!! كيف حالك؟

وعليك السلام! بخير لا شئ جديد ماذا عنك؟

الحمد لله لكن هناك شئ يتجدد كل يوم؟؟

وقد سألت مستغربة؛

وما هو اخبرني لقد قلقت عليك من تلك الرسالة؟؟

الاشتياق لك مثلا، كل يوم يزداد ويتجدد!

ابتسمت؛ كانت ضحتها تغازلني حيناً وتعانقني آخر ورغم

برودة تلك الابتسامة الا انها لم تفقد صدقها مطلقا؛ اي

ابتسامة باردة قد تكون صادقة؛ تلك كانت هي فحتى

ابتسامتها كانت لها من الصمود والقوة ما يجعلها استثناء

؛ اجابت في خجل وحياء؛

اشتقت لك ايضا يا مغرور؛ اشتقت لصوتك وكلامك وتلك

الابتسامة التي تزين شفئك؛ اشتقت لمجلسك الذي

استمتع فيه برائحتك واشتقت لك كلك.

بادلتها الابتسامة عينها واضفت؛

«شوقي يقبلك من جبينك يا صغيرة حبيك اسمعي أين
انت؟؟»

«لقد وصلت توا الى البيت مالا مالا؟»

«لقد حانت زيارتي لامي وعلي الذهاب للاطمئنان عليها
واريد ان اراك قبل ذهابي؛ اشتقت لك حد الاعياء حقا؛ على
الاغلب يجب ان اراك هل تستطيعين الخروج من اجلي مرة
اخرى.»

وقد ابتسمت لكن ضحكتها هذه المرة غمرتني بنسماتها
الدافئة وقد صرخت توبخني وكيف لا استطيع يا هذا؛ لم
تكن تتوقع انها قد تراني قبل الاحد وقد اجبرتها ابتسامتها
على الصمت لبرهة؛

«طيب حبي؛ انا في طريقي اليك سأخرج الآن.»

«طيب؛ اهتمي بنفسك وكوني حذرة لم يعد لغروب
الشمس الا ساعة؛ سانتظرك على الشاطئ في
مكاننا*.»

انتهت الاتصال بقولها؛

طيب انا في الطريق اليك.

كنت اهاتفها وقد نزلت لتوي من سيارة الاجرة في وسط المدينة قبالة ذاك البرج وقد اخذت طريقي نحو الشاطئ مرورا امام باب تلك المقبرة ثم الطريق المؤدي نحو المسرح تليه باحة المسرح ثم ذاك الشارع الذي لا يزال منارا بضوء اخر شمس في ذاك اليوم؛ كانت المدينة شبه خالية وقد أنتهى الموسم السياحي ولم يبقى فيها الا قلة من السياح الذي تأخروا في العودة الى بلادهم او انهم يقطنون بتونس اما سكان المدينة فقليل هو خروجهم في ذاك الوقت؛ اذ لا ترى الا ازواجا او اصدقاء يتمشون على الشاطئ او يعبرون المدينة قبل الغروب ورغم كل ذاك الهدوء والسكون المخيفين الا ان الحركة بتلك المدينة لا تعرف التوقف سواء كانت مزدحة ام عادية ففي كلتا الحالتين يوجد حركة تشدك؛ ادركت الشاطئ وقد قد جلست في كرسي حجري اعتدنا الجلوس عليه احيانا وكانت قد جعلتني احضى بالاستمتاع في مشاهدتها وهي تأكل علب الشوكولاتة التي احضرتها لها في اخر لقاء؛ كانت كمثلى بنت في السادسة من العمر وقد تربعت وشبكت رجليها الى بعض فق ذاك الكرسي ووجهت

جلستها نحوي؛ كانت تأكل قطع الشوكولاتة بطريقة صبيانية تجعلك تشرد فيها وتبتسم وانت واضع يدك على خدك دون ان تشعر؛ كنت انظر اليها وهي تقضم تلك القطع دون ان انبس بحرف وكانت تمد يدها الي بين حين واخر حتى تعطيني قطعة لكني اومئ برأسي اني لا اريد واواصل الشرود فيها فتسحب يدها وتتناول تلك القطعة وتقول مازحة انها أذ طعاما من البقية لاني رفضتها؛ كانت ظريفة في أكلها للشوكولاتة وهي التي تعشقها وتعددها حبها الثاني؛ الهندسة، الشوكولاتة وقراءة روايات الفنتازيا السياسية وافلام الرعب وحب الحرية والاستقلالية والعيش بما يراه عقلها وفكرها مناسباً؛ اي تناقض كان ذلك؟؛ على الاغلب ليس لي الفضل في شئ بل كل الفضل يعود لله الذي جعلني احضى بامرأة مثلها؛ لقد عشقت كل نساء الدنيا بعد ان اجتمعوا فيها لكني لطالما وطمعتها في كفة لوحدها وتركتها غنية على ان تشبه باي امرأة اخرى؛ كانت امرأتي فمثلا وجد علاء الدين كنزه ومثلا اكتشف كريستوف كولمبس المحيط الهندي ومثلا اكتشف نيوتن الجاذبية وادرك اينشطاين نظرية النسبية وتكون الكون؛ اكتشفت انا كونا احتوى على حضارة جديدة

جمعت كل الحضارت وعلمنا فريدا مزجت فيه كل العلوم
ولغة كان من الصعب علي تعلمها لكن الله وفقني؛تاريخها
ونشأتها ظلا بالنسبة لي ازليان اما كونها في حد ذاته فقد
كان له تكونه الخاص اما النسبية فلم يكن لها اي معنى
داخل كوني ذاك فقد كانت تفرض قانونها الخاص اما
نسبيتها فقد كانت الحرية والمسؤولية؛اشعت فيها ثلاث
كواكب استحوذت على المنتصف؛انا،رؤى،وأما الذي كان
ضوءه خافت ينطفئ حين ويضيئ حيننا آخر اما البقية فقد
كانت مجرد اجسام عابرة منطفئة لا قيمة لها حتى انها
لا ترى؛مجالها الحيوي كان الفكر والقراءة اما الضوء الخاص
بها فقد كان الهندسة ،شغفها الاول؛كان ذاك هو كوني
الذي جعلت إسمها عنوانه اما صوتها فقد كان
ذبذباته؛يقولون*كنا نستمع الى صوت ذبذبات صدرت من
الكون الخارجي او شاهدنا الكون المدهش عبر
التيليسكوب*؛لكني لم احتج يوما الى مثل هذه التقنيات
لكي ادرك كوني لذلك لطالما اعتبرته استثناء ونادرا؛لكن
صدقا أعتبر مكتشفا؟حتى ان كنت كذلك فانا لا اسعى
وراء جني المال او الشهرة من وراء هذا الاكتشاف؛لا اريد
ان يدخل اسمي ويصبح في الموسوعات العالمية

للمكتشفين وتتحدث عني موسوعة غينيس؛ لا اريد ان اصبح معروفا ويدرج اسمي في مؤسسة البحث تلك جوجل؛ لا اريد شيئا من هذا فبالنسبة لعقلي المجنون المال لا يعني لي شيئا رغم انه كل شئ في الواقع المعيش؛ اما شهرتي فقد كان حبها وثقتها واجزم ان كان لمستكشف قبلي ان حضي بذاك النوع من الشهرة؛ لا اضن ان احدا تذوق طعمها او استنشق رائحتها العطرة؛ طعم ان تكون مشهورا في حين ان لا احد يعرفك او يعرف انك موجود اصلا؛ لطالما كانت افكارها واحديثها عندي نابعة من موسوعتها الخاصة وقد كانت في حد ذاتها موسوعتي ومؤسستي التي جعلتني مشهورا عندها واشعرتني بانني مشهور ومعروف وان كل العالم يدندن اسمي؛ صرت اول كوكب مشع في كونها فكيف لا اكون مشهورا؛ هل ادرك احد الشهرة في حين ان لا احد يعرفه؟ قطعا لا اضن ذلك لكني فعلت! الا يعد هذا انجازا هو الاخر؟ اضن ان جلوسي على ذاك الكرسي وشرودي مع البحر جعلني اهذي والحمد لله ان الامر لم يصل بي إلى الكفر او الالحاد فقد كان مجرد التفكير فيها تحريضا لِنفسي ومحاولة لاقتناعها بالالحاد والكفر لانها كانت تمثل دينها

الخاص؛المهم اني اكتشفت إمراة في سن العشرين في حين ان فرويد مات قبل ان يفهم النساء؛اليس هذا انجازا في حد ذاته لكن عبثا لم تعد الانجازات تهمني في شئى الآن فقد أحببتها منذ زمن ومت داخلها ودفنت في احد المقبرة الموجودة في عالمها ذاك وانتهى الامر.....

لم يطل انتظاري طويلا على ذاك الكرسي الحجري؛كنت اشاهد البحر في هدوئه ذاك فحتى الامواج لم تعد تريد صفع الرمال وعلى الاغلب صارو اصدقاء هم كذلك؛كنت اهاتف احدهم واحادته بخصوص امر ما مسلطا نظري جهة المياه وقد سبحت فيها بعيناي حتى شردت في ذاك المنظر ولم اعد اعني ما يحدث حولي؛كان ذاك الوقت من اليوم هو المفصل عندي؛ما بين الغروب وحلول الليل؛ صدقا كان المشهد يذهب التعب ويريح البال؛الافق زرقاء والسماء بالكاد ترى فيها بضعة غيمات؛علاقة حب بين الامواج والرمال وحتى ذاك الارتطام الذي كانت المياه تقبل عبره الشواطئ صار صامتا؛على الأغلب لم يختفي بل صار القبلات تتبادل بينهما في صمت وحياء؛جسيم صغير وهزيل يهوي نحوي ويجلس الى جانبي على ذاك الكرسي؛منعني ذهني الشارد من التركيز في ملامحه

حين مر امامي؛جسم قصير كان يسير بخطى مرتعشة
ومتداعية للانهيار حاذاني واسقط كل جثته حذوي؛على
الاغلب كانت فتاة؛كانت لا تفصلني عنها سوى بضعة
صنتمرات تعد؛لوهلة كنت سألتفت وأقول*من انت حتى
تجلسي بجانبني بهذا القدر من القرب*؛لقد جعلتني تلك
الظريقة أحبها لدرجة اني صرت اشمئز من ملامسة او
الاقتراب من فتاة اخرى مهمى كانت مكانتها عندي فحتى
اخطي صرت اتجاهلها ولا اتحدث اليها الا غالبا؛ أحببتها
حتى كرهت النساء بجميلهن وقبيحهن وكان كرهني ذاك
يتفوق داخل دائرة المبالغة التي ميزت علاقتنا والتي
لطالما راقت لكلينا واعجبتنا اذ لم تكن تسمح للشك او
الضنون ان تقترب منها؛أصلا كلا المصطلحان كانا غائبين
عن لائحة الكلمات التي كانت تعرفها؛الخيانة؟في علاقتنا
تلك كان هذا المصطلح يتواتر الى اسماعنا احيانا لكننا لم
نكن نعرف معناه او على ماذا يعبر؛هو في الاصل كلمة
بالعربية لكننا كنا نراه باللغة الصينية وكلانا لا يفهم حرفا
واحدا من الصينية؛ لطالما ظل غريبا عنا وعن عالمتنا
الاسطوري واي خيانة يمكن ان تحدث بين اثنين أحبا
بعضهما حتى كره الاثنين الحب نفسه وصارا يبحثان عن

كلمة أخرى تميز علاقتهما عن غيرها؛ لطالما اردنا تجنب الشبهات فالحب في زمننا هذا صار مشوها بأفعال الساذجين القذرة مثل عقولهم وقد تحول بالنسبة لنا من مصطلح مقدس الى مجرد موضى افسدها بعض الحمقى فكريا وعقليا لذلك صرنا نبحت عن كلمة خاصة بنا تزيدنا تميزا على تميزنا؛ صدقا صرت ابتسم لاراديا كلما سمعت مصطلح الخيانة لان حبا لم يجعلني اكره النساء فحسب بل جعلني امقت النظر اليهن حتى وان كانت لمحة خاطفة على وجه الصدفة بل وصرت ارى بقية الفتيات سواء مع الفتيان مهما كانت درجة جمالهن غالبية على مظهرهن ومهما كانت انوثتهن جاذبة فقد تغلبت على تلك الصور التي يزينها الشيطان للمرء وسيطرت على بصري؛ أصلا إلا ماذا سانظر حتى وان كانت فتيات الاخريات جميلات كما هو الواقع فالامر لم يكن يثير فضول نظري مطلقا لاني وجدت فيها من الجمال الخلقي والخلقي ووجدت فيها من الانوثة ما تسبب لي في عمى كلي فكيف سأرى جمال غيرها هذا ان وجد؛ لذلك فالخيانة صارت بالنسبة لكلينا مزحة كتلك التي توجد في اخر صفحة من الجريد، نقرأها

فننفجر ضحكا وكلما قرأناها ضحكنا بنفس درجة الضحك
الاولى كما لو اننا قرأناها للمرة لأول مرة.....

لقاءنا الحادي عشر؛ كانت هي التي جلست حذوي؛
اغلقت الهاتف ووجهت كل نظري اليها وقد افقت من
شرودي بالبحر لكنني دخلت في شرود اخر في عالم اخر
كان ليحمل ذاك البحر وكل الكون معه ويطلب الزيادة؛ كانت
ترتدي قميصها الاسود نفسه الذي ذهبت به الى الجامعة
وبنطالها الازرق الفاتح بلون السماء وحذاءها الأبيض ذاك
الذي لم تكن به خيوط تربطه؛ لم يكن بحاجة اليها اصلا؛ وقد
وضعت سماعات الاذن وظلت تنتظر ان اكمل اتصالي
واعيرها اهتمامي لكنني في الحقيقة اعرتة كل الاهتمام
منذ زمن اما الاتصال فقد انقطع عني صوته منذ لحظة
جلوسها بجانبني وظل الرجل المسكين يتحدث بمفرده
إلى ان مل واغلق الهاتف من جهته؛ كنت سأستغرق
ستين سنة اضافة وانا شاردا في ملامحها تلك؛ وجهها
الشاحب لكنه مبتسم بنفس الصدق الذي عهدته؛ عيناها
الذابلتان اللتان احاطت بهما هالتان سوداوتان وغشيت
مقلتاها نفس الكمية من الدموع التي كانت لا تظهر الا
عندما تكون في مجلسي؛ شففتها وقد ابتسمتا ببرود

لكنهما ظلا صادقيتين؛ يداها الهزيلتان وجسمها النحيف؛ كانت منهكة ومنتعبة وقد كانت لاتزال تأن وتنحب داخليا جراء ما حصل؛ أما شعرها؟ شعرها يا امي كان ليلا مظلما؛ كان كظلام الافق في العدم؛ كان شديد السواد وبقدر ما كان اسودا بقدر ما كان رطبا وحريريا؛ كان نحيفا كجسمها؛ بعثر جزء منه خلفها وشد بربطة صغيرة اما الجزء الآخر فقد سقط على جبينها ولامس حاجبيها؛ لم يختلف في شئ عما توقعته وتصورته غير انه كان اجمل من ذلك؛ لاحت لي صورتها وهي بخمارها؛ تذكرت ملامحها كيف كانت وكيف امست؛ تملكني الشعور بالذنب مرة اخرى؛ تخيلوا؛

تخيلوا الكعبة بدون ذاك البساط الاسود ذو النقوش الذهبية بكلمات الله الذي يغطيها.

تخيلوا السماء دون سحب او غيوم؛ دون مطر؛ دون شمس نهارا؛ دون القمر والنجوم ليلا.

تخيلوا وردة الجوري دون اوراقها الحمراء القاتمة تلك؛ ما كانت لتسمى الجورى لو لم تكن اوراقها تلك موجود.

تخيلوا طائر الطاووس دون ريشه الاسطواني الكبير
المفروت خلفه ذاك بالوان مغرية.

تخيلوا شلالا دون ماء ينهمر منه محدثا ذاك الضجيج عند
ارتطام الماء بالسطح.

تخيلوا جبلا دون قمة.

تخيلوا الجليد دون برودته التي تجمد كل شئ تطاله.

تخلوا تمثال الحرية بأمريكا دون ذاك المشعل الذي في يد
الصنم.

تخيلوا الجامع خاليا من المصلين يوم الجمعة او العيدين او
في رمضان المبارك.

تخيلوا البحر دون شواطئ او الشاطئ دون مياهه المالحة.
تخيلوا البيت دون أم.

تخيلوا العيد دون أضحية.

تخيلوا الشمس دون اشعتها.

تخيلوا الكون دون كواكب ومجرات كيف سيكون.

تخيلوا صورة كتب تحتها لوحة فنية لكنها بيضاء.

تخيلوا صلاة صامته دون قرآن او تكبير.

تخيلوا صوما دون صلاة.

تخيلوا رمضان دون صلاة التراويح.

تخيلوا...تخيلو قدر ما تستطيعون لكن لن تحسوا بما احسست؛لم اشعرها بشيئ ولم ألمها على شيئ حتى اني ابتسمت ابتسامة في وجهها كان لها من الصدق ما لا يحصر ولا يحصى؛صدقا لو تحولت لبلازما ولو صغيرة حتى لانفجرت وخلقت كونا جديدا اسميه الصدق؛ شردت وانا ابتسم وهي حتى لم تنبس بحرف بعد وقد افاقتني همسة منها صاحبتها قبله سلسلة رسمتها على خدي؛

❖❖سلام؛افق لقد اشتقت لك!!

كان من المفترض ان يثار خجلي بعد تلك القبلة لكن الشرود فيها انساني كل شيئ بالكاد لازلت اتذكر بعض الحروف؛ابتسمت؛صارعت واستفقت؛وحاولت قدر المستطاع ان اخفي ضجري وبأسي بسبب قصة خمارها؛كنت اكثر من طبيعي فقد تعودت ان احمل عنها حملها لا ان اثقل عليها اكثر؛

❖❖سلام؛انا اكثر،كيف حالك الآن طمأنيني عنك؟

«كما ترى الحال امامك وانت اجب بمفردك!

«طيب انت بخير رغم وجود بعض القصص التي تريد تعكير
ميزاجك؛هي ليست بهينة لكننا تعودنا على مواجهة كل
شيئ معا مهما كانت قوة رجته لذلك...»

كانت تنظر الي وتحافظ على نفس الابتسامة؛اضن انها من
شرد هذه المرة؛كانت تقول لي على الدوام ان ابتسامتي
وعيناى جميلتان لكن في الحقيقة لم تكن عيني جميلة
يوما الا لحظة لمحتها تلك الليلة على الاغلب انها صارت
جميلة حينها اما ابتسامتي فقد كانت انعكسا لصورتها
التي تغلف قلبي وتغطي كامله؛اكملت؛

«هل تسمحين بتلك الابتسامة خاصتي؟؟»

ابتسمت تلقايا رغم انها صارعت حتى لا تبسم لكن
الشوق الممتزج مع الحب غلبها وضحكت دون توقف؛ حتى
ابتسامتها الصادقة كانت تنحب وتأن؛ذاك هو العجز القاتل
يا سادة ان ترى من تحب يبسم بصدق امامك لكن جحيما
يأج داخله ولا تقوى على فعل شيئ ويجعلك اليأس تعجز
حتى عن المحاولة؛تبا لتلك الجامعة وللمسؤولين الحمقى
وتبا للهندسة وللحياة اجمع؛قلتها في نفسي واضفت؛

«طيب كما اخبرتك سأزور امي لاطمان عليها بضعة ايام
اردت رؤيتك قبل ذهابي؛ ساقضي عندها ثلاث ايام او اربعة
واعود؛ علي ايضا ان احذر بعض الاوراق من هناك؛ سنجلس
هنا قدر ما تشائين اخبريني اذا اردت الذهاب حتى اوصلك
الى البيت؛ ما رأيك؟

قالت مداعة في ابتسامها ذاك؛

«طيب؛ رأيي ساشتاق اليك كثيرا يا هذا لكن ماذا سنفعل
يجب ان تزور أمك وتطمأن عليها؛ ابلغها سلامي وقبلها من
اجلي على جبينها واخبرها ان ام رتاج تسلم عليك ولا
تأخر علي لازلت بحاجة إليك انا!

كانت نبرتها في غاية التعب والاعياء إلا ان صراعها لتظهر
ذاك الصمود امامي كان اقوى من اي تعب؛ حاولت ايهامي
انها بخير وعلى مايرام لكن عبثا لن توهم صديقها وحبيبها
فهو يعرفها اكثر من نفسها؛ اجبت؛

«صدقيني سأفتقدك وسأشتاقك كثيرا لكن اعدك اني لن
أتأخر بضعة ايام وستمضي وسنلنقي اثر وصولي في
مكاننا ولن ارى احدا قبلك اعدك؛ لكن لن اوصيك بشيء غير
نفسك؛ اهتمي بنفسك وكلني جيدا ولا تبخلي عن صلاتك

وكوني حذرة على رؤى؛الطقس لايزال باردا حاولي ان
تلبسي جيدا لان ثيابك هذه صيفية وخفيفة قد تمرضين
بسببها؛ارجوك عديني ان تهتمي بنفسك هذا كل ما
اريد؟؟؟

وقد صارت تلك الابتسامة اكثر صدقا وحتى ابتسامتها في
حد ذاتها كانت تبتسم؛اجابت وهي تقلب قبعة سوداء كنت
قد اشتريتها لها قبل وصولي اذ انها طلبت مني قبعة كمثلي
التي كنت ارتديها؛لطالما احبت قبعتي الحمراء وجعلتني
ارسل لها عديد الصور وانا ارتيدها لكنها طلبت قبعة
سوداء؛كانت ترتديها وتقول مبتسة؛
«اعدك حبي اعدك».

أمسكت القبعة وازحتها عن رأسها وقمت بقلبها الى الورا
وقلت؛

«هكذا يرتدي الناس القبعات يا قصيرة».

وقد ابتسمت ونزعتها ثم وضعتها حذوها وشردت في من
جديد؛كانت ابتسامة مطولة لشفتيها؛اضفت؛

«شعرك؟؟»

تساءلت وهي تنظر الى الأعلى محاولة رؤيته؛

ما به؟؟

هناك خصلة خرجت عن مكانها وغادرته ارجعيها الى
مجلسها وراء اذنك.

ابتسمت؛ كانت ابتسامتها مثل شلال؛ حتى لو وجد حذوه
بركان تتناثر حممه في كل مكان فهو يظل جميلا؛
همست؛

ولماذا لا تقوم انت بإرجاعها؟؟

انا؟؟

اجل!!

كان الخجل قد هز كل وجهي وجسمي وتناثر في كل ذاك
الشارع وصولا الى الشاطئ وبحره الهادئ؛ اردت منذ اول
كلمة احبك قلتها لها ان يجمعنا الله في حلاله وان اقوم
بنزع خمارها بيدي والاستمتاع بشعرها الليلي؛ اردت ان
امشطه لها في تلك الغرفة المجاورة لغرفة الافلام ونحن
نتحدث عن يومنا كيف سيكون؛ لكن ها أنا ذا الالعاب خصلات
شعرها وهي لا تزال في بيت والدها لا يربطنا الا حبنا
ذاك؛ صدقا سحقا للحياة ولسخريتها؛ رفعت يدي وقد
تملكتها رعشة كانت ظاهرة؛ ابتسمت شفتاي وقطب

حاجباي وسلط نظري الى جبينها وشعرها؛ارجعت تلك
الخصلة ونظمتها في مكانها وانا لا زلت اغمرها بتلك
الابتسامة التي لطالما عشقتها وهوت معها في شرود
يضحكها؛انسلت يدي ببطئ متراجعة الى الوراء؛حتى يدي
خجلت من ملامستها لذاك الشعر الاملس الحريري؛ وقد
عبرت عن خجلها في تلك الارتعاشة التي اختفت ريثما
انزلتها الى مكانها؛وجهت عيناى الى البحر الذي اوشكت
شمسه على الانعدام وقد ظهر ذاك اللون البرتقالي في
افق السماء؛كانت مشهدا خاطفا يتمنى المرء لو يقترب
منه ويلامسه لكني لم اكن بحاجة بذلك فقد كانت تجلس
حذوي سماء اجمل من التي كنت اشاهدها فوقي لكن
ذاك المشهد كان مختلفا نوعا ما؛ربما لانني غفلت عن
مشاهدته لفترة طويلة؛دفعني شرودي في ذاك اللون
المعلق في السماء الى تخيل صورتها بين تلك الغيمات
التي بالكاد كانت ترى لكن في الحقيقة كل ذاك اللون كان
عبارة عن غيمات لونت باللون البرتقالي؛كانت صورتها
تتوسط مجال نظري وقد كان لها خمار وردي يميل لونه الى
لو لون تلك الغيمات البرتقالية شردت في تلك الصورة وقد
ظهر شئى من قميصها الابيض الذي زينته قلوب سوداء

صغيرة تبعثرت في ارجائه؛ كانت قد بادلتني نفس الشرود
وغاصت معي في ذاك المشهد الجميل؛ همست من وسط
كل ذاك الشرود؛ بالكاد ادرك صوتي مجال سمعها؛ لا اعرف
كيف تكونت تلك الجملة في مخيلتي ولا اذكر حتى اني
خطت لها او خمنت فيها اساسا؛ كانت كلماتها تلقائيا
وعبثية بالكاد ادركت اني من قالها؛ لكن على الاغلب كل
ما قلته صدر من ذاك الشرود وكان نسيج تلك الصورة التي
تخيلتها في السماء؛ همست دون ان اشيح نظري عن تلك
السحب الملونة؛

✕✕ اتعلمين؛ تمنيت ان ازيح ذاك الخمار عن رأسك بيدي
هاتين ليلة زواجنا في ذاك البيت الجبلي؛ انا وانت والله
اولنا؛ اردت ان استمتع بالنظر اليه لوحدتي؛ لكن القدر سمع
امنيتي وحال دون تحقيقها ليأتي مدير متخلف واحمق
وينزعه ببساطة بيديه المتسختين؛ لن يفيد شيئ الآن
اتمنى ان تسامحيني فانا اشعر بالذنب لاني لم استطع
فعل شيئ من اجلك؛ عجزت هذه المرة...

ادركت بعد الصمت الذي هز كل المكان اثر انتهائي من تلك
الكلمات اني لم اكن اخاطبها ولم اوجه الكلام اليها انما
كنت اخاطب تلك الصورة المعلقة في السماء امامي

؛لكنها سمعتني؛سمعت كل ما قاله فتاها لتلك الصورة
التي لم يرها احد غيري فحتى شرودها الذي ساير
شرودي كان من اجل تلك الالوان لا لشيئ آخر؛كان علي
ان استيقظ واستمتع بكل ثانية من جلستنا تلك؛كفاني
الدقائق التي اضعتها في الشرود؛ارجعت نظري اليها
وقررت الا ازيحه عنها مطلقا بعد ذلك؛لكن تلك الابتسامة
التي تركتها منذ حين ترقص فوق شفيتها قد اختفت
وتبخرت في الهواء؛صار وجهها منطفئا وشاحبا وغشته
لمسة حزن وضجر كادا يفيضان البحر ليغرق كل المدينة؛

كانت لا تزال تسلط نظرها الى السماء في شرودها الذي
لازال متواصلا؛صرت الان انظر اليها بينما تنظر هي الى
السماء التي غابت شمسها وانطفأت كليا؛همست محاولا
ايقاضها من ذاك الشرود المخيف الذي لم يختلف عن
الموت في شيء؛

«اين شردت ما بال وجهك صار شاحبا هل انت مريضة
وتخفين عني الامر؟

لم تنبس بحرف وقد زاد شحوبها سوءا؛اضفت؛

«فرحتي ما الامر ما بك اخبريني؟؟

ادارت رأسها ووجهت نظرها الي ببطئ ولطف وهمست؛
«انا مرهقة ومتعبة للغاية صدقني؛ اعياني اليأس والضجر
من جديد يا دنياي؛ كما ترى عدت الى حالة من الحزن
والفتور...

وقد تبدلت ملامحي ولحقت ابتسامتي بابتسامتها وتاهت
سويا في اللاشيء؛ كنت لا اجيد صد دموعي التي ملأت
مقلتي لكنني صارعت حتى ابقياها في الداخل؛ صار حديثنا
عبارة عن همسات فبالكاد كنا نستطيع التنفس اما الكلام
فكاد ينقطع؛ همست بلطف؛

«سيكون كل شيء بخير وعلى مايرام اعدك؛ سنتجاوز
هذه المحنة سويا ولن ندع شيئا يسلبنا سعادتنا التي
بيناها سويا باحجار الحب؛ لن اتركك بمفدك مهما حصل
صراعك هو صراعي وحزنك هو حزني؛ اصلا صدقيني ليس
لديك ادنى فكرة عن السعادة التي تملكني حين
تقحميني في مشاكلك وقصصك؛ تشعريني اني اهم
عندك من اي شيء في الحياة وتسعديني دون حتى ان
تشعري؛ يخيل لك انك مصدر مشاكل في حياتي لكن
صدقيني احلف لك بالله ثم بحياة امي انك مخطئة تمام

فحياتك صارت حياتي ومشاكلك صارت مشاكلي لذلك لن
اخذك ولن اخون تلك الثقة التي اهديتنيها مطلقا.....

وقد بكت وغلبتها دموعها اللؤلؤية تلك؛ صارعتها حتى
تصدها لكن فشلها في ذلك كان ذريعا؛ سقطت مني
قطرات رغم محاولتي لاختفاء ذاك الغشاء الذي ملئ عيني
وفشلت كذلك لكنني سرعان ما لملت دموعي واعدتها
من حيث جاءت؛ تذكرت انها لا تظهر صمودها ذاك الا اذا
كانت بعيدة عني اما بجانبني فهي اضعف حيلة من رضيع
ولد توا؛ كان على احدنا ان يظل صامدا ويواسي الاخر وقد
جمعت كل قوتي التي دمجت بصمودها وكفكفت
دموعي؛ رفعت يدي صوب وجنتيها الملطختان بالدموع وقد
صارت رعشتها اسوء من الاولى؛ هممت بمسح دموعها
التي لطالما اعتبرتها اثن من اجود انواع الذهب
الخالص؛ لكنها ابعدت وجهها عن يدي ومسحتهم
بنفسها؛ كنت ساقول لقد حرمتني مسح دموعك لتوك لكن
الوقت لم يكن مناسباً للرومنسية التي لطالما رفضتها
وقبلت بها في نفس الوقت من اجلي؛ سحبت يدي ببطئ
ثم همست بنبرة تصرخ حزنا وألما؛

❖❖ لا تبكي ارجوك انا معك ولن اتركك.

هزها الصمت والسكون لبرهة وكانها كانت تفكر في شيء
ما او تناقش قرارا بينها وبين نفسها وقد حافظت على ذات
الصمت حتى اضفت؛

«لا تبكي لقد وعدتني انك لن تتركي الضجر يهزمك؛ انا
الى جانب؛ لن اتخلى عنك مهما تراكمت مشاكلك وصرات
لا تسع الكون؛ احبك يا ندى.

اخذت نفسا عميقا كادت تشفط عبره الكون كله وزفرت
ببطئ وسلاسة حتى اني لم اشعر بشيء غير تنهيدة
مختنقة تخرج من فتحات انفها الصغير؛ همست دون حتى
ان تنظر الي؛ كانت كلماتها جارحة نوعا ما؛ كانت بمثابة ماء
مذيب سكبته وفق جمجمتي حتى ابادني في ثوان وقد
احسست انها ليس كلماتها؛ حتى ان اللغة كانت غريبة
عني ولم افهم منها حرفا؛ في الحقيقة لم تكن لها مطلقا
لكنها قالتها بتردد وحزن؛

«لماذا تواصل الاهتمام بي رغم كل ما واجهته بسببي
من ضجر وحزن منذ اول يوم عرفتني فيه؛ لماذا تواصل
رعايتي والسؤال عني وقد كنت حزنا اكثر من اني كنت
فرحا منذ البداية؛ لماذا تواصل في حبي رغم كل هذا
الاكتئاب الذي جعلتك تعيشه معي؛ لست مجبرا على

تحمل كل قصصي المعقدة؛ لست مجبرا على تحمل تناقضاتي واططراباتي؛ لست مجبرا على تحملي؛ انت لا تشعرني بشيء تستمر في تحملي بكل سيئي وجيدي منذ اول لقاء دون ان تكل او تمل لكني اعرف نفسي؛ اعرف اني مشكلة في حياتك، اعرف اني المشكلة الوحيدة في دنياك واعرف اني عبئ تعودت عليه حتى صار جزءا من انفاسك؛ منذ ان عرفتك لم اسبب لك شيء غير المشاكل....

تجمدت في جلستي تلك ولم يعد هناك عضو يعمل في؛ عيناى محنطتان تنظراني الى ملامحها؛ يداى سلسلتا وهما طليقتان؛ جسمي كله صار قطعة جليدية صلبة؛ لم يكن هناك عضو واحد يعمل غير فمي الذي جف من ريقه منذ دقائق وصار يتمنى قطرة ماء واحدة؛ كلماتها تلك امتصت من جسمي كل شيء وتركته خاويا كما تمتص العنكبوت محتوى فريستها ثم تلقي بالقشرة جانبا؛ الدم، الهواء، الماء، الافكار، الحروف، الكلمات؛ كلها امتصت وذهبت الى لا أعلم أين؛ حركت شفتي وقد تطلب مني الامر عناء وجهدا بالنسبة لجسمي الميت ذاك؛ تخيلوا ان يموت المرء وتصعد روحه الى السماء لوحدها من دون حتى ان يرافقها

ملاك ما ويبقى الجسد ملقى طريحا على الارض لكن
الغريب ان العين والفم لا يزالان على قيد الحياة؛ جنون
اعلم لكن هذا ما شعرت به حينها؛ حاولت الهمس مقاطعا
كلامها؛

«ما تقولينه الآن ليس سوى انعكاس لما تشعرين به
داخلك من ضجر وحزن لكن لا بأس اخبرتك اننا سنتجاوز
الامر سويا فحاليئا سواء صدقيني لكن سأريح بالك
وساجسب عما قلتيه؛ كل ما فعلته منذ البداية ليس رغما
عني ولم اكن مجبرا على شئ بل فعلته لاني اريد فعله
واتمنى ان اوصل فعله لاني سعيد معك مهما كان الحال
فانا محظوظ؛ مصطلح سعيد لن يعبر لكن لا يهم؛ لماذا؟ لاني
حقا احبك بكل ما تعنيه كلمة صدق من مفاهيم و.....

اسكتتني وقد واصلت ما كانت تقوله ولم افهمه مطلقا
لانها في حد ذاتها لم تكن تعيه؛ كانت مشوشة وتأكدت
انها تعيش حالة من الاكتئاب؛ لست طبيبا نفسيا حتى
احدد ان كان اكتئابا حادا ام عاديا لكن في كل الحالات قد
كانت مكتئبة؛ لكنني لم ألمها ولا ألومها ولم اشعرها بشئ
من هذا فبالعكس لمت نفسي في كلمات رددتها داخلي
وواجهتها بابتسامة حاولت فيها اقناعها انها لم تختبر ان

ينزع خمارها ولم يكن لها ذنب في كل ما حدث؛ اخرستني
ثم واصلت بنبرة خافتة، كئيبة يعميها اليأس والحزن؛ كانت
تموت امامي وتحتضر وانا عاجز عن فعل اي شئ من
جديد فحتى الكلمات صارت كمثل الصمت لا تزيد الامور الا
سوءا على سوءها؛

xxxصدقني انا صرت عبئا في حياتك ورغم انك لا تبالي
بشئ وتستمر في الاهتمام بي حتى صار اهتمامك بي
خارجا عن نطاق المعقول؛ ضننت انك ستكتفي بالابتلاء بي
لكنك تجاوزت كل ضنوني الى نقطة لم اتخيلها حتى؛ الامر
لا يزعجني صدقني لكن انظر إلي يا أسامة؛ انظر الى
حالي كيف اصبحت؛ أنظر الى ملامحي ووجهي؛ انظر إلي
واشرد لثانية في النظر الى وجهي من زاوية نظري الى
نفسي لا من زاوية نظرك انت إلي؛ صدقني انا متعبة للغاية
وقد طرحني الاعياء النفسي ارضا حتي اني اشعر اني لا
زلت اسقط رغم اني ملتسقة بالقاع و.....

ادركت الان ماهية اللغة التي تحدثني بها؛ لم يتطلب الامر
الا البقاء في ذاك التجمد لبرهة كانت بالنسبة لي دهرا
من الزمن؛ كانت فلسفتها الخاصة ولطالما فهمت كل
اللغات وحتى الرياضيات التي كنت جاهلا فيها فهتها

وتمكنت منها بمجرد قليل من التركيز لكن فلسفة حبيبتني كنت عاجزا امام الرد عليها؛لم يتعلق الامر بالفهم بل بالرد؛كنت افهم ما كانت تنبس به لكن كتابة او قول كلمات للرد على ما قالته كان بالنسبة لي محالا؛ صرت اهجئ الاحرف مثل جاهل لم يزر المدرسة يوما؛ همست من وراء ذاك الغشاء الاسود الذي وظيفته بيننا ولم يعد يظهر منها الا ملامحها الفاتنة؛بنبرة حائر غشيه العجز وتمنى الموت قبل ادراك تلك المرحلة من اليأس؛ في الحقيقة لن يكون الموت مختلفا تماما عن العجز فواحد منهما هو انعكاس للثاني على بركة ماء صافية او عبر المرأة؛قلت؛

«لماذا تقولين هذا الكلام؛أقنعت نفسك انك عبئ علي؟ طيب اذا كنت تعتقدين انك عبئ فصدقيني اقسم لك انك العبئ الوحيد الذي سعدت بحمله ودعوت الله ان يزيد فيه ويجعلك اكبر في قلبي؛كفي عن هذا التوهم ودعي ايمانك بالله اقوى؛صدقيني سيكون كل شئ بخير وهذه فترة وستمر وسترين كيف سنصبر معا وسيجازينا الله على صبرنا ذاك ومن جهتي لن اتركك بمفردك لحظة و.... اخرستني مجددا وقاطعت كلامي بصوتها المنطفئ والحزين؛كانت تحتضر واوشكت روحها على مغادرة

جسمها وكم تمنيت ان تسحب روحي معها لكن عبثا لم
تتحقق اي امنيت من أمانى منذ طفولتي؛ كانت قد عادت
الى البكاء بصمت ودون نحيب؛ واي ألم قد يجعل المرء
يبكي بصمت فلا ترى غير دموعه تنزل تزلجا على خديه
؛همست؛

«اشعر انى مريضة؛ لم اعد احس بشيئ ولم اعد اكثر
لشيئ؛ لم اعد اشعر بشيئ وما عدت حتى اعرف
نفسى؛ انظر الى حالتى جيدا والى ما اصبحت عليه؛ صرت
لاشيئ بالنسبة لنفسى وما عادت الحياة تعني لى شيئا
؛انظر الى يا اسامة؛ انظر الى كيف جعلونى وإلام
حولونى؛ لقد دمرونى كليا حتى مات فى كل شيئ؛
قلبى، روحي، نفسى؛ كل شيئ فى مات واتلف؛ لم اعد
اعرف نفسى، حتى انى اشعر انى غريبة فى عائلتى؛
غريبة فى جسدى؛ غريبة عني؛ تلك الفتاة التى احبتك
ماتت ولم تعد موجودة؛ لقد دمروها وحطموا كل شيئ
يمثلها؛ صرت اضع سماعات الاذن طول اليوم ولا اعرف حتى
ماذا يحصل من حولى؛ صرت جسدا من دون روح اما القلب
فاتلف ولم يعد صالحا؛ انظر الى كيف اصبحت؛ صرت اكره
نفسى وانبذها واکره عائلتى؛ والحياة؛ كم امقتها.....

كنت قد اصببت بكم وشلل كليين وقد تمنيت لو اكتمل
معى فقدان السمع والبصر حينها حتى اتجنب شيئا من
تلك السهام الصدهة والسامة التي تخترق جسدي دون
توقف؛ عم صمت في كل الكون لبرهة؛ كان مخيفا اكثر من
هدوء ما قبل العواصف والكوارث؛ حتى الهدوء والصمت صارا
نوعا من التعذيب والابوجاع؛ لم اجد كلماتي فقد تركتني
طريحا على ذلك الكرسي وهربت شاقة البحر نصفين ولم
تترك خلفها غير تلك الامواج التي صار ارتطامها بالشاطئ
مسموعا بوضوح؛ كان الشارع قد بدأ يعلن عن قدوم ظلامه
واضيئت تلك المنارات والسفن في عرض البحر وصارت
مرئية للناظرين؛ نقصت الحركة في المدينة وصار الهدوء
مخيفا اكثر من سابقه؛ لكنني كنت مثبتا على ذاك الكرسي
الحجري البارد وقد احسست بان سلاسل الكون كله
تكبلني وتشلني لكن لا شئ كان محاطا بي او
بيدي؛ بالكاد كنت اتنفس فحتى الهواء صار يصارع ويتخبط
حتى يتمكن من الولوج الى رئتي واذا ما ولج واكمل دورته
عاد يصارع حتى يخرج من جديد؛ ذاك كان اختناقا فريدا من
نوعه؛ كنا جالسين على كرسي قبالة المكان الذي
همست لي فيه بأحبك وهي تقف امامي وتبتسم؛ لطالما

ظل*مكاننا*ذاك بيتي وملاذي الوحيد عند وحدتي وضجري؛ كان امامنا مباشرة ولم يفصلنا عليه سوى متر واحد او بالآخرى خطوة قدم؛ كنت لا ازال جالسا احملق فيها بعد ان اكملت كلماتها الخانقة تلك ثم لملت دموعها وكفتها ووقفت؛ لم احرك ساكنا ولم ازح بنظري عنها؛ اصلا كان الشلل قد اخذ معي حده الاخير حتى لو صارعت وحاولت الحراك فمحال ان يتحرك مني شئ؛ مشيت خطوتان نحو اخر الارض المبلطة؛ كانت تنظر جهة البحر وقد وقد كنت خلفها على الكرسي؛ اخذت نفسا اخر وقد شعرت برجة تهزني كما لو ان قبلة مبيدة سوف تنفجر في يدي وانا انظر اليها في ذهول؛ التفتت وعادت بنفس تلك الخطوتين ووقف امامي مباشرة؛ كنت جالسا ومازال نظري مسلطا عليها دون ان انطق بحرف واحد؛ جف حلقي ويبس لساني وافرغ فمي من ريقه منذ دقائق؛ كانت سكرات الموت لكن بالنسبة لي حينها فقد كان سكرات الحياة؛ انحنت إلي انشا وقد اغرقت عيناه بالدموع حتى كاد ذاك العشاء ينفجر ويغمرني ويحولني نسيا منسيا؛ كانت تنظر الي مباشرة مثل تلك الليلة؛ همست من وراء ستار من الحزن والعجز كبله الاكتئاب والموت

البارد؛كنت شاردة في عينيها اللامعتنا اللذان لطالما
اسراني واباداني؛همست؛

❖❖ كل شيء بيننا إنتهى؛حكايئنا انتهت وعلاقتنا إنسها.

رغم اني كنت شاردة في عينيها كعادتي ورغم اني كنت
غائبا عن الوجود كله وحتى لو اخترقت رأسي رصاصة ما
كنت لاحرك ساكنا؛رغم الغيبوبة التي هويت فيها بسبب
عينيها الا اني سمعتها بوضوح؛ضنت اني اهذي او اتوهم
لكن كل كلمة من تلك الكلمات احترقت اذناي بجرعات
مختلقة من الألم؛ثمانى كلمات وثمانى جرعات وثمانى
درجات من الألم؛لكن عبثا فقد هربت كلماتي عبر البحر
قبل حتى ان تنطق بحرف لكني حاولت في تلك اللحظة
معاينة تلك الثمانى كلمات فلم اجد كلمات مرادفة لها غير
اربع كلمات كان لها نفس الجرعة من الألم والخنق
والاوجاع؛اما باقي الحياة فلا تعني شيئا بحروفها وكلماتها
وجملها؛*ماتت امك يا فتى*؛شعرت حينها انها لم تقل كل
شيء انتهى بل توهمت انها قالت لي ماتت أمك؛وقد كنت
بأسس الحظ الذي عاش هول خبر موت أمه وهي لاتزال
على قيد الحياة؛امر مخز اعرف لكن التعبير والوصف عندي
قد توقف عند تلك الاربعة كلمات؛العجز احيانا يجعل المرء

يتفوه بكلمات تافهة وتلقائية اذا ما وجد نفسه في موقف يكون فيه موته مستحيلا لكن سكرات الموت التي هي اعظم من الموت ذاته تظل تواصل تغليف سجمه وتغطيته لمدة كافية بتحويله الى جسم رفع عنه القلم لانه جن جنونا مخيفا حتى صارت الناس تهابه وتخافه وهو أضعف حيلة من نملة بين قدمي بشري؛ تلك كانت حالتي حينها؛ كانت لاتزال تحكم علي قبضة نظراتها؛ اوهمت نفسي واقنعتها ان كل ما سمعته منذ برهة هو مجرد مزحة ثقيلة من مزحاتها او انه الانعكاس الاقصى لصوت اختناقها الداخلي ايا كان فقد اوهمت نفسي انها كانت في حالة سيئة وان علي موساتها كما تعودت دائما؛ لملمت بقايا حطامي المتراكم وهمست بنبرة متداعية للسقوط مرة أخرى بعد سقتطها

الاولى؛ قلت؛

انت الآن في حال سيئة لا الومك على كل ما قلتيه وما ستقوليه لكن تعالي اجلسي الى جانبي ودعينا نتحدث قليلا؛ لا بأس صبي في كل عضبك وتعبك وافرغي في كل ما يرهقك لن آبه لكن لا تفعلي هذا...

بالكاد اكملت تلك الكلمات وانتظرت؛ لا اعلم، كانت القبلة امام وجهي مباشرة لكني لم اكلف نفسي حتى عناء ازاحتها او ابعدها من امامي؛ لم اكلف نفسي حتى محاولة رميها بعيدا عن دائرة جلوسي؛ كان من المحال ان افعل ذلك فقد وعدتها الا اتركها مهما حدث؛ عوضا عن ابعادها وتجنب انفجارها عانقتها؛ القبلة، هي؟ كانا نفس الجسم الواقف امامي وينظر الي مباشرة وقد سمعت دقات الساعة وهي تعد تنازليا وتسارع بلوغ الصفر حتى تمحوني من الوجود؛ قالت بنبرة واثقة وقد توقفت دموعها؛ ارادت اخفاء وجهها الحزين عني واخفاء دموعها التي تصرخ*سامحني* واخفاء اکتئابها عني حتى تقنعني انها تعني وتعني ما تقوله وقد اخفقت في تظليلي واقناعي؛ لكنها لم تخفق في اصال ما ارادت قوله؛ كانت واضحة؛ وقد ادركت انها حسمت الامر وانتهت منه مسبقا؛

«انا لست بحال سيئة؛ انا بخير كما ترى ولا اعاني من شىء مطلقا؛ كل ما قلته اعنيه وادرك ما قلته؛ كلما ما اريدك ان افهمه الان هو ان تفهم ان علاقتنا انتهت الان وكل ما بيننا انتهى وعليك ان تنساه، انتهى كل شىء يكفي.....»

كانت تلك اخر كلمات سمعتها وعم صمت خانق من جديد؛لم اعد اسمع شيئا في ذلك الشارع غير صوت صرخات دموعي وهي تتسلل في يأس وعجز خارج مقلتي؛كل قطرة كانت تقول كلمة؛كل قطرة كانت تنحب وتأن؛احبك،اشتقت لك،*اعشق ربك*؛لن اتركك؛لن اتخلى عنك مهما حدث؛لن اخذك يوما؛انت صرت انا وانا صرت انت؛انت كوني؛انت عالمي؛انت سر ابتسامتي؛ انت ملكي انا وانا ملكك انت؛لن يفرقنا شئ؛صارت لدي ابتسامة مميزة معك؛انت احن رجل؛وجدت فيك ابي وامي واخي وصديقي وحببي وزوجي؛انت احسن رجل تعرفت عليه في حياتي؛كل دمة من دموعي كانت تهمس وتنطق بكلمة وكل حرف كان يروي قصة عشتها معها؛تلك اللقاءات العشر مرت امامي عيني في شكل صور مرتبة الواحدة تلو الاخرى في ثواني وكان الصمت عنوان كل شئ حينها؛كانت قد جلست حذوي بعد ان انهدت تلك الكلمات القاتلة واخذت تبادلني نفس البكاء الصامت؛شاهدو معي؛حاولوا ان تتخيلو المشهد كما عشته بالضبط؛نفس الظريفة، نفس المكان، التوقيت قريب جدا من توقيت المرة السابقة،نفس الشارع،نفس المدينة،

نفس الشاطئ ونفس الرمال والمياه؛ لم يتغير شيء؛ امرأة
ظريفة وحسناء قفزت امامي ذات ليلة وهمست لي وهي
تبتسم وقد امتلئت عيناها دموعا *احبك* في ذاك
الشاطئ وقد توهمت ان سعاده ليلتها قد فاقت
سعادتي؛ المرأة نفسها وقفت امامي في نفس الليلة،
ليلة السبت، همست وهي تذرف تلك الدموع *انتهت
علاقتنا وكل شيء بيننا انتهى انسه* في نفس ذاك
الشاطئ وقد تفتنت ان مياه البحر قد تحولت ليلتها الى
مالحة مسايرة لطعم دموعي لذلك لم اشعر باي ملوحة
حين سقتني بيديها منه؛ كان عذب المذاق منذ اول لقاء
لكنه صار مالحا ليلتها؛ كانت امواجه تضرب الرمال بقوة
مصدرتا صراخا ثاقبا للأذان؛ كان تعبيرا عن حزنه لما سمعه
معي وقد توهمت ان حزنه قد فاق حزني هذه المرة ايضا
؛لطالما كان البحر صديقا وفي لي وعلى ما يبدو ان كل
تلك المياه التي فيه هي هموم الناس أمثالي واحزانهم؛
اظن اني صرت من المساهمين في دعم الموسم
السياحي باحزاني التي صارت ماء مالحا زادت البحر حجما
وكمية سيسبح فيها السياح الصيف القادم بينما امضي
صيفي اجالس البحر ليلا ابادله بكائي ونحيبي؛ لا اذن اني

سأسبح مرة اخرى في حياتي وهل يرتمي المرء في
احزانه ويسبح فيها وهو الذي صارع الموت حتى يخرجها
منه؟قطعا لا يفعل هذا الا معتوه صارت حياته اتعس من
موته؛كان ذاك حالي حينها لكن ان كنت مازلت تتخيل
المشهد الذي حدث معي ليلتها فانصحك ان تكف عن ذلك
فأنت لا تكسب شيئ جراء تخيلك هذا الا التعب النفسي
لنفسك.....

همست يائسا وعلى الاغلب دموعي هي التي همست
لا انا فقد كنت قد محيت من الوجود منذ دقائق؛

xx لا تتركيني؟؟

xx لا تفعلي بي ذلك؟؟

xx احبك لا تتركيني؟؟

لم تجب ولم تنبس بحرف حتى فاخرست نفسي وعلى
الاغلب ابكمتها؛صمت وسكون ساد لدقائق ثم همست؛
xx اريد العودة؛خذني الى البيت من فضلك.

قلت ولا اذكر كيف قمت بذاك الفعل الذي اعتبره إنجازا وأنا
في تلك الحالة؛

«هل حقا انتهى كل شيء؟؟»

«هل حقا انتهت حياتي تواق؟»

اجابت وياليتها لم تجب وظلت تقتلني بصمتها على الاقل
القتل اهون من الخنق؛

«اجل كل شيء إنتهى انا اضرك ولا انفعك في شيء
يمكنك الاكمال من دوني انساني وافهم ان علاقتنا انتهت
خذني الى البيت من فضلك.»

«اتعتقدين ان تركتني فانك ستكفين عن الحاق الاذى
بي؛ اهذه انت من تتكلم منذ البداية.»

وقد وقفت ثم قالت؛

«خذني الى البيت.»

اخذت طريقها نحو البيت لكنها لم تستطع تركي طريقا
هناك لوحدي؛ عادت وقالت؛

«قم لن تبقى هنا لوحدا هيا معي.»

لوهلة كنت ساقول لها* من انت*؛* اين ذهبت فتاتي*
؛* اين ذهبت تلك التي كانت تقول لي منذ قليل انها
اشتاقت الي وانها تحبني*؛* اين هي التي قبلتني منذ

حين من وجنتي وابتسمت وقالت اشتقت لك*؛ لكنني
صددتها كلها واخرست نفسي مرة اخرى؛ وقفت؛ نسيت ان
للجاذبية وجود؛ نسيت حتى ما تعنيه الكلمة؛
مالجاذبية؟؟ صدقني لا اعرف ربما هي اسم بلد ما او اسم
شخص تعيس الحظ؛ لا يهم فالفضل كان لقدمي اللتان لم
تخونا ثقتي فيها منذ الصغر؛ لم افعل شيئا من جهتي فقط
اكتفيت باعياء نفسي في تلك الوقفة الصغيرة لكنها كانت
بمثابة سفر من الارض نحو القمر؛ أمازال هناك معنى اخر
للموت ام انهم انتهوا معي لحظتها؛ صرت اهذي من جديد
لكنه لم يكن هذيانا بل كانت سكرات الموت التي ابت
الانتهاء وكان علي تعود الامر لانها ستصبح حياتي
الجديدة؛ حملت هاتفها بيمنها والقبعة السوداء بيسراها
واخذنا رحلتنا الضوئية نحو منزلها؛ كانت المرة الاولى التي
اشعر فيها اني تعبت بعد الخطوة الاولى من تحركي؛ فرغم
انني لم اشعر بقدمي الا ان التعب صعد منهما الى
جسمي ثم رأسي؛ كانت تمشي الى يميني ولم تنبس
بحرف طول ذاك الطريق؛ جعلت يدي تتسلل نحو يديها؛
امسكت بها على امل ان اشعرها بما فعلته لتوها لكنها
صدتني وسحبت يدها؛ لم تترك لي مجالا حتى لادرك

لمس يدها؛ حاولت ذلك ثلاث مرات لكنها اشربتني من كأس اليأس بكلتا يديها؛ كانت الطريق قصيرا لكنه كان شاقا، متعبا، طويلا الى ابعد حد؛ ظلت اردد نفس الكلمات طول الطريق لكني لم اسمع صوتها قط؛ ظلت اهمس وأكرر؛ هل انتهى كل شيء؛ انتهت حياتنا؛ احلامنا؛ قصصنا التي لم تكن تعرف نهاية؛ ضحكاتنا؛ ابتساماتنا؛ افكارنا المجنونة؛ هل انتهى كل شيء بهاته البساطة؛ هل انتهى كل شيء بهاته العبثية؛ هل هان عليك كل ما عشناه؛ ألم اكن اعني شيئا بالنسبة لك منذ البداية؛ الهذه الدرجة من العبثية؛ أتعلمين؟ غصنا سويا في عالمنا ذاك حتى نسينا انك تكبرينني بثلاث سنوات؛ هويننا معا بنفس الشغف حتى صرتي الصغيرة وصرت الذي يكبرك؛ انقطعنا سويا على الوجود واستسلمنا لمغناطيس كوننا ذاك؛ احبك؛ صدقا احببتك بطاقة اكبر مما كنت استطيع التحمل لكن لم يحدث لي شيء؛ كان من المفترض ان انفجر بمفعول الضغط الزائد لذاك الحب لكنك من فعلت لتوك؛ هل انتهى كل شيء حقا؛ هل حسم امرنا الذي رسمناه سويا بقلم واحد تحمله يدان مندمجتان؛ الن نستمتع بالتخييم سويا؛ الن يكون لنا زواج على شاطئ البحر؛ الن يكون لنا

بيت خشبي في الجبل؛الن يكون لنا بنت اسمها
رتاج؛استضل كل هذه الاحلام معلقة في اللاشيئ؛هل
أمسى مصيرنا الاخير هو العدم والفراغ

كانت تمشي الى يميني ولم اسمع لها حسيسا؛لم
تنبس بحرف واحد؛لم اكن اعني حتى اين انا اصلا كانت
توجهني احيانا كلما اخطأت الطريق الذي كنا نسلكه سويا
في عودتنا بعد كل لقاء؛كان جسدي يتحرك في الطريق
وشفتايا كانتا تهمسان لها ببضعة احرف لكني كنت غائبا
كليا على الوعي؛كنت ارتدي ذلك المعطف الذي ظل معلقا
لاشهر فوق سريري لانها ارتدته ذات لقاء لساعات واتخذه
عطرها موطنا له؛ادركنا البيت وقد كان لازال هناك بضعة
امتار معدودة ونبلغه؛توقفت فجأة لكنها لم تتوقف ولم
تلتفت حتى؛ناديتها،ناديتها،ناديتها لكنها لم تلتفت انشا
واحد واكتفت بالضغط بكلتا يديها على قبعتها
وهاتفها؛احنت رأسها الى الاسفل قليلا ثم واصلت
خطواتها المرتعشة تلك حتى غابت عن مرئي عيني؛

كانت قد ادركت باب البيت وكنت قد وصلت قبالة الشارع
المؤدي اليه؛وقفت،مثل عجوز مسكين وبائس تركه ابناءه
وألقوه به في الشارع دون ان يرف لهم جفن، انظر اليها من

بعيد؛ رأيتها تفتح الباب وتلج الى الداخل دون ان تلتفت حتى من قبيل الرأفة والشفقة؛ ظللت واقفا هناك وقد تجمدت في مكاني ذاك ولم استطع الحراك؛ توهمت لوهلة اني لو تحرك سأكون من تركها لكنها كانت قد فعلت منذ زمن وما انا الا بمتوهم بائس الحال؛ ظننت انها ستخرج من جديد وتجري نحوي مثل تلك الليلة وترتمي الي بكل ما جمعته في طريقها من قوة؛ ظننت انها ستخرج اثر التفاتي نحو طريق بيتي وتصخ بكل قوتها توقف انا لم اترك احبك توقف؛ ظننتها ستخرج على الاقل وتودعني؛ ظننت اني احلم او اتوهم ما حدث في احدي شرداتي بعينيها؛ ظننت اني شارد وهي ستوقضني بهمسة *افق اين شردت* او بقلبة سلسة على خدي لكن عبثا ليست سوى ضنون لا تغني ولا تسمن من جوع؛ دلفت الى داخل البيت دون ان تكلف نفسها حتى عناء توديعي وهل يكلف الوداع عناء اساسا؛ اخذ ذاك العجوز طريقه نحو البيت بعد ان ظل واقفا لدقائق يوهم نفسه انها ستخرج وتعانقه؛ سأحتقره ان قلت ان ذاك المساء كان عصيبا؛ قدرا؛ مسخا؛ مشوها؛ ايا كانت ماهيته فقد كانت سيئا للغاية؛ وكيف لا يكون كذلك وقد مت فيه وخرجت روحي من جسدي وتوقف قلبي عن

الخفقان وسكتت انفاسي لكني رغما عني بقيت حيا
ارزق؛ كانت تلك آخر مرة ارى فيها تلك الظريفة حبيبتي
وكانت كلمة خذني الى البيت ارجوك اخر حسيس اسمعه
لها؛ احدث طريقني نحو محطة سيارتي الاجرة؛ اكملت
طريقي وحدي؛ كنت اتركها فيما مضى امام بيتها واذهب
وحدي لكني على الرغم من ذلك كنت اواسي نفسي
بصوتها الذي يضل يتردد في أذني؛ عطرها الذي يأبى
مغادرة فتحات انفي؛ ملامحها التي وضعت مكان
مقلتاي؛ لكن ليلتها هي التي تركتني امام بيتها وقد
اكملت الطريق وحدي لكن الحال حينها اختلف تماما؛ من
سيواسيني فحتى نفسي تركتني هي الاخرى وذهبت
معها؛ قلبي صار لها منذ البداية؛ عقلي لم يكن يوما
ملكلي؛ لم تترك لي شيئا اعيش به مطلقا؛ اصلا ما عاد
العيش مصطلحا يعنيني فقد قتلتني ودخلت البيت
ببساطة؛ كانت وحدتي تشدني من يمناي والموت
يواسيني من يسراي؛ تجمع حولي كل الرفاق ولهم الفضل
في وصولي الى البيت الذي نسيت طريق العودة
اليه؛ الالم، الاوجاع، الصمت، العجز، البكاء الصامت، البكاء دون
دموع، الاختناق، الموت البارد، سكرات الموت في

الحياة، الضجر، الوحدة، الاكتئاب الحاد، التنفس رغما عني، الهمس في حالة يأس، الصراخ، النحيب، الانين؛ اجتمع حولي كل الرفاق ورفضوا لحالي؛ اشفقوا علي وقرروا ايصالي حتى باب غرفتي؛ كانوا يحاولون مواساتي وقد امسك كل منهم بعضو مني وصار يحاول تقويم كسوره لكن عبثا ما كانوا يفعلونه؛ لم اشعر بشيئ مما حصل حتى وصلت؛ رمانني احدهم داخل سيارة اجرة؛ اجلسني بالمقعد الامامي وقد احنيت رأسي الى بلور النافذة واخذت ابكي بصمت قاتل؛ حتى الشهق كان صامتا؛ فقعت عينا من شدة الضغط الذي كان بهما وقد تجمع اولاؤك الرفاق فوق فخذي واخذو يدندنون اغنية *كنت تقولين لي انك لن تتركيني* كان المشهد فظيعا ايحاولون مواساتي ام زيادة امري سوءا واي سوء كان قادرا على اساءت حالي اكثر من ذلك؛ لقد كنت ميتا يتنفس؛ لم اشعر بشيئ مطلقا فحتى لو انقلبت تلك السيارة بمن فيها وحتى لو احترقت او انفجرت وا صارت هباء منثورا من يابه لذلك؛ من جهتي كنت اتمنى ذلك منذ اذار السائق الذي لا اعرف ان كان رجلا ام امرأة المفتاح وشغلها؛ صار صوت اولاؤك الاطفال الجالسين فوق فخذي يزعجني فقامت بفتح النافذة

ورميهم بعيدا عني ومن يأبه ان وصلت الى البيت ام ظللت الطريق؛ لم اعد أهتم لشيئ غير اني وددت الموت في تلك اللحظة؛ كنت ميتا اساسا لكني وددته حقيقة لا مجازا لكن عبثا ولمن العذاب ان فارقت انا الحياة؟؛ لا اعرف كيف لكني همست للسائق* اتركني هنا* وناولته قطعة نقدية اخرجتها من جيبى عشوائيا حتى اني لم انظر اليها حتى ولم اتعرف ماذا كانت؛ نزلت واطبقت الباب بقوة وقد ناداني لكني لم أفهم من كلامه شيئا فرحل في حال سبيله لكن اضن انه كان يرمي وراء اعطائي باقي القطعة النقدية؛ لا يهم فليذهل هو والباقي الى الجحيم؛ توددت لقدمي ورجوتيها ان يتكرما علي ويوصلاني بضت امتار أخرى لكني لم اخطو كثيرا حتى هويت في سقوط كان ارتطامه لا زال يهمس ويصرخ* لا تتركيني*؛ كانت عينايا مظلمتان بالكاد ارى أضواء حمراء وصفراء ضبابية؛ صوت قطار يتوقف ثم يواصل سيره؛ صافرات تكاد تثقب طبلة اذني؛ كانت محطة القطار المحاذية لبيتنا وكنت مرميا على احد تلك الحجرية الصلبة والباردة المنتشرة في ارجائها؛ كانت قد اتصلت بأخي وراسلته؛

«انت ارجوك تفقد اخوك اتصل به واعرف أين هو لقد قابلته منذ قليل وانهيت علاقتي معه.»

ظل يرأسلها ويسألها عن السبب وقد عرف مكاني وهم قادمًا إلي؛ كنت أشبهه بـارنب صغير تبادلت على تمزيقه مجموعة من الضباع ولم يتركوا فيه شيئًا فحتى الفرو شفتوه؛ محوه من قائمة السلسلة الحيوانية؛ كنت جالسا مجمدا ومشلولا على ذاك الكرسي وقد تناولت هاتفي وفتحت حسابي؛ كانت قد اتصلت بحسابها منذ دقائق؛ حذف اسمينا*زوجي*،*زوجتي*؛ وقد عادا كمثل اول مراسلة بيننا؛ اما زال هناك اسلوب اخر للقتل والتعذيب ام انها انتهت؟ لا اضمن ان الاساليب التي تسبب الالم تنتهي؛ كان قد بقي معي حرفان او ثلاثة ارادا ملازمتي ومواساتي لكنني استغنيت عنهم في تلك الرسائل المعدودة؛ كتبت دون حتى ان ارى ما كتبت وقد حمدت الله اني ادركت الكتابة اصلا؛ بحروف مسكينة؛ يائسة وعاجزة كتبت؛

«كفانا الآن مزاحا حبي ولنتحدث قليلا.»

«ليس مزاحا انتهى كل شيئ صدقني ولم يعد لعلاقتنا وجود؛ انسها فلنبقى اصدقاء عاديين احسن لكينا!!»

«ماذا عني؛ ماذا عن حينا؛ عن الذي عشناه؟؟»

«انسه ببساطة...»

«قلتي انك تحبينني ولن تتخلي عني؟ ماذا حصل الآن؟»

«صدقني يا اسامة الفتاة التي احبتك ماتت؛ قتلت ولم

يعد لها وجود ابدا؛ لقد دمرها ومحوها من الوجود؛ لم يعد

لحياتي أية قيمة؛ لا عائلة جيدة ولا أب مسؤول ولا ام

تحبني؛ انا مشكلة يا صديقي وخير لك ولي ان نفترق.

صدقت لم تكن هي التي تحادثني؛ لم تكن الفتاة التي

احبت مطلقا لكني تشبثت فيها ولم اياس مطلقا؛ قلت؛

«مشاكلك هي مشاكلي وسنتجاوز الامر سويا صدقيني

لن اتركك ولن اتخلي عنك يوما؛ لن اخذك وسأظل دوما

ماسكا يدك وحتى ان سقطنا سنسقط سويا وننهض سويا.

«انا ظائعة ما عدت اعرف نفسي؛ انا تائهة ومشوشة؛

انا لست انا ولم اعد ما كنت عليه؛ تلك الفتاة التي احبتك

ماتت وذهبت دون عودة.

«مالذي جرى لك استيقظي انا اسامة الذي يحادثك؛

استيقظي ارجوك ولا تفعلي بي هذا؛ لا تتركيني.

«تركتك وانتهى الامر.»

«لكنني احبك ولا اريد ان اخسرك.»

«احبك ايضا لكنني ضائعة وتائهة صدقني انا مختنقة ولم اعد اشعر بشيء حتى مجرد الاحساس فقدته.»

«استيقظي من السبات الذي دخلتي فيه انا اسامة؛ اسامة حبيبك. صديقك. اخوك. ابوك مالذي اصابك؟»

عبثا ما كنت اقوله وافعله فقد حسمت الامر مع نفسها مسبقا وعلى الاغلب كانت قادمة منذ البداية لتطلعني بذاك الشيء لا لتراني كما طلبت منها؛ تحولت كل رسائلها الى اجوبة فلسفية معقدة ومتظاربة؛ كانت فلسفتها الخاصة تلك تجعلني اختنق واحتضر من جديد؛ اصلا لم يكف هذين الاثنين منذ جلوسنا على الشاطئ حتى حين؛ قلت؛

«اين انت استيقضي لا تفعلي بي هذا؛ لا تقتلي شخصا احبك بصدق بهذه الطريقة؛ احبك.»

كانت كل رسائلها قد صارت فلسفية تفهم لكن من المحال ان تستطيع تكوين كلمة تعبر بها عما فهمته من رسالتها تلك؛ كانت لا تزال تخنقني وتقتلني؛ لا اعلم ان كانت تشعر

بما تفعله ام لا لكن هذا ما كانت تفعله وقد صارت الرد على كل رسالة من رسائلها بنفس الطريقة؛ كان ذلك مجهدا حقا لكنها لطالما كانت تستحق العناء من اجلها؛ قالت؛

✘✘ لم يكن لها الحظ الكافي لتكاتب يد قلبها؛ فأكملت وضع الحجارة وانعزلت عن نفسها الى ان تجمدت مشاعرها الجميلة منها والخبیثة ووضعت مكان القلب صخرة باردة لا تعرف معنى الدفئ والطمأنينة، صخرة جعلت منها أقوى من ان تضعف امام بشر مهما عنى لها يوما؛ اقوى من ان تحس بمخلوق احبها فعلا؛ اقوى من ان تنتظر يدا تناجي قلبها الميت من جديد؛ كيف سنحيا ان صلبت قلوب كل من أحبّ مثلها؟! كيف سنتراحم ان كنا نُبقي عيونًا ساهرة الليالي مبللة وسائدها بدموع أحرقت الباطن قبل ان تظهر؟! أهذا ما يسمى "عيشة نغ الأحياء- الاموات؛ انا من أولئك، ممن يموتون حين يحبون

تطلب مني الامر دقائق حتى استطعت تهجئة كلمات مناسبة لما قالته؛ لطالما كانت الفلسفة بالنسبة لي كمثل الغرب؛ مفسدة للعقول رغم انها تنير الحياة؛ اجبت؛ ✘✘ انا من اولئك ممن اذا احبوا بصدق وعشقوا حتى وصلوا

الى حالة ان في قلوبهم كلام ولكنهم يعجزون عن اخراجه
من فرط الحب لان الاشياء التي في قلوبهم ...صارت
اسمى وارقى من الحب نفسه

xx احاطتْ نَفْسَهَا بِأَسْوَارٍ عَالِيَةٍ وَصَدَّتْ كُلَّ الْبَابِ
وَتَرَكْتُ عَنْ عَمْدٍ حَجْرًا وَاحِدًا مِنْ دُونَ تَثْبِيتٍ؛ كَصَنْدُوقِ
...بَرِيدٍ خَفِيٍّ؛ هِيَ لَمْ تَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَى يَدِ تَمْسِكِ يَدَهَا
xx ذلك الحجر الذي ترك مندون تثبت هو الذي سيعيد
احياء قلبها الذي يسكنه حبه له وتعلقها به لانه لم يتركها
حتى حين طلبت هيا منه ذلك وحاولت ابعده بأقسي
الكلمات لكن حبه لها كان وسيكون اقوى منمجرد
كلمات تقال في اوقات التعب النفسي

xxانا مريضة ارى امامي سوى العدم لا عاد الحب
.يشفيني و لا حتى الضحك يزورني انا تعب من هذه الحياة
؛انا ضائعة لا اعرف اين اضع نفسي لكني اعلم انني لن
اجدها ابدا فانا لم اعد انا هي التي اصبحت انا مستعدة
ان تخسر كل شئ اصدقائي اهلي و من احب و اعشق
و ان تواصل الحياة بشكل عادي لا تحس ...بشيئ و لا
يفريها شي تعيش حياة الاحياء الاموات

«هذه فلسفة لا علاقة لها بدنيا وحياة وضعنا تخطيطها
ورسمناها معا؛ حياتنا مليئة بالاغلال وكل الاغلال لها
مفاتيح اذ انا الصانع لا يصنع اغلال دون مفاتيحها؛ ونحن من
نريد تحقيق احلامنا نكسر تلك الاغلال و نواصل دون ان
نلتفت وراءنا؛ كل الاعذار لا تقف امام شخص وعد بان يغرق
في حبك ووعد بعدم التخلي عنك؛ وحتى حياة الاحياء
الاموات يمكن ان نعيشها معا لا يهمني اين ومتى وكيف
ولماذا نعيش كل ذلك لا يهمني؛ كل ما يهمني اني
معك وانك معي

«أنت بيتي و منفاي أنت أرضي التي دمّرتني و كلما
..... برهنت لي بحبك تدمرني اكثر فاكثر

«اكثر ما نعرفه عن الحب انه مدمر وقاسي فكل من
يدخل طريق الحب لا مهرب له من العذاب لكن نعرف ايضا
ان من يحب لا يتخلى حتى ولو اصاب بالنسيان حتى ولو
صار في حالة لا يتعرف فيها على نفسه تبقى في قلبه
زاوية تعيد احياء الزوايا الأخرى ببطئ ولكن الموهم ان هذه
الزاوية موجودة؛ وما عدت اهتم لشيئ وما عدت اكثر
لشيئ وما عدت انتظر شيئا سوى اليوم الذي تعودين فيه
الي؛ فان طال الانتظار سأنتظر وان قصر

الانتظار فانا منتظر كل هذا ابتلاء من الله؛فالحمد لله
.....على كل شئ ان طال او قصر

كنت بالكاد انظر الى شاشة الهاتف من وراء ستار ضبابي
بنته الدموع حتى كادت تطفئ الضوء الخافت الذي يلج
بصعوبة الى مقلتي؛كان الهواء اخر الزائرين الذين دخلوا
غرفة عزائي يواسونني ويدعون لحبنا الذي مات بالرحمة
والمغفرة؛لكني كنت اطردهم وأصرخ في وجوههم*هو لم
يمت ولن يموت يوما اغربوا عن وجهي*؛كانوا يشفقون
علي؛على الاقل وجدت من يشفق على حالي ذاك وكانت
الوحدة ارفهم حالا؛طلبت منها ان تكف عن تلك الرسائل
الفلسفية التي اجهدني الرد عليها حتى ضننت انني
سأصاب بجهل يحملني الى الكفر بديني؛كانت تكتب وقد
اضفت؛

«استيقظي ارجوك انا اسامة الذي يرأسك؛اسامة؛
صديقك وعائلتك؛افريقي ولا تفعلي بي هذا انت خائفة ان
اتركك يوما وانا اموت لانك لا تصدقين اني لن افعل حتى لو
خيرت بين تركك والموت؛اصلا انا اموت الآن فمالفرق بين
الآن وبعد حين؛افريقي...

لكنها لا تحاول حتى؛ لم تكلف نفسها حتى عناء المحاولة؛ طرحها الاكتئاب ارضا ولن تمد حتى يدها كي اجعلها تقف من جديد؛ كنت لأعيد ايقافها في كل سقطة الى الابد دون كلل ان تطلب الامر؛ لكنها كانت تصدني عنها لسبب جننت ولم اعرفه؛ اکتفت بمواصلة قتلي وانا بالاساس مقتول منذ حين؛ قالت؛

« لا تقيّد نفسك يا صديقي؛ كُن مجهولاً؛ كُن منسياً؛ كُن وحيداً؛ اختبئ هناك؛ خلف الظلال؛ تماماً حيث تكمن الحرّية عادت اليها تلك الرغبة الجامحة في الوحدة والعزلة؛ عادت الى ذلك السجن؛ دخلت واقفلت على نفسها ذاك الباب الحديدي البارد والصدء؛ فضلت العيش وراء القضبان السوداء علي انا؛ وكم تمنيت لو ادخلتني معها الى ذلك السجن؛ وكم دعوت الله لو جذبتني معها وادخلتني مثلما جذبتني تلك الليلة واعادتني اليها وانا لا أعرفها حتى؛ لكن عبثاً؛ دفعتني بكل ما امتلكت من قوة ودخلت بمفردها واغلقت الباب باصفادها الخاصة وتركتني احتضر بالخارج حتى مت مليون مرة؛ اصفادا لم يكن حتى المسيح الدجال بقوته قادرا على كسرهما وانتشالها من تلك الابواب؛ كان اليأس والعجز قد غسلاني وحملاني على اعناقهم الخفية

صوب مقبرة الموت البارد؛ دفناني واغرقا قبري
باحزاني؛ بصوتها؛ بصورها؛ بكلامها؛ بذكرياتنا ؛
باحلامنا؛ بعطرها؛ تلك كانت وصيتي الوحيدة؛ كنت وحيدا
في ذاك القبر رغم انه يتسع للكون كله الا اني لم اتمنى
غيرها؛ رغم اني صرت نسيا منسيا في اللاشيء الا اني
ظللت اصارع واتخبط من اجلها؛ لطالما كانت تستحق
ذلك؛ كتبت بيأس؛

xx سوف نبني لانفسنا بيتا متواضعا في قمة جبل؛ بيتا لا
يكون مثل بيوت من يسعون وراء امتلاك الدنيا وما فيها
؛ ليس كبيت من يجعل المال قائدا على قيمه ومبادئه ليس
كبيت شخص يسعى وراء اكتساب الكثير طمعا ولكن بيت
لاثنين ينتظران ثالثهما بنتا، بيت لاثنين يجعلان من هذا
الييت مسكنا يحتميان به حتى وقت ...رحيلهما الى حيث
السعاد الابدية؛ بيتنا

xx اشفق علي اولئك الذين يُضحكون الجميع ولا يجدون
من يضحكهم؛ تصل إلى مرحلة تكون فارغ تماما من كل
شيء؛ خاوي من الداخل؛ بارد ولا تهتم لأي حدث أو ما يدور
حولك؛ لكنني اعلم ان بصيص الامل الصغير الذياملكه
ايضا اختفى من حياتي

لن يختفي لان موتي مربوط بفقدانك

أنا لستُ حزينة؛ أنا فارغة وذلك أسوء لو تعلمون حيث
تجد نفسك ضائعا تائها فلا تعرف ماتفعله و لا ما تحتاجه
فتصل إلى مرحلة تكون فارغ تمامًا من كل شيء؛ خاويًا من
الداخل؛ بارد ولا تهتم لأي حدث أو ما يدور حولك فربما انا لا
ابكي؛ ولكن هذا مؤلم وربما انا لا اقول؛ لكنني اشعر؛

ثم ايضا ربما انا لا اتحدث؛ ولكنني اهتم فلم اجد املا اتمسك
به ابدا و لا شيء يجعلني اطوق للعودة كما كنت انا انسان
تائه في ظلمة الوحدة و الفراغ انا لا افهم ما في داخلي
متناقضة انا اضحك على ماياألمني و ابكي على
مايضحكني فلا أمل لي بالعودة لأن الأمل لا يلائمني؛ إنه
يجعلني ابدو واسعا جدا؛ بينما أنا بالكاد لا اتسع لنفسي؛
ثم يأتي انسان ويقول انا معك ارى فيه بصيص الامل الذي
لا تتسعه روعي الا اني في النهاية اتعمق في داخلي و
تعود حالة السواد التي تأسرني و اقول لك نظريا أنت
معي، واقعيا أنا وحدي؛ وفي ذلك الواقع المرير واقع الوحدة
و العزلة اجد مالم يكن في الحسبان وانغمس فيه واضيع
فيه حد النسيان ثم يعود جزء مني لاقناعك و اقول لك
بصوت قوي مملوء ثقة و اصرار* من علامات الجمال أن

تبقى وحيداً للأبد* انظر إليّ يا صديقي أنا أتعفن جمالاً؛ لا
تحكي لي عن نفسك حين أحدثك عن هم فذلك نوع من
الانانية يا صديقي لكن لم تعد المشكله في ماذا اقول؛ بل
كيف ستفهم انت

xx انا لم اعد اكثرث لنفسي؛ وعندما أحدثك عن نفسي
ليس لانني اريد ذلك ولكن لمجرد ان همومك هي همومي
فلا فرق ان اجبت متحدثا عن نفسي او عنك فنحن
واحد

xx فلا احد يدري حجم المعارك التي خضتها مع نفسي
.... لا بدو امامك بهذا السلام

xx وماذا عني؟؟ وماذا عن انا؟؟ من انا؟؟ ما انا الا رجل عرف
عن قلبه انه كان ميتا و حزينا الى ان عرفها؛

ما انا الا طفل صغير همه الوحيد لعبة يلهي بها نفسه فقط
لا حساسه او لمعرفته ان ما ينتظره بعد كل يوم يمر وهو
يكبر لا يطمأن؛ ما انا الا طفل مشاغب اخترت ان ادخل
بسيارتي في طريق امرأة تأبى التقيد بقانون الطرقات
فلاحظت اني الوحيد الذي يسير عكس السيارات الاخرى
وهذا ما يدعو البعض للقلق لكنني اعشق القيادة في كل

الظروف فالسيارة لم تصنع الا لتسير لا يهم اين وكيف ومتى بل الموهم اني اجيد القيادة؛ ما انا الا طائر كنت اطيح وحيدا في سماء واسعة كنت احلق وحيدا دون هدف ينقاد اليه الى ان وجد نفسه يعلن هبوطه الي اليابسة وما اجمله من هبوط بعد ان ادركت ان سبب هبوطهي كان سمكة تنادينني من بركة مياه راكدة ذهب لون الماء فيها ليصبح داكنا من كثرة من يرمي فيه قمامته لاحتلها بين منقاري؛ هلساعود وهما من جديد بهذه البساطة

×× الأمر الوحيد الذي نجحت في الاعتياد عليه دائما هو التظاهر بأن الأمور تجري على ما يرام؛ بينما داخلي.... يغلي من شدة الألم

وكم اني من محضوظ في حياة تكره الحظ وتنبذه فقد عشت عذاب شخص تركته حبيته التي عشقها ولم تعد وبقي يبكي في ركن من بيتهما الذي بنياه حجرا حجرا سويا بعد ان صار مظلما بعدها ولكني عشت هذا العذاب وانا راض به وليس في شك اني راض به؛ فقد عشت عذاب شخص تركته حبيته لكنها لم تتركني فكم

انا محضوظ؟؟

«كالوطن انت عندما اتحدث عنك كل شي يبتسم أفكر
فيك لبضع ثوان فتغدو حياتي حديقة ورد انت حاضر في
القلب يَنْقِصُنِي حُضُورُكَ فِي مَكَانِي وَلَا تُبْقِي لِي أَجْدُ يَدُكَ
....أَسْلَمُ عَلَيْكَ بِقَلْبِي

تجاوزت تناقضاتها مبالغتي في الاهتمام بها حتى صارت
قاتلة لا تطاق لكني عانقتها بغم يبتسم؛

«وقلبي يقول لي ان شيئاً أصابك وجعلك تكرهيني فجأة
لكنني في كل يوم أكتشفُ فيكَ سَبَباً مُثِيرَ....لِعَشْقِكَ اكتر
«الواثقون من الصداقة لا تربكهم لحضات الخصام؛ بل
يبتسمون عندما يفترقون؛ لأنهم يعلمون ان مافي قلوبهم
يختلف عما حكوه ماذا لو تجاهلنا الكوكب بأكمله ونظرنا
.....فقط في أعين بعضنا البعض

«سألوني لماذا أحببتها؟ فقلت مادام الله جمعنا من
دون اي سابق تخطيط فلماذا لا احبها؛ فقالوا اقنعنا بسبب
حبك لها؟ فقلت الامر يستحق شخص يحب او قد احب
بصدق كي يفهمني؛ لكن من الممكن لمن يملك قلبا مثل
قلبي ان يفهم اني احببتها لانها ليست مثل بقية النساء
فقد احببت امرأة؛ قالوا ومالنساء الا سواء كل مثل

بعض؟ لا؛ احببت امرأة في زمن صارت فيه اغلب النساء غير
مباليات لا باعراض ولا بشرف ولا بمبادئ بل واصبحوا مثل
حبة فزدق دحرجت نفسها ..بعيدا على شجرتها لينزغ
عنها ذلك الغطاء الذي يحميها

xxصدقني الامر لا ينحصر عند الحب والعشق لكني حقا
لم اعد انا؛ صرت شخصا آخر غريبا عني؛ احاول ايجاد
نفسي الضائعة في اللاشيئ لكن اللاشيئ كمثل العدم
لا بداية ولا نهاية له قد اجدها في اي لحظة وقد افقدها
للابد لكن المشكلة اني ابحت وانا مقيدة بسلاسل الوحدة
والحزن؛ عشقت الوحدة واحببتها اكثر منك سامحني؛ حتى
لو وجدت نفسي لن امسك بها بل سأغض بصري عنها
واتركها في حال سبيلها فهي لم تعد تلائمني بالاحرى لا
تستحقني فانا سيئة للغاية...

xxلست سيئة ولم تكوني يوما سيئة؛ الحياة هي
السيئة؛ الظروف هي السيئة؛ الزمن هو السيئ اما انت!!
انت ملاكي الطاهر؛ انت حورية من الجنة؛ انت عالمي
وكوني الازالي؛ انت انا....

رغم اني ادركت انها تركتني وانتهى الامر فقد ظللت
متشيئا بها بقوة؛ اصلا لن تكون الرسائل الا زيادة في

جرعات موتي البطيئ ذاك فقد قالت لي كل شئى وهي تنظر الي بلطف؛ قالت ان كل شئى بيننا انتهى وان علاقتنا لم تعد موجودة؛ بكل تلك البساطة؛ بكل تلك العبثية أنها تبخرت في الهواء؛ لكن لماذا؟ فيما اذنت؟ فيما اخطأت؟ ماذا فعلت؟ اكان اهتمامي بها ذنبا؛ اكان حرصي عليها خطأ؛ اكانت عناية البالغة بها خطيئة؛ جنت ومت ثم استيقظت من موتي واحترقت ثم مت ثم استيقظت من موتي واختنقت ثم مت من جديد ثم استيقظت من موتي ذاك وصرخت حتى سمعت صداي يهز الكون يكاد يبعثر الكواكب ثم مت من جديد ثم استيقظت من موتي مرة اخرى؛ استحضرت كلماتها تلك من جديد وهي تقف امامي وتنحني الي وتقول كل شئى انتهى تقبل الامر ببساطة فقمتم؛ كانت تلك الكلمات تترد في اذني وتهلو شيئاً فشيئاً في رأسي حتى محيت من الكون ولم يعد لي وجود؛ لم تعد الرسائل تهمل ولا الكلام يجدي؛ الصمت صار أرقى انواع التعذيب والموت صار نكتة تضحكني بشدة رغم اني لا اريد الضحك؛ كانت تدغدغني كلما سمعت حروفها الثلاث؛ موت؛ الصراخ صار موضة قديمة والاختناق اخذ مكان رثتي؛ النحيب والالين والشهق صاروا اقرب اصدقائي في

لحظة من الزمن؛الوحدة تزوجتني رغما عني ودون اي عقد زواج؛كان زواجنا مجرد اسم لكن الحقيقة انها ارغمتني على علاقة مخالفة لشرع الله وسنة نبيه؛اجبرتني على العيش معها في قبر مظلم انعدم فيه الهواء؛صار الهواء اضع من رائحة البالوعة؛

مرت ساعات في محطة القطار تلك وقد اقامت علاقة غير شرعية كذلك من وراء وحدتي مع الاكثاب وانجبت منها اطفالا وبناتا ثم تركتها وعدت الى ذاك القبر المظلم رغم اني استطيع الهرب دون عودة لكن الى اين سأهرب؟هل ساهرب من الواقع؟ام من الوحدة؟كلاهما متشابهان وقد صارا يتسابقان أين منهما يصل اعلى درجات القذارة معي؛واقع يهمس في اذني اليمنى ان الفتاة التي احببتها والتي خفت عليها من نفسي ذات يوم ثم قررت ان الازمها والتي وقفت امامي ذات يوم وهمست*احبك* *انت سر ابتسامتي*وجدت فيك الاب والاخ والصديق والحب والزوج**لن اتخلى عنك مهما حدث*؛ذهبت وتركتني بكل بساطة؛والوحدة تصرخ في اذني اليسرى انها ستعتني بي ولن تفعل ما فعلته حببتي؛اما انا؛اين انا حينها؟؛صدقوني لا اذكر؛اما اني مرمي في احد القبور

اتنفس لكني ميت ام انني محيت من الوجود تماما؛ لا اذكر شيئا....

اقنعت نفسي ان جمل العالم لن تغير فيما حصل شيئا فقد تركتني وانتهى الامر لكني لم استطع التفسير لها سبب كتابتي لتلك الرسالة مطلقا؛ لماذا كتبتها وقد كنت متأكدا انها ادارت ظهرها عني ورحلت بلا رجعة؛ تناولت هاتفي وكتبت بعين واحدة في حين اغلقت الاخرى حتى استطيع الرؤية لكن أسفا كان الامر متعبا وقد خلت اني سافقد بصري قبل انهاءها؛ هجأت بعض الكلمات واشترت بعضها الآخر من رجل عجوز منطفئ الوجه وقد بان كما لو انه عاصر كل حضارات الحزن والفقدان ولبس اثنان حلال الاكتئاب والوحدة؛ كان يبدو فقيرا؛ ملئ وجهه تجاعيد وشقوق؛ اما يداه فكانتا سوداوتان كليا من فرط العمل المرهق؛ ذكرني بأبي حتى خلته من يجلس بجانبني وقد افقت من تخيلي وادركت انه ليس أبي فأبي لا يدخن السجائر؛ وددت ان اطلب منه سيجارة لكني استحييت وتذكرت ان السيجارة لن تعيد الي حبيبتني حتى ان دخنت منها ملايين في تلك الليلة؛ لكن رغم حالته الرثة تلك الا انه كان يملك من الآداب والعلم ما لم اجده يوما باي

مدرسة؛ كان يشع حكمة ومعرفة رغم فقره لكني ادركت حينها ان الفقر ليس سوى فقر العلم اما المال فيأتي ويذهب دون حتى ان تشعر به؛ احسست انه استغرب لحالي واشفق علي اكثر حتى من اشفاقي على نفسي؛ كان يجلس بجانبني ينتظر القطار ليلا؛ كان الجو قد برد لكني كنت انتفض حرارة رغم ان جسمي كان باردا؛ لا يهم كتبت وارسلت وانتهى كل شيء كما قالت؛

«لقد تركتني اعرف لكني اعترف لك ان فلسفتك تلك قاتلة حقا بعد سماع ذلك الكلام الذي حول قلبي فتات واجزاء؛ قلبي الذي جعلت منه موطنا لك بنيت لك فيه بيتا متواضعا محاطا بالشجيرات والازهار وسط غابة صغيرة لا تكادين ترين في افقها شيئا من شدة اخضرارها وكثرة اشجارها التي يميل لونها الى لون قلوب حبات الفزدق؛ لم استطع فعل شيء غير البكاء الصامت وحتى ان سكت سيواصل عني قلبي؛ لم أستطع حتى التفكير فقد تجمد دماغي بكيك فكتبت لك دموعي كل هذه الكلمات التي لن تغير شيئا اعرف؛

نشفت دموعي فاكمل عنها قلبي الكتابة حتى كادت تنشف دمائي كتبت وكتبت وكتبت وقد تركت في جسدي

قطرة دم واحدة تجعلني على قيد الحياة حتى يوم عودتك
إلي؛ أصبحت تائها في ثناياك المتشابكة؛

احاول فهمك؛ افهمك ولكن في كل مرة افهمك فيها
يعترضني شئ جديد يستدعي البحث والفهم فاحاول
فهمه وافهمه وتعاد نفس الكرة؛ لا اعرف الى متى سابقى
احاول حل هذه الاحاجي لكن كل ما اعرفه وكل ما انا
مؤمن به هو اني ساواصل حل هذه الالغاز حتى احل اخر
لغز وامسك بك واخرجك من هذه المتاهة؛ هي بمثابة
لعبة؛ لعبة وضعتها الحياة؛ اخذتك بعيدا عني وتركت لي
الخيار؛ فاما ان ابحت عنك او ان اعلن خسارتي
وتراجعني؛ صحيح ان الحياة هي من اوجدتني بفضل الله
ولكن من الممكن انها لا تعرف انها اخذت مني روعي التي
يوجد بها قلبي وفي هذه الحالة فان التراجع امر مستبعد
ومستحيل؛ لا يمكنني ان مناقشته حتى مع نفسي؛ فان
لم ابحت عن روعي اموت لذلك قررت خوض هذه
المغامرة؛ لا املك الوقت للتفكير في القوانين او
المبادئ؛ ليس هناك مكان في عقلي للتفكير في شئ
اخر غيرك انت؛ اسمك فقط ملا كل ذاكرتي وافاضها؛ لذلك
ساخوضها بقوانين الدنيا لا اهتم ان كانت في صالحني او

ضدي كل ما اعرفه ان الفوز لي ويجب ان يكون لي لانك
ستكونين الجائزة؛ في الحقيقة انا لا اسعى وراء ربح
مكافئات او جوائز؛ بل اسعى وراء استعادة شئى يخصني
سرق مني ويجب علي اعادته؛ دنيانا لا توفر الا الشقاء
وترياق الشقاء هو الصبر وانا والصبر صديقان منذ زمن طويل
ومن الطبيعي الان ان يساعدني في لعبتي هذه؛ ذاك حال
الاصدقاء؛ يوما ما؛ سنكون معا؛ سنجلس معا ونغني نفس
الاغنية؛ يوما ما سنكون معا في الحلال؛ لكن كل الذي
يجري الان يبقى محظ خيال؛ كل هذه الاعذار والاسباب
للفراق تبقى مجرد افرازات نتجت من عقلك بسبب
امتلاءه؛ بسبب امتلاءه بافكار واوهام تدعوك للعزلة؛ تدعوك
للجلوس بمفدك على كرسي ذو مقعدين امتلاً المقعد
الاول بك وبقي المقعد الثاني فارغا وبقيت انا وقفا في
الجوار؛ واقف واعرف اني سوف اتعب من الوقوف لاني
احمل على كتفي وجع البعد عنك رغم انك امامي؛ احمل
وجع سببه اني اراك تائهة في غرفة مظلمة دخلتها وحدك
واغلقت بعدك بابها وبقيت انا انتظرك امام الباب حتى
تفتحيه لي وتدخليني معك او حتى تخرجني من الغرفة
فتجديني امامك وتاخذي بيدي وتقولني انك اكتفيت من

العزلة وانك صفت ذهنك وتأمريني باخذك الى عالم النور والضوء؛ تأمريني بان اعيد لك ما ضاع منك؛ تأمريني بعدم ترك يديك؛ تأمريني بمواصلة الغرق في حبك لتجديني من الطائعين؛ لا اعرف كم سابقى واقفا امامك انتظر حتى تقولي اجلس فقد عدت اليك من جديد؟ لا اعرف الى متى سأبقي واقفا انظر اليك وانت تتعذبين؟ لكن كل ما اعرف اني سأظل واقفا ولن اتحرك من وقفتي حتى تأمريني بالجلوس الى جانبك؛ كل ما اعرف اني لن اكل ولن امل ولن اهتم لتعب الوقوف طويلا لان تعب فراقك سيكون اصعب من تعب الوقوف باضعاف مضاعفة لا تنتظري مني ان اقول لك تعبت او مللت او ضقت ذرعا؛ لا تنتظري مني ان اتحرك من مكاني او اذهب بعيدا عن كرسيك لان انتظارك هذا سوف يطول ويطول ويطول حتى تصلي الي ذلك اليوم الذي يأتي فيه ملك الموت ليأخذك ويأخذني الى حيث لا نجد مللا او تعباً او هموماً او مشاكل او رذائل او اوهام الى حيث سنكمل ما بدأناه ونزيد عليه الى حيث لن تضطري للبحث عن نفسك لانك لن تضعيها من الاساس؛ لكن الى ذلك الوقت لا تنتظري مني الرحيل حتى ان طلبتي ذلك مني؛ لا تنتظري اني سوف امل من انتظارك

وانت تبحثين على نفسك الضائعة؛ومن الممكن اني
ساجدها لك واحضرها دون ان تتعبني وتكلفني نفسك تعب
البحث؛ ولكن الموهم عندي انه طالما تجلسين على هذا
الكرسي سأضل احرسك من جهة وارقبك من جهة وانتظر
منك تلك الهمسة؛من الممكن اني سانتظر طويلا حتى
اسمع صوتك يقولها؛صوتك الذي لطالما كان نغمات اراحت
اعصابي؛من الممكن اني لن انتظر طويلا حتى اسمعك
تقولين*ماذا دهاك لماذا تقف عندك بعيدا عني تعال
واجلس فمكانك هنا الى جانبي تعال هنا فانا احبك يا
مجنون قلبي*او انك ستقفين من مكانك فاغمض عيني
لبرهة خوفا انك ستهربين مني لاجدك تعانقينني بشدة
حتى اعجز على رفع يدي اليك لكنني سأقاوم واتحرك؛اضع
يدي على خدك ثم انظر في عينيك واقول لك اسامحك يا
صغيرتي؛ اسامحك يا من جعلتي قلبي يبكي دمه لان
دموعه نشفت؛ اسامحك يا من احببتي قلبي وجعلته ينبض
من جديد؛ قبل ان تقولي انت سامحني على ما فعلت بك
يا رفيق دربي؛تذكرني ان هناك من يذكرك في ...كل سجود
كانت المسافة الفاصلة بين اصبعي ولمسة الارسال
مليمترا او اقل حتى؛ لكنني شعرت انها كانت ملايين

السنوات الضوئية؛ كان الرجل قد وشك على إنهاء تلك السيارة وقد ظل ينظر الي دون ان يشعرني بذلك؛ رميت الهاتف واخذت نفسا اضن انه اشعر العجوز بالذعر؛ لم ازفر حتى؛ وما فائدة الزفير ان كان الشهيق وهما؛ مدت يدي ببطئ نحو يد ذاك الرجل المسكين حتى ادركت سيارته التي كادت تكتمل؛ اخذتها بيمني وقلبت يدي اليسرى وظللت اضع الجانب المشتعل على يدي لبرهة؛ اردت ان أعرف ان كان الألم الذي بداخلي حقيقيا ام اني ألعب احد الادوار في فيلم ما؛ تمنيت لو اني اشعر بحرارتها تكاد تثقب يدي وتخرقها نحو العظام؛ لكن السيارة صارت فوق يدي وانطفأت ولم اشعر بشيء مطلقا.....

وجه شاحب وبارد كالموت؛ عينا حمراتان؛ منطفئان؛ مغلقتان؛ شففتان صارا أميان لكلمة ابتسام؛ يدان مقبضتان؛ رجلان كان لهما الفضل في ارشادي الي البيت؛ جسد هزل في بضعة دقائق وصار جلدا على عضم؛ اما انا فما عدت اعرف عن نفسي غير اني مت منذ ساعة ورمي بي في اللاشيء؛ رميت جثة السيارة الميتة تلك؛ كان العجوز قد بلع لسانه واخرس أنفاسه وتجمد في مكانه وهو ينظر إلي بغم مفتوح كان ليدخل عبره كوكب؛ كانت عينا مغلقتان

ورغم ذلك رأيت مشهده ذاك؛ رسمت لي قدماي خطواتي
نحو البيت وقد همست للرجل دون ان انظر اليه؛

«التدخين لن يقتل يا أبي اياك ان تكف عنه يوما؛ اجعل
حبك كله لتلك السيارة واياك ان تستبدلها بامرأة.....

وقفت ومشيت ولم يقوى الرجل على النطق بحرف؛ حتى
انه لم يتبعني بنظره بل ظل في تجمده نحو مكان جلستي
تلك؛ لم التفت لكني عرفت بالمنطق فهذا ما يحدث في
لحظات الذهول والتجمد تلك؛ كان مساء قذرا ومسحا وقد
ظل ذاك اليوم يتكرر امامي في كل ثانية تمر.....

مشيت تلك المليون خطوة نحو البيت؛ لكنها في الحقيقة
لم تكن غير مائتين عددها وانا اردد اسمها؛ رددته مائتي
مرة منذ اول خطوة حتى اخر خطوة امام سريري؛ اما
الطريق فقد كان بمثابة السير فوق مسامير ساخنة وصدءة
والمطر يهطل علي حمما مذيبة؛ فقدت الثقة مع تلك
الخطوات نحو البيت؛ فقدت الثقة في كل شئ؛
الصداقة؛ الحب؛ الاخوة؛ الصدق؛ الوفاء؛ البشر؛ الحياة؛ الهواء
؛ الكون؛ الماء؛ فقدت الثقة في الثقة نفسها وفقدت الثقة
في نفسي ونسيت كل شئ منذ ولادتي حتى تلك
الليلة لكني رغم ذلك ظللت اردد اسمها حتى وصلت؛ حقا

لقد انتهى كل شيء ببساطة؛بالاحرى انتهت هي كل
شيئ ورمتني في البحر كحصى؛ظلت تلك اللقاءات
الاحدا عشر محفورة في ذاكرتي بنقوش صارت لامعت
وواضحة اكثر كلما حاولت محوها.....

16 من سبتمبر 2017؛الساعة 19:56 مساء؛كان تاريخ
موتي وقد خمنت ان اترك تاريخ ولادتي للمجهول واكتفي
بتدوين هذا التاريخ فوق قبري اللعين؛اضن ان ذاك العجوز
قد فوت قطاره ومازال في تجمده ذاك على الاغلب
سيضطر لقضاء الليل في المحطة ويعود الى بيته في
الصباح فالقطار الذي فوته كان آخر قطار.



استيقظت ببطئ؛فتحت عيني بسلاسة وقمت من
مرقدي وجلست؛

غرفتي المظلمة؛سريري؛حاسوبي؛الطاولة والكرسي
وسماعات الاذن؛قفازاتي والكيس المتدلي من السقف؛
عدت الى عائلتي بعد رحلة تمنيت الموت فيها؛لقد مت
بالفعل وتحققت امنيتي لكن بأسا كان موتا نصفيا بقيت

فيه ذاكرتي على قيد الحياة؛ اعلم انها سخرية القدر فلو ماتت ذاكرتي وبقيت باقي اعضاءي على قيد الحياة ما كنت لتقرء ما قرأته منذ البداية وما كنت انا في هاته الغرفة اساسا بين هؤلاء المجانين الذين لطالما ضننت انهم الاطباء المشرفون على علاجي من اکتئابي الحاد هذا لكن تبين انهم هم المرضى وليس انا فما دمت اکتب فانا لست بمريض ولن اتسبب لك في تشويه عقلك او عقل ابناءك الصغار ان قرءو الرواية لا تقلق فکتاباتي لديها من السلام ما يكفي لتقويت ايمانك وتقواك والله معيني على ذلك بالطبع؛ الفضل له اساسا.....

تلك الاغنية خرسست منذ برهة وصرت اسمع مكانها اغنية اخرى اضن انها قادمة من مكبرات الصوت الموجودة في سيارة جارنا؛ كان يسهر رفقة صديقه على الاغلب وقد عاد الي البيت ككل ليلة عند الثانية بعد منتصف الليل؛ الجميع يتذمر منه بسبب الضجيج الذي يحدثه في ذاك الوقت؛ هو سكير وفاسد يسعى وراء الفتية دوما؛ هو من مجموعة الراقين اولائك؛ اصحاب الأموال والنفوذ والفكر والاخلاق الحميدة؛ اضن ان الناس ينادونهم بالشرفاء او النبلاء لا يهم؛ تسللت الاغنية عبر فتحات النافذة كالعادة وقد

استغربت كيف له ان يسمع ذاك النوع من الاغاني؛ كانت
اغنية حزينة تعبر عن حب رجل لامرأة تركته او انها رفضته
لاجل فقره لا اعلم وقد كان جارنا بعيدا على ان يحب؛ كان
يحب الجمال الخارجي ويواعد كثيرا من الفتية؛ لا يهم تبا
له ولهن ولحبهم لكن الاغنية راقت لي واعجبتني وقد
احزنتني بقدر ما أسعدتني؛ نفس المغني ونفس الصوت
وكلمات تماثلت وتشابهت؛ شردت معها واستسلمت
لالحانها وقد اغمضت عيني الحمراءوتان؛

قولوا لها إنني

لازلت اهواها

مهما يطول النوى

لا انسى ذكراها

هي التي علمتني كيف اعشقها

هي التي سقتني شهد رياها

روح من الله؛سواها لنا بشر

كساها حسنا

وجملها وحلاها

كان هو الاخر يستمع اليها في السيارة وقد اخرجها ونزل الى حيث لا يهمني؛ عم الصمت من جديد لكني كنت قد افقت لتوي من حلم اشاهده كل ليلة بتفاصيله واجزائه وفي كل مرة يعاد كما هو دون ان ينقص منه شئ؛ رحلت ادندن وحدي متجها نحو حاسوبي؛ كنت سعيدا لكني حزين ومكتئب وقد ذاق نفسي وصعب على الهواء الولوج الى رثتي؛ كانت جملا عشوائية ترتطم بي وتلكمني وانا في طريق نحو الحاسوب وقد اعتدت التحمل واتقنته؛ كنت اعانقها واحولها الى اصوات عوضا عن بقاياها في طور الافكار السخيف ذاك؛

✻✻✻ عانقني حتي تغيب رجفة قلبي من خوف فقدانك ✻✻✻
✻✻ سنكون انا وانت كالقلب والجسد؛ انت تنبض وانا اعيش بك ✻✻✻

كانت هاته الافكار لا تكل من صفعي وقد مرت وجنتاي من الاحمر الى الازرق القاتم لكني لم اتعب يوما من عناقها وتحويلها الى كلمات أنطق به تخفيفا لالم الصفة؛ كانت غرفتي تعج بها وبغيرها حتى اني لم اجد مكانا لجملي التي صرت ألملمها من تناثرها وقد اختفت تحت السرير هربا من ذاك الضجيج؛

«اعشقتك في اليوم اربعا وعشرون ساعة؛اضف اليهم ساعتين من صنعي..»

«اتعلم سر ابتسامتي تلك؛انت سرها يا حبي.»

هي لا تنتهي ولا تتوقف على فكرة وقد تمل وانت تقرأها لكني لا امل من احتضانها ابدا وقد اعدت ذلك كل ليلة طول اشهر مضت لانني لا اجد شيئا افعله في اوقات راحتي من الكتابة فاما تراني اكتب او اعانق الكلمات واسمح لها بصفعي واحولها الى كلمات؛اضن انه عمل مرح ومسل؛على الاغلب معانقة الكلمات افضل من مشاهدة فيلم بائس يروي قصة بائس تعرف على بائسة

وعاشوا معا اياما بائسة فتركته بعد كل ذلك وحيدا ليجد نفسه يكتب رواية اشد بئسا منه؛افضل من تصفع الفيسبوك الذي يعتبره البعض بيتهم الثاني وما هو الا بيت دعارة مرخص له بانتاج عقول متخلفة فكريا يعيشون الحياة سعداء ويفرضون انفسهم بطريقة ما ويبتون افكارهم الحمقاء الى الناس والمؤسف ان الناس تتابع بشغف،بائسون فكريا يصل بهم بئسهم ان يعتبرو مجرد نشر صورة او تنزيل جملة ومتابعة عدد المعجبين بها انجازا؛تبا لي لانني اجعل لكم مكانا في روايتي وتبا لكم

ولما تصنعون؛ جعلني الملل افتح حساب فايسبوك منذ ايام
وقد ضحيت بدقيقة من وقتي لانني وددت السخرية من
صانعه؛ فتحته وجعلت له اسما وصورة وكتبت فيه جملة
كان فيها من السخافة الشئ الكثير* هل لك ان تجرب
تغيير المنتج ولو لمرة؛ جرب ولن تخسر شيئا ولو فشل
المنتج الجديد ألفه ؛ جرب انتاج عقول راقية تقرأ كتابا
واحدا وتفكر لنصف يوم فيما قرأت ثم تكتب بتلك الافكار كتبا
وروايات؛ شكرا على التفهم...* اغلقته ولم افتحه مطلقا
ولم ارى ماذا حدث لتلك الجملة لكن اضمن انه اقتنع بفكرتي
وعمل بها فقد سمعت ان شهرته

صارت تزداد شيئا فشيئا؛ وددت ان اعيد فتح حسابي
واكتب له لا داعي للشكر انت على الرحب لكني نسيت
ويكفيني ما اضعته من وقت المرة السابقة فقد كلفني
تلك الدقيقة ان اضعته علي فكرتين مهمين وانا ابحت
عنهما منذ أيام.....

ادركت حاسوبي وحملته؛ كان ثقيل على غير عادته وعلى
ما اضمن فقد ثقلت عليه هاته الرواية حتى صار يتخلص
تلقائيا من بعض الملفات الاخرى حتى يخفف عن نفسه
وقد اوصيته ان يحذف قدر ما يشاء ووقت ما يشاء وانه حر

في كل شيء يفعلهُ على الا يلْمس الملف الذي يحتوي على كتاباتي تلك فاحترم رأيي ولم يمتنع عن التنفيذ؛ كان يحذف من نفسه طول الوقت دون توقف من اجلي؛ لطالما كان صديقي في وحدتي تلك؛ لطالما ساعدني في صراعي مع نفسي؛ مع ذاتي؛ مع اكتآبي؛ لطالما نظم لي افكاري حين اشوش واغلق عيني وانا اكتب؛ لطالما ايقضني بحرارته كلما غفوت فوقه من فرط التعب؛ اي صديق كان ذاك وهل كنت اتخيل انني سألقي الخير في مجرد آلة تعمل ببطارية حين اجد نفسي وحدي؛ صدقني لم اتصور ذلك يوما حقا ان البشر لأوغاد...

مللت الجلوس على ذاك الكرسي البارد والصلب؛ عانقت حاسوبي الذي لم ينطفئ لاشهر متتالية واخذت ركنا من الغرفة وجلست على الارض؛ كانت تجبرني على ملازمتها كلما استحضرت صورة واي ملازمة تلك؛ كنت اهوي اليها ببطئ شديد وكانني اسبح في الفضاء لاجد نفسي طريقا عليها أقبلها واعانقها؛ لطالما كرهتني لسبب جهلته اذ لم افعل لها شيئا منذ اول يوم سكنت فيه؛ فحتى المشي كنت امشي حافي القدمين فأين الاذى الذي الحقته بها

لتشعرنني بكل ذاك الألم والبرود؛ جلست على الارض قرب
النافذة وانا لا ازال ادندن تلك الجمل واحصيها؛

إنّ مقياس الحب الذي تشعر به لشخص ما لا يكون
بحجم سعادتك حين تكون برفقته بل بمدى الألم والفقد
.....الذي تشعر بها حينما يغيب

كانت كلمات مؤلوفة بالنسبة لي اما اني قرأتها في احد
الروايات ام انني سمعتها من احدهم حين كانت لا تزال
عندي ثقة بالعالم الخارجي لكنني لم افهم مالذي أتى بها
الى غرفني او بالاحرى الى عالمي؛

وانا تعبت من كل شيء اخر؛ لكنني لا اشعر ابدا
....بالتعب منك

جعلتني هذه الصفحة ابتسم لارادية لكنني لم اعرفها
اهتماما مادمت لم افهم سببها؛

...وانني منك وإنك مني؛ وان كنت أنا نصفك فأنت كلي
اخذت نفسا رجني واشعرنني بقشعريرة ساخنة؛ ولجت
الى حاسوبي وقد فتحت قسم الرسائل مثلما افعل كل
ليلة؛ عانقت اخر صفعتين ودندنتهما؛

✕✕ وسلاما علي رجل وضع عينة في قلبة عند مرور
...الاخريات إرضاء لربه ثم إخلاصا لها

✕✕ أنا دائما لك وحدك؛رُغم كل من حولي رغم كل
إلتزاماتي،رغم المسافة التي تفصلك عني ورغماً عني
...إنا أيضا

كانت جملا غريبة عن التي اعرفها تملأ عرفتي لكنني رغم
ذلك عانقتها بابتسام اذ ان التجاهل لم يكن من
اساليبي؛لطالما نفيتها من عالمي دون اي جرم ارتكبه؛
ادركت قسم الرسائل الذي فصلته عن صفحة الفايسبوك
خاصتي تلك حتى صرت ألج الى رسائلي دون رؤية ذاك

الوجه البشع؛كانت راحتي المعتادة كل ليلة من الكتابة
وقد تعودت قضاءها في الكتابة؛لا شئ اجمل من كتابة
رواية ما ثم اخذ استراحة قصيرة في كتابة شئ ما مختلف
عما كنت تكتبه سلفا؛كنت اعيد كتابة نفس الرسالة كل
ليلة لكنها لا ترسل الى وجهتها المفترضة بل انهيها
وارميها في احد الملفات في حاسوبي؛ليس في ملف
رواياتي بالطبع لاني اعود في الليلة الموالية ولا اجد لها
اثرا اذن هي لم توضع في ملف الروايات لذلك كان صديقي
يمحوها قبل بزوغ الشمس وما كان ليمحوها لو لم تكن

تثقل عليه؛ لكنني كنت اعيد كتابتها كل ليلة؛ كانت حملا على مخيلتي اتخلص منها وارميها في حاسوبي الذي يرميها من جهته في اللاشيئ وكم من رسالة بعثت في اللاشيئ؛ ما لا يعد ولا يحصى والكل لهم نفس المحتوى ونفس الكلمات لا حرف ينقص ولا جملة تتغير؛ توكلت؛

سلام... لن اسأل على حالك لأنني أعرفه؛ لن اسأل على رؤى فهي مازالت صغيرة لا تعرف من مر الحياة شيئ اذن هي بخير او ربما تعاني نزلة برد خفيفة فهذا وقتها؛ المهم انها تتردد على الروضة وتستمتع بوقتها معك احيانا؛ لطالما استمتع به وكان للنزهة طعم خاص معك فحتى لو اخذها الاخرون وطافوا بها حول العالم فنزهتك انت استثناء مثلك؛ لن أسألك عن امك فعلى الاغلب شفيت منذ زمن وعادت الى عملها كالعادة وعادت ايضا الى تسيير شؤون البيت مثلما تفعل اي أم مسؤولة؛ ابليها سلامي؛ ابوك لا اعرفه حتى فكل ما سمعته عنه انه رجل طيب وناجح لكنه يمر ببعض المشاكل النفسية ادعو له احيانا بالشفاء كلما تذكرته؛ اخوك واختك لا استطيع لا السؤال عنهما ولا التحدث ايضا؛ لا يهم كل ما يعنيني انك ورؤى بخير والحمد لله؛ مبروك عليك العمل على فكرة سعدت كثيرا

حين اخبرتني بذلك؛ صار بإمكانك الان الاستقلال اكثر من قبل فقد صرت تتقاضين اجرا وايا كان الاجر الذي تتقاضينه فانت تستحقين اضعافا مضاعفة منه لانك اجتهدت في الدراسة وتعبت بما كان كافيا لان تكوني الاولى بالجامعة على مدى سنوات؛ المهم تهاني مرة اخرى صار بإمكانك الان التنزه والخروج مع اصدقاءك في اي وقت يروق لك؛ شراء الملابس التي تعجبك وشراء الشوكولاتة لك ولرؤى؛ الذهاب في رحلة بين الجبال والاستمتاع بالمناظر الطبيعية والساحرة مع اصدقاءك وطبعا جمع المال للسفر واكمال دراستك بالخارج وهذا خبر اسعدني كذلك؛ اعرف لقد فتحت امامك ابواب كثيرة بفضل دراستك ومجال عملك وهذا ايضا خبر افرحني واسعدني؛ حقا ليس هنا حبيب في هذه الحياة اوفى واصدق من عمل المرء؛ طيب لا يهم اردت الاطمأنان عليك فحسب يكفيني انك بخير وان رؤى سعيدة بفضلك.....

مرت اشهر يا صديقتي الظريفة ورسائلنا لم تسمع كلمة متصل بيننا مطلقا حتى يئست واحنت رأسها الهزيل وخلدت في سبات مخيف لا يعلم بحاله الا الله ثم انا؛ لا تقلقي صرت احرسها لاجلنا واحاول ايقاضها كل ليلة لكنها

تأبى الاستيقاظ؛ اكذب ان قلت اني سعيد في حياتي رغم
اني اعمل والبس احسن لباس واكل طبخ أُمي وأُمي
لاتزال على قيد الحياة وأبي يصل في البيت واخويا مازالا
بخير ولم يكفا عن شجارهما ذاك واختي لا تزال مجنونة
وأصدقائي يملئون حياتي فتيات وفتيانا لكن لا احد من
هؤلاء ولج الى مخيلتي ولو لثانية غير أُمي التي لطالما
كانت تسكن جزءا منها والجزء الاخر؛ لا اعلم ان كان الله او
أُمي سيسامحاني لكن لطالما كان ميلي دوما للجزء
الاخر من مخيلتي والذي انشأ خيطا بينه وبين قلبي حتى
صارا واحدا؛ جزئك انت يا قصيرة القامة؛ لكنه انطفئ منذ
اشهر ورغم انطفائه الا انه ظل يعمل في العتمة؛ جنون
لكنه صار انشط من قبل رغم تلك الظلمة؛ اتعلمين اني
حزين للغاية؟؟

اتعلمين اني اعيش حالة من الاكتئاب تجاوزت الحد وقد
تعودت عليها وعاشرتها حتى صرت لا اقوى الاستغناء
عنها؛ على الاغلب تلك اجود مراحل الاكتئاب؟؟

اتعلمين انني وحيد وقد تزوجت الوحدة دون اي عقد او
وثيقة او حتى شهود؟؟

اتعلمين أني ابكي كل ليلة ولا احد يعلم بذلك حتى لا يقولو لي تلك الكلمة الغبية*لا تبكي فأنت رجل*سمعتها كثيرا من قبل أصدقائي الذين ابتعدت عنهم؛ اصلا لم يعد لي اصدقاء ابد وكل من قالوا لي تلك الكلمة ليس لهم من الرجولة الا الاسم؛ لا يهم لن نثرثر؟؟

اتعلمين اني صرت اعيش داخل غرفة ينعدم فيها الهواء ومالاختناق الا قفل يغلق باب غرفتي لكنه سهل الكسر وحتى لو كسر وفتح الباب لن يتغير شئئ فالهواء منعدم في كل الحالات؟؟

اتعلمين انني صرت صامتا قليل الكلام حتي انك لو جلست الى جانبي ما ادركت انني احذوك لشدة صمتي؟؟

اتعلمين اني قمت بعملية على بطني وقد قمت برشوة الطبيب وطلبت منه ان يضع سما مع المخدر حتى اموت قبل انتهاء العملية او بعدها لكنه اخذ المال ولم يقم بذلك ومن جهتي لن اسامحه على فعلته تلك ما حييت؛ اذا كنت لا زلت تذكرين فانا مسالم لم اضربه ولم امسس منه شعرتا واحدة ولم اسأله حتى لماذا غدر بي وحرمني من الموت؛ماذا كان سيخسر لو فعل ذلك اصلا ما كان ليعرف

احد انه سممني ومن سيخبر عنه غيري وأنا ميت؛ لا يهم
لن اسامحه وحسب؟؟؟

اتعلمين اني صرت عنيفا اكثر من قبل بكثير؛ صرت اضرب
الاشياء واحطمها على امل ان احس بالألم لكن عبثا لا
اشعر بشيئ مطلقا؟؟

اتعلمين انني اتحدث اليك كل ليلة واسألك عن حالك وعن
حال رؤى وامك ومستجداتك وانت تجيبين بابتسام
كالعادة؛ اسمع ضحكاتك كل ليلة من بين تلك الكلمات؛ لا
يهم لكنك صرت تنامين باكرا على غير العادة؛ اعلم ان
العمل مرهق ومتراكم؛ فليعنك الله.

اتعلمين انني فقدت الثقة في كل شيئ تستطيعين
تصوره؛ فقدت الثقة في الصداقة والحب وصرت ازور الانترنت
احيانا واكتب ما معنى حب او صداقة لاجد موسوعة كاملة
تشرح هاتين الكلمتين وتفصلهما فاقراء كل تعريف لهما
على حدا وافهمه واحفظه جيدا لكني انساه بعد مرور
دقيقتين او اقل من قرائته؛ فقدت الثقة في الاخوة، في
الصدق، في الوفاء، في البشر، في الحياة، في
الكون؛ فقدت الثقة في الهواء، في الماء النقي؛ فقدت الثقة

في الثقة نفسها وفقدت الثقة في نفسي وصرت غريبا
عني؟؟

اتعلمين اني اشعر باليأس والعجز والضجر مع كل رمشة
عين؟؟

اتعلمين انني مت منذ ذاك اليوم لكن المؤسف انني مازلت
على قيد الحياة؟؟

اتعلمين انني جائع وظمآن للغاية رغم اني اكلت منذ
دقيقة؟؟

اتعلمين انني مريض بسرطان التفكير الذي افسد كل
شيء في حياتي واول ما افسده هو صلاتي؛ لقد حرمت
من نعمة الخشوع في الصلاة لاني صرت أركب جملا
واكتب روايات في مخيلتي وانا اقف امام ربي ادعوه
المغفرة وتقبل الصلاة والدعاء؟؟

أتعلمين انني لم اعد اعرف معنى الراحة والنوم في الليل
أتعلمين انني اسأل عن حالك في اليوم ثلاث مرات واحينا
اكثر؟؟

اتعلمين اني لا زلت الى جانبك ولم اترك يوما؟؟

اتعلمين أني افتقدك واشتاق إليك كثيرا؟؟
اتعلمين انني صرت احبك اكثر مما مضى؟؟
اتعلمين انني صرت اغار عليك اكثر من قبل؟؟
اتعلمين انني ادركت بعد ان تركني انني لم احبك قبلا
مقارنة بالان؟؟

اتعلمين انه لم يتغير شيء ولم ينكسر شيء بيننا؟؟
أتعلمين؟؟اجل طبعا لا تعلمين لانك لا تسأليني عني وعن
حالي مطلقا؛ واجل اعرف انك نسيتيني واخرجتني
اسمي من مخيلتك ومحوت صورتي من ذاكرتك كما لو انك
لم تعرفيني مطلقا؛ طيب لا يهم لكن أريد ان اطمأنك على
تلك الصورة التي رسمناها سويا بقلم واحد تمسكه يدينا
وزيناها ونحن جالسان على الشاطئ؛ لا تقلقي فهي
مازالت كما تركتها لم يتغير فيها شيء ولم ينقص؛ مازالت
كما هي لم يمسه احد؛ اصلا من قد يصل اليها فقد
خبأتها في ذاكرتي يا صديقتي لكنها منطفئة ولم يعد ذلك
الضوء يشع منها؛ صارت ظلما مخيف؛ صارت معتمة تثير
الشفقة والحزن لكن رغم ذلك مازالت جميلة
ومغرية؛ مازلت فيها كما لطالما كنت دوما؛ مازالت روحك

تصدر ذاك النور المعمي ومازالت نفسك تصنع تلك الجاذبية ومازال قلبك يفرض قوانينه واحكامه؛مازالت عينك مبيدتان ولم يغادر ذاك الكوكبين مكانهما؛مازالت شفتكان ترسمان تلك الابتسامة الصادقة ومازالت ملامحك بيضاء ناصعة كما عهدتها؛مازال وجهك صادقا وبريئا ومازالت جذابة وفاتنة بنفس ذاك القصر؛مازلت جميلة؛مازال كل شئ في مكانه لم يتحرك لكنه تغير؛ ما زال اسمك ورقم هاتفك مسجلان كما كانا منذ اول يوم؛ ما زالت صورتك تبتسم في شاشة هاتفني ومازلت انظر اليها كل دقيقة؛مازالت تسميت*زوجتي*على حالها ولم تتغير؛مازالت صورك منذ اول صورة حتى لحظتك هذه تملأ ذاكرة هاتفني وقد عجزت عن حذفها ام اني استحييت لا اعلم المهم انها ما زالت؛ذاك المكان الذي سجل اول لقاء لنا صار مظلما ليلا ونهارا وظلامه في النهار اشد واغظم؛ تلك السفينة صار الصدى ظاهرا عليها وقد ازاحوها من هناك بكل ما تحويه من اسرار وقصص دفناها سويا حتى رتاج كانت نائمة فيها ولم تشعر حتى بتحركها؛ذاك الشارع صار يعج بالقدارة اعظم من ذي قبل وحتى الاموات الذين لطالما شهدوا على كل تلك القدارة وصل خجلهم حده الاقصى وانتقلوا الى مقبرة

اخرى في الجبل بعيدا عن كل ذاك الجهل؛ اما باحة
المسرح فصارت قاحلة ويابسة لا حياة فيها؛الشاطئ
ومكاننا يا فرحتي صار حالهما اسوء من حالي؛نحيب
وصراخا كانهما رقعة قتال يصرخ فيها الضعفاء ذعرا من امرأة
واحدة تحمل سيفا؛لكن حقا كانت قوية؛ صارا يسألانني
كل مساء احد*اين تلك الحسناء التي كانت تأتي معك
دوما وكانت ترافقك كظلك*اين تلك الجميلة التي وقفت
على رمالنا بسلاسة ذات مساء امامك وقالت لك احبك
؛اتعرف صدق تلك الكلمة وتلك الابتسامة المصاحبة لها هز
كل ارجائنا حتى افنى كل السمك الذي فينا*؛كنت احرص
في كل مرة واحني رأسي واذهب لاني استحييت ان اقول
لقد تركتني؛لم اشء ان يسيئ بك البحر الضن ويكرهك
ظلما؛ اما المدينة فقد صارت بفضلك جحيما اهرب فيها كل
يوم من الواقع ومن نفسي؛لو تعلمين كم صرت اكره البحر
والشاطئ واکره المقاهي واکره البشر وامقت نفسي
واحقد عليها؛لكنك رغم ذلك جمعت من السوء ما لم يرا
ولا يسمع وما لم يخطر على قلب وعقل متفلسف؛ جمعت
من السوء ما لا يزول ولا يفنى؛جمعت من السوء ما لا
يدركه عقل ولا علم؛جمعت من السوء ما هو كافي لخلق

كون جديد مظلم وخانق؛ لو تعرفين كم انت سيئة يا حبي؛
سيئة بمجاز مطلق؛ سيئة لأبعد حد؛

سيئة للحد الذي الذي جعلتني فيه كاذبا قدرا؛ صرت اكذب
في اليوم والساعة والدقيقة والثانية ما يحصر ولا يعد؛ اكذب
على أمي واقول لها اني بخير ولا شئ بي؛ اكذب على
الحمقى الذي يدعون انهم يسالون عن حالي واقول اني
بخير؛ اكذب على الجميع واقول اني سعيد لا ينقصني
شيء؛ اكذب على نفسي يا صديقتي واقول لها انك لم
تتركينا ولم تنسينا؛ اكذب واكذب واكذب حتى سميت عند
نفسي كذابا....

سيئة للحد الذي جعلتني فيه منافقا زنديقا؛ اصبحت
ابتسم في وجه الصديق والغريب وانفجر ضحما كلما قصوا
علي نكتة بائسة مثلهم وابتسم اذا ما قال لي احد انه
يحبني او يشتاق لي ويفتقدني؛ ابتسم كلما رايت فتاتا
تشبهك في الملامح وابتسم عندما امر على مقربة من
الشاطئ وابتسم اذا ما قرأت شيئا عن الحب
والصدق؛ ابتسم كلما قبلت أمي من جبينها وابتسم اذا ما
نظرت الى هاتفني؛ ابتسم وانا حتى لا اعرف ان كان
الابتسام فعل جيد او غير اخلاقي؛ ابتسم واطيل الابتسام

وانفجر ضحكا وانا حتى لا اعرف مالذي يضحكني؛ابتسم
فحسب وانا لا اعرف كيف يكون الابتسام او شكله.....

سيئة للحد الذي ارغمتني فيه لأن اقيم علاقة غير شرعية
مع عاهرات لطالما سخرت على كل من اسمع انه اقترب
منهن او نظر اليهن حتى؛الاكتئاب، الوحدة،
الاختناق،الموت البارد،الحزن،الضجر،التنفس رغما عني،
النحيب،الانين، البكاء الصامت،البكاء دون دموع،سكرات
الحياة؛الكلام المبكم،الهمس في حالة اليأس،العجز؛
الالم،الاجوع، الصراخ؛عاهرات من طراز رفيع تتطلب
مضاجعتهن الكثير من المال وقد انفقت عليهن ولاجل
متعتهن كل ما املك اعذريني؛على فكرة امازالت هذه
الاشياء موضة في عالمكم ام انها تطورت؛ففي عالمي هنا
صرت اراها في هيات كسوف يحدث بعد كل عقد من الزمن
لدقيقة وينتهي اما في باقي الايام فلا انصحك ان تسألني
حتى؛ المهم اعذريني على كل تلك العلاقات الخارجة عن
الشرع يا قصيرتي....

سيئة للحد الكافي لتحوليني الي حقير تافه يجري وراء
الصور والاصوات والذكريات؛صرت ابلها يا ملاكي.....

سيئة للحد الذي جعلتني فيه قاتلا ببرودة دم؛ اجهزت على نفسي وطعنتها في منصف قلبها ثم طعنتها تسعة طعنات في روحها وثلاث وعشرين طعنة موزعين على باقي الجسد؛ كانت تستحق ذلك لانها غير مطيعة ولا تقتنع بشيئ مهما فسرت؛ أخبرتها انك تخليت عنا ورميتنا تحت عنوان البساطة ولم تلتفتي حتى لتقولي وداعا؛ أخبرتها انك سيئة لكنها لم تكن تصدق او تستمع وقد تجاهلتني مرة فقتلتها لكني لم ادخل السجن اصلا لم تفتح قضية حول الامر لان احدا لم يفتقد غيابها؛ صارت نسيا منسيا يا حبيبتى....

سيئة للحد الذي جعلتني فيه مسخا قذرا لا اكرث لنفسي او لمظهري؛ لم اعد اهتم ان خرجت وشعري ممشط او لا؛ ما عدت اكرث ان نمت بلباس خفيف او ببنطالي الذي اعمل فيه طول اليوم؛ ما عدت آبها ان استحمت كل يوم ام انقطعت عنه لاشهر؛ ما عدت اعطي بالا لاكلي ومشربي وملابسي التي لا تعرف التناسق او الجديد من القديم المهترء وحتى طريقة كلامي وتصرفاتي؛ اصلا صرت قليل الكلام ولا اتحدث الا نادرا في

وجه الناس لكن داخلي لا يصمت ابدا اما عقلي فهو حانة
لا تغلق ابوابها ابدا؛صرت مركبا يا يا زوجتي.....

سيئة انت يا ام رتاج للحد الذي جعلتني فيه كاتباً وليس
لي في الكتابة شيئ وحتى القراء لم يكن عندي شغف
بها ولم ترق لي القصص بصورها الزاهية يوماً؛جعلتني كاتباً
يكتب فلسفة روائية وانا بالكاد اهجئ اسمي حين اكتبه
بالعربية؛ادرس الآداب منذ سنوات ولم اكتب كلمة واحدة
من انتاجي الخاص لكنك جعلتني كاتباً بين عشية وضحاها
يا زوجتي الظريفة....

سيئة للحد الذي جعلتني فيه كافراً ملحداً؛كفرت بكل
الديانات يا صديقتي وخرجت من ملتها؛الصدقة،الحب،
الاخوة،الوفاء،الاحترام،الاهتمام،الصدق؛فلتذهب كلها الى
الجحيم المظلم؛صاروا بالنسبة لي لعنة تحل بمن يفكر
فيهم لوهلة؛حتما ستصيبه لعنة الحياة ويفقد كل شيئ
واولهم صوابه....

سيئة للحد الذي جعلتني فيه اغدو لاجئاً في جسدي؛
اشعر بالغبرة في بيتي بين أمي وأبي؛اشعر بالغبرة في
وطني؛صرت غريباً عن نفسي....

أرأيت كم انت سيئة؛ لو استطعت ان اصف لك اكثر من هذا
لفعلت لكن كلماتي نفذت والوصف عندي وصل
اقصاه؛ يكفيني ان تعرفي أنك سيئة جمعتي كل السوء
حتى لم تتركي شيئاً للشيطان؛ لكني احبك يا تافهة...

كذبت عليك قبل اشهر حين قلت اني احبك لانني ادركت
الان انني احبك كما لم احبك قبل اشهر....

احبك يا حمقاء والحب استحقار لما بداخلي تجاهك لكن
ماالعمل ان كنت لا اقوى على ايقاف اصابعي على النقر
فوق هذه الازار.....

احبك كما احب الرسول صلى الله عليه وسلم خديجة
رضي الله عنها واحب عائشة؛ ومن انا حتى اقرن نفسي
بالرسول الكريم؟ من اكون وكيف اجراء؟ ما انا الا فتى احمق
ومهووس كبلته ذنوبه وخطاياها وجمع من الضعف ما كان
ليذيب الارض بجبالها لكن ماذا يفعل المرء حين يعجزه
الوصف؛ يكتفي بالمبالغة فهي ترياق العجز او ليصمت لكن
الصمت صار شيطاناً بالنسبة لي.....

لقد حذلتني؛ كذبت علي وختنتني وغدرت بي واحتلت
علي يا ظريفة؛ الخذلان مرا كان منك والكذب لم يلائمك

يوما اما الخيانة فهي لا تتطابق مع اسمك الملائكي وهي ليست افعالا وممارسات لا اخلاقية كما تظنين فالاخلاف بالوعود والتراجع عن العهود هي ابشع خيانة يا جميلة اما الغدر فهو لم يكن يما على مقاسك والاحتيال موهبة الكل يشغفها حين يمل ويضجر من روتين الحياة؛ لكني احبك يا معتوهة؛ اعشقتك ربك يا حمقاء وقد فشلت في كل محاولات نسيانك والتخلص منك وطرديك من عقلي؛ فشلت في كل محاولة لانني لم احاول مطلقا؛ وحتى مبيد النسيان الذي رششت منه ما يعدل محيط البلطيق في ذاكرتي لم يجدي مع صدى اسمك شيئا؛ تبا لك لكني احبك؛ لقد تمنيتك من كل قلبي يا فتاة؛ تمنيت فقدان بصري وسمعي ونطقي وتذوقي وشعوري على امل ان انالك في المستقبل لكنني لم احضى سوى بالخيبة والبأس؛ تمنيتك كما تمت أمي الطواف بالكعبة؛ تمنيتك كما تمنيت الموت وانا ساجد؛ كما تمنيت الخشوع في الصلاة؛ تمنيتك بقدر ما احبك وزيادة؛ تمنيتك في صلاتي ونومي واستيقاظي وكلامي وهمسي وتفكيري وتخيلاتني؛ تمنيتك وحسب وقد اعترضني القدر ذات ليلة في اول الشارع وقال لي اني لن احضى بك يوما وان

الافضل ان انسحب قبل ان اتعلق بك اكثر لكنني ابتسمت ساخرا وتجاهلته بغباء فصرخ في وجهي*انا القدر يا عديم النفع*؛فعاودت نفس الابتسام لكنه كان اكثر سخرية فصفعني وذهب ومن يومها لم اره قط ولو رأيته لارجعت له تلك الصفحة ولقلت له لماذا لم تخبرني انها ستتركني من البداية؛لا تعجبي لأمرى فانت لا تملكين أية فكرة عن مكبرات الصوت التي خلقت داخل رأسي ؛لا يهم؛ الفتى الذي عرفته منذ اشهر مازال كما هو لم يتغير لكنه لم يعد موجودا في عالمك كما اردت ولا حتى في عالمه مازال موجودا ولا تحاولي البحث عنه فهو بجانبك على الدوام؛ وماذا سيهم ان عرفت؛ المهم انا لست غاضبا عليك ولست منزعجا مما فعلت حتى إنني اشتريت قلادة كتب عليها اسمك واهديتها لنفسى باسمك انت وعضا عنك وقد اعتذرت من نفسى مكانك وقبلتها واعتذرت منها عوضا عنك و عما فعلته وقد سامحتك؛لا الومك على شئ فالذنب ليس ذنبك ولست انت المخطئة بل انا هو الاحمق لسبب سأتركه للوقت ستعرفينه؛الخطأ الوحيد الذي كنت اراه جرما في حقك هو وجودك في هذه الحياة التافهة والبائسة؛مالذي أتى بك الى ذاك العالم القذر؛ متأكد انه

لم يكن خيارك بل كان مجرد حظ عاثر كان سببه هزة صغيرة حركت مركبتك ورغم انها كانت سلسلة الا انها غيرت مسارها لتلقي بك في كوكب الحياة الدنيا؛ لا بأس فاذا احب الله عبدا ابتلاه وابتلاءك هو الحياة فاصبري والله معوض لك بفضلته؛ كنت ستكونين بالجنة او على متن كوكب اخر اقل تعاسة لولا تلك الرجة اللعينة؛ لو لم تكن تلك الحمقاء ما كنت عرفتك وما كنت احببتك وما كنت تحولت الى ما انا عليه الان؛ كنت لاکون سعيدا بحق وعلى احسن حال الان؛ كنت لاکون جالسا في احد الاماكن أستمتع للغناء او احتسي القهوة او الخمر وادخن سيجارة لسبب تافه من هرطقات الحياة؛ كنت لامضي حياتي في الحماقات والترهات لكنك غيرت كل شئ بمجرد ظهورك امامي ليلتها؛ غيرتي كل المعطيات وقلبتي حياتي رأسا على عقب وقد سررت لذلك؛ دمرت لي حياتي وحطمتها وقد سررت بذلك وتشرفت؛ حولتني الى احمق وقد تشرفت؛ حبك كان اعظم معصية ارتكبتها في حياتي لكنه كان المعصية الوحيدة التي لم استغفر الله من اجلها وقد وددت التماذي فيها حتى الممات؛ كان ذنبا اقرفته بفخر؛ كان سيئة تخلت عن اطنان من الحسنات حتى احضى

بها؛ كان رذيلة مارسها باقتناع ولم أندم ؛ كان فعلا قدرا
وحقيرا برائحة زكية ورائعة؛ حبك يا هذه كان بالنسبة لي
دينا كفرت بالاسلام لاجله؛ تعلمين لا تستطيعين الانتماء
الى دينين وقد خيرت واخترته هو يا مجنونة قلبي؛ كنت
مريضا بك وكنت بخير وبأفضل حال أحمد الله كل ليلة على
تلك النعمة؛ شفيت منك الآن وصرت في حال يرثى
لها؛ بائس وهزيل شحب وجهي وذبلت عيناى وانطفئ
صوتي بالكاد اتنفس واطل على الدوام احتضر؛ ماذا لو أني
لم استمع الى ذاك الهمس ليلتها وماذا لو أني لم اعد
ادراجي وواصلت نحو البيت ولم نلتقي حينها؛ ماذا لو انك
تاخرت عن بلوغ تلك النقطة ثانية واحدة؟ صدقيني لكنت
امضيت كل حياتي في التفاهات واللامبالاة البائسة لكن
الله اذا ما احب عبدا ابتلاه؛ لكن اي ابتلاء كنت انت في
حياتي؟؟ اي بلاء هو ذاك الذي يستطيع تغيير المرء وجعله
يشعر بالغرابة داخل جسمه؟ اي بلاء هو ذاك الذي يحول
المرء الى كاتب وهو لم يقرأ في حياته البائسة كتابا؟ اي
بلاء هو ذاك الذي يجعل الكلمات والحروف تعجز عن تركيب
جملة بسيطة للتعبير عما بداخله؟؟؛ غنية انت على ان
تشبهى بابتلاء يا صديقتي.

...كنا

سننتزوج على شاطئ البحر في مكاننا بثياب مميزة عن
...التي نعرفها

سنستمتع بالتخييم والسفر عبر المدن الريفيةوالجبال
...كنت قد باشرتي اعداد تخطيط لبيتنا

سنبني بيتا متواضعا من الخشب في قمة جبل
...بقربص

كنت ستزينين غرفه على ذوقك وتتفننين في تجميله
وتخصصين به تلك الغرفتين؛غرفة الافلام وغرفة الكتب
...والروايات

...سنجوب العالم بسيارتنا التي ستكون بيتا متنقلا
سننجب بنتا نسميها رتاج وندللها ونجعلها اسعد بنت
...في العالم

كنت سأعلمها القرآن واجعلها تحفظه في قلبها بعون
...الله وفضله

...سنخرج للتجول معا؛انا..انت..رتاج..رؤى
.سنزور الكعبة ونطوف بها شابكين ايدينا ببعض

اتعرفين معنى ان تتحول تلك الامنيات البسيطة الى سراب
أراه كل ثانية ينشئ فلما أمام عيني ولا استطيع .ان انبس
بحرف حتى

اتعرفين معنى ان يتحول شئى،له من البساطة ما يقنعك
انه بسيط دون ان يتكلم او ينطق بحرف،الى حلم
.يستحيل تحقيقه

ماذا الآن؟حتى وان امتلكت مال الدنيا وكسبت كنوز
الآخرة؛حتى لو جمعت من المال ما يحصر ولا يحصى؟
حتى لو اصبحت غنيا بكل معاني الكلمة؟ماذا بعد؟؟

لن يتغير شئى بالنسبة لي صدقيني؛لن يقدم في الأمر
شيئا ولن ينقص؛أستطيع امتلاك اي شئى يخطر ببالي
حتى لو كان مستحيلا؛استطيع امتلاك العالم وتعويض
مصطلح*الكرة الأرضية* بإسمي؛استطيع ان أقوم في
اسبوع واحد بما لم يستطع هتلر فعله في حياته كلها؛
استطيع امتلاك العالم وان تطلب الامر القمر وما جاوره
...من كواكب

...لكني

لن استطيع الحصول عليك او على قلبك رغم كل هذا

لن استطيع الاستمتاع بتلك اللحظات معك من جديد.
لن استطيع الاستمتاع بإيقاظك عند الخامسة صباحا
للصلاة.

لن احضى بمشاركتك أسرارك وقصصك كالايام الخوالي
لن احضى بتلك الجلسات معك مرة اخرى
لن احضى بشرف حمل احزانك واوجاعك كما تعودت
لن احضى بشرودي المعتاد في عينيك وصوتك وملامحك
لن احضى بشرف الغوص عميقا في روحك وقلبك .الكونيين
...لن ولن ولن الى الابد

لماذا؟؟

صدقيني لو عرفت لما كتبت من اجلك كل هذا ولما كنت
تقرئين لي اصلا الآن؛لكن اتدركين معنى ان يتحول مجرد
فعل بسيط حد المجاز الى حلم يستحيل تحقيقه حتى لو
امتلك المرء ما لا يزول ولا يفني من المال والجمال؟
اتدركين معنى ان يتحول بناء يلامس السحب إلى ركام
ملتصق بالأرض لا ترى في أثره إلا الاغبار والحجارة
المفتتة؛طبعا مالكة لن يحزن ويتالم طول العمر لأنه

سيشيد مكانه بناية أعلى واجمل اناقة من التي سبقتها
حتى إنه سينسى أمر الاولى وانه كان لها وجود اصلا؛ لكن
ماذا افعل انا؟؟

اكثر من الثثرة يا صديقتي اعذريني المهم اعطني
بنفسك وكوني حذرة على رؤى؛ كلي جيدا والبسي جيدا
حتى لا تمرضي واستمتعي بوقتك ولا تتركي ثانية لا
تتسمين فيها؛ قبلي امك مكاني واخبريها ان نسيها
الوهمي يبلغها حبه وبلغني سلامي للطبيبة التي انتبهت
لاعراض إصابتك بأنفلونزا الخنازير وسارعت في اخراسها
وايقافها والحمد لله على سلامتك كانت ليلة عصيبة في
ذلك المشفى وقد مرت بسلام؛ اذن انك استمتعت قليلا
بدغدغات ذاك الانبوب الصغير الذي يبث الاكسجين عبر
فتحات انفك؛ اعطني بنفسك؛ سامحيني فقد خنتك وخنت
حبك مع الكتابة واتخذت القراءة حبيبتي الجديدة رغم اني
اخبرتكم اني لن احب بعدك امرأة اخرى؛ سلام.....

انهيت الرسالة وقد تسللت فأرة الحاسوب كعادتها الى زر
الارسال فمنعتها كالعادة وعاقبتها على تصرفها دون
استشارتي رغم اني تمنيت لو انها سبقتنني وارسلت
الرسالة قبل ان ادرك إيقافها؛ نالت جزائها في كل

الحالات؛ ارسلت الرسالة الى وجهتها الخطئ كالعادة
وعلى ما اذن غدا سأعيدها نفسها بلا شك واخذت ادندن
جملا اخرى كانت لا تزال تصفعني؛

«حتى من حنان امك وابيك اغار عليك؛ اخاف ان احثك
بكثرة فتمل مني واخاف ان اصمت فتظن ان قلبي لم يعد
يهتم بك....»

«انا دائما لك وحدك؛ رغم كل من حولي؛ رغم الالتزامات
ورغم المسافة التي تفصلك عني ورغمما عني ايضا....»

«اعاتب طيفه ان لم يزرني؛ لعل الطيف اوعى بالعتاب؛

الا يا طيف اخبره عني؛ ان الشوق افقدني صوابي...»

لا اعرف كيف لا امل من اعادت تلك الرسالة كل ليلة ولا
اتعب مطلقا؛ طال غياب النوم عني وكم افتقد ذاك
الصديق، لم يسال عن حالي منذ فترة اعقل انه نسيني
؛ لا اعلم لكن التعب والانهاك عادا بقوة هذه المرة؛ اكملت
الرسالة واخذت عيناى قصتا من الراحة اما جسدي فقد
تبين انه عانق الارض بعد الغاء الرسالة مباشرة؛ احس
ببرودة الارض وصلابتها؛ احس بامتصاصها لروحي؛ يداي؛
اطرافي وخدي؛ جزء من جبيني ورجلاي وفخذاي؛ بطني

وصدري؛كلهم طريحون على الارض وملتصقون بها حد الجنون؛اذا لماذا اشعر اني لازلت اسقط الى الاسفل ولا اتوقف عن السقوط؟؟قمت بعد صراع اتوهم الهدوء والشفاء ورحت اجالس حاسوبي واكمل كتابة روايتي التي شارفت ان تعميني من فرط تركيزي فيها؛ظللت اخمن في ذات الوقت كيف للمرء ان يواصل السقوط بعد ان يسقط على الارض وهو ليس شبعا حتى يمر عبرها ويخترقها بكل تلك البساطة؛جنون او هذيان اعرف؛انه اللاوعي على اصوله يا سادة لكني اکتفیت من كل هذا ؛اكتفيت من الوحدة والاکتئاب واكتفيت من مسمى العزلة اللعين؛ اکتفیت من حبس نفسي واكتفيت من الوجود باكملة؛ اقمتم جلسة في المحكمة وحكمت على نفسي المسجونة بالبراءة والصراح الفوري رغم انها من المفروض ان لا تخرج من ذلك السجن الا في تابوت لجرمها؛لقد اُحبت وقد كلفها ذلك حكما بالسجن مدى الحياة لكني افرجت عنها ببساطة وتركتها في حاله؛ الكل استغرب لحكمي وظن اني اخذت رشوة لكن ممن فنفسى فقيرة حد الاشتمزاز وليس لها اصدقاء يدفعون عوضا عنها؛انا ثرثار اعرف صدقني ولطالما وبختني أمي على ذلك ونصحتني ان الثثرة قلة أدب

وتربية لكني الآن وحدي وهي ليست الى جانبي واعرف انه يجب علي احترام غيابها لكن الامر رغما عني يحدث؛ احب ان اكون ثرثار احدث نفسي فلا تتجاهلني ولا تحتقرني ولا تناقشني وتساندني لمواجهة الأعباء عاهرة تسمي نفسها الحياة؛ اعلم انك مللت وضجرت وانت تقراء كل هذه الرواية؛ الامر يستحق العناء فقد دفعت مالا مقابلها لكن عليك ان تغلق الرواية على الاقل وانت تعرف امرا قد يفيدك؛ وقد يجعلك تعيد الرواية وتطالب بمالك وتقاطع القراءة الى الابد؛ في طريقك الى استعادت نفسك المفقودة وذاتك الضائعة منذ زمن؛ في رحلتك للبحث عن الانا خاصتك والوعي الذي عوض مكانه اللاوعي الكافر وانت بالطبع لا تستطيع ان تقف وراء امام منافق يصلي دون وضوء ولا يعرف من الدين غير الصلاة عن الرسول؛ في طريقك ذاك وانت تبحث بأمل ان تجد سعادتك وراحتك تأكد ان لم تسقط مليون مرة حتى تتهشش عظامك فانت لن تجد شيئا حتى لو وجدت واذا كنت تعتقد ان تلك الارقام المدونة امام اسمك في دفتر العائلة هي تاريخ ولادتك فاعذرنني ان كانت الكلمة شاتمة لكنك احمق؛ الخامس من ماي ثمانين وتسعون وتسعمائة وألف؛ ليست سوى ارقام

وضعت بصفة عبثية وتلقائية صحبت باسم احد الاشهر؛
من قال انك ولدت عند التاسعة صباحا او عند الثالثة
والعشرون بالترقيم اللاتيني؛ لو فكرت قليلا من وجهة نظر
فتى مهووس بالقراءة والكتابة لاقتنعت ان كل تلك الارقام
واسماء الاشهر التي يسمونها تاريخ الولادة ليس سوى
تأشيرة او علامة، مثل تلك التي توضع على البضاعة في
المغازات الكبرى، ان دلت على شئ فلن يكون غير توقيت
لحظة نزولك من حافلة النقل بعد رحلة طويلة دامت تسعة
اشهر تزيد او تنقص بالدرجة المريحة؛ اما مصطلح تاريخ
مولدك فبالطبع لن نستغني عنه فهو اقطع دليل على
وجودك في لائحة الحياة الاجتماعية البائسة تلك؛ ببساطة
ان تاريخ مولد هو اليوم الذي تتلقى فيه اول صفة من
الحياة التي ستحاول اسقاطك وستسقطك فعلا استعانة
بأناس احبتهم وجعلتهم تلك الخفقات التي تدل على ان
قلبك صالح؛ ذاك الهواء العطر الذي يلج الى داخل جسمك
ويخرج ببطئ؛ ايا يكن ما كانوا عليهم فهم الذين
سيتسببون لك في تلك السقطة حتى ان نهوظك لن يكون
سهلا البتة؛ قد لا تقف مطلقا وتبقى طريحا في القاع؛ قد
تجد نفسك امام خيارين الاول ان تطلب المساعدة وتمد

يدك الى أحدهم حتى يجعلك تقف؛ اياك ان تتغابي وتجعل نهوضك في يد شخص غيرك؛ هنا لن يكون امامك غير الخيار الثاني وهو ان تحاول النهوض بمفردك فاذا عجزت عن ذلك فانت بائس وتعييس الحظ وقد اصبحت جامد مثل حجر الشطرنج لا قيمة لك الا اذا حركك احدهم كما يشتهي ويريد ببساطة انت لا شيء؛ اما اذا استطعت النهوض وتغلبت عن كل مخاوفك والأشياء التي كانت تكبلك فانت مخطوظ او ربما ساعدتك دعوات امك ورثف بحالك الله ربك؛ لقد وقفت اخيرا بفضل الله ثم بفضل عقلك وفكرك وصرت تعرف الآن "ماهية الحياة وكيف انها صارت ملوثة بالخطيئة والمعاصي بسبب مجموعة من البشر وان هوائها صار خانقا وساما بسبب الشهوات التي لم يستطع هؤلاء البشر السيطرة عليها وانها صارت مستنقعا أسود المياه بسبب براميل سكبت فيه تحتوي مواد شبيهة بالقطران لكنها ليست بقطران بل اخطر منه؛ المال الربوي، الرقي الخاطي، الرشوة، الانحطاط الاخلاقي، الفساد؛ كلها مواد سامة وقاتلة تسببت لك في تلك السقطة" صرت الآن تعرف لماذا انهرت فجأة وطرحت ارضا وصرت مقتنعا ان الحياة صارت بائسة لا يطاق العيش

فيها لكنك رغم كل هذا ستعيش على مبدأ واحد هو
الرفض؛ رفض الانطباع لقوانين الحياة الجديدة؛ رفض قبول
الفساد والتخلف حتى ولو كانا واقعا نعيشه؛ رفض تأمل
صورة الحياة الجديدة حتى ولو كانت مغرية وجميلة؛ تلك
هي الولادة فكل انسان لم يسقط ثم يقف من جديد فهو
لم يعيش اي شئ ولا ينبغي له التحدث عن الحياة؛ لكن
مهلا لحظة دعنى ممن سقط ولم يستطع النهوض؛ اذا
كنت ممن سقط ونهض واكمل مشيه دون ان تزوره تلك
الافكار عن ماهية الحياة او دون ان يقنع نفسه ان الحياة
لم تعد كما كانت من قبل فخير لك لو بقيت في سقوطك
ذاك ولم تقف مطلقا لانك بالرغم من نهوضك فحالك كحال
من لم يستطع النهوض* لا شئ* لانك لم تولد بعد يا
صديقي؛ لكن من وجهة نظري انا كمجنون ومعتوه لقد
اكتفيت وذقت ذرعا من كل شئ وأولهم الهواء الذي
اتنفسه؛ ادركت من كل هذا ان الفرق النسبي الوحيد بين
الجمال والجمال المطلق هو انت وان الفاصل بين الصداقة
والحب هو اسمك وما يخصه وان الذي يميز النسبية عن
الجازبية هو طيفك والقطرة التي تفصل المد عن الزجر هي
صوتك؛ أما عملية اكتمال القمر وتحوله الى بدر فهي لا تتم

اذا لم تكوني جالسة على الشاطئ ليلا؛ شيئ بسيط وواضح منذ البداية فلماذا اقتل نفسي بالتفكير؟؟؛ مازالت مخيلتي في ذات ازدحامها، وحال ضجيجها الصاخب لم يتغير فيه شيئ ولم تنقص منها اية فكرة كما لو اني لم اكتب شيئا وصدقيني لو لم اصارع نفسي على ايقاف التدفق الجنوني لهذه الاسطر لما كنت انهيت الكتابة يوما؛ اعلم اني تركت بعض الافكار في طابور الانتظار واعلم جيدا اني غير راض على توقفي هذا لكني مجبر على ذلك لاسباب ستعرفينها؛ اضن اني اعتزلت الكتابة بعد اول رواية؛ على الاغلب لن اعيد ارهاق ذاكري في انتاج كتاب آخر وانا اتحدث فيه عن امرأة اخرى؛ اصلا مللت الكتابة واختفى ذاك الشغف بالقراءة والمطالعة؛ ببساطة انتهت مسيرتي بعد اول عمل؛ كلامي لن يغير في الواقع شيئا، لن يقدم ولن يأخر، هو مجرد رأي في كون يعج بالآراء والبيت يبني حجرا حجرا وان نقص منه حجر خلف فجوة ستكون ظاهرة للناظر ورأيي هو بمثابة حجر صغير في بيت الحياة لكن على عكس البيت الاخر، نقصانه او اختفائه لن يحدث اي فجوة ولن يغير في الواقع حرفا هذا ان قرء اصلا؛ كنت ذات يوم مخيرا بين حب او صداقة وبعد تفكير لم يدم طويلا

لكنه تطلب مني الكثير من العناء؛ تغابيت وتحامقت واخترت
الحب فرمى بكلينا في ثقب اسود وخانق رغم انه امتلك
من الجمال ما لا يوصف باي لغة؛ كان خطئي وذنبي يا
صديقتي؛ لكن اتعلمين أمرا؟؟؛ تبا للرقبي وتبا للمال وسحقا
للحياة واللعنة على كل الوجود بما فيه من مغريات
وليذهب الحب إلى الجحيم؛ فلنعد أصدقاء يا ظريفة

تمت بفضل الله وعونه☆☆☆